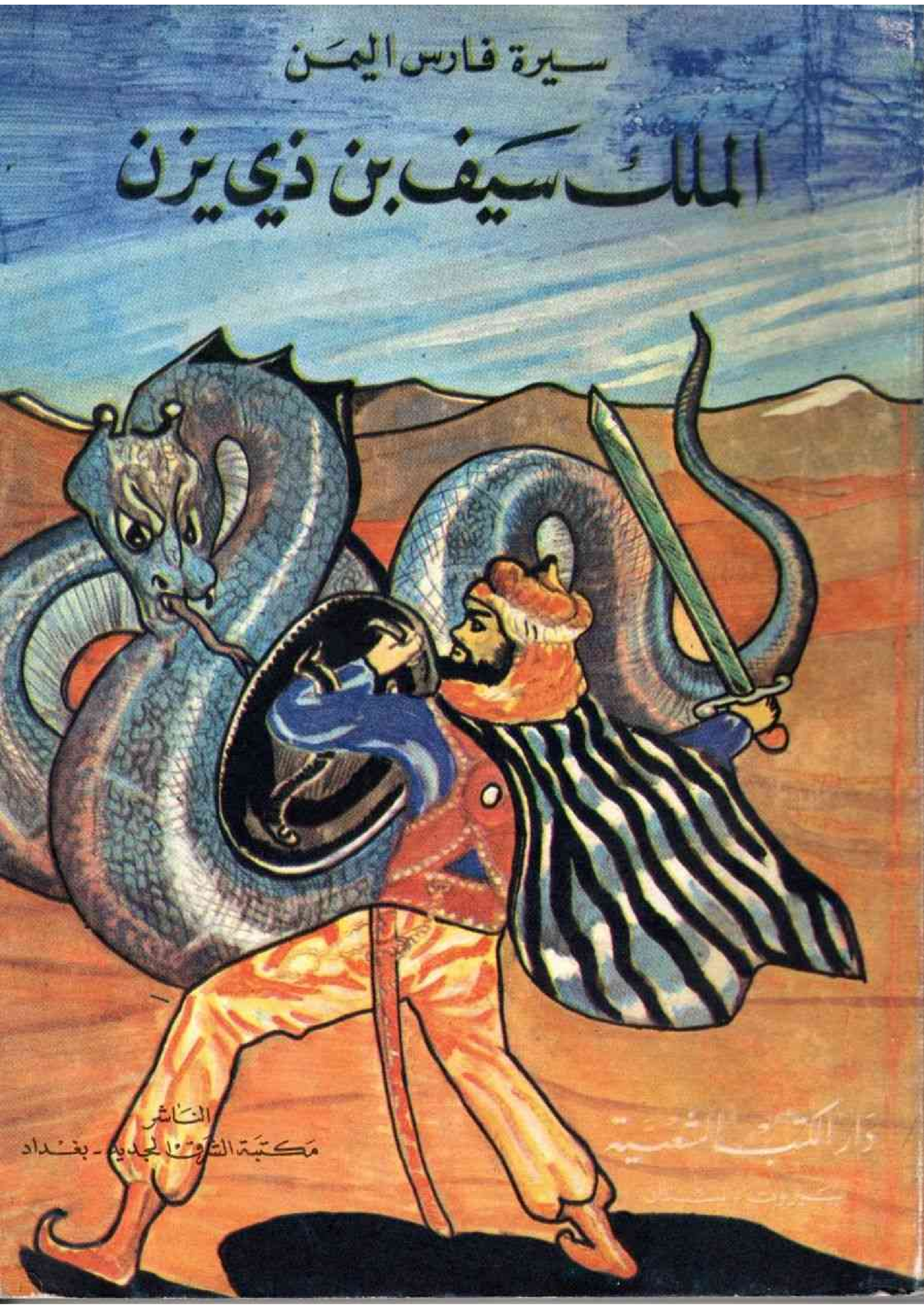

سيرة فارس اليمن
الملك سيف بن ذي يزن
الناشر
مكتبة الشرق الجديد - بغداد
دار الكتب الشعبية



سيرة فارس اليمن
الملك سيف بن ذي يزن

سيرة فارس اليمن

الملك سيف بن ذي يزن

ابن تبع بن أسد البيداء بن فارس النتيجة ابن وحش البر .
الفارس الكرار والبطل المغوار صاحب البطش والاقتدار وهو
من سلالة التبع حسان وفاتح كنوز سيدنا سليمان المعروف .
بالغزوات المشهورة والحروب الهائلة المذكورة من طار صيته
في البلاد وخوت لهيبته الابطال الشداد في معامع الحروب
والطراد فهي قصة طويلة عجيبة وامور جرت فيها غريبة .

الناشر
مكتبة الشرق الجديد - بغداد

الملك سيف بن ذي يزن

كانت اليمن قديما مملكة مزدهرة قوية يحكمها ملك شديد البأس يقال له : ذي يزن . وكان ذي يزن شابا طموحا ، مقداما . واسع الافق ، بعيد الآمال ، فقام بفتوحات عديدة على كثير من الممالك المتاخمة لليمن تكللت بالنصر فأخضعها لسلطانه وفرض عليها سيطرته حتى اصبحت اليمن في عهده من اكبر ممالك ذلك العصر واشدها قوة .

وكانت (الحبشة) من الممالك التي غزاها ذي يزن بجيشه واغتصب من ارضها جزءا ضمه اليه وبنى له فيه القصور والدور وانشأ الحقول وزرع الاشجار .

وحين بلغ الخبر ملك الحبشة في ذلك الحين جن جنونه ، وثارت ثائرته فأرغى وأزبد ، وهدد وتوعد . فجمع وزراءه وحكماءه وقــواده وتداول معهم فيما ينبغي عمله للوقوف في وجه ذي يزن واقصائه قهرا عن ارض الحبشة وكان في مجلس الملك حكيمان يدعى احدهما : «سقرديون» والاخر «سقرديس» كانا موضع ثقة الملك وتقديره ، فلما احتدم الجـدال بين الملك ووزرائه وقواد جيشه ، نهض الحكيم سقرديس واستأذن الملك في الكلام ، فأذن له . فقال :

مولاي الملك : انه لا قدرة لنا بمنازلة جيش ذي يزن ، فهو أوفر من جيشنا عدة وعددا ، فاذا خضنا معه قتالا فانا اتنبأ بأن الهزيمة محيقة بنا لا محالة . والراي عندي ــ يا مولاي ــ ان تسعى الى قتل ذي يزن بالحيلة والمكر ، فاذا قضينا عليه استطعنا ان نستخلص ما اغتصبه من ارضنــــا ونكون بذلك قد كفينا انفسنا حربا ضروسا ربما يكون فيها هلاكنا جميعا .

قال الملك :

نعم الراي رايك ايها الحكيم سقرديس . وعندي انه لا مناص لنا من

استعمال الحيلة لقتل ذي يزن وكسر شوكته قبل ان يستفحل خطره ويعظم شره فنعجز عن اقصائه عن ارض وطننا العزيز ، ويكون مآلنا الى الذل والهوان . ولكن هلا قلت لي ، ايها الحكيم ، كيف سيمكننا ان نوقع ذي يزن بين ايدينا وهو - ما تعلم - كالليث الكاسر جراة وبطشا ؟

قال سقرديس : ليس كالحيلة - سلاحٌ ماضٍ في الحروب ، وقد وهبنا الله عقلا لنفكر به ونزن به الامور . ورايي ان نسلس الينا قيادة عدونا ذي يزن فنستميله الينا بالتودد والمداهنة حتى اذا لانت شوكته وهدات ثائرته ، بعثنا اليه بجارية من جوارينا ومعها بعض الهدايا والجواهر والعبيد فأعطيناها سما واوصيناها ان تدسه سرا في طعام الملك او شرابه. وبهذا نقضي عليه سريعا ولا يعلم احد سبب موته . وانا أعرف يا مولاي جارية لم يخلق الله اجمل منها اسمها (قمر) فاذا امرت استدعيتها لك على الفور لتراها . انها فتاة بارعة الحسن والجمال يا مولاي تأسر القلوب بخفتها ولا تمل العين من التملي من طلعتها .

قال الملك : حسنا ائت بها ، واعدها للمهمة التي ستوكل اليها القيام بها ، وأوصها بالكتمان الشديد وسآمر بتجهيز الهدية التي سنرسلها معها غدا الى الملك ذي يزن .

قال سقرديس : سمعا وطاعة لك يا مولاي ، سوف أبعث بمن يجيئني بالجارية قمر في الحال . وسأعدها لتقوم بالمهمة وفي الغد ستكون هي والهدايا في الطريق الى بلاد اليمن . قال الملك : حسنا ايها الحكيم سقرديس . افعل ما أمرتك به . وحين مثلت الجارية قمر بين يدي الملك، نظر اليها نظرة فاحصة ومن حوله وزراؤه وحكماء مملكته ومستشاروه وقواده ، فبهره جمالها واستحال عليه ان يصدق بأنها انسانة وليست ملاكا هبط من السماء . قال الملك ، وهو يداعب لحيته القصيرة بيده : ما اسمك ، ايتها الجارية ؟ قالت : عبدتك «قمر» يا مولاي . قال : «قمر»؟ انه - وايم الحق - اسم على مسمى ، وتالله لم يظلمك من سماك قمراً هل لديك الشجاعة الكافية للقيام بتضحية اطلبها منك فيها خدمة لوطنك وبلادك؟ قالت قمر : اطمئن يا مولاي فما انا الا خادمتك المطيعة وجارية مخلصة من جواريك ، وما تطلبه مني هو اقل ما يمكنني ان اقوم به من اجل أمتي ووطني . قال الملك : هل تعلمين ما هي المهمة التي ستوكل اليك ؟ قالت الجارية قمر : اجل يا مولاي . فقد انباني بها حكيمكم سقرديس منذ ساعات ، قال الملك : وهل تجدين في نفسك القدرة على اتيان ما نطلبه منك ؟ قالت : اجل ، يا مولاي . قال : اما تخشين على حياتك فيما لو اطلعوا على خبيئة امرك وافسدوا ما تدبرينه . قالت لست اضن بحياتي في سبيل بلادي . قال : بورك بك ، يا بنيتي ، فاذهبي على رسلك والله يحفظك .

كان ممن حضروا مجلس ملك الحبشة وزير عربي الاصل يدعى «بحر قفقان» ولد ابوه في الحجاز وهاجر منها في سنة قحط الى الحبشة حيث استقر فيها واتخذها وطنا له . وقد اشتهر عن هذا الوزير الذكاء والفطنة والوفاء وحب الخير . فحبب ذلك الناس فيه وأبهج فيه ألسنتهم بالثناء عليه وامتداح شمائله وخصاله . ولما كان قد ورث عن ابيه شمم العربي واباءه ، كان طبيعيا ان يستاء لما سمعه عن نية الملك وحكيمه سقرديس الغدر بذي يزن والاحتيال لقتله . فأشفق على ذي يزن ان يقتل غيلـــة وغدرا . فما كان منه الا ان عمد الى قلم وورقة فحبر رسالة ضمنها تحذيرا الى ذي يزن عما يدبر له وتبصيرا بما يعد من عدة لاغتياله ودفع بالرسالة بعد ان ذيلها بتوقيعه الى خادم يثق فيه وامره ان يسرع بها الى اليمن ويسلمها الى الملك ذي يزن . وان يأخذ حذره حتى لا تقع الرسالة فـــي يد احد .

وعندما ارخى الليل سدوله ، تسلل خادم الوزير (بحر قفقان) مـــن الحبشة وتوجه تحت ستر الظلام متجها نحو اليمن .

كانت هدية ملك الحبشة الى الملك ذي يزن هدية نفيسة حقا ، ضمت مجموعة من أندر الجواهر واكرم الاحجار من ماس وياقوت ولؤلؤ ، ومن السيوف المرصعة بأحجار الماس وخواتم العقيق والذهب ولما وصلت الرسل بالهدايا الى قصر الملك استأذنوا بالدخول فأذن لهم ، فتقدم كبيرهم ــ وكان رجلا ذا لحية مرسلة ــ فحيا الملك وانحنى له باحترام وقال: مولاي ملك اليمن . نحن رسل ملك الحبشة اليك جئنا بلادك حاملين معنا هدايا ثمينة يرجو ملكنا ان تتقبلها منه كدليل على رغبته باحلال الود والسلام بينه وبينكـم .

اظهر ذي يزن اعجابه بالهدية فعبر للرسول عن سروره بقبولها وشكر لملك الحبشة كرمه . ودعى الرسل الى البقاء في ضيافته وامر باكرامهم . ثم دعى بالهدايا فأودعت خزائن القصر ، وبالعبيد والجواري فضمهم الى زمرة عبيده وجواريه .

استطاعت الجارية قمر ان تنفذ ــ بغير استئذان ــ الى قلب الملك . فقد رآها تسير مع الجواري فاستلفتت نظره . ومال اليها . وكان له وزير داهية يدعى (يثرب) عرك الدهر وعركه الدهر حتى استنفد منه تجارب اللاحق والسابق فلم يعد يخفى عليه شيء وصار افطن الناس طرا والمع حاشية الملك ذكاء وحدة ذهن فبعث اليه الملك يطلبه فلما مثل بين يديه ابتدره قائلا : يا يثرب . لقد عهدنا فيك الذكاء والفطنة والبصيرة النافذة. فهلا افتيتنا لامر يشغلنا ؟ قال يثرب : «حبا وكرامة . يا مولاي» قال الملك: «انه امر خاص لعلي اجد لي عندك فيه رأيا» . قال يثرب : «مرني يا مولاي انا طوع رغبتك» . قال الملك انها احدى الجواري اللواتي اهداهن ملـــك الحبشة الي . «ما شانها يـــا مولاي انك تعلم انني لم اتزوج بعد ايها

الوزير يثرب «أجل» يا مولاي . ونامل جميعا ان يكون قد صح عرفك على الزواج . قال الملك ، وهو يغمز بعينيه ليثرب ، هو ذلك : ان الامر كما تقول . فقال يثرب : وما اسم تلك الجارية التي استلفتت نظرك ، يا مولاي ؟ قال الملك : اسمها قمر . قال يثرب : وهل هي جميلة يـــا مولاي . اعني هل راقت لجلالتكم ؟ فتنحنح ذي يزن واعتدل في جلسته ثم قال : اجل بل هي اجمل ما رايت في حياتي من الحسان على الاطلاق. فقال يثرب : يا مولاي .من رايي ان تتمهل قليلا ولا ندع العاطفة تجرفنا. من يدري . ربما تكون هذه الجارية التي استلبت لبك ليست الا حيـــة رقطاء ، ناعمة الملمس تنوي ان تنفث فيك سمومها . وانت تعلم ــ يا مولاي ــ ان ملك الحبشة لا يكن لك الا كل ضغينة وحقد . فمودته التي اظهرها لك زيف وخداع فلا تركن له فانه لا بد يدبر لك امرا في طـــي الخفاء ، فاحذر ان تساله وتطمئن الى مودته والا حلت بك الندامة . وحكم عقلك في امرك ولا تجعل لعواطفك منفذا اليك .

قال الملك : يخيل الي انك لا بد ان تكون محقاً فيما تقول ــ فمودة ملك الحبشة زيف بلا ريب وان يده التي يمدها الينا اليوم بالصداقة سوف لا يطول العهد حتى تمتد الينا بالسيف والرمح . ورايي ان التمهل امر لا مناص منه . والخير ان أتحكم في عواطفي حتى نتبين امر هذه الجارية، ونأمن مكرها وغدرها . وفي تلك الاثناء جاء حاجب الملك يعلن وصـــول رسول بحر قفقان وزير ملك الحبشة فلما سمح له بالمثول امام الملك ذي يزن ، تقدم منه باحترام وسلمه رسالة سيده . فقرأ الملك الرسالة ، واذا به يقف على قدميه بعد ان كان جالسا ويصيح ، وقد ارتسم الغضب على وجهه : لقد صدقت في شكك يا يثرب في هذه الجارية . فهي ليست الا وعاء براق يحمل في جوفه سما زعافا ارادوا به ان يصيبوا فيها مقتلا . الا بئس ما دبروه لي من سوء لا بد ان أرده الى نحورهم .

وهنا جعل الملك يشكر وزيره يثرب لانه نبهه الى الخطر المحيط به ، وامر الرسول بصلة ودعاه للبقاء معززا مكرما في قصره تلك الليلة .

كانت اسارير الملك ذي يزن تشف عن سخط مريـــر وغضب جارف فالتفت الى وزيره يثرب وقال له : «أما وقد تكشفت لنا المكيدة التي دبرها لنا ملك الحبشة اللئيم .. فماذا ترانا صانعين ؟» فقال يثرب : «الراي يا مولاي ان نستكشف دخيلة الجارية قمر وننفذ الى سرها .. اولا وعليك يا مولاي ان تخلو بها وتأمرها ان تحضر لك وعاء السم الذي تحتفظ بـــه لديها ، وستطيع امرك اذا انت هددتها بالقتل ، فاذا لم تفعل ولم تعترف لك بسرها يكون لا بد ان تأمر بقتلها» .

استدعى الملك ذي يزن الجارية قمر ، فجاءت وعليها هالة من السحر الفتان ، فنظر اليها نظرة طويلة واسف في قرارة نفسه ان يضطر الى قتل هذه الحورية اذا هي لم تعترف . ولما دنت منه بادرها بقوله : «لماذا اختارك

ملك الحبشة للقدوم الى اليمن يا قمر ؟» فقالت : انما اختارني مولاي ملك الحبشة لاكون هدية جلالته اليك . فصرخ ذي يزن بأعلى صوته : دعك من المراوغة والخداع يا قمر ، فأنا أعلم بأنك ما جئت الى اليمن الا لتدسي لي السم ، فاعترفي اذن .. والا امرت حراسي يطيحوا في الحال برأسك الجميل هذا .

تأكد للجارية قمر ان حيلة مولاها قد انكشفت .. وبأسرع مما كانت تتصور . ولكنها جعلت تحدث نفسها قائلة : انه لا حرج علي اذا اعترفت لهم ـ والا كان الموت نصيبي . والخير كل الخير ان اتظاهر بأنني قبلت المهمة ابتغاء انقاذ الملك ذي يزن وتبصيره بما دبر له .. وليس قتله . فابتسمت ثم نظرت الى الملك الذي كان يتميز غضبا وقالت : مولاي . اتظن حقا انني جئت لادس لك السم .. معاذ الله ان افعل . ولقد اراد ملك الحبشة بالاتفاق مع حكيمه سقرديس قتلك فعهدا الي بوعاء السم هذا الذي اطرحه بين يديك وطلب مني ان اضعه في شرابك وانت عني غافل ، فصدعت لهما في الظاهر فقط ليكون خلاصك على يدي ، ولكنـي قدمت اليمن وبودي ان احذرك من المكيدة وانني ارجأت ذلك الى ان تتهيأ لـي فرصة للاجتماع بك على انفراد حتى لا يفضح امري لدى ملك الحبشة ، لقد احببتك يا مولاي منذ رايتك .. احببتك حبا ملك علي جوانحي وارجو ان لا اكون بذلك قد تطاولت الى منزلـة مولاي .. ولكن ما كان بوسعي ان اصد قلبي عن الشعور بحبه اياك ، وثق يا مولاي انني ما سعيت اليك الا لانقاذك مما دبر لك . وقد تتساءل ولماذا رضيت بقبول هذه المهمة فأقول لك يا مولاي ان اعتذاري عن قبول ما كلفني به ملك الحبشة من مهمة ، ما كان ابدا سيصرفه عن محاولة الاستعانة بجارية اخرى لعلها تكون قاسية القلب لا ترحم فتتقدم على قتلك تنفيذا لارادة مولاها .

وكانت نظرات الجارية قمر تنفذ كأنها السهام الصائبة الى قلب الملك الذي يزداد اعجابه بها يوما بعد يوم . وقد صدق الملك الطيب القلب اقوال قمر وآمن بصحتها ، وقدر لها صنيعها ووثق بها ثقة متناهية ..

ومرت الايام .. ووجد الملك انه لا يستطيع الابتعاد عن الجارية قمر التي سحرته بجمالها فعقد العزم على الزواج منها ، وسره ان لم يجد منها ممانعة ، بل انها رضيت بالزواج منه واعتبرت ذلك شرفا كبيرا يسبغـه عليها . اقترن الملك بساحرته التي استولت على مشاعره . ووجد منها طاعة وتظاهرا بالحب جعله يطمئن الى اخلاصها الاكيد له .

* * *

ترقب ملك الحبشة ان توافيه انباء ذي يزن ، فمضى الشهر في اعقاب الاخر دون ان يصل اليه شيء يفيده عما تم في امره ، فكتب الى صنيعته

قمر خفية يقول لها : «ما اردت لك ان تكوني صاحبة الملك ، فما ارسلتك الا لتنفذي فيه رغبتي وتزهقي لي روحه ، ولكنك تباطات فيما أمرتك به، فما الذي اقعدك عن ذلك ؟» فكان جوابها له : «مولاي .. لقد جاءتني رسالتك . وعرفت منها انك تريد مني ان اسرع في تعجيل المنية الى ذي يزن . ولذا فانني أرد عليك فأقول انني لا زلت عند رغبتي التي قطعتها لك ، وانما رايت ان لا اتعجل بلوغ ما تريد خوفا من افتضاح امرنا ، والراي عندي يا مولاي ان تنتظر الى حين تسنح الفرصة لقتله وهي لا بد آتية لا ريب فيها . فمهلا وثق بأنني لن اتوانى قط عن تنفيذ ارادتك وسوف توافيك انباء طيبة عن هذا الملك بما تحب في القريب العاجل» .

مرض الملك ذي يزن مرضا أشرف به على الموت ، فلزم فراشه ، وانقطع عن النظر في أمور رعيته .. كان مرضه شديدا فأعيا الاطباء في امره ولما احس بقرب أجله وادرك ان القضاء نافذ فيه لا محالة جمع اليه وزراءه وكبراء دولته وقال : «انما البقاء لله وحده . والانسان الى زوال مهما عاش وامتد العمر به .. وانني أحس بدبيب الموت يزحف نحوي وظني ان ساعاتي على هذه الارض غدت معدودة فعليكم بالاستقامة والمساواة بين الناس ، فاذا مت فاجعلوا قمر ملكة عليكم حتى تلد ، فان ولدت ذكرا آل اليه الملك حين يبلغ الرشد ، او انثى فالملك لمن سيحظى بالزواج منها . وعليكم بطاعتها وأعانتها على تصريف شؤون هذه المملكة والله معكم» فقالوا: سمعا وطاعة ايها الملك الحبيب ، فكلنا طوع امرك . وعهدك بنا الطاعة فما كنا لنخالف لك مشيئة ، ولك ان تطمئن الى ان وصيتك مصونة وسننفذها لك بنصها .. والله نسأل ان يعافيك من مرضك ويدرأ عنك المكروه ويبقيك لنا ذخرا .

ومضت ايام قليلة مات بعدها الملك ذو يزن .. وانطوت بموته حياة حافلة بجلائل الاعمال وأروع الانتصارات .. وبعد موت الملك كان لا بد من تنصيب «قمر» ملكة على اليمن تحقيقا للرغبة التي كان قد اعلنها ذي يزن الى وزرائه كبرائه واصبحت «قمر» ملكة اليمن السعيدة ، ومرت الايام والشهور ذاقت اثناءها لذة الحكم ونشوة السيطرة ، فطغت وبغت وانساقت وراء نزواتها واهوائها الى ابعد الحدود . فأودعت السجون كل معارضيها من الحكام وقربت منها كل من والاها وتزلف اليها .

ووضعت الملكة مولودا ذكرا ، جميل الصورة ، ممتلىء صحة وعافية ، فسعد الشعب بقدومه وأقيمت الزينات والافراح .. ولكن الملكة كانت غير سعيدة . فأحزنها ان يجيء لها ولد يغتصب منها الحكم اذا كبر واشتد عوده فعقدت نيتها على ان تعجل له الموت فكانت لا ترضعه الا فيما ندر حتى يسرع اليه الضعف والكلال ويوافيه المرض الذي يؤول به الى الموت المحتوم ، غير ان عناية الله كانت تحفظه بعين الرحمة .. فكبر الطفل وتدرج في مراقي العمر حتى بلغ الشهر الرابع من عمره دون ان يصيبه

مكروه . ووجدت الملكة انه يجب ان تضع حدا لحياة ابنها في الحال . فانفردت به ذات ليلة في حجرتها ووضعته امامها على الارض وجاءت بسيف ورفعته وهمت ان تضرب به عنق ابنها . ولكن يدها تصلبت فجأة . فبقيت جامدة والسيف مشرع فوق رأس الطفل الذاهل ، لا تقوى على الحركة .. وفي اللحظة ذاتها دخلت مربية الطفل فرأت ما جعلها تصبح من الدهشة .

همت المربية ان تخرج مسرعة لتخبر الحراس بما رأت .. ولكن الملكة كانت أسرع الى امساكها .. فقبضت على يدها وارغمتها على الدخول الى الغرفة فلم تجد المربية الا الاذعان للملكة على مضض منها . وهنا اخذت الملكة تهدد المربية بالقتل اذا هي روت على اي انسان ما قد شاهدته لساعتها .. وفي الوقت ذاته شرعت تمنيها بالوعود وتعدها بالعطايا الجزيلة ان هي كتمت ما رأته واحتفظت بسرها في صدرها .

لم تجد المربية سبيلا لها الا مداهنة الملكة والتظاهر امامها بالاذعان والطاعة .. فقالت : لا تبالي ايتها الملكة العظيمة .. وثقي ثقة تامة بأنني سأكون عند حسن ظنك لي .. وأعدك بأنني لن أفشي سرك لمخلوق ما حييت ! كان ما قالته المربية كذبا صريحا ورياء ونفاقا .. فانها لم تزد بما قالته عن كونها ارادت فقط ان تبعد عنها نقمة الملكة وسخطها .. اما في قرارة نفسها فقد كانت تبيت للملكة شرا جزاء اقدامها على محاولة قتل طفل لا يعي مما يدبر له شيئا . قالت قمر للمربية بعد ان خيل اليها انها استطاعت ان تستميلها الى جانبها : لقد تولاني هاجس غريب بأن هذا الغلام سيكبر ويغتصب العرش مني بالقوة . وأنا لا استطيع ان اسمح ابدا لمخلوق حتى ولو كان ابني وفلذة كبدي ان ينحيني عن عرشي هذا . ولذا وجدت ان أحسن ما اعمله هو ان اقتله لكي آمن على نفسي فيما بعد حين يشتد عوده ويقوى ساعده ويصبح قادرا على ان يجهز علي ويستخلص العرش لنفسه مني . افلست محقة فيما ذهبت اليه .. ام ماذا رأيك انت ؟

قالت القابلة : سيدتي ومولاتي ، حفظك الله وأمد في عمرك . انك ان قتلت الغلام لا بد ان يتصل الخبر بوزراء المملكة ورجالها فيثورون عليك ويخرجون على طاعتك ويقسرونك قسرا على التنازل عن عرشك .. ولعلهم قد ينكثون بك ويقتلونك شر قتلة .. وبذلك لا تكونين قد خسرت ابنك فقط . بل خسرت نفسك وعرشك ايضا .. وهذا مما لا ارضاه ان يحل بك يا ملكتي الغالية . فاصغي لما سأقوله لك لانني لا أريد لك الا الخير كل الخير ونصيحتي لك ان لا تقتلي الغلام بل اطرحيه في البرية لتفترسه الوحوش ، وازعمي للجميع انك قد أضعته وانت في نزهة معه في الحدائق الملكية ، ولم تعثري له بعد ذلك على اثر ، وسيصدقك الجميع. ويعتبرون الامر قضاء وقدرا ولن يشك احد ابدا بك وستكونين بذلك بعيدة عن الشبهات بعد ان تكوني تخلصت من هذا الغلام بدون ان تكون

ثمة حاجة لك الى تلويث يدك بدمه وهو فلذة كبدك .. اصغت الملكة جيدا لما قالته المربية ، فسرت سرورا عظيما بنصيحتها وتقدمت مهنئة وهي تقول : «اصبت وايم الحق . ونطقت بالحكمة ولم تخرجي فيما ذهبت اليه عن جادة المنطق . فمرحى لك . وثقي بأنني سوف لا انسى لك هذا ابدا وسأعرف كيف اكافئك بما تستحقين . وفي صباح الغد قررت الملكة في نفسها امرا . أمرت ان يعدوا لها راحلة وزادا واعلنت انها ستخرج الى نزهة مع ولدها ومربيته بقصد الترويح عن النفس في الحدائق الملكية .

وفي تلك الاثناء غافلت المربية الملكة واخذت سرا من بيت المال عقدا من الجوهر وكيسا يحوي الف دينار وجعلتها في متاع الغلام وركبت الملكة والمربية ومعها الغلام وانطلقتا الى غابة تقع بعيدا عن حدود الملكة داخل حدود السودان وتركتا الغلام فيها ثم قفلتا راجعتين الى القصر تتنفسان الصعداء ارتياحا . وفي اليوم التالي أذيع في انحاء المملكة ان ولي العهد الصغير قد ضاع في البرية ولم يعثر له على اثر وقد رصدت الملكة جائزة كبيرة لمن يجده ويعيده اليها محاولة بذلك ان تموه على شعبها الحقيقة وتجعله يعتقد ان القصة التي جاءته بها حقيقة لا تمويه فيها . ولبست الملكة ثوب الحداد وعاش الناس حينا من الزمن في حزن دائم على فقدان الغلام الملكي وضياع أثره .

كان يعيش في القرب من المكان الذي وضع فيه الغلام غزالة واولادها، وصادف ان مرت الغزالة من جانب الطفل فراته يبكي فما كان منها الا ان وضعت ثديها في فمه وما ان احس الطفل بالثدي حتى اخذ يرضع منه الى ان ارتوى وكان هناك صياد جاء يبحث له عن صيد وفير يصيبه من الوعول والغزلان التي تكثر في تلك الادغال فعثر على تلك الغزالة الغافلة.. ولكن فجأة انتبهت الغزالة الى الخطر المحدق بها فنفرت مذعورة يتبعها صغارها وغابت معهم عن الانظار . وساد سكون وتردد في تلك اللحظة صياح طفل يبكي ذعر الصياد وادهشه ان يسمع مثل هذا الصوت ينبعث في مكان كهذا بعيد كل البعد عن العمران فتقدم يبحث عن مصدر الصوت حتى اهتدى الى الطفل راقدا على ظهره قرب شجرة ظليلة والى جانبه صرة كبيرة من القماش نظر الرجل الى وجه الغلام ، فأدركته به شفقة ، وخفق قلبه لمرآه ، فاحتمله بين ذراعيه وجعل يهدهده حتى كف عن البكاء .

ولم تغب الصرة عن ناظري الصياد . فالتقطها وفتش في داخلها فوجد كيس الدراهم وعقد الجوهر اللذين كانت المربية قد وضعتهما سرا داخل الصرة في غفلة عن بصر الملكة .

عاد الصياد ب «صيده» الثمين الى بيته ، وعرض الغلام على زوجته، فكانت دهشتها لرؤيته اعظم من دهشته هو به اول مرة رآه فيها مطروحا في الغابة ، حتى انها ابت ان تصدق القصة التي رواها لها عن عثوره على الغلام وحسبت انه يسخر منها ويغرر بها . اذ كيف يمكن ان تلد غزالة

طفلا وذلك مخالف لقانون الطبيعة ومناقض لحكم العقل والمنطق .

في صباح اليوم التالي ، حمل الصياد الطفل بين يديه ويمم به شطر بيت الحاكم . كان هذا الحاكم رجلا عادلا مضيفا . عرف بين اهل بلدته بالصلاح والتقوى والبر والاحسان حتى احبه الناس وكانوا يلجأون اليه في ملماتهم فيجدون منه الرأي السديد والمشورة الصائبة والعون الصادق .

دخل الصياد على الحاكم ، فانحنى له وقبل يديه مسلما . وجعل يروي عليه قصته ولما فرغ من كلامه ، دفع بالطفل الى الحاكم ورجاه ان ينظر في امره فلعله يكون ابن احد الملوك لما كان يبدو على وجهه من سمات الرفعة والعظمة والجلال .

نظر الحاكم الى الغلام ، وابتسم له وقد احس بحنـــو غريب نحوه ، فأخذه بين يديه وجعل يهدهده مداعبا . وكان هذا الحاكم من اتباع ملك السودان . وكان اسمه «افراح» وكانت تلك المدينة التي يعيش فيها احدى مدن السودان القريبة من حدود الحبشة . وكان عقيما لا ولد له فأسعده جدا ان يحتفظ بهذا الغلام ويجعل منه ابنا له وهكذا كان .

ومرت الاعوام . وكان الغلام يكبر وينمو . وهو يزداد كل يوم قـــوة وجمالا حتى فاق اقرانه في فنون السيف والطعان ، وكان لا يشق له غبار في ميدان الكر والفر ، فعشقته الحسان ، واولعت به الغيد .. فأصبح قبلة الانظار ومهوى الافئدة . وكان الحاكم افراح قد اطلق عليه اســـم « سيف » .

وذات يوم اقبل الحكيم سقرديون فى زيارة رسمية من قبل ملـــك الحبشة الى قصر الحاكم افراح . وجلس الرجلان ــ الحكيم سقرديـــون والحاكم افراح يتحدثان بعد العشاء ، فروى افراح للحكيم ، سيـــاق الحديث ، قصة الغلام سيف الذي جاءه به الصياد من ثلاث عشرة سنة وكيف ان زوجة الصياد حسبت ان الغلام كان ابنا لغزالة وجدت الى جانبه في المكان الذي عثر عليه فيه . قال افراح : اسمعت حقا ان غزالة ولدت طفلا ؟ قال الحكيم سقرديون : «طبعا لا» . فذلك باعتقادي امر لم يحدث من قبل ابدا . . ولا يمكن ان يحدث واكبر ظني ان الغلام لا بد ان يكون ابن امراة حملت به سفاحاً فشاءت ان تتخلص منه اتقاء الفضيحة فالقت به في الغابة عامدة متعمدة . . وارى انه من الخير ان تقتل هذا الغلام . او تبعده عن هذه المدينة فمن يدري . ربما يكون خطرا عليك فيما بعد . فيجازي احسانك له بالسيئة ويتغلب عليك او يدبر لك امرا فيه القضاء علـــى حكمك» . فقال افراح : «لا اعتقد ان هذا الغلام يمكن ان يكون علـــى الشاكلة التي تتصورها ويوحي لك خيالك بها ، وظني انه غلام سوي الخلق والخلقة . ولا يمكن لمثله ان يكافىء الاحسان الا باحسان مثله» . قـــال الحكيم سقرديون : هلا اريتنيه اذن فاتحقق من امره واعطيك فيه رايـــي القاطع ؟ فأجاب الحاكم افراح : لست اجد ما يمنع من رؤيتك له . فاذا

شئت اصحبني الى حيث نجد الغلام فتراه وتنفذ الى سريرته بقــوة بصيرتك .

فانطلق الرجلان الى حيث كان «سيف» جاذا في مبارزة احد اقرانه من الفتيان بالسيف . وكان في ميدان الفروسية القريب من القصر . فحدق الحكيم في الشاب الذي غدا ممتلئا بالصحة والعزم والقوة ، فعرفه .. تلك هي الشامة على خده .. انها نفسها الشامة التي كان قد رآها قبل اعوام تكلل خد الرضيع الذي انجبته الملكة قمر ثم ابعدته عنها .. فالتفت الى الحاكم افراح وقال له بلهجة حازمة : اعلم ان هذا الفتى في صدره سر عظيم تنوء كواهل الجبابرة عن حمله ولسوف يكون له شأن واي شأن في المستقبل .

فعجب افراح لما سمعه وسأل : واي شأن يمكن ان يكون لهذا الفتى؟ فأجابه افراح: يهمك ان تعرف ؟ قال الحاكم : اجل .. يخيل الي انني اصبحت في شوق الى معرفة ما يختص بهذا الفتى وعهدي بك لا تنطق عن هوى ولا بد انك تعرف الكثير من امر هذا الغلام . فهيا قل ما تعلم عنه ، فقال افراح لا اعلم الا ما ذكرته الكتب القديمة عنه وليس ما اعلمه «كثيرا» على كل حال يا مولاي سأقص عليك ما اعلمه . فاعتدل الحكيم سقرديس في جلسته .. ثم حدق في وجه افراح وقال اسمع جيدا لما سأقوله . لقد ذكرت الكتب القديمة التي تتحدث عن سيف الانبياء ان نبي اللـــه سليمان بن داود عليه السلام لما شعر بقرب اجله علق سيفه فوق راسه . ثم التفت الى وزيره آصف بن برخيا وقال : لا يملك هذا السيف من بعدي الا فتى يدعى سيف بن ذي يزن يحمل بقرب حاجبه الايمن شامة فاذا ملك سيف هذا دانت له الدنيا وخضعت له الناس وارتعدت لذكره فرائـص الجبابرة والصناديد ، وسوف يكون ملكا على الانس والجن بسر هـــذا السيف وستخضع له الحبشة والسودان واليمن ومصر وبلاد كثيرة غيرها، وسوف لا يجرؤ احد على النيل منه لان العناية الالهية ستحرسه وتمنـع عنه الإذى .

فبدت علائم الدهشة على وجه افراح فقال مخاطبا سقرديس : «اذا كان ما تقوله حقا ، ايها الحكيم سقرديس ، فالحكمة تقضي ان نعجل بقتله لكي نأمن منه على انفسنا ونتخلص من شره» . فقال الحكيم سقرديس : «هو ما تقول ومن الخير ان نعجل بقتل هذا الفتى» . فقال افراح : وما الذي يدعونا الى العجلة انه لن يهرب من ايدينا فلدينا متسع من الوقت لنفكر في طريقة القضاء عليه . فقال الحكيم سقرديس : ذلك امر متروك اليك وان كنت انصح لك الا تتهاون بالقضاء عليه . فأجاب افراح : اطمئن ايها الحكيم فسأسعى لا محالة الى قتله والتخلص منه .

ومضت ايام وحدثت معجزة لم يكن افراح يتوقعها ، فقـــد وضعت زوجته طفلة جميلة بعد ان ظلت عقيمة لا تنجب زهاء عشرين عاما ، فلاحظ

افراح ان على خد الطفلة شامة تشبه الشامة التي تتوج خد سيف بن ذي يزن شبها غريبا فركبته الحيرة وانتابته الهواجس وعصفت به الشكوك ، وحين أطلع الحكيم سقرديس على جلية الامر اهتز كيانه وتنبأ ان اجتماع هاتين الشامتين سيعني نزول الخراب بالحبشة والسودان والقضاء على الحكم القائم فيهما .

ولكن الاعوام مرت دون ان يستطيع احد ان ينال بالسوء كلاً من الفتى سيف والفتاة شامة ، فكبرا معا وترعرعا في احضان الحب والاخلاص وتعلق قلب احدهما بالاخر . وكان قلق الملك افراح يزداد ويشتد حين تأكد له وجود الحب بين الفتى والفتاة . وذات يوم التقى الحكيم سقرديون بأفراح ودار بينهما الحديث حول حب الفتاة سيف للفتاة شامة ، فاغتنم سقرديون الفرصة وطلب الى الملك ان يفي بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه بقتل سيف والتخلص منه فأجابه الملك افراح : انني لن آمر بقتله، ولكن سأقضي بابعاده عن هذه المدينة وذلك بارساله غدا الى قائد عساكري في حصن يقوم في اقاصي المملكة اسمه عطمطم وهو قائد همام من القواد المعدودين وهو رجل يحب الخير ومن اهل التقوى والصلاح .

بعد ايام استدعى افراح الفتى سيف بن ذي يزن وارسل معه رسالة الى قائد الحصن عظمطم يقول فيها (حامل كتابي هذا فتى رعيته في بيتي صغيرا حتى اصبح شابا ، فاذا بلغك كتابي فخذ الفتى اليك وضمه الى عساكرك وعلمه الفروسية والشجاعة حتى يكون فارسا لا يشق له غبار) فأطاع عطمطم امر الملك افراح ، فالحق سيف بعساكره بعد ان اتخذ له اسما جديدا هو (وحش الفلا) حتى لا يعرفه احد .

سطع نجم سيف في الفروسية حتى فاق أقرانه فيها وتعدت شهرته الآفاق فحسده عطمطم وساءه ان ينازعه في اكتساب محبة الجنود له . فقال له : «لقد اصبحت رجلا وفارسا من ألمع الفرسان وبت قادرا على ان تكسب رزقك بيمينك ولا يجدر برجل مثلك ان يكون عالة على سواه ، فأطلب لك غير هذا المكان فقد ضاقت بك الديار واصبحت صدورنا لا تتسع لك اكثر مما اتسعت» .

ساء وحش الفلا ان يسمع من عطمطم هذا القول وكره ان يعيش مع اناس لا يكنون له الحب فخرج من حصنهم يهيم على وجهه لا يعرف الى اين ييمم وجهه حتى قرب من غار في طريقه ، فسمع صوتا يتردد من كهف ولقي انسانا فيه ، فدخل عليه مستأذنا وتآلف معه لعله يجد عنده ما يسد رمقه فلما رأى وحش الفلا قد اقتحم عليه الغار سأله : من انت ايها الفتى ومن اين انت قادم والى اين تتجه ؟ فقال وحش الفلا : اني فتى بائس لا مأوى لي التجىء اليه ولا دار ، ولست اعرف لي سبيلا اقصده فانا غريب قسا علي الزمان ، وخذلني الناس وجاروا علي . فقال صاحب الغار : لقد قدمتنا بعد مدة طويلة كنا ننتظرك خلالها وقد قضيت حاجتنا بقدومك،

فمرحبا بك وعلى الرحب والسعة . فقال وحش الفلا : وما تلك الحاجة ؟ لك الله فانني لا ادري ما تقصد بقولك هذا . فقال صاحب الغار : في هذا المكان من الغار كنز مسحور يعود الى قديم الازمنة ويقوم على حراسته خدم من الجن وبه سوط من الجلد مطلسم لا يستطيع مخلوق من البشر ان يأتي به الا رجل يسمى وحش الفلا تجتمع فيه صفات يتعرف اليه منها ، وهي كلها تنطبق عليك ، فأنت وحش الفلا الذي ننتظرك ونترقب مقدمك بنفاذ صبر . فقال وحش الفلا : واي فائدة ترتجيها من ذلك السوط ؟ فقال صاحب الغار : يستطيع كل من يحمل هذا السوط ان يقتل به بضربة واحدة اي انسان لساعته . فقال ائتني بالسوط ، وسأقيم انا هنا انتظرك على باب الغار ، وبعد ان تأتيني به سأبطل السحر الذي يحيط بهذا الكنز بعد ان أهدد بهذا السوط الخدم من الجن فيتركونه ويولون الادبار . ثم وضع يده على جدار الغار فلمس حلقة فانفتح بابها فدخل منه الى مكان مضيء ووجد السوط معلقا فأخذه وعاد به الى رجل الغار . وحين طلب اليه ان يعطيه السوط رفض وحش الفلا وخاف على نفسه ان يقتله به ليستأثر وحده بالكنز ، فأخذ السوط وضربه به ضربة واحدة قضت عليه فخر صريعا على الارض جثة هامدة لا حراك فيها . داخل الفرح وحش الفلا بالسوط فنزح عن الغار وسار الى غير جهة مقصودة حتى بلغ مدينة ذات اسوار متينة عالية ، مغلقة الابواب والمنافذ ومن الداخل حمالة يبكون وامام المدينة خيمتان كبيرتان قائمتان على مرتفعين منفصلين ، أما الخيمة الاولى فان مظهرها كان يدل على ان فيها عرسا قائما وافراحا وبهجة ، واما الخيمة الثانية فكانت توحي ان بداخلها حزنا وفجيعة .

دخل وحش الفلا الى خيمة العروس فاذا بفتاة بارعة الجمال كاملة الحسن ترتدي ثيابا حريرية جميلة وعليها انواع الحلي والجواهر وعلى خدها شامة مثل الشامة التي في خده ، تبكي بكاء مرا وتشكو حظها العاثر لانهم زفوها الى عفريت من الجن رغما عنها . ولما رأت الفتاة وحش الفلا امامها دهشت وسألته قائلة : من انت ايها الفتى الكريم ، ومن اين جئت، وماذا تريد ؟ فقال : اسمي وحش الفلا وانا من مدينة الحاكم افراح وقد ابعدت عن المدينة تشفيا وانتقاما وجئت هنا هائما على وجهي ، ومن انت ايتها الفتاة الكريمة ؟ فقالت الفتاة : اني انا شامة بنت الحاكم افراح حاكم هذا البلد التي ترى ابوابه موصدة واهله يبكون فيه ويندبون . فقال لها : «ولماذا البكاء والعويل بالله عليك هلا قصصت علي ما جرى لك ولهذه البلد واهلها ، حتى وصلت بكم الحال الى ما عليه الان» . فقالت : ان صيادا اتى بغلام الى والدي منذ اعوام بعيدة فأحبه حب الوالد لولده وسماه وحش الفلا واحسن تربيته ورعايته والعناية به ولكن كراهية الحكيم لوحش الفلا جعلته يأمر ابي بقتله ولكنه رفض اطاعة امره والامتثال له ، فاغتاظ منه سقرديس واستعدى ملك الحبشة عليه زاعما له ان الحاكم افراح يكن له

الحقد الدفين ويناصبه العداء سرا ، فأرسل معه ملك الحبشة جنـــدا ليطردوا والدي من مدينته وينكلوا به جزاء خيانته ، وبينما سقرديس سائر في طريقه ، لقيه كاهن ساحر يسمى (عبد النار) فسأله الكاهن عن وجهته والى اين يقصد بهذا الجيش فقال له : ان للحاكم افراح بنتا على خدها شامة ، وغلاما على خده شامة مثلها ، واجتماع هذا الغلام بتلك البنت من اسباب الخراب في بلاد الحبشة وطلبت من هذا الحاكم ان يقتل هـــذا الغلام او يطرده ، حتى لا يتزوج بابنته فأبى ولم يطع قولي ، واني ذاهب الان الى ملك الحبشة لاخبره بما جرى ولاعلمه ان ابنة الحاكم افراح تعشق فتى رباه والدها وتنوي ان تتزوج منه ، وهذا الزواج سيعود بالدمار على ملك الحبشة لما فيه من علامة سيئة ، ولما اشرت اليه ان يقتل الفتى حتى يمنع هذا الزواج رفض وابى ، ولذلك تراني عائدا الى مدينة افراح لتأديبه واخراجه من بلدته لعصيانه امري او يفرق بين الغلام والبنت فقال الكاهن: هون عليك الامر ولا تتعب نفسك بمقاتلة الحاكم وتجشم الصعاب فـــي سبيل ذلك لانني سأقوم انا بالتفريق بين البنت والغلام ، وسيكون في ذلك تحقيق للغاية التي تنشدها . ثم نهض الكاهن وطفق يقرأ ويذكر اسمـــاء غريبة غير معروفة . واذا بالارض تنشق عن مارد عظيم ما عتم ان قال : لبيك ايها الكاهن العظيم ، مرني بما تشاء ، فاني طوع امرك وخادمـــك المطيع . فقال الكاهن : انطلق الساعة الى مدينة افراح واطلب الى حاكمها ان يزوجك من ابنته شامة واذهب بها بعيدا ولا تعود الى هنا ابدا . فقال المارد : سمعا وطاعة . ثم انطلق المارد في الهواء واختفى عن الانظار .

طار المارد لساعته الى مدينة افراح ، وصاح فيها صيحة هائلة صعقت لها المدينة ، امر الرياح فهبت محدثة فوق الناس عاصفة جامحة وتجمع السحاب وغطى المدينة بدكنة قاتمة وقصف الرعد فهز الافئدة واشاع الرعب في القلوب واتبعه بالبرق فخطفت له الانظار . ثم ان المارد الجبار اطل على المدينة وصاح بصوت راعد : يا اهل المدينة ! انا المارد الجبار ، جئتكم في حاجة أريد منكم ان تقضوها لي فان ابيتم نكلت بكم اشنع تنكيل واذقتكم من الويلات ما فيه هلاككم . فخرج اهل المدينة الى المارد يسألونه عما يريد منهم فقال : لقد جئت اليكم طامعا التزوج من فتاة تسكن في هذه المدينة اسمها شامة بنت افراح فزينوها باحسن زينة ثم اجعلوها بمفردها فـــي خارج المدينة ، وسآتي اليها غدا لاعقد قراني عليها وانطلق بها الى حيث تقيم معي في موطن الجن . فقالوا : لك ما شئت وستكون شامة لك شاءت ام ابت فاصرف عنا ما دهمتنا به ونعدك بتزويجها لك .

ومضت شامة في روايتها الى وحش الفلا فقالت : وادرك ابي وامي ان المارد لا بد سينفذ في المدينة تهديده . فنصبوا لي هذه الخيمة واجلسوني عنوة فيها وحدي اما الخيمة الثانية فكان فيها امي ومعها صاحباتها يبكين حزنا علي وعلى هذه الحالة التي تراها عليه الان .

وحين فرغت شامة من قصتها طفق وحش الفلا يسري عنها ويغريهـا قائلا لا تخافي ولا تحزني ، وابشري بفرج لا بد آت عن قريب ، وليت يحضر المارد الان ، لاريك ما سافعله به وفي تلك اللحظة عصف غبار كثيف غطى وجه الارض ثم ما لبثت الارض ان انفجرت عن مارد جبار ، قبيح الخلقة ، تطل من فمه اسنان بارزة كأنها انياب وحش ضار . كان هذا هو المارد الذي روع المدينة وقد جاء ليصطحب معه شامة ويرحل بها وحين ابصر المارد وحش الفلا وبجانبه شامة عصف بقلبه الغضب فصاح بصوت دوى له المكان : «من انت وكيف تجلس الى جوار عروسي ؟ اما تخشاني؟ ومد اليه يده يريد ان يرفعه الى السماء ويضرب به الارض ضربة تودي به وتفري عظامه ، وتخلطها بدمه . على مرأى ومشهد من جميع اهل المدينة الذين تجمعوا لمشاهدتهم من فوق السور ولكن وحش الفلا اسرع بضربه بسوطه المطلسم على يده هذه ، فانفصلت من جسمه ووقعت على الارض، وصاح المارد قائلا : بئس الفتى انت . لقد قتلتني وحرمتني عروسي ، ثم مد يده الاخرى ، واخذ يده المقطوعة ، وطار بها هاربا . اهتزت شامة وامها وصاحباتها من الفرح وشاركهمُ اهل المدينة فرحهم وانطلقوا جميعهم سراعا الى وحش الفلا يشكرونه ويحيون شهامته وتبدلت حال المدينة من حزن عميم طغى على النفوس وعميت له الابصار والجمت لرهبته الالسنة، الى غبطة متناهية وفرح شامل اشرقت له الوجوه بالبشرى وانهالت عبارات الحمد والثناء على الفتى المنقذ واقبل الحاكم افراح الى وحش الفلا فقبله في جبهته . وشكر له صنيعه ، ثم اصطحبه وابنته شامة الى قصره ، حيث احتفى فيه واكرمه الاكرام الفائق .

وحين رجع الحكيم سقرديس بعد لقائه الكاهن الساحر كان يعتقد ان شامة قد اختطفها المارد وطار بها الى حيث يقيم معها في مكان بعيد ولذلك راعه ان وجد المدينة تتلألأ بالانوار ولقي اهلها يموجون فرحا وغبطة ولما سأله عما حدث قيل له ان وحش الفلا تمكن من قتل المارد وكفى المدينة واهلها شره المستطير ، فدخل بيته واختبأ فيه حزينا كئيبا .

اما الحاكم افراح فانه بالغ في اكرام وحش الفلا وافرد له جناحا خاصا في قصره ليقيم فيه ورتب له جماعة من العبيد والجواري يخدمونـــه ويأتمرون بأمره وسمح له ان يعيش في قصره عزيزا منعما ما دام على قيد الحياة وفي هداة الليل ، واهل القصر وعبيده وجواريه نائمون ، تسللت شامة من حجرتها ، ويممت نحو حجرة وحش الفلا ، فألفته يتقلب على جمر الغضا وقد جافاه النوم وعز عليه الرقاد ، كان كل منهما قد احب الاخر حبا استحوذ على تفكيرهما واسهدهما ، فجلست بجانبه ، وفرح بهذه الجلسة التي لم تخطر على باله ، وانتظر يسمع ما تقوله شامة ، فقالت : «شكرا لك ان انقذتني من المارد الجبار وخلصتني انا واهلي وانقذت المدينة من نكبة كادت توشك ان تحيق بهم وارغب في الزواج منك فان لقيت

عندك القبول فاخطبني من ابي ، ولا اظنه سيمانع بعدما راى من شهامتك»
فابتسم وحش الفلا وقال : «تلك أعز امنية لي ، وسأخطبك من ابيك في صبيحة الغد ، فاذا اجابني الى طلبي عقدت عليك في الحال» . ولما اشرقت شمس الصباح التالي دخل وحش الفلا على والد شامة ، فاستقبله افراح متهللا واجلسه بجانبه ، وكان سقرديس الحكيم وكبار مدينته جالسين ، فقال وحش الفلا : «ان بي رغبة اطلب اليك ان تحققها لي» ..

فقال افراح : «على الرحب والسعة انت .. ورغبتك مجابة وحاجتك مقضية ، فاطلب ما تشاء ، فاننا ما نزال نذكر معروفك ولا ننساه » .

فقال وحش الفلا : جئتك خاطبا . وانا اريد ان اطلب يد ابنتك شامة منك . ولما سمع الحكيم سقرديس ذلك من الفتى تولاه الاضطراب والفزع فتقدم من افراح . وهمس في اذنه : حذار من ان تجيبه الى مطلبه والا حل بك الخراب وندمت حيث لا ينفع ندم وذلك ما لا اريد له ان يكون .

فقال افراح :

ولكن كيف يسعني ان اخيب رجاءه وقد خلصنا بالامس من مارد جبار أوشك ان يحل بنا الدمار وينكل بنا شر تنكيل ؟

فقال الحكيم سقرديس : لا حرج عليك ذلك . واشير عليك ان تبلغ هذا الفتى ان ابنتك وضعت امر زواجها الي فتتنصل انت من العتاب واللوم ..

فالتقى افراح الى وحش الفلا وقال :

لا ارى مانعا من ان تكون زوجا لابنتي شامة ، فهي لن تجد زوجا افضل منك ولا اكرم ولكن شامة وضعت امر زواجها الى الحكيم سقرديس فهو وحده الذي يستطيع ان يحقق لك رغبتك ولا اظنه سيمانع . فنظر وحش الفلا الى الحكيم قائلا : اما وقد عرفت ما جئت من اجله فما قولك في الامر ؟

فقال الحكيم يخادع وحش الفلا ويمكر به : انا واثق يا بني بأنك فارس همام ونحن لن نجد زوجا لشامة افضل منك ، فهي لك ، اذن ولكنها بنت أفراح حاكم هذه المدينة كما تعلم ومهرها من اجل ذلك غال قد لا يستطيع مثلك ان يقدمه ..

فقال وحش الفلا : «انني لا ابخل بشيء في سبيل الفوز بيد شامة فاطلب ما تشاء مهرا لها» .

فقال الحكيم :

اننا لا نسألك فيها مالا ولا جمالا ولكننا نطلب فقط منك راس من يدعى سعدون الزنجي ، وهو في قلعة الثريا ، التي تبعد عنا مسيرة ثلاثة ايام بلياليها ، فاذا جئتنا به ، رحبنا بك زوجا لشامة وحققنا لك املك فيها ..

فقال وحش الفلا : حسنا اني سآتيك بما طلبت ولكم ان تطمئنوا الى

اني سأقوم بما طلبتم مني في الحال .

ثم استأذن وانصرف لا يشغل باله الا الى احضار راس سعدون .

وكانت شامة قد اطلعت على المكيدة التي دبرها الحكيم سقرديس لحبيبها وحش الفلا ، فجاءته الى حجرته في الليل وقالت : «حذار كل الحذر ان تعمل بما امرك به هذا الحكيم سقرديس فهو ماكر لا يسلم جانبه عدا عن انه يكرهك وليست غايته الا ان يعرضك للاخطار ليقتلك ويتخلص منك ، وارى ان نهرب معا في هذا الظلام خفية عن الانظار الى ارض الله الواسعة ، حيث تطيب لنا الحياة ، بعيدا عن كيد الكائدين ومكر الماكرين » .

فقال وحش الفلا : ليس من رايي ان افر بك من بيت ابيك، وما دمنا معتصمين بحبل الله ومتحلين بطهارة النفس ، ونقاوة الضمير ، فالله حامينا وناصرنا . فودعته ومضت ميممة نحو غرفتها وهي تعاني من اضطراب شديد ، وصدرها يضطرم بالسخط والغيظ .

امتطى وحش الفلا فرسه واصطحب معه سلاحه ، وحثّ الخطى نحو الصحراء يقطع سهلها وصعبها حتى اشرق الصباح وتلألأت الشمس فأشرف على واد فسيح فرأى فارسا مقبلا نحوه ، فلما اقترب من الفارس سأله هذا الاخيرة مندهشا :

كيف تسير وحدك في هذا القفار !؟

وما الذي دعاك الى ذلك ؟

والى اين تمضي . وفيم غايتك ؟

فقال وحش الفلا : انني الفت ركوب الاخطار ، حتى بات لا يهمني اذا مت من اجل الحصول على ما اريد ، ووجهتي الساعة قلعة سعدون الزنجي فهلا تفضلت فدللتني على موقعها . فأجابه الرجل :

اذا لزمت السير عن هذا الدرب فستصل اليها بعد المغيب .

فابتسم وحش الفلا للرجل شاكرا وودعه ومضى في طريقه وما زال سائرا حتى غربت الشمس ، فاذا به امام القلعة وبابها مقفل ، فجلس في مكان قريب وهم بأن يقتحمه ولكنه وجد ان الباب كان مغلقا، فجلس يترقب ان يفتح بابها . ولم تمض الا هنيهة حتى سمع صوت حوافر خيل تدب قادمة في اتجاه القلعة فاذا به بعبيد القلعة ومعهم اسرى ، وغنائم كثيرة استولوا عليها من الابل والخيل والسلاح والجواهر ، ولما دخلوا حاول ان يدخل في اثرهم خفية، بدون ان يشعر به احد .

دق العبيد باب القلعة فانفتح ، ودخلوا جميعهم ، وفي اثرهم تسلل وحش الفلا حتى اذا بلغوا فناء القلعة حيث يقوم حصن منيف ، صعدوا سلما ونفذوا منه الى الحصن بعد ان احتفظوا بالاسرى والغنائم في ركن الفناء .

ترقب وحش الفلا عودة العبيد الى الفناء على غير طائل ولما طال به

الانتظار توجه الى سلم الحصن ليصعد منه اليهم ويباغتهم في مكـــان امنهم ، ولما شهر سيفه ووضع رجله على الدرجة الاولى من السلم ، اذا به فجاة يسقط في مهوى جعل كمن يحاول الصعود من الغرباء ، حتى اذا بلغ قرار المهوى اطل عليه فارس ، وادلى اليه حبلا متينا وامره ان يمسكه ليرفعه اليه ، فامتثل له وجعل ذلك الفارس يسحبه حتى خرج من ذلك المهوى فنظر وحش الفلا الى ذلك الفارس الذي انقذه فاذا به يجد انه كان هو نفسه الفارس الذي التقى به في الصحراء مكان القلمة ، فسأله وحش الفلا : قل لي ايها الفارس الشهم والمنقذ الكريم من تكون ، ولماذا انقذتني.
فنزع اللثام عن وجهه وقال :

«اما عرفتني انا شامة بنت الملك افراح ، خرجت في اثرك خوفا عليك، ولاشد ازرك ولاكون عونا لك في ساعة الشدة . فقال : بارك الله فيك ، واثابك على مروءتك وجعل الخير على يديك الكريمتين وكلل الله مسعانـــا بالتوفيق» . فقالت شامة : «لتحرص على ان لا تطأ بقدمك درجات هـذا السلم الا بعد ان تتأكد تماما من ثباتها ، وها انني ماضية في صحبتك» . فصعدا حتى اذا انتهيا الى اخر السلم وكانت الدرجة الاخيرة منه غـير ثابتة ، هتفت شامة بصاحبها تحذره من التقدم قائلة : «لا ينبغي لنا الصعود على هذه الدرجة فقد تكون الهوة التي تحتها بعيدة القرار ، فارفعني بيديك حتى نبلغ الردهة ، وبعد ذلك امسك انا يديك وارفعك اليها» . فقال لها: «حسن ما اشرت به . وانه لتدبير محكم . وراي سديد» واذ اشرفا على الردهة لقياها واسعة فسيحة ، وتفضي الى باب له مصراعان ، فعمد وحش الفلا ففتح احدهما واغلق الاخر فاذا العبيد في الداخل والشموع مضاءة وهم منهمكون يتحدثون ، فوقف وشامة بجانبه يصيخان السمع وهما في اشد حالات الاضطراب فسمعا سعدون الزنجي يقول لعبيده : اين هـم الاسرى الذين احضرتموهم معكم ؟ فقالوا لقد قيدناهم بالسلاسل وتركناهم في الفناء فقال سعدون : وهل تأمنون بأنهم لن يفكوا قيودهم ويفتحوا باب القلعة ويهربوا منها بأموالهم ، فليذهب احدكم حالا ويأتينا بخبرهم ، فقام عبد منهم ، واذ خرج من الباب ترصد له وحش الفلا وعاجله بضربة من سيفه ، فخر العبد على الارض صريعا مضرجا بدمائه فجرته شامة الـى جانب الحائط ، واذ طال انتظار سعدون لعودة العبد التفت الى من معه وقال لهم : ان صاحبكم لم يرجع ، فليذهب احدكم وليأتينا بخبره ، فخرج عبد ثان ، ولكنه ما كاد يبلغ الباب حتى تلقاه وحش الفلا بضربة سيـف جندلته فجرته شامة ووضعته بجانب العبد الاول ، ولما لم يعد العبد الثاني بعث سعدون بثالث فكان نصيبه نصيب اخويه ، وحينئذ استراب سعدون في الامر فصاح بقومه : الا قوموا الى اخوانكم وانظروا ماذا دهمهم حتى لم يعودوا . فقالوا : ولماذا لا تمضي انت بنفسك فترى ما حصل لرفاقنا ثم تعود الينا وتنبئنا بجلية الامر . فتقدم سعدون نحو الباب فرأى وحش

الفلا واقفا وسط الردهة ممسكا سيفه في يده والى جانبه شامة ، فارتد مسرعا وصرخ برجاله : الي يا قوم فان شخصا في الردهة يحمل سيفا في يده والى جانبه فتاة ، ويخيل الي انه عفريت من الجن . ثم التفت الى وحش الفلا وناداه قائلا : من انت وما تبغي من مجيئك الى هذا المكان ؟ فقال وحش الفلا : ما انا بعفريت من الجن ولكني بشر سوي واسمي وحش الفلا جئت طالبا راسك للحكيم سقرديس لاجعله مهرا لفتاتي التي احببتها. فقال سعدون : وهل انت على استعداد لقتالي ومنازلتي ؟ فقال وحش الفلا : بل انني ما جئت الا لقتالك فهيا للمبارزة . فتوجه الرجلان الى حجرة واسعة من حجرات الحصن واستعد كل منهما لمبارزة خصمه على حين وقفت شامة على باب الحجرة لتكون عونا لوحش الفلا عند شدته . وجال الاثنان جولات عنيفة واصطفق السيفان واحتدم العراك ، وجلس العبيد في حجرتهم كما امرهم بذلك سعدون .

ومضت ساعات والمبارزة ما تزال على اشدها حتى انهك التعب كلاً منهما وخافت شامة على وحش الفلا ان يصيب منه سعدون مقتلا ، فما كاد يقترب من الباب حتى مدت يدها اليه وعاجلته بطعنة بخنجرها في ساعده فوقع السيف من يده فالتفت اليها وحش الفلا قائلا : سلمت يدك. ثم التفت الى خصمه وقال له : اليك سيفك ليده اليك فاننا ـ معشر العرب ـ ليست من عادتنا الغيلة والغدر وليس من طبعنا ان نأخذ احدا على غرة دون ان نعطيه فرصة للدفاع عن نفسه . فقال سعدون : اراك فتى شريفا .. كريم الاصل .. وحرام على مثلي ان يقاتل فتى له مثل كرامة اصلك وطيب مجدك ، فهلا قلت لي من هي التي تريد ان تحصل على راسي مهرا لها . فقال وحش الفلا : هي شامة بنت افراح . فقال سعدون : هلا دعوتها لتدخل . فأراها ؟ فناداها وحش الفلا ودعاها للدخول فدخلت ووقفت بجانب وحش الفلا ، فتقدم سعدون منها وقال لها : قولي لي يا ابنتي هل ضاقت الدنيا ، فلم يجد ابوك افراح الا راسي مهرا لك ؟

فقالت شامة : انها مكيدة مدبرة ، يا سعدون ، وليس الامر كما تحسب . الا لعن الله الحكيم سقرديس ، فهو سبب البلاء ، وما كان ابي الا اداة طيعة في يد سقرديس يوجهه ما يشاء ويأمر بما يريد . فقال سعدون : اعلمي اذن ايتها الفتاة انني اربأ بنفسي عن قتال وحش الفلا ، لانه عفا عني وقت قدرته ، ولم يغدر بي حينما وقع سيفي من يدي ، وانني اقدم لكما راسي حلاً لكما . فقال وحش الفلا : انك ان كنت جاد في قولك فهيا سر برفقتنا الى المدينة ، فاذا وصلناها نظرنا بعدها في امرك بما يشاء الله . فقال سعدون : سمعا وطاعة وحبا وكرامة وساذهب معك بعد ان تمكث في ضيافتي ثلاثة ايام . فقال وحش الفلا : لن آكل طعامك حتى تطلق سراح هؤلاء الاسرى وتعيد لهم الاموال التي غنمتها منهم، فقال سعدون : لك ما شئت وها انني مجيبك الى طلبك وسآمر عبيدي ان

يفكوا قيود الاسرى ويسرحوهم باموالهم ، اكراما لك وتاكيدا لحبي . وفي الحال امر سعدون باطلاق الاسرى واعادتهم مع اموالهم وابلهم . وبعد ثلاثة ايام اظهر سعدون فيها كرم ضيافة متناهية مما اكد رابطة الاخوة والصداقة بينه وبين وحش الفلا ، رحل وحش الفلا وسعدون وعبيده وشامة الى المدينة .

وذات يوم طلب الملك افراح من سقرديس ان يخبره عما فعل بوحش الفلا فقال سقرديس في لهجة تنم عن اقصى حدود المكر : لا ينبغي لك ان تنتظر عودة وحش الفلا اذ لا بد ان سعدون قد قتله وأراحنا منه ، وانني ما ارسلته اليه الا ليقتله . ومضت ايام على هذا الحديث بين افراح وسقرديس ، ما لبث ان تكشف الافق بعدها عن سعدون الزنجي وهو يحث الخطى نحو المدينة يتبعه اعوانه ، فاضطرب افراح وحسب ان سعدون جاء ليغير على المدينة فانطلق الى سقرديس وقال : انظر الى سعدون الزنجي قادم علينا بعبيده ، واظنه قتل وحش الفلا وعرف منه كل شيء واحسب انه جاء معه بعبيده لينتقم منا وما اظن الا انه سيحل بهذه المدينة الخراب والدمار . وهذا كله نتيجة رايك الخاطيء فتبا لك . فقد فتحت علينا ابواب المصائب . ولست ادري كيف ننجو منها . عمد افراح الى ابواب المدينة ، فأحكم اغلاقها وهاج سكانها فزعين ، وايقنوا انهم هالكون لا محالة . وحين وصل سعدون الزنجي ومعه وحش الفلا الى المدينة انقلب الغم الى فرح وفتحت المدينة ابوابها وخرج السكان فرحين لاستقبال وحش الفلا بعد ان ايقنوا بأن مخاوفهم كانت مجرد اوهام وما زال وحش الفلا وسعدون وعبيده سائرين وسط مظاهر الفرح والابتهاج حتى وصلوا قصر الحاكم افراح ، وهناك دعاهم افراح الى الجلوس ، فجلس وحش الفلا على حين ظل سعدون منتصبا على قدميه وقد بان الغضب على وجهه ولما سأله افراح لماذا لا يجلس التفت اليه وقال : كيف تطلب راسي مهرا لابنتك شامة ؟ أما كان أولى بك ان تطلب لابنتك مهرا لا يكون اهراق الدم شرطا لازما له ؟ فاصفر وجه افراح من الخوف وقال : لم يكن ذلك من رأيي يمين الله، ولكنه كان راي الحكيم سقرديس ــ وكان حاضرا ــ فاسأله فهو الذي اشار علي بما أفعل .

فقال سقرديس : حقا انني اشرت على افراح بأن يبعث بوحش الفلا اليك لقتالك وما طلبت راسك الا لتجيء الينا ، وذلك تدبير مني لنراك بيننا ، ونفرح بزيارتك لنا ، وها قد حصل المراد وها انت ترى المدينة مبتهجة كلها بقدومك . عندئذ قال افراح : انني ادعوك انت وعبيدك لتبقوا في ضيافتنا على الرحب والسعة فهلا ظللت بين ظهرانينا ، ان ذلك سيكون مدعاة لسرورنا . فقال سعدون : كلا ، وشكرا ، فلن يطيب لي العيش في القصور وقد تعودت ان اعيش في الخيام والخلاء . فأمر افراح ان تنصب له خارج المدينة خيمة فسيحة عالية ليقيم فيها . وقال وحش الفلا :

وسيسرني كثيرا ان ازور رفيقي سعدون في خيمته من حين الى حين.
فقال افراح : ذلك لك وتستطيع متى شئت ان تمضي الى زيارته حتى اذا انقضت ثلاثة ايام عاد وحش الفلا يخطب شامة من ابيها وكان سقرديس – كما هي العادة – حاضرا مجلس افراح حينئذ فقال : لقد اعتبرنــــا احضارك سعدون الى ديارنا مهرا لشامة ، ولكننا لن نزوجك منها الا اذا قدمت لنا الحلوان . فقال وحش الفلا : ما هو هذا الحلوان الذي تطلبه ؟ فأجابه سقرديس : انه كتاب (تاريخ النيل) ونحن لا نعلم مكانه ولا كيف نحصل عليه ، فاذا احضرته لنا عقدنا لك على شامة وهذا شرطنا الاخير .
فقال وحش الفلا : انني سأصنع المستحيل لاحصل لكم على هذا الكتاب في سبيل ان تكون شامة زوجة لي ولو اضطرني احضاره الى ركـــوب الاهوال . والتفتت شامة الى وحش الفلا وقالت له ، بعد ان خـــرج سقرديس من المجلس : كيف تطيع هذا الخبيث سقرديس ؟ الا تعلم انه يكلفك المحال ، وغايته ان يحتال للتفرقة بيننا ، وهو الان يريد ان يعرضك للهلاك حتى لا يجتمع شملنا ، فلنبطل حيلته ونفسد خطته بأن نفر هاربين الى ارض الله الواسعة ، حيث نعيش كزوجين متحابين لا يفرقنا شيء ما دمنا على قيد الحياة في ظل الحب والوفاء وفي كنف الله وسعة من رزقه.
وعزز سعدون رايها ودعم وجهة نظرها . فقال وحش الفلا : اننا نحـــن – معشر العرب – اذا قلنا صدقنا واذا وعدنا وفينا وقد وعدت سقرديس بأن اجلب له ما طلب . وليس يجدر بمثلي ان يخلف وعدا قطعه ولو كان فيه الهلاك المحتم له ولا بد لي ان احضر له الكتاب ولو اقتضى مني البحث ان انقب طبقات الارض في سبيله . وثقي بأنني واجده في النهاية وعائد اليك لنزف الى بعضنا فنهنأ بالحب وننعم بالسعادة والطمأنينة .
ومع اشراقة اليوم التالي ودع وحش الفلا حبيبته وخرج الى الصحراء، وجعـــل يمشي متخطيا البراري والآكام ستين يوما ، ثــم بلغ باب غار في جبل ، فسمع صوت انسان يتوجه بالدعاء الى الله بصوت خشـــوع الرجل ويقول «يا رب الخلق ، ارحم عبدك ، وامنن عليــه بمغفرتك» . فسرى عن وحش الفلا ، وأنس بهذا الانسان ، فطرق باب الغار ففتح له، واذ نفذ منه القى السلام على (العابد) فرد عليه السلام ودعاه للجلوس الى جانبه . ثم جعل يتفحص وجهه ويدقق النظر فيه وقال : اهلا بك يا ملك اليمن ، سيف بن ذي يزن وعلى الرحب والسعة حللت في هذا الغار ادخل لتستريح من وعثاء السفر ، فلا بد انك لم تذق الراحة منذ ستين يوما .
فجلس وحش الفلا وهو مندهش وقال : عماه انك دعوتني بغير اسمي ، فلست ادعى سيف بن ذي يزن كما تظن بل انا رجل غريب أدعى وحش الفلا . فقال العابد وهو ما يزال ينظر بامعان في وجهه : لست اقصـــد رجلا غيرك ، فانت هو سيف بن ذي يزن ، وما سماك باسم وحش الفلا الا الحاكم افراح ، اما اسمك الحقيقي فهو سيف بن ذي يزن ابن ملك اليمن،

ولكن قل لي يا بني اين انت ذاهب . فقال : انني ذاهب في طلب كتاب (تاريخ النيل) ، لاعطيه الى سقرديس الحكيم الذي طلبه شرطا ليزوجني من حبيبتي شامة بنت أفراح وقد سرت في القفار حتى التقيت بك .

فقال العابد : لقد من الله عليك بفضله . فلو لم تأت الي لما وسعك ان تعثر على الكتاب فاستمع لما اقوله . اصعد ظهر هذا الجبل ، وانزل من ناحيته الثانية ، ثم امض في السير في اتجاه مستقيم حتى تصل بحرا متلاطم الامواج فاذا بلغته فانك ستجد البحر بعدها قد اتسع حتى لا ترى شاطئه الاخر ، وستجد في هذا البحر دابة كبيرة الجسم غليظة الجلد فاسبح اليها واجلس على جسمها ، وهذه الدابة تحاول اختطاف قرص الشمس ولهذا تجدها مع الشمس ذاهبة وآيبة بين شاطىء البحر الشرقي والغربي ، فاذا ما جلست فوقها فلا تحدث صوتا حتى لا تسمعك وهي من الضخامة بحيث لن تشعر بجلوسك فوقها ، فاذا وصلت على ظهرها الى الشاطىء الاخر ، فانتقل الى البر وستجد هناك من ينتظر ليساعدك في قضاء حاجتك ، أما حصانك فاتركه هنا فلست في حاجة اليه ولست بمستطيع ان تنقله معك الى البر الثاني . فشكر سيف العابد وفعل كما امره حتى وصل الى حيث الدابة ، فركب ظهرها وبلغ البر الثاني وما زال سائرا في طريقه حتى التقى بفارس ملثم ، على جواد يناديه باسمه ولكن سيف استمر في طريقه لا يعبأ به ولا يلتفت اليه ، فقال الفارس له : لماذا لا تقف اذ ناديتك ؟. أما تعلم انني اذا اردت قتلك لقتلتك في لمح البصر ؟ فقال سيف بن ذي يزن : لست اعتقد انك تستطيع قتلي ، لانك لست فارسا ، ولعلك فارس جاهل ! فالفروسية شجاعة واقدام الفارس الذي يركب جواده لا يقاتل فارساً ماشيا على قدميه ! لهذا احتقرتك ولم التفت اليك ، واليك مصداق قولي . ثم امسك سيف بن ذي يزن عنق جواد الفارس بيده اليسرى ، ونزعه من فوق سرجه بيده الاخرى ، ورفعه في الهواء ثم اعاده كما كان فقال الفارس : صدقت يا ملك اليمن . سيف بن ذي يزن ، وهازم اهل الكهانة والفتن فليس غيرك يستطيع ان يقدم على ما اقدمت عليه الان . فقال سيف وقد ادهشه ان يعرفه الفارس : ولكن هلا قلت لي من انت وكيف عرفتني ؟ فقال الفارس : اعلم ، رعاك الله ، انني لست فارسا ، ولكنني فتاة قد اتيت خوفا عليك وحبا في نجدتك . واسمي (طامة) ، وامي عاقلة ، وهي كاهنة تضرب الرمل وتكشف حجب المستقبل . ومنذ ايام طلبت اليها ان تبسط رملها وتحسب حسابها لتعرف من سيتزوجني من الرجال ؟ فقالت عاقلة: سيكون زوجك ملك اليمن سيف بن ذي يزن . فقالت لها : وكيف التقي به ؟ فقالت : سيأتي ارضنا هذه باحثا عن كتاب تاريخ النيل ليقدمه حلوانا لشامة بنت الملك أفراح التي تحبه حبا عظيما ، والتي احضرت معه سعدون الزنجي الذي طلب رأسه الحكيم سقرديس .

وفي الليلة الماضية قالت لي امي : سيكون سيف بن ذي يزن في ارضنا غدا واني اخاف عليه من اهل هذه المدينة وملكها قمرون لانهم يعبدون كتاب تاريخ النيل كما كان يعبده آباؤهم السابقون وقد صنعت الكهنة لهم رصدا في المدينة ينبئهم عن اي غريب قادم اليها فيجتمعون حوله ويمزقون لحمه مخافة ان يكون قد حضر ليأخذ هذا الكتاب .

فقلت لها : ما دامت الحال كما تقولين فسيف بن ذي يزن غير ناج منهم ؟ وقد وعدتني انه سيكون زوجي فماذا انت فاعلة حتى يحصل على بغيته ويتزوجني اشيري علي بما افعله لاحميه من كل شر فاني مستعدة ان افتديه بروحي .

فقالت لي امي : البسي ثياب فارس وضعي على وجهك لثاما وتقلدي بعدة الحرب واركبي جوادك واذهبي الى هذا المكان فان رأيت انسانا سائرا وحده ناوشيه واحملي عليه فان لم يلتفت اليك ثم يرفعك عن ظهر جوادك بيمينه ويردك اليه فاعلمي انه سيف بن ذي يزن ، وقد وجدت كلامها صدقا فما اشك الان انك سيف بن ذي يزن فما عندك من الحيلة والتدبير للحصول على كتاب تاريخ النيل ؟

فقال لها : ما هذا الافتراء والكذب . ما انت الا فارس اظهر عجزه وضعفه فاخترع هذه القصة الكاذبة ، ومن اين اعرف انك فتاة وهذا اللثام لا يزال يغطي وجهك .

فقالت له طامة : بيدك الحق وقد اخبرتني امي انك لا تصدقني حتى أرفع اللثام عن وجهي ، ثم مدت يدها الى لثامها ورفعته عن وجهها فانكشف عن وجه فاتن بحسنه وجماله فاندهش الملك سيف من هذا الجمال فقال لها : غطي وجهك ايتها الفتاة فقد حركت في صدري لواعج الحب والهوى . فقالت : حفظك الله ورعاك ولن يكون الا ما يسرك ان شاء الله ، واني راجعة الان الى امي لاخبرها بقدومك فتعال معي اليها لتقوم بمساعدتك ولتحفظك من اهل هذه المدينة وستجد منها كل رعاية واخلاص .

ثم اخذته طامة وادخلته على امها وهي فرحة بقدومه ، ولكن الرصد اعلن في المدينة بصوت مرتفع عن دخول غريب فيها ، فهاج السكان واخذوا يبحثون عن هذا الغريب في كل مكان .

فسألها سيف : اني اسمع جلبة وضوضاء في المدينة فماذا جرى ؟ فقالت : ان الرصد اعلن ان غريبا دخل المدينة فأمر ملكها قمرون جنوده وسكان المدينة ان يبحثوا عنك ، وهذه الضوضاء من اجل العثور عليك ليقتلوك ، ولكني سأحفظك منهم اذا طاوعتني ولم تخالفني .

فقال لها سيف : لن اعصي لك امرا فافعلي ما تشائين .

فأمرت عاقلة ابنتها ان تذهب الى السوق وتشتري لها سمكة كبيرة فمضت طامة كما امرتها امها وعادت بالسمكة فأخذتها عاقلة وأمرت سيف



ان يدخل فيها كتفيه ، ثم احضرت رخا كبيرا كان عندها فشقت صدره وجوفه ووضعته على كتفي سيف وراسه واحكمت رباط سيف بالسمكة وفي الرخ حبل متين وادلته وهو على هذه الحالة في بئر داخل بيتها حتى يكون معلقا في فضائه وفوق مائه ، وربطت طرف الحبل في وتد ثابت في سطح الارض وغطت البئر وقالت لابنتها : حافظي على حراسته . ثم ركبت بغلتها وتوجهت الى ديوان الملك قمرون .

كان للملك قمرون ثلاثمائة وستون كاهنا ساحرا وجميعهم في طاعة الكاهنة عاقلة وتحت امرها ، وكانت عاقلة صاحبة نفوذ وكلمة مسموعة عند الملك قمرون ، وكان لا يخالف لها امرا . فلما وصلت الى الديـــوان واجلسها بجانبه وقال لها : لقد اخبرنا الرصد ان غريبا قد دخل المدينة واخشى ان يكون اتى ليسرق كتاب النيل الذي نعبده ، وكان هذا الكتاب في مكان حصين يحرسه الكهنة وكل واحد منهم يحرسه يوما في السنة ويخدم في الديوان مقابل معاش يتقاضاه من مال الدولة .

فقالت عاقلة : قلت لي ايها الملك ان غريبا دخل مدينتنا فسر بنا الى الرصد ، فوجدوه قد تشقق وتصدع ومال عنقه ، فقالت عاقلة : يظهر لي ان ما اصابه من تشقق وميل في العنق جعله مختلا في عمله وهو غـــير صادق في خبره فأصبح لا يوثق به ولا يعتمد عليه فعلينا الان ان نحضر الكهنة ليبسطوا الرمل ويستخدموا علم السحر لمعرفة هذا الغريب ومكانه فعد بنا الى الديوان لنبدأ هذا العمل بسرعة .

ولما عادت عاقلة الى الديوان طلبت ان يحضر ستون كاهنا ليفرشـــوا تخت الرمل لينظر الملك ماذا يقولون .

ولما حضر الكهنة بين يديها فرشوا رملهم ولما انتهوا من عملهم قالوا :

لقد دخل الغريب المدينة فابتلعت ثلثيه سمكــــة وامسك الرخ ثلثه الباقي وهو معلق في الهواء على هذه الحالة .

فالتفت الملك الى عاقلة وقال لها : اسمعت هذا الكلام يشبه الخرافة؟ فقالت للكهنة : كثيرا ما نهيتكم عن الاسراف في الطعام فان الكهانة تقضي حرمان النفس من شهواتها حتى تكون ارواحكم صافية نقية ، وحتى لا تضلوا في حسابكم كما ضللتم الساعة .

ثم التفت الى الملك وقلت له : ارى ان نحبس هؤلاء الكهنة في مكان خاص حتى لا يتصلوا بغيرهم ، وفي الغد نحضر طائفة اخرى من الكهنة الباقين لننظر ما يقولون .

ثم ركبت بغلتها وذهبت الى بيتها وهناك اخرجت سيف من البئر وقالت له : لا تنس يا بني اني راغبة في ان ازوجك ابنتي (طامة) فانها تحبك وقد وعدتها بذلك .

فقال : ان كان الله تعالى كاتبها على جبيني فأهلا بها وكل شيء مكتوب لا بد من نفاذه ، ثم باتوا جميعهم تلك الليلة وعند الصباح انامت سيف على لوح خشبي واوقفت غزالة فوق اللوح بحيث تضم بين رجليها ويديها سيف، ثم ثبتت على تلك الغزالة جناحي نسر مبسوطين وعلقت كل اولئك في سقف الحجرة فأصبح ذلك كأنه غزالة طائرة في الجو قد اختطفت سيف ثم اوصت ابنتها بحراسته وذهبت الى ديوان الملك وطلبت منه ان يأمر باحضار طائفة اخرى من الكهنة ليقوموا بعمليات التنجيم امامه ليسمع ماذا يقولون .

فأحضر الملك طائفة من الكهنة حسب ما طلبت عاقلة فابتدأوا فــــي حساب رملهم وكرروا ذلك سبع مرات وهم سكوت لا يتكلمون .

فيصرخ الملك فيهم غاضبا : ماذا رايتم ايها الجهلاء ؟

فقالوا : ان الغريب دخل المدينة واختطفه وحش وطار به الى السماء، فضحك الملك ساخرا والتفت الى كبار ديوانه وقال : هل سمعتم ان وحشا يخطف انسانا ويطير به الى السماء ؟ فقالوا : ما سمعنا بهذا في الاولين ولا في الاخرين ولكن الكهنة اسرفوا في ملذاتهم وشهواتهم فعميت ابصارهم وعقولهم وتلك مصيبة كبرى .

فطردهم الملك من مجلسه بعد ان قتل منهم عشرة كهنة وجلس مغتاظا فقالت عاقلة : امر هذا الغريب تعدى طاقة الكهنة فانا سأدلك على الغريب واحضره بين يديك ، ولكن انتظر حتى يطلع علينا هلال الشهر القادم وعندها اذهب الى القبة التي فيها الكتاب حيث تطمئن على وجوده وتسأله عما اصاب الكهنة من العجز والارتباك .

فقال لها الملك : ليكن ما تريدين . ثم رجعت عاقلة الى بيتها فانزلت سيف عن اللوح وارجعت الغزالة وجناحي النسر الى امكنتها ، ثم جلست تتحدث اليه وتقص عليه ما كان من امر عجز الملك وكهنته وقالت له ان الملك يريد معرفة مكانك ، ولا يزال مصرا على معرفتك والبحث عنك ليقتلك

ولكني لا اتخلى عنك حتى اعطيك الكتاب واخرجك من هذه المدينة ، وأرجو ان يكون جزائي منك ان تتجوز ابنتي طامة وتحبها كما احببت شامة بنت الملك افراح .

فقال سيف : تلك امنية عزيزة الى نفسي وارجو ان يكون الله قد ارادها لي ولكني الان مشغول للحصول على كتاب النيل فقالت عاقلة : لا تشغل نفسك في الكتاب فاني سأيسر لك اسباب الحصول عليه بعد ان يذهب الملك في عساكره وكبار دولته الى القبة التي حفظ الكتاب فيها للاطمئنان على وجوده فقال سيف : هل استطيع الذهاب معكم لارى الملك وجنده لاعرف مبلغ قوته .

فقالت : ليس من الصواب ان تظهر للناس فقد يبدو منك ما يدل على انك الرجل الغريب وحينئذ يمسكونك ويقتلونك فسأدبر لك الحيلة التي تأخذ بها الكتاب .

فقال سيف : ارجوك ان تأخذيني معكم وسأكون مطيعا لك فيما تأمرين به . فقالت ابنتها طامة : لا تمنعيه من رغبته ، وانت تستطيعين ان تخفيه بين الناس بحيلتك . فقالت لها امها :

اكراما لخاطرك سأفعل من اجله المستحيل ، قم يا ولدي واخلع ثيابك واصبغ جسمك جميعه بما في هذه الزجاجة من صبغة حمراء والبس ثياب غلام من غلماني . فامتثل سيف لما امرته به فأصبح حبشي اللون لا يفرق عن غلمان المدينة في شيء .

ثم قالت له : احذر ان تكلم احدا من اهل المدينة واحذر ان تدخل القبة التي فيها الكتاب مع الداخلين ، وان الكتاب مقدر لك ان تأخذه فانك ان دخلت القبة يتحرك الصندوق الذي فيه الكتاب ويدور ثلاث دورات في أرجاء القبة ثم يقف بين رجليك وحينئذ يعرف الحاضرون انك الغريب الذي جئت لاخذ الكتاب فيهجمون عليك ويقتلونك .

فقال لها : ستجديني مطيعا ، ولا أخالف لك امرا .

فذهبت عاقلة الى القبة واخذته معها وكان هناك الملك والوزراء والاعيان وكانت القبة فسيحة الاركان تسع مئات من الناس فدخلوها ووقف سيف مع بعض الغلمان امام الباب ورآهم يسجدون لهذا الكتاب لان اهل هذه المدينة يعبدونه من دون الله ، فقال سيف في نفسه : لن ادخل القبة تنفيذا لوصية الحكيمة عاقلة ، ولكن نفسه سولت له ان يدخلها فدخل القبة وسجد لله رب العالمين بينما هم يسجدون للكتاب .

اما سيف فانه ابتهل في سجوده الى الله ان ينصره عليهم . فتحرك الصندوق ودار ثلاث دورات في ارجاء القبة ثم حط بين رجليه فعرفوا انه الغريب الذي اتعبهم وحيرهم فقاموا اليه ليحكمونه ولكنه اسرع واختطف سيف من احد الجنود وصاح : الله اكبر . وقتل منهم مقتلة عظيمة وهم لا يقدرون عليه حتى عثرت رجله بجمجمة قتيل فوقع على الارض واستطاعوا

حينئذ ان يمسكوه ويذهبوا به الى الملك فقال : لا احب ان اراه فالقوه في الجب ليموت ، ثم التفت الى عاقلة وقال لها : ارايت كيف وقع الغريب في أيدينا ؟

فقالت: ذلك ما اشرت به عليك . قال : هذا الغريب يعرف السحر والكرامة ، ولهذا قلت لك لا بد ان نذهب الى القبة ونسأل الكتـــاب ان يرشدنا اليه . فابتسم الملك لها ، ثم استأذنت وانصرفت .

ذهبت عاقلة الى الجب وكان عميقا جدا وله غطـــاء من الرصاص لا يحمله الا خمسون رجلا ، وكان أعوان الملك قد وصلوا الى الجب ومعهم سيف ليلقوه فيه فقالت عاقلة : ايها الجند تذكروا ما قاله الملك ، ولا تلقوه في الجب فأنتم ان القيتموه مات لساعته ولكن الملك يريد ان يموت جوعا وعطشا فيها فهاتوا حبلا طويلا واربطوه فيه. ثم دلوه في الجب ببطء حتى يصل الى قراره واتركوه . ففعلوا ما امرت به عاقلة ثم انصرفوا جميعا ولم يبق عند الجب احد وأصبح سيف في الجب وحيدا لا معين له ولا انيس الا ربه الذي خلقه فابتهل اليه قائلا : يا رب ليس لي سواك ، وكما حفظت الجنين في بطن امه واخرجته الى الوجود حيا ، احفظني في هذا الجب بفضلك وكرامك واخرجني منه سالما ، فاستجاب الله تعالى له فراى الجب قد امتلأ بضوء مثل ضوء الشمس وراى شخصا راسه عند غطاء الجب ورجلاه في قراره ، وكان الامل في النجاة قد اشرق في نفسه ، ولكـــن وجود هذا الشخص حيرة فهو لا يدري أجاء لانقاذه ام لموته ، وقطع تفكيره في مصيره ان وجد الشخص منحنيا عليه يقبل يديه ورجليه ويقول :

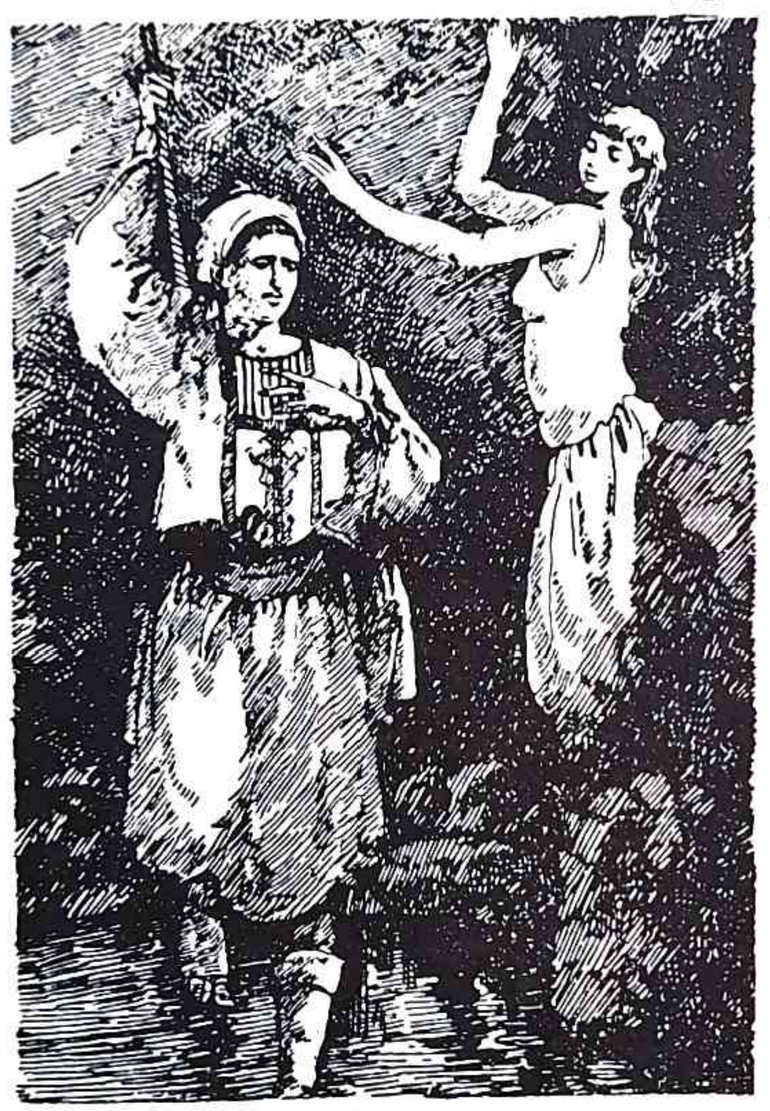
لقد جئت اليك مستجيرة فأنقذني من الهلاك والشقاء . فتعجب سيف وقال : ما اعمى بصرك اما ترين ما انا فيه ، وكيف تطلبين انقاذك وانـــا محبوس ولا استطيع ان أتحرك من القيود .

فتقدمت من سيف وفكت قيوده ثم قالت له : انا اختك في الرضاع واسمي عاقصة اخذتك امي من البيداء بعد ان رماك فيها الحاكم افـــراح وارضعتك من ثديها وربتك في حجرها وكفلتك ثلاث سنوات ونحن مقيمون في جبال القمر حيث نبع النيل ، وقد رآني مارد يسمى المختطف فأعجبه شكلي وارغم والدي على ان يزوجني منه ولكني اكرهه وافضل الموت على ان اكون زوجة له ، لاننا نؤمن بالله ونعبده وهذا المارد جبار فاجر فشكوت امري الى رجل مؤمن عابد في ديارنا يدعى عبد الســـلام فقال لي : لا خلاص لك من هذا المارد الا على يد الملك سيف بن ذي يزن .

فسألته عن مكانك ، فقال لي : سلي امك فهي تعرف مكانه فسألت امي عنك فقالت لي ان الملك قمرون رماه في الجب فأسرعي اليه واخرجيه من الجب وسيري به الى المختطف فهو الذي يخلصك منه ، وقد جئتك الان لانقاذك لتحميني من هذا المارد الجبار .

فقال لها سيف : هل تستطيعين ان تحضري لي سوطي المطلسم ؟

فمدت يدها في حائط الجب ، ثم اخرجتها وفيها السوط المطلسم الذي طلبه وناولته اياه . ثم ضربت الارض بقدميها فانفتح الجب الى سطح الارض فحملته وخرجت به سالما فحمد الله في نفسه وشكر له عظيم فضله . ثم طارت به عاقصة الى العابد عبد السلام فكانا بباب صومعته وقبل ان تهم عاقصة بالدخول عليه سمعته يقول : ادخل يا سيف بن ذي يزن ولا تخشَ بأسا .



سيف بن ذي يزن وعاقصة اخته من الرضاعة

وبعد اللقاء والسلام استأذنت عاقصة الى امها وابيها ، ثم التفت عبد السلام الى سيف وقال له : انك ضيفي الليلة ، وستأتي عاقصة غدا لتأخذك الى بيت المارد المختطف لتريحها منه .

فقال سيف : ان من نعمة الله علي ان اكون ضيفا لرجل تقي صالح يعرف الله الذي خلقه ، ثم اكلا وشربا وقضيا وقتا في عبادة الله ثم ناما الى الصباح .. وفي اليوم التالي اتت عاقصة وطارت بسيف حتى نزلت به

بأرض فسيحة خالية ثم قالت له : انظر ماذا ترى امامك ؟ فقال ارى شيئا إسود كأنه بناية ضخمة . فقالت هذا قصر المارد الجبار المختطف : فاذهب اليه وحدك فاني لا استطيع ان اخطو بقدمي في ارضه وهو حي.

فسار سيف لوحده وتوكل على الله ولم يزل سائرا حتى وصل الى القصر وجعل يطوف حوله عسى ان يجد بابا يدخل منه . وبينما هو كذلك انفتح شباك من شبابيك القصر ورأى صبية كأنها البدر تشير اليه وتقول : اصعد الينا يا سيف فهنا اربعون بنتا في انتظار قدومك .

فقال سيف : وكيف اصعد اليكم ولا اجد بابا ولا سلما ؟ ان كان عندكم حبلا فارفعوني به اليكم ، فأدلوا له حبلا متينا فأمسكه ورفعوه به اليهم، فوجد في القصر اربعين بنتا كأنهن الاقمار فسألهن : من انتن ومن عرفكن باسمي ؟ ولماذا انتم مقيمات هنا ؟

فتقدمت الابنة التي خاطبته من الشباك وقالت : انا اسمي ناهد بنت ملك الصين ، وهؤلاء كلهن بنات ملوك ، وقد خطفنا المارد من قصور آبائنا، ووضعنا في هذا القصر سجينات وقد مضى علينا زمن طويل الى ليلة من الليالي سمعت في منامي هاتفا يقول لي : يا ناهد ذهب عنكن الحـــزن والانين على يد سيف بن ذي يزن ملك اليمن وهو في طريقه اليكم، وسيطوف القصر باحثا عن بابه ، فانتظروه وارفعوه بالحبال لينتظر المارد ويقتله .

ثم اختفى صوت الهاتف وقمت من نومي مسرورة فقصصت رؤياي على اخوتي ففرحن فرحا عظيما، وقد عزمنا على ان نعبد الله الذي تعبده وهاأنذا اقر بأن الله وحده لا شريك له ، وانه لا يعبد بحق سواه . قالت البنات : ونحن نقر معها بأن الله واحد لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله .

فقال سيف : لقد رضي الله عنكن وسأريحكن من هذا المارد بعون الله حين حضوره ، ولكني احب ان اعرف يا ناهد ماذا يفعل المارد بهؤلاء البنات ولماذا يأتي بهن الى قصره ؟

فقالت ناهد : لا يفعل بهن شيئا ، ويظهر لي ان الغرض من اختطافهن الاضرار بآبائهن ليشبع بذلك خبثه ولؤمه .

فقال سيف : اذا جاء هذا المارد اللعين سأقتله انشاء الله ثم ارسلكم جميعكم الى اهليكم ، ولكن متى يعود المارد ؟

فقالت ناهد : هذا وقت عودته . ثم نظرت الى خارج القصر فرأت غبرة كثيرة فقالت : لقد حضر المارد واسرعت كل بنت الى مكانها خوفا من المارد، وانتظر سيف في ردهة القصر .

ولما دخل المارد ورأى سيف في قصره قال له : لقد وقعت اخيرا يا بطل في يدي ، سوف اقطعك اربع قطع واجعل في كل واد قطعة مـــن جسمك . فأسرع سيف اليه وضربه بسوطه المطلسم على يده فقطعها واراد ان يضربه على رقبته فسمع صوتا يقول :

ارجع يا سيف لا تضربه ضربة ثانية فامتنع سيف عن ضربه ، اما المارد

فان النار اشتعلت فيه بعد قطع يده وصار رمادا عندها دخلت عاقصة الى القصر وشكرت سيف على عمله هذا وقالت :

لا تنسَ اني اختك من الرضاع ، وان كنت غير مصدق فسأحضر لك امي لتراها ، ثم لوحت بيدها في الهواء فاذا امها حاضرة فلما رآها قال : هذه امي التي ارضعتني وقامت بتربيتي ثلاث سنوات !

فقالت عاقصة : وانا ابنتها فأنت اخي من الرضاع .

فصدقها سيف وقال لها : اريدك يا اختاه ان تحملي كل بنت من هؤلاء البنات الى اهلها . فأخذت تنقلهن واحدة واحدة وكانت كلما وضعت بنتاً على سطح قصر ابيها تأمرها ان تنادي اهلها ، وعند حضورهم تخبرهم عاقصة بأن سيف بن ذي يزن قتل المارد الذي خطفها وارسلني بها اليكم وقد آمنت ابنتكم بالله الذي لا شريك له ، فيفرح اهلها ويثنون على سيف ويتمنون ان يروه .

لم يبق في القصر من البنات غير ناهد فأرادت عاقصة ان تحملها فأبت وقالت لسيف : خبرني الهاتف بأني سأكون زوجتك ، فلا اريد ان اعود الى اهلي لاني راغبة ان تتزوجني ، واني اخاف ان يردوني الى دينهم وقد آمنت بالله على يديك ، ولهذا فلا اريد ان اعود اليهم .

فقال سيف : لقد عاهدت نفسي يا ناهد الا اتزوج من فتاة قبل شامة بنت افراح ، فلا تطمعي في الزواج بي ، ثم قال لعاقصة : احمليها الى اهلها ولا تبطئي . فقالت ناهد : لقد كسرت بخاطري اسأل الله ان يسوقك الى مدينتي يوما مكشوف الراس مهلهل الثياب جزاء تكبرك علي ، فقال سيف وأن تكوني عمياء ولا يشفيك الا سيف بن ذي يزن . ثم طارت بها عاقصة الى بيتها ورجعت الى سيف وسألته :

الك عندي حاجة لاقضيها لك ؟ قال : احمليني الى عبد السلام العابد وفي اقل من لمح البصر كان عنده فلما دخل عليه سلم وجلس ثم قال عبد السلام : يا عاقصة اذهبي الى بيتك فان سيف ضيفي هذه الليلة وتعالي غدا لتحمليه الى حيث يشاء .

فسلمت عاقصة وذهبت ، فالتفت عبد السلام وخاطب سيف قائلا : انك قتلت المارد وارجعت البنات الى اهلهن ، ولكنك اغضبت ناهد ودعا كل منكما على الاخر .

فقال سيف : ذلك ما حصل وما قدر يكون والله يفعل ما يشاء ، فقال عبد السلام : ستبيت عندي الليلة فاني اشعر بدنو الاجل فاذا مت فكفني بهذا الكفن وادع الناس يصلون على جنازتي ، ثم ادفني في محرابي هذا وهذه وصيتي اليك .

فقال سيف : سلمك الله وعافاك وسأقوم بما اوصيتني به خير قيام .

وكان من عجيب الصدف ان مات عبد السلام فنفذ سيف وصيته على اكمل وجه وحضر للصلاة عليه خلق كثير وبعد ان واراه التراب سأل نفسه

من اين جاءت هذه الخلائق كلها ذلك مما اثار اعجابه . وبينما هو كذلك حضرت عاقصة فسألها عن كتاب النيل فقالت :

لا تخف عليه فان عاقصة اخذت على عاتقها المحافظة عليه حتى تذهب انت وتأخذه ، وقبل ان احملك اليه سأريك عجائب المدائن السبع التي انشأها الحكماء والكهنة وصنعوا فيها كثيرا من العجائب .

ثم طارت به الى اول مدينة وانزلته في واد متسع فيه انهار واشجار وزروع وطيور ووجد تمثال انسان من الفضة يحمل في فمه بوقا فضيا ووجد امام المدينة سبعة فرسان على جيادهم يتخاصمون ويتجادلون وكادوا يقتتلون . فقال سيف لهم : مالي اراكم متشابهي الخلقة كأنكم من اب واحد وام واحدة ؟

فقال احدهم : نحن اخوة اشقاء قد مات ابونا وخلف لنا قلنسوة اذا لبسها احد فلن يراه انس ولا جن ، وكل واحد منا يريد ان يأخذها لنفسه ، ومن اجل ذلك نتخاصم .

فقال سيف : تعلمون ان القتال بين الاخوة عار وفضيحة، هل تريدون ان احكم بينكم .

فقالوا : نعم نريدك ان تحكم بيننا . فقال : اين القلنسوة ؟

فقالوا : انها مع كبيرنا هذا فخذها منه واحكم بيننا.

فأخذها منه وقال : اعطوني قوسا ونبلة . فأحضروهما له فأخذهما وقال : سأرمي هذه النبلة بالقوس في الفضاء وانتم تتبعونه بخيولكم فمن اتاني به قبلا فالقلنسوة له ، فقالوا : رضينا بهذا الحكم .

فأخذ سيف القوس وأوتره ورمى النبلة فجرى الاخوة بخيولهم من خلفه ولبس هو القلنسوة وقال في نفسه : ان كانت القلنسوة حقيقة تخفي لابسها فسأتركهم وأمضي بها الى عاقصة ، وسيظهر لي ذلك بعد عودتهم وما انا طامع بالقلنسوة انما حرصي على رابطة الاخوة اضطرني الى هذا . سبق احد الاخوة ورجع الى سيف فلم يجده ، وعاد من بعده اخوته ووقفوا بجانبه يتلفتون وينادون : ايها الغريب الذي اخذت القلنسوة ، فلم يجبهم احد ، وعلم سيف انها تخفي لابسها فأخذها ورجع الى عاقصة والقلنسوة على راسه ليعرف هل تخفيه القلنسوة عن الجن كما اخفته عن الانس . فلما وصل اليها نادى : يا عاقصة .. فجعلت تلتفت هنا وهناك فلم تجد امامها احدا ، فعرف ان القلنسوة تخفي لابسها عن كل البشر .

فقالت له عاقصة : لقد اخذت القلنسوة التي اختلف عليها الاخوة الاشقاء فانزعها عن راسك واظهر لي حتى احملك الى مدينة اخرى لترى فيها نوعا اخر من العجائب .

ولما ظهر لها قالت : ناولني القلنسوة فاني لا استطيع حملك وهي معك . فأعطاها القلنسوة فطارت به في الفضاء وحطت به في ارض واسعة على القرب منها المدينة الثانية .

فمشى سيف في تلك الارض حتى وصل الى المدينة فوجد على بابها تمثالا لفارس على جواد من النحاس الاصفر ووجد على باب المدينة مئات من الفرسان على خيولهم ولما هم سيف ان يدخل المدينة سمع البوق يصيح: غريب يا اهل المدينة . فوجد الناس يجرون اليه من كل جانب وقبضوا عليه وساروا به الى ملك المدينة وكانت عاقصة ترى هذا لكنها لا تستطيع الدخول الى المدينة .

فسأله الملك قائلا : من انت ولاي شيء جئت الى هذه المدينة ؟ فقال: انني عابر سبيل يا مولاي وليس لي في مدينتكم حاجة ، فقال الملك بعد ان تفرس في وجهه ونظر الشامة التي في خده : انت الفتى صاحب الشامة تسعى لسيطرة العرب على السودان ، فانت عدونا ولا بد من قتلك . وطلب القبطان) وهو رئيس البحرية وقال له :

خذ هذا الفتى الابيض فالقه في البحر طعاما للاسماك ، فامتثل القبطان الامر واخذ سيف وخرج به .

وكان هذا الملك ورث عن ابيه خاتما مطلسما اذا لبسه في اصبعه واشار بيده على اي انسان قتل لساعته ، وذات يوم جمع الملـــك وزراءه وكبراء دولته وقال لهم : اتظنون ان هذا الخاتم يأخذه مني احد ؟

فقالوا : لا يعرف ذلك الا الكهنة والمنجمون ، فأحضرهم وسألهم هذا السؤال ، فجمعهم وسألهم ، بعد ان حسبوا وتبينوا قالوا له : اعطنا الامان ايها الملك لنذكر لك ما رأيناه وعرفناه بعلومنا ، فأعطاهم الامان قالوا : يأخذ هذا الخاتم فتى غريب ابيض بخده شامة ، فقال لهم : اصنعوا شيئا يدلنا عليه اذا حضر لمدينتنا حتى نأمن من شره ، فصنعوا التمثال الذي امام باب المدينة وقد صاح غريب ولما القوا القبض عليه امر الملك بقتله .

اخذ القبطان سيف وذهب به الى بيته وهناك اوقد نارا وقال لسيف: ان كنت تريد ان انجيك من القتل فاسجد معي لهذه النار .

فقال سيف : كيف تعبد نارا اوقدتها بيدك ، وتطفئها بيدك ، وتترك عبادة الله الذي خلقك وخلق السموات والارض ، وهو الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ؟؟؟

فغضب القبطان وقام الى سيف فقيده واوجعه ضربا ثم حبسه فــي حجرة وانصرف ، وبعد مدة من الزمن جاء القبطان يبكي ففك قيوده وطلب منه ان يعفو عنه وقال : آمنت بالله الذي خلق السموات والارض ، فسأله سيف عن سبب تغيره وايمانه ؟ فقال :

بعد ان خرجت من عندك جعلت افكر فيما قلته ثم غلبني النـــوم فدخلت حجرة نومي لاستريح وما كدت اغفو حتى رايت في منامي رجلا مؤمنا بربه ومعتمدا عليه في سره وعلانيته وبيده حربة مهلكة فقال لي :

الى اين تذهب يا عدو الله ، لقد اعتديت على رجل مؤمن فأرسلني ربي لاحميه من شرك واجعله يقتلك بي ه فاستنجد الان بالنار التي تعبدها فقلت

له : نحن ورثنا عبادة النار عن آبائنا ، وما وجدنا احدا يرشدنا الى الحق، وقد آمنت بالله الواحد الذي لا شريك له وغيرت اسمي من (عبد النار) الى (عبد الصمد).

ثم اختفى هذا الرجل فرجعت اليك مؤمنا بالله وحـــده راجيا ان تسامحني فيما فعلته بك من الاذى ، فقال سيف : قد عفوت عنك وفرحت بايمانك ولكن ماذا تفعل في امر الملك الذي امر بقتلي ؟ فقال : لن تقتل ولا بد ان انجيك .

ثم احضر طعاما فأكل وتركه في بيته وحبب الى اهله الايمان فآمنوا ما عدا جارية بيضاء جميلة فقد اعرضت عن الايمان وبقيت على عبادة النار وانذرته انها ستذهب الى الملك وتخبره بأن القبطان واهله آمنوا بالله وتركوا عبادة النار ، فقبض عليها عبد الصمد واقلها وادخلها في كيس بدلا مـن سيف وجعل قدمها البيضاء ظاهرة حتى لا يدخل الشك في صدر الملك ثم رجع الى سيف فأخبره بما فعل فشكره على معروفه . وفي صباح اليوم التالي اخذ القبطان الكيس في زورقه ووقف عند القنطرة التي تحت قصر الملك فأطل الملك من النافذة واشار اليه ان يلقي الكيس في البحر فسقط الخاتم من يده في البحر وهو لا يشعر ، فرآه عبد الصمد من بعيد يتلألأ اثناء سقوطه .

ولما رجع عبد الصمد الى سيف اخبره عن الخاتم انه سقط في البحر، فان شاء الله غدا اذهب الى الصيد وابحث عنه في المكان الذي سقط فيه.

وفي اليوم الثاني ركب القبطان في الزورق وسيف معه والقى الشبكة في البحر فصادت سمكة كبيرة فأخذها وهم بأن يرمي الشبكة مرة ثانية فسمع هاتفاً يقول :

لا ترم الشبكة فان الخاتم في جوف هذه السمكة .

فقال عبد الصمد : سبحان الله لقد سخر لنا هذه السمكة فابتلعت الخاتم . حقا ان القدر كائن لا ينمحي .

فقال سيف : ذلك تقدير العزيز العليم يا عبد الصمد ، ولكن قل لي ما فائدة هذا الخاتم ؟

فقال عبد الصمد : اذا لبسته في اصبعك واومات به الى اي انسان مات لساعته ، فقال سيف : عجبا ، اذا كان لهذا الخاتم مثل هذه القوة سأذهب الى الملك وأدعوه الى الايمان بالله وحده ، وان ابى قتلته بهـــذا الخاتم . فقال عبد الصمد : نعم الراي رايك اذهب على بركة الله . عندئذ تلثم سيف وتنكر واستأذن في الدخول على الملك ولما صار بين يديه كشف عن وجهه اللثام فبانت شامة خده .

فاندهش الملك وقال : الست انت الفتى الغريب الذي امسكناه وامرنا بالقائه في البحر ؟ قال سيف : بلى انا هو ، وقد جئتك اليوم لاعرض عليك الايمان بالله الواحد القهار وتترك عبادة النار التي لا تنفع ولا تضر ، وان

ابيت فما امامك الا القتل.

فقال الملك : اتهددني بالقتل وانا ملك هذه البلاد ؟

فقال سيف : انني على عجل من امري اتريد ان تؤمن او تموت ؟

فقال الملك : لا شك انك المجنون ، قال سيف : انت المجنون أسرع والا، واشار بيده وقال : انظر الى هذا الخاتم سوف تموت في هذه الساعة . واومأ اليه بيده فمات الملك لساعته ، وقام الكبراء والوزراء الى سيف وقبلوا يده وآمنوا بدعوته وجعلوه ملكا عليهم وجعل هو عبد الصمد وزيره الاكبر . وكان اول ما فعله سيف بعد ان اصبح ملكا انه حرم على اهل المدينة عبادة النار وقد آمن جميع من في المدينة بالله الواحد القهار ثم جمع الوزراء والاعيان وقال لهم :

ما جئت مدينتكم هذه الا لاصرف اهلها عن عبادة النار واجعلهم يؤمنون بالله الذي خلقهم ورزقهم ، والحمد لله فقد انتشر في المدينة الايمان وصار الجميع يعبدون الرحمن الرحيم وقد جعلت عليكم عبد الصمد رئيسا وجعلتكم اعوانه فكونوا مؤتلفين متعاونين مستمسكين بعبادة رب العالمين ، وسأتركم الى شؤونكم بعد ان قمت فيكم بهذا الواجب الانساني العظيم .

ثم ودعه اهل المدينة وداعا مهيبا ، ثم سار وحده حتى بعد عن المدينة فنادى : يا عاقصة ، قالت : لبيك يا اخي . ولما حضرت قص عليها كل ما لقيه في المدينة وما فعله فيها ، فقالت : الحمد لله الذي بلغك المراد واعانك على نشر الايمان في هذه المدينة .

ثم طارت به وكان يحسب انها تحمله الى المدينة الثالثة ، ولكنه راى نفسه في مدينة قيس بجوار الجب الذي كان قد رماه به الملك قمرون وقالت : اخذتك من هذا المكان واني ارجعتك اليه ومعك الخاتم وخذ هذه القلنسوة ومني عليك السلام ، ثم طارت الى ابيها وامها وغابت عن الانظار.

نعود الان الى طامة بنت الحكيمة عاقلة فانها قد احبت سيفا حبا شديدا جعلها لا تفكر الا فيه ، ولما رماه الملك قمرون في الجب حزنت عليه وقالت لامها : وعدت ابنتك طامة ان تزوجيها من سيف ، وقد القاه الملك في الجب ولا سبيل الى خلاصه ، فهل كنت تضحكين مني او تسخرين بي ؟ فقالت لها امها : لا تحزني واطمئني يا ابنتي سيف لم يمت وسيعود حتى يأخذ كتاب النيل وستعرفين غدا صدقي في قولي . ثم قامت الى رملها وادوات تنجيمها واخبرت ابنتها ان عاقصة اخته في الرضاع اخرجته من الجب وطارت به ليقتل المارد المختطف فما عليك الا ان تصبري حتى يأتي اليك . وفي اليوم الذي جاءت عاقصة بسيف الى الجب قالت عاقلة لابنتها :

قومي يا ابنتي واذهبي بسرعة الى سيف فانه بجوار البيت ينتظر قدومك اليه . ففرحت طامة واسرعت الى ملابسها لتخرج اليه فسمعت طارقا على الباب فذهبت وفتحته فاذا هو سيف ، فارتمت عليه طامة تقبل يديه ورأسه ودخلت به الى امها وهي تكاد تطير من الفرح .

ثم جلست طامة وقالت : اتذكر لنا كيف خرجت من الجب يا سيف؟ فقص عليهم كل ما جرى له من البداية حتى النهاية ، ثم قامت طامة واحضرت الطعام فأكلوا وشربوا واستراحوا وباتوا الى الصباح في هناء وسرور .

وفي الصباح تقدم سيف من الحكيمة عاقلة وقال لها : لقد طال انتظاري يا سيدتي واحب ان احصل على كتاب النيل حتى استطيع العودة الى مدينة الملك افراح فماذا اصنع ؟.

فقالت عاقلة : اما الكتاب فلا بد لك من اخذه لانه مرصود لك ومن عارضك في اخذه فكأنه عارض القدر : فغدا ان شاء الله البس القلنسوة واذهب معي الى ديوان الملك لنسير الى قبة الكتاب وهناك يفعل الله ما يشاء .

وفي الصباح توجهت الحكيمة عاقلة وسيف الى ديوان الملك وكان لابسا القلنسوة فاحتجب عن الانظار ، فأشارت على الملك ان يذهب ألى قبة الكتاب للاطمئنان على وجوده والسجود له .

فسار الملك برفقتها حتى بلغ القبة وكشف الملك عن الكتاب فوجده في مكانه فاطمأن واستراح ، وبينما كان الملك يسجد للكتاب كعادته دخل سيف الى القبة وهو لابس القلنسوة فتحرك الصندوق وسعى الى بين يدي سيف فأخذه وسبق عاقلة الى بيتها .

فصعق الملك وكاد يفقد عقله فقالت عاقلة : هدىء روعك يا مولاي فانني سأحضر لك الكتاب اين ما كان ، وها انا ذاهبة الى بيتي لاكشف لك عن خبره ، فانصرف الملك الىديوانه ينتظر احضار الكتاب على يد الحكيمة عاقلة كما وعدته .

ولما وصلت عاقلة الى بيتها وجدت سيف بانتظارها فقالت له : هنيئا لك اخذت الكتاب وبقي لك ان تجزيني ذلك على معروفي وذلك بأن تتزوج ابنتي طامة التي تحبك ولا تريد زوجا غيرك .

فقال لها سيف : ان ابنتك طامة فتاة جميلة كريمة ، وقد غمرتني بحبها وعطفها ، كما غمرتني انت بعطفك ومساعدتك ، ولكني آليتعلى نفسي الا اتزوج بفتاة قبل شامة بنت افراح فاعذريني والكريم من عذر .

وكانت طامة تسمع هذا الحديث فصممت على غدره وباتوا تلك الليلة الى الصباح فقام سيف من نومه وتفقد القلنسوة فلم يجدها فسأل طامة عنها فقالت : انا اخذتها وانت نائم ، ولن اعطيكها حتى تتزوج مني شئت ام ابيت .

فقال سيف : ان الحب لا يكون قسرا يا فتاتي ، اما هذه القلنسوة فلا يهمني ان فقدتها لاني لا اعتمد عليها ، بل انني اعتمد على ربي الذي خلقني وجعل لي من امري يسرا ، وخرج سيف ومعه الكتاب وجعل يسير في البرية قاصدا دابة البحر لتنقله الى الشاطىء الاخر ، وكانت هذه الدابة

تسمى «الهايشة» .

وفي اليوم الثاني ذهبت عاقلة الى ديوان الملك وقالت له : لقد تعبت ليلة امس في الكشف عن من اخذ الكتاب فدلني الرمل عليـــه وهو الان سائر في طريقه نحو الهايشة ليمتطي ظهرها الى الباب الثاني وها انـــي اخبرتك والامر الان في يدك. فبالحال امر الملك فرسانه ان يلحقوا بسيف في سرعة عاجلة ويحضروه بين يديه والكتاب معه .

فجدوا في المسير من خلفه وقد رآهم سيف جادين في طلبه فاختبأ منهم بين الصخور ، فقال بعضهم لبعض : نبيت هنا الليلة وسنبحث عنه في الصباح ، اما سيف فانه تسلل من بين الصخور ليلا وجد في المسير حتى بلغ «الهايشة» قبل شروق الشمس فركب ظهرها وتحركت به سابحة في البحر الى الشاطىء الاخر ، فلمحه الفرسان وهو على ظهر الهايشة فعادوا الى ملكهم واخبروه بما حصل فغضب واحضر عاقلة واخبرها بفرار سيف بالكتاب فقالت له اذا نجا سيف من الدابة ولم تأكله فاني محضرة لك الكتاب اينما وجد وسأعود الان الى بيتي لاتفرغ من عملي وانا ضامنة لك ارجاع الكتاب .

اما سيف فانه نزل الى البر وجد في سيره حتى دخل على العابـــد جناد الذي ترك حصانه عنده فسلم عليه فهنأه جناد بسلامته وقال له : اهلا بك يا سيف انت ضيفي الليلة ، فاذا مت فافعل بي ما فعلته بالعابد عبد السلام وادفني في صومعتي هذه . وكان ما توقعه العابد جياد فانه انتقل الى رحمة الله في تلك الليلة ، فتولى سيف تكفينه ودعي المؤمنين للصلاة عليه ثم حفر له في صومعته قبرا ودفنه فيه ، وبعد ذلك ركب جواده وسار يقطع البراري والقفار قاصدا مدينة الملـــك افراح حيث محبوبته شامة .

اما سعدون الزنجي فانه لما اصبح ولم يجد وحش الفلا ذهب الى الملك افراح وسأله عنه فقال له :

الحقيقة يا سعدون انني ارغب من صميم قلبي ان ازوجه من ابنتي شامة . ولم اكن ابغي ارهاقه في مهرها ؛ ولكنك تعلم ان سقرديس ونحن لا نستطيع مخالفة امره كان قد طلب منه احضار كتاب النيل ؛ ولا شك عندي في انه خرج يبحث عن الكتاب ليأتي به .

فقال سعدون : يظهر لي انها مؤامرة دبرها سقرديس لقتل وحش الفلا ولكني لن ابرح هذه حتى اعرف مصير وحش الفلا ، فان مات فابشروا في هلاككم اجمعين وخراب دياركم ، ولولا اني آمل ان يرجع الينا سالمـــا لافنيتكم الان ، وهذا انذار مني لكم .

وكان ذلك على مسمع من الحكيم سقرديس ، فالتفت اليه الملك افراح وقال : لقد ورطتنا برايك الفاسد في ورطة لا مخلص لنا منها . فماذا انت قائل ؟ فقال سقرديس : سأحتال لقتل سعدون الزنجي وعبيده وبذلك

نستريح منهم اما وحش الفلا ، فلا تأمل في عودته فانه مات منذ امد بعيد ثم كتب الى صديقه سقرديون وكان وزيرا لملك الحبشة المسمى (سيف ارعد) يقول :

ظهر في مدينة افراح فتى عربي ابيض بخده شامة ، ولافراح ابنة بخدها شامة واسمها شامة ، واصر هذا الفتى على ان يتزوج منها وانت تعلم ان الفلك أخبرتنا ان في اجتماع هاتين الشامتين ضياعا لملك الحبشة، ثم اخبره كيف احتال للتفريق بينهما وقد ارسله للبحث عن كتاب النيل واحضاره والان قام ينذرنا سعدون الزنجي بالفناء وخراب الديار ان لم نحضر هذا الفتى ، وارى ان ترغب الملك (سيف ارعد) في الزواج من بنت الملك افراح وان يرسل جنوده لقتل سعدون الزنجي وعبيده ليحافظ على ملكه وبلاده .

ذهب الوزير سقرديون الى الملك سيف ارعد وروى له قصة افراح وابنته شامة وجعل يهيب في وصف جمالها ، ويخوفه من افراح وسعدون الزنجي وعبيده وصار يقرا عليه ما في كتب الفلك حتى استحوذ عليه واخضعه لرايه ، فقام الملك سيف ارعد في الحال واحضر اربعة عقود من الجواهر النفيسة ، واربع حلل من الحرير ، ومائة اوقية من الذهب ، وخمسة آلاف دينار ، وعشرين جارية حبشية ، والفا من الخيل والنوق والجمال ، وقال لوزيره : هذه كلها هديتي الى افراح مهرا لابنته وسارفع الخراج عن مدينته سبع سنين فما رايك ؟

قال الوزير : ما تركت لافراح عذرا وارى من الراي ان ترسل له هذه الهدية مع احد رجال مملكتك واكثرهم كفاءة وارجحهم عقلا . فأحضر الملك حاجبا من حجابه يسمى ناطح البغال وقال له :

اذهب بكتابي هذا الى افراح ، وخذ معك خمسين من الفرسان الاقوياء وخذ هذه الهدية التي تراها بين يديك وبلغه اني راغب في ان اتزوج ابنته شامة فان رضي اعطه الهدية واجر مراسيم الزواج بالنيابة عني ، وان ابى فقاتله حتى تهلكه وتهلك جنده وانصاره ، وعليك بسعدون الزنجي فاذبحه واذبح عبيده ، ولا تبق منهم واحدا ، ولا ترجع الينا الا بأحد الامرين اما زواجي بشامة واما فناء قومها واهلها .

فقال ناطح البغال : سأرجع اليك على ما تروم ، وسأزوجك من شامة رغم انف اهلها ولو افنيت في سبيل ذلك قومها ، واكون يا سيدي قد رجعت اليك بالامرين معا ، الزواج من شامة والفناء لاهلها .

فقال الملك : ذلك ما جعلني اختارك مع السلامة .

استقبل افراح قائد ملك الحبشة بالحفاوة الزائدة وانزله هو ومن معه في احسن مكان وبات ليلته معززا ومكرما ، ولما اصبح الصباح دخل القائد على افراح وناوله كتاب ملك الحبشة فامر افراح الحكيم سقرديس ان يقراه فوجد فيه :

من سيف ملك ارعد ملك الحبشة بأمر الى افراح اما بعد فاني اخترت لنفسي ان اتزوج ابنتك شامة ومهرها ان ارفع الخراج عن مدينتك سبع سنوات وقد وكلت قائدي ناطح البغال في تنفيذ الزواج .

فلما سمع افراح ما آل الكتاب قال للحكيم سقرديس : ماذا ترى فيما قرات ؟ فقال الحكيم : ما عليك يا مولاي الا ان تلبي رغبة الملك ، وتلك نعمة سيقت اليك . فقال افراح : وماذا نصنع اذا اتى وحش الفلا ؟

فقال الحكيم : سلامة عقلك يا مولاي يظهر انك نسيت ان وحش الفلا مات وفات وانتهت ايامه واصبح طعاما للوحوش .

وفي تلك اللحظة دخل عليهم سعدون الزنجي وعبيده من ورائه فهب الجميع وقوفا تكريما له ما عدا قائد ملك الحبشة فقد ظل جالسا غير مكترث به فقال سعدون لافراح : من هذا الكلب الذي استنكف عن الوقوف لي ؟

قال : انا قائد ملك الحبشة بعثني لاخطب اليه شامة بنت افراح فانصرف الى شأنك فما انت الا صعلوك لا دخل له بأعمال الملوك .

فقال سعدون غاضبا وهو يستل حسامه من غمده :

خسئت وخسيء ملكك يا ابن اللئام ، كيف يطمع ملك الحبشة في خطبة عروسة وحش الفلا ؟

فقام القائد وامتشق سيفه من غمده فأسرع سعدون وضربه بسيفه ضربة اطاحت براسه الى الارض فقال سقرديس لافراح :

بقي لك الان ان تستعد لملاقاة جيوش ملك الحبشة ومحاربته ، فقال افراح : وما فعلته لملك الحبشة حتى يرسل الي جنوده ويحاربني ؟

فقال سقرديس : اما يكفي ان قائده قتل في ديوانك وبين يديك ، فاذا سكت عن قاتله اعتبرك متواطئا مع القاتل ، ومن رايي ان تأمر جندك ان يقاتلوا سعدون الزنجي وعبيده حتى يقتلوهم او يأسروهم وحينئذ يبقى مقامك عند الملك رفيعا ، ولا ينسى لك هذا المعروف .

فانخدع افراح بقول الحكيم فأمر جنده ان يحاربوا سعدون الزنجي وعبيده ودام القتال اياما وسعدون يقتل من اعدائه بكثرة . وفي اليوم الاخير أحس ان كثرتهم كادت تغلب شجاعته ولكنه ما لبث ان رأى وحش الفلا بجواره فلم يره حتى قال : يا وحش الفلا هلم وساعدني الان وبعد ان تغمد السيوف في ظلام الليل أقص عليك ما جرى .

فجعل وحش الفلا يجزهم جزا ويقتلهم قتلا ، ولما جاء الليل وقف القتال ذهب جنود افراح وقالوا له : اجرنا من وحش الفلا فانه اذا استمر في قتالنا فانه لن يدع احدا في قيد الحياة .

فقال وهو في عجب ودهشة : وهل تعرفتم على وحش الفلا ورأيتموه؟ فقالوا : نعم ، انه هو نفسه ، ولقد جندل منا عددا كبيرا حتى كاد يفنينا عن بكرة ابينا ولولا دخول الظلام لما بقي منا احد .

عندها امر افراح جنده ان يكفوا عن القتال ثم انطلق الى وحش الفلا ولم يكد يراه حتى أقبل عليه يصافحه ويعانقه ، ثم ان وحش الفلا سأل افراح قائلا : ما ذنب سعدون وما جريمته فيكم حتى تجتمعوا عليه وتحاربوه ؟ فقص افراح قصته مع حاجب ملك الحبشة ، فقال وحش الفلا : وهل تراه اخطأ ؟ لم يكن سعدون بموقفه هذا الا صديقا وفيا ذا فضل ومروءة . ثم قص وحش الفلا على افراح من يوم خروجه لاحضار كتاب النيل الى يوم عودته وكان الحكيم سقرديس الماكر يتتبع حركات افراح وخطواته فلما سمع حديثه وحديث سيف اغتاظ وتألم وقال في نفسه :

خرج من المدينة وحشا ثم رجع اليها سيفا لا يطاق ، وذهب الى من بقي من جيش الملك (سيف أرعد) وقال لهم :

خذوا كتابي هذا وارجعوا الى ملككم واعطوه اليه وبلغوه ان افراح هو سبب هزيمتنا بعد ان اوشكنا على قتل سعدون وعبيده وحضور سيف بن ذي يزن غير معنا الحال وضيع رجاءنا في الظفر والسبب في ذلك افراح ومحبته لسيف بن ذي يزن .

فلما رجعوا الى ملكهم سألهم : ما حالكم ؟ وأين حاجبي ناطح البغال؟

فقالوا : قتله سعدون يا مولانا . وحكوا له ما اوصاهم به الحكيم سقرديس وناولوه الكتاب ، وفي اثناء ذلك دخل الحاجب يستأذن الملك لرجل مظلوم ببابه ويطلب المثول بين يديه فأذن له فدخل الرجل وقال للملك:

قتلت رجالنا ، وخربت ديارنا ، فادفع عنا هذا البلاء يا مولاي .

فقال الملك : من انتم ومن الذي ظلمكم ؟

قال الرجل : لما أهديت جاريتك قمرية الى الملك ذي يزن فرح بها واتخذها زوجة فحملت منه ، ولما قربت وفاته ، جمع وزراءه واعيان دولته من حوله وأوصاهم قائلا : هذه قمرية زوجتي وهي حاملة مني قد ملكتها عليكم بعد وفاتي ، فأطيعوها وكونوا عونا لها حتى تضع، فان وضعت غلاما صار ملككم وان وضعت انثى فملكوا زوجها عليكم . ولما مات ذو يزن اخلصنا لجاريته وامتثلنا لامرها ، ولما جاءها المخاض وضعت غلاما ذكرا اسمته سيفا وقالت :

هذا الغلام سوف يكون ملكا عليكم ، ففرحنا ورجونا له السلامة والعافية حتى يبلغ رشده ، وبعد ذلك اخفته عنا وكلما طلبنا منها ان نراه تعللت بأنها تخاف عليه من الحسد ، وكنا نصدقها ، ولكنها كانت تجتهد في ان تجعل لها جيشا ولم نعرف ما هي غايتها من ذلك . هذا وقد ارهقتنا بظلمها وقسوتها فنرجو منك ان تساعدنا لنعرف هل سيف بن ذي يزن حي لم يمت لنجعله ملكا علينا ونخلص من يدها ، وان كان قد مات عرفنا مصيرنا واسترحنا .

فالتفت الملك الى الحكيم سقرديون وقال : لقد مر على وفاة الملك ذي

يزن عشرون عاما ومن حين تولت قمرية من بعده الى الان لم ترسل لنا اخراج البلاد . فنحن نطالبها الان بأداء الخراج منذ توليها الحكم وان لم ترسل ما عليها كان لنا معها شأن ، وسأرسل لها جنودا يرغمونها على الطاعة وكان الوزير بحر حاضرا فقال :

مولاي ان قمرية هذه ملكة اليمن منذ مدة طويلة واصبح لها جنود اعوان قد لا تستطيع جنودنا ان تتغلب عليها وتقهرها ، وحينئذ تنقص منزلتك عند الملوك . ولا تنسى انك ارسلت مناطح البغال في خمسين فارسا من الفرسان الشجعان الى سعدون فغلبهم باتحاده مع افراح ، وما دامت قمرية قد تمردت عليك هذه المدة الطويلة فاني ارى ان توغر صدر سعدون وافراح على الملكة قمرية ثم تأمرهما ان يذهبا لقتالها ، ثم لا تظهر غضبك على قمرية بل ارسل اليها ايضا ان تستعد لمحاربة افراح وسعدون فمن هلك من الفريقين استرحنا منه وتكون بسبب الحرب قد ضعفت قوة الفريق الاخر .

فقال الملك : ان افراح وسعدون عندهما سيف بن ذي يزن وقد اخبرنا الكهنة من عاقبة زواجه من شامة بنت افراح بسبب الشامة التي على خديهما . فقال الوزير : ذلك رجم بالغيب لا اساس له من الصحة ، ولست ارى انه ينبغي ان نعتمد عليه في تدبير شؤوننا وبتصريف أمورنا. ولهذا ارى الخير ان تعفو عنه وتصالحه لنكون يدا واحدة مع افراح وسعدون في محاربة قمرية. فاستحسن الملك هذا الراي وكتب الى افراح يقول :

لقد طلبت منك ابنتك شامة لتكون زوجة لي فما رضيت وقتلت حاجبي وكثيرا من جنودي فكان ذلك منك خطأ كبيرا ولكن لم يؤثر على منزلتك عندي ومحبتي لك ، ولهذا فقد صفحت عنك ولا زلت أعتبرك الصديق الامين والحاكم المعين ، ولا يخفى علمك ان قمرية ملكة اليمن مستعلية علينا وتأبى ان تدفع لنا الخراج ، والذي أريده منك ان تذهب بجنودك ومعك سعدون وسيف اليها وتحاربها وتملك بلادها . ثم ختم الكتاب وبعثه مع حاجب من حجابه ومعه هدية نفيسة .

فلما وصل الكتاب مع الهدية الى الملك افراح قبلها واكرم الرسول وقال له : بلغ سلامي وشكري واني سأقوم بما امرني به ، ثم اجتمع افراح وسعدون وسيف وتداولا في الامر وقد ابدى افراح رغبته في تنفيذ ما امره به الملك (سيف ارعد) .

فقال سعدون وسيف : ونحن معك في كل شيء تريده وتختاره . فقال افراح : ارى ان نزور الملك سيف ارعد اولا ونقف منه على ما يريده منا ولعله يمدنا بجنود من عنده .

فقالا صاحباه : لا مانع لدينا من ذلك ، فاختر ما تشاء فنحن لا نتركك ابدا ، هكذا ، وقد استعد افراح وسعدون وسيف للذهاب الى سيف ارعد

ملك الحبشة ، واعد افراح ما استطاع من الهدايا الفاخرة ثم خرجـــوا بحاشية كبيرة ووجهتهم بلاد الحبشة .

ولما وصلوا خف الملك لاستقبالهم استقبالا كريما وفرح بزيارتهم فرحا عظيما وبعد ان استراحوا جلسوا يتبادلون الراي فحثهم الملك على ان يجهدوا في هزيمة قمرية واحتلال بلادها ، وامدهم بألوف من جنده ، ثم ودعهم محتفيا بهم وهو يزكي في قلوبهم نار الحرب والقتال وعاد افراح ومن معه الى بلاده حيث شرعوا يعدون للحرب عدتها ويجهزون الجيوش ثم ساروا في جنودهم قاصدين حمراء اليمن وعند اقترابهم منها نزلوا في بلدة تدعى (الحمراء) كانت تقيم فيها قمرية وهي محصنة بالأسوار العالية فعسكروا هناك ، ثم كتب كتابا الى الملكة قمرية قال لها فيه : ابعث اليك كتابي هذا لابلغك ان ملك الحبشة قد اشتد منه الغضب لامتناعك عن دفع الخراج واظلمك وجورك في حكم البلاد ولك الان ان تختاري احد امرين : امـــا الطاعة ودفع الخراج والبدل بين الناس واما الحرب والقتال .

ولما وصل الكتاب الى قمرية وقراته اصفر لونها وارتعدت فرائصهـــا ولكنها تمالكت نفسها والتفتت الى الرسول وقالت له : بلغ من ارسلك انني لا ارهب تهديده ولا اخشى قتله ، فلما عرف سيف جوابها قال لصاحبيه: لنقيم هنا اليوم ولنستريح الليلة وغدا يفعل الله ما يشاء .

وفي اول الليل اتى رجل عظيم واستاذن بالدخول على سيف ، فقال: بلغه ان يجيء غدا في النهار ، فذهب الحاجب وعاد مسرعا وقال : ان الملكة قمرية تريد مقابلتك ، فأذن لها ، وبعد ان سلمت جلست وقالت لسيف : بلغني انك فارس شجاع ولا نظير لك بين الفرسان ، ولقد جئت لمحاربتي وارى ان نحقن دماء الرجال وتصارعني والغالب منا يكون لـــه الحكم على صاحبه .

فقال سيف : رضيت بذلك ، وان كنت لا احب ان اصارع امراة ، فقالت : ان البطولة لا دخل لها في ان يكون الشجاع رجلا او امراة ، وما دمت بطلا شجاعا فلن يضيرك ان تصارع امراة فقلب البطل لا يخدع ، وفي اثناء مجادلتها معه لمحت في عنقه عقدا من الجوهر فارتمت بين يديه قائلة: انت ولدي وفلذة كبدي ، وهذا عقدي الذي وضعته في عنقك وقت ان رميتك في الخلاء وانت طفل صغير .

فبهت سيف من كلامها وسألها . ومتى كان ذلك ، فقصت عليه قصة القائه في الخلاء وقالت : انه كانت تعتريني في الاحيان نوبة من الجنون وقد فعلت اثناء هذه النوبة ، فقال : لا اعتقد انك صادقة في زعمك ، وعلى كل حال اذا كان عندك شهود تعزز قولك هذا فاني احب . ففرحت وقالت: نعم لدي شهود كثيرة فصبرا الى الصباح ساعود اليك ومعي الشهود ، ثم انطلقت قمرية الى المدينة وباتت الى الصباح .

وفي الصباح رجعت الى سيف ومعها اربعة فرسان كانوا حجاب الملك

ذي يزن ابيه ، وكانت قبل ان تذهب بهم جمعتهم اليها وقالت : انتم تعلمون اني رزقت من زوجي الملك ذي يزن بغلام اسميته سيف ، وكان اختطف مني وهو طفل وقد اخفيت ذلك عنكم ، وقد ظهر الآن وهو قائد هـؤلاء الجنود النازلين امام المدينة ، وقد عرفته بنفسي واخبرته انني امه ولكنه لم يصدقني وطلب مني ان احضر له شهودا واريد ان اترك له ملك ابيه فهل اذا رايتموه تعرفونه ؟.

فقالوا لها : نعم نعرفه كل المعرفة بالخال الذي في خده .

فقالت حسنا واني ذاهبة بكم الان لتشهدوا بأني امه وانه هو ابنـي وابوه ذو يزن .

ولما وقف الشهود امام سيف ادوا الشهادة على وجهها ، وطلبوا اليه ان يدخل المدينة بجنوده ويتولى ملك ابيه ، فلما عرف سيف انها امه جعل يحدثهم بما جرى له حتى كان امام تلك المدينة .

فقالت قمرية : لم يهنأ لي طعام ولا شراب منذ فارقتني ، ولو علمت انك حي لما سكت عن طلبك ولو قتلت في سبيلك واني لن افارقك بعد الان فقم يا ولدي اجلس على عرش ابيك .

فأرجأ سيف دخوله المدينة الى الغد وامرها ان تذهب الى المدينة وان تكون في انتظاره غدا .

رجعت قمرية وشهودها في الليل الى المدينة واخذتهم معها الـى ديوانها فقتلتهم واخفت جثثهم عن اهل المدينة واضمرت في نفسها ان تقتل ولدها سيف حتى لا يضيع ملكها من يدها وكان عندها مـن جنود العرب والسودان عدد عظيم فماذا فعلت بعد ان قتلت الشهود ؟ رجعت الى ابنها سيف في تلك الليلة بعد ان تخلصت من الشهود .

فسألها عما حملها على العودة في هذه السرعة ؟ قالت : لم اطلق صبرا عنك ولم تذق عيني النوم وانت بعيد عني فرجعت لاقضي الليلة بجوارك. واخذت تحدثه عن ابيه وعرفته انه ترك لها اموالا كثيرة فسألها : وايـن تلك الاموال ؟ قالت : ان والدك ترك لك خمسين صندوقا من الذهب ودفنها في مكان أعرفه وبعد ان دفنتها صنعت للرجال الذين كانوا معي طعاما مسموما فأكلوه وماتوا لساعتهم ، ثم رجعت الى بيتي وذلك ليبقى المال محفوظا لا يعرفه احد الى ان تبلغ سن الرشد وتأخذه .

فقالت : خشيت حوادث الزمن وضياع المال ، وربما اغار على ملك الحبشة وطردني واخذ المال ، فلم اجد للمحافظة عليه الا تلك الوسيلـة وأرجو من الله ان يغفر لي تلك الخطيئة ، وقد اصبح المال مالك وانني مستعدة ان ادلك على مكانه في اي وقت اردت .

فقال سيف : احب الان ان نذهب وتدليني عليَّ مكانه .

فقالت لا بأس في ذلك ، ثم تقلد كل منهما عدة القتال وركبا الجياد وخرجا سرا في تلك الليلة وسارا في الصحراء وجعلت تحدثه عن تاريـخ

حياتها وحياة ابيه وتلهيه عن طول الطريق بالقصص مدة ثلاثة ايام وبعدها وصلا الى شجرة كبيرة بجانبها عين ماء فقالت :

«هنا مكان المال» . وكان وصولهما بعد غروب الشمس فنزلا وشربا من الماء وطلبت اليه ان يبيتا الى الصباح ليستريحا من متاعب السفر فوافقها سيف على ذلك وتوسد جذع الشجرة واستغرق في نومه ، عندها قامت قمرية واستلت سيفها وضربته ثلاث ضربات افقدته كل قدرته على الحركة ، ومن فضل الله ان هذه الضربات لم تكن مميتة وان عاقته عن الحركة والنطق فأيقنت قمرية انه مات وهلك فركبت جوادها ورجعت الى مدينتها مسرعة وهي مطمئنة لموته . ولبث سيف مغشيا عليه طيلـــة النهار ولما جن الليل افاق وانتبه فوجد نفسه ملطخا بالدماء ولم ير امه وفرسها بجواره فداخله الشك في امرها فرفع يديه الى السماء وقال : يا رب العالمين انت المعين ولا معين سواك فاجعل لي من هذا البلاء وسخر لي من يبرئني من جرحي انك على ما تشاء قدير .

ولما فرغ من دعائه رأى طائرين مقبلين فحط كل منهما على غصن من اغصان الشجرة التي هو تحتها .

فنظر بعضهما الى بعض وقالا معا : (لا اله الا الله وحده لا شريك له لا اله الا الله يحيي ويميت ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير) .

فنظر سيف الى هذين الطائرين وعجب من قدرتهما على الكلام ، ثم قال احد الطائرين لصاحبه :

ارايت يا اخي ما فعلته قمرية في ابنها سيف بن ذي يزن ؟

فأجابه الطائر الاخر : لا تعترض يا عبد السلام فذلك تقدير العزيــز العلام واعلم ان هذه الام القاسية ستفعل سبع حوادث نفذت منها حادثتين، فالحادثة الاولى انها القته في الخلاء وهو طفل رضيع واما الثانية فانهــا خدعته ومكرت به حتى ساقته الى هذه الشجرة وضربته بسيفها ورجعت الى مدينتها ، ولكن الله سيحفظه منها ويكلأه بعين عنايته ولطفه .

فقال عبد السلام : صدقت يا جياد ، فلا خوف على الانسان ما دام مشمولا بعناية الله ، ولكن أليس السيف من دواء يشفيه ؟

فقال عبد السلام : يا اخي ان اوراق هذه الشجرة اذا مضغهـــا الانسان وكون منها عجينة ووضع تلك العجينة على الجرح فانه يبرأ فــي الحال باذن الله ثم طارا الى سبيلهما .

وكانا هذان الطائران العابدين عبد السلام وجياد اللذين دفنهما سيف في مكان عبادتهما .

فتجدد الامل في صدر سيف ولكن ابوابه لا تزال مغلقة امامه لانه لا يستطيع ان ينهض من مكانه ولا يقدر ان يحصل على ورقة واحدة مــن اوراق تلك الشجرة ، وكأنما اراد الله تعالى جلت قدرته ان يجعل لــه الشفاء فأرسل اليه رياح شديدة هزت اركان الشجرة فتساقطت اوراق

فوقه وجعل يلتقطها من الارض ويلتقمها في فمه ثم يخرجها منه وقد اصبحت اشبه بالعجينة فيضعها على جروحه فبرأ منها ، ورجعت اليه سلامته وسجد لله شكرا وحمدا ثم قام وركب جواده وانطلق به على غير هدى يأكل هو وحصانه من نبات الارض ويشرب من مائها حتى رأى امامه جبلين احدهما ابيض عن يمينه والاخر احمر عن يساره فلما قرب منهما وجد بينهما بحرا عميقا تتلاطم امواجه فصعد على الجبل الاحمر حيث كان على الشاطىء الذي يسير فيه واستمر صاعدا الى ان بلغ قمة الجبل فأرسل نظره هنا وهناك فرأى حصّنا في وسطه عمود من الرخام يبلغ ارتفاعه عشرون ذراعا وعليه كتابة وطلاسم ورأى على الجبل الابيض قصرا عاليا يناطح السحاب فتقدم سيف حتى وقف امام باب الحصن فنادى يا اهل هذا المكان ، يا اهل هذا الحي ، فسمع من داخل الحصن صوتا يحييه : اهلا وسهلا بسيف بن ذي يزن ، اهلا بمن آنس الديار .

ثم انفتح الباب عن رجل طويل القامة تبدو على وجهه امارات الصلاح والعبادة فحياه وصافحه فرد سيف التحية بأحسن منها وقال : كيف عرفتني قبل ان تراني ؟ فقال الرجل : اني محبوس في هذا المكان من اجلك ، ومكلف بانتظارك ، وقد لبثت احدى وعشرين سنة انتظر قدومك لاقضي حاجتك وأبلغك مأربك ، فهلم معي لتستريح من الصعود على الجبل ومتاعبه ودخل به الى مجلس فسيح به ارائك من بلور فلما جلسا صفق الرجل فاذا الكراسي توضع حول خوان من خشب يلمع ، واواني الطعام تصف من فوقه ، دون ان يرى سيف احدا يقوم بهذه الاعمال ، ثم دعاه ان يأكل . فقال : آسف شغلني عن الطعام امر هام ، واني سأبلغك عنه . قال : من صف هذه الكراسي واعد هذه المائدة ؟ ولماذا انتظرتني في هذا المكان تلك المدة الطويلة وما اسمك ؟ فأجاب : اما اسمي فهو أخميم الحكيم ، وانتظرك من قبلي حكيم اخر وذلك لان سام بن نوح عليه السلام وصى لك بذخائر كانت له ووضعها في هذا المكان وجعل آبائي حرسا عليها فهم يتوارثون الوصية جيلا بعد جيل حتى تأتي الى هذا المكان وتأخذ ذخائرك .

فقال سيف : وما هذه الذخائر ؟

قال اخميم : ما رأيتها وما رآها احد ولا يقدر احد ان يمد يده اليها ، وغدا ان شاء الله بعد ان تأكل وتستريح يفعل الله ما يشاء . وباتوا تلك الليلة في صلاة وعبادة ، ولما اصبحوا قال اخميم لسيف :

هنالك علامات ذكرها ابوك سام في وصيته لنعرفك بها فهلم معي لنتحقق منها حتى نقطع الشك باليقين ، فلما بلغ العمود الذي في الحصن قال له اخميم ان اول علامة تعرفنا اليك يا سيف هي ان تصعد هذا العامود ، فقال سيف : ذلك امر يسير علي فاني لم اجد صعوبة في صعوده ، لاني ارى له درجات ارتقي عليها ، وحلقات اتمسك بها .

قال اخميم : صدقت يا سيف فهذه العلامة في الدلالة عليك ، فان غيرك لا يستطيع ان يرى في العمود درجات وحلقات ، ولن يستطيع صعوده ، فهلم واصعد انت العامود والله آخذ بيدك ومعينك . فقفز سيف الى العامود وما هي الا لحظات حتى كان قد بلغ نهايته فقال اخميم :
والان قل ماذا ترى في قمة العامود ؟
فقال سيف : انني اشاهد اثرا لقدمين متجاورين ، فقال اخميم : ضع قدميك في هذين الاثرين وانظر الى الجبل الابيض في البر الثاني واذكر لي ما ترى . ففعل سيف ذلك ونظر ثم قال : انني ارى يا اخميم على الجبل الابيض عمودا مطلسما وعليه اثر لقدمين يشبه هذا العامود كل الشبه .
فقفز اخميم الى جانب سيف ونظر اليه وابتسم وقال : لقد صدقت فهذه العلامة الثانية فانت سيف بن ذي يزن صاحب الذخائر المودعة اليك فانزل الان وغدا نرى ما يكون ان شاء الله .
وفي صباح الغد اخذه الى العامود وقال له : اصعد يا سيف اصعد هذا العمود كما صعدته بالامس وقف منتصبا ثم اقفز قفزة قوية الى العمود الثاني تجد نفسك منتصبا فوقه .
فقال سيف وقد اتسعت حدقتاه وبانت الدهشة على اسارير وجهه : ولكن يا اخميم كيف يستطيع الانسان ان يقفز من جبل الى جبل ، وبينهما بحر عريض واسع .
فقال اخميم : ان قدرة الله لا يعجزها شيء في السموات ولا في الارض وقد حدثتنا الارصاد بأن ذلك يسير عليك فلا تحزن ولا تخف ، فقال سيف: سلمت امري الى الله . ثم قفز فاذا به فوق العمود الثاني في الجبل الابيض ، والتفت فوجد اخميم بجانبه فهنأه وقال له : انزل وافعل ما آمرك به .
فلما نزلا قال اخميم : والان اذهب الى هذا القصر الذي امامك واطرق بابه ، فاذا سمعت قائلا يقول : من بالباب ؟ فأجبه انا سيف بن ذي يزن، فاذا انفتح الباب فادخل وامش بقدم ثابتة ولا تخف ، فانك تجد عن يمينك سريرا تدلت عليه ستائره فقف امامه وارفع هذه الستائر وقل :
ايها الرجل الكريم ، انا سيف بن ذيّ يزن الذي وهبت ذخائرك لي ووصيت بها حراسا يتولون حفظها وحمايتها الى ان ابلغ الرشد وآخذها ، وقد اتيتك شاكرا مترحما ، داعيا لك ان يجزيك ربي خير الجزاء ، فان سمع قولك هذا يرفع يديه عن صدره ويبسطها بجانبه وحينئذ ترى على صدره لوحا من الذهب مربوطا في سلسلة من فضة معلقة في عنقه ، فامدد يدك بلطف وادب وانزع السلسلة من عنقه واحمل اللوح وقل له : جعل الله جزاءك الجنة ثم ارجع باللوح ولا تفعل شيئا غير ذلك .
فاطاع سيف ما امره به اخميم وأخذ اللوح ورجع به اليه ، فقال اخميم : ضع اللوح امامي ثم عد ثانية الى المكان الذي فيه السرير تجد

هناك سيفا في قرابـــة معلقا فقل : باذنك وامرك آخذ السيف يا جداه .
ثم امدد يدك وخذ السيف وتقلد به في الحال ولا تفعل شيئا غير ذلك.

وبعد ان استأذن واخذ السيف تقلده ثم حدثته نفسه : كيف تخرج من هذا القصر دون ان ترى وجه هذا الراحل الكريم ، ومال الى السرير فكشف الغطاء عن وجهه فأحس في نفسه هيبة ورعبا وسمع صوتا يقول :

اولاك احسانه ووهبك ذخائره ثم تكشف الغطاء عن وجهه ناسيا فضله عليك ، وسمع ضجة وجلبة وصراخا امتلأت بها ارجاء القصر وخيل اليه ان الارض زلزلت ففشي عليه من الرعب ولولا انه متقلد بالسيف لاهلكه خدم القصر وحراسه .

ثم افاق من غشيته فوجد نفسه ملقى على الارض خارج القصر واخميم جالس عند راسه فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له اين انا يـــا صاحبي ؟ فقال اخميم : لقد عصيت امري فكشفت الغطاء عن وجه الميت ولم تحفظ فيه معروفا ولا حرمة ، فكنت جديرا بما جرى لك ، وانــي تاركك في مكانك هذا ومالك علي من سبيل ، ثم صفق اخميم فظهر امامه زير من نحاس فركبه وطار به في الجو وخلف سيف وحيدا حزينا فبات ليلته والهموم والاحزان تملأ جوانب نفسه ، ولم يغفل عن ذكر الله مدة يقظته وفي الصباح وجد بالقرب منه اناء فيه عسل مصفى وقرصان من الخبز وقلة ماء ، فأكل وشرب وسلم امره الى الله . واستمر ثلاثة ايام وكلما نام واستيقظ وجد بالقرب منه العسل والخبز والماء .

وفي اليوم الرابع حدثته نفسه ان يصعد فوق العمود ويقذف بنفسه الى العمود الاول فاما ان ينجو واما ان يقع في البحر الذي بين الجبلين فيغرق واما ان يقع على الارض فيموت .

صعد سيف على العمود ووثب منه وثبه قوية فاذا به يقع في البحر تتقاذفه امواجه وهو عاجز مغلوب على امره لا يعرف سبيلا الى نجاته فالتجأ الى الله قائلا : اللهم ان كنت كتبت علي ان اموت في هذا البحر فعجل لي المنية وان كنت قدرت لي النجاة فيسرها وهيء لي فرجا ومخرجا انك فعال لما تريد ، ثم دفعه تيار الماء حتى بلغ به فجوة عميقة يتدفق فيها ماء البحر بقوة ، فدخل فيها قهرا وسار به التيار في تلك الفجوة يوما كاملا ثم رماه التيار بين الصخور والحجارة وحوله واد فسيح تحف به اشجار كثيرة وكان قد احس بالجوع فذهب الى شجرة مشمش واكل من ثمرها حتى شبع ، ثم سار في ذلك الوادي حتى انتهى الى امام باب المدينة فسمع قائلا يقول:

افتحوا لهالباب وامسكوه فانه عدونا ، وقد حملته المياه الى مدينتنا فخاف ورجع مسرعا الى ذلك الوادي الذي به الشجر الكثير وطلع فوق شجرة واختفى بين اغصانها واوراقها ، ثم انفتح باب المدينة وخرج منها فرسان على جيادهم يبلغون الاربعمائة وانتشروا يبحثون عن سيف في ذلك الوادي بين الاشجار فما وجدوا له اثرا ، فقال رئيسهم : لن نترك هـذا

الوادي حتى نعثر عليه ونمسكه . وعسكروا بالقرب من الشجرة التي كان سيف مختبئا بين اغصانها وهم لا ينفكون باحثين عنه في جنبات الوادي وبين اشجاره وباتوا ليلتهم وبات سيف على شجرة وهم لا يعثرون عليه .

وفي اليوم الثاني دفعه الجوع الى ان يظهر نفسه لهم فنادى قائلا : يا اهل هذا الوادي اني رجل غريب فارق اهله ودياره وساقه القدر الى ارضكم واشتد به الجوع فهل لكم ان تطعموني ولكم الاجر عند الله .

فأسرع الفرسان اليه وطلبوا منه ان ينزل اليهم ، فقال سيف : اني نازل اليكم لتصنعوا بي ما تشاؤون وافوض امري الى الله ، ثم نزل من الشجرة وآلام الجوع تبدو على وجهه ، فسارعوا به الى رئيسهم وقالوا : هذا عدونا الذي تعبنا في البحث عنه تعبا شديدا .

فنظر اليه الرئيس وقال : من انت ؟ ولماذا جئت هذه الارض ؟

فقال سيف : انا رجل غريب يا سيدي ، وكدت اهلك من الجوع فأطعمني اولا وبعد ذلك سلني عما تريد . فأمر ان يجلس ويؤتى له بالطعام ولما اكل وشبع قال له الرئيس : انك اكلت وشبعت واخبرني من انت ؟ وما حالتك التي انت فيها ؟ ولماذا جئت الى هذا المكان ؟

فقال سيف : اني رجل تاجر اجوب البلاد واركب البحار ، وانتقل ببضاعتي في المدن والاقطار ، وفي هذا العام نزلت ببضاعتي في مركب مع زملائي من التجار وجرت بنا المركب في البحر سبعة عشر يوما ثم اشتدت الرياح واضطرب البحر مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع سكنت الرياح فوجدنا انفسنا قد ضللنا طريقنا في البحر ورأينا المركب تسير بسرعة عظيمة نحو جبل فارتطمت به وتمزقت تمزيقا ، وغرقت الواح المركب في البحر وقد امسكت بلوح من الواحه وجعل تيار البحر يتقاذفني حتى انتهى بي الى جزيرة ذات اشجار عالية فخرجت اليها وجعلت آكل من ثمارها ولما امسى المساء خشيت ان يأكلني وحش فصعدت على شجرة واختبأت بين اوراقها ، وكانت تلك الشجرة ضخمة عالية ، وما كدت آخذ مكاني على غصن منها حتى رأيت طائرا في ضخامة الجمل قد حط على تلك الشجرة ووضع رأسه تحت جناحه ونام فقلت في نفسي : لعل هذا الطائر ارسله ربي لاتعلق برجليه ويطير بي الى ارض عامرة بالناس ، فلبثت اترقب يقظته من نومه ، فلما استيقظ في الصباح وتهيأ للطيران امسكت رجليه واسلمت امري الى الله فطار بي وما زال يطير مدة طويلة حتى كلت يداي عن حملي فوقعت في ذلك البحر وجعلت اكافح امواجه حتى طلعت الى هذا الوادي ولما جاء الليل اختبأت بين اغصان شجرة من اشجاره حتى اشتد بي الجوع وناديتكم وصرت بين ايديكم فافعلوا بي ما تشاؤون . فقال له الرئيس : يا هذا تلك قصة طويلة لا يعقلها عالم او جاهل فقل الصدق فلربما كان فيه نجاتك ، فبان لسيف من صوت الرئيس انه انثى فقال : اوتريد مني بينة؟ ومن اين لي الان بها ؟ وقد سمعت ما قلته لك فاما كنت صادقا في رأيك

واما كنت من الكاذبين .

فقال الرئيس : لا تحاول ان تموه الحقيقة علي وانا اعرف يقينا انك الرجل الذي كلفنا بالقبض عليه واحضاره بين يدي ابي فهلم معي اليه ليحكم في امرك . ثم صاح في فرسانه : لينطلق احدكم الي ويأتيني به سريعا الى خيمتي ، فذهب احد الفرسان الى ابيها وقال له : ان ابنتك امسكت غريمها وهو معها في خيمتها وتريد ان تحضر اليها سريعا لتنظر في امرها؟ فلما حضر ابوها ورای سيفا معها اغرق في الضحك ثم قال له : الحمد لله الذي صرف عنك الهم والحزن الست سيف بن ذي يزن ؟

فقال سيف : ومن انت ايها الرجل الكريم ؟ فقال : انا اخميم الكاهن الذي خالفته وعصيت امره فأصابك من الاهوال ما اصابك ، فاطمأن سيف وقال : أيرضيك ما فعلته بي ؟ أيرضيك ان تتركني في شدتي ؟ أيرضيك ان تهرب مني في محنتي ؟ اين اللوح الذي اخذته مني ؟ فقال اخميم : انسيت انك عصيتني لقد كنت مكلفا بمصاحبتك ما دمت تطيعني ، فأنت الذي حرمتني من صحبتك بعصيانك ولقد تركتك وانا مطمئن الى نجاتك بعد مشقة وتعب ولو بقيت معك بعد عصيانك لكنت من الهالكين ، ولقد رجعت الى بيتي وعرفت من علوم الفلك انك ستحضر الى مدينتي ولهذا كلفت ابنتي هذه ومعها فرسانها ان يرقبوا حضورك ، فلما قدمت الى المدينة بحثوا عنك حتى وقعت في ايديهم وجمعوني بك، واما اللوح فهو معزوجتك.

فقال سيف : اني لم اتزوج الى الان ، فكيف يكون لي زوجة في هذه المدينة او غيرها ؟ فقال أخميم : زوجتك ابنتي (حمراء) هذه ـ وأشار الى الرئيس ـ ثم قال : اريد اللوح التي معك يا بنتي ، واكشفي اللثام عن وجهك حتى يراك على حقيقتك ، ففعلت ما أمرها ابوها فبانت فتاة جميلة ساحرة الالحاظ . ثم قال أخميم : وسأريك فائدة هذا اللوح . وأخذه من ابنته وفركه بيده فظهر في الحال خادمه وقال : لبيك ايها الكائن ، انا (عيروض) ابن الملك الاحمر خادم هذا اللوح وهذا سيف بن ذي يزن سيتزوج ابنتكحمراء وها انا قد حضرت بين يديك فماذا تريد ان افعله ؟

فقال أخميم : لا اريد الان منك شيئا فانصرف . فتناولت حمراء اللوحمن ابيها وعلقته على صدرها ، وكان الحب قد نفذ الى قلبها ولكنها كانت تخفيه ولا تظهره ، ومرة فركت اللوح وسألت الخادم عن شأن سيف وزواجه منها فقال : انه سيتزوج من شامة بنت افراح وطامة بنت الحكيمة عاقلة ، فلما سمعت من عيروض هذا الكلام غضبت ورغبت في قتله وأشارت الى عيروض بذلك فقال لها : ذلك ما لا تستطيعين ان تفعليه ، فان اخته من الرضاع بنت الملك الابيض موكلة بالمحافظة عليه ، ولن استطيع ان اصيبه بشر او اذى ، فعمدت الى استعمال طائفة اخرى من الجن لقتله لانها لا تحب ان تكون زوجة ولها ضرائر ، وكان ابوها علم بذلك فكلف خادما من الجن ليقوم بحماية سيف من كل شر ، وان يقتل كل من

يريد ان يصيبه بمكروه .

وبينما سيف جالس كلفت حمراء خادما من الجن ان يقتله ، فجاء من ورائه ورفع سيفه واراد ان يضربه فاذا هذا الخادم قد قتل فكلفت خادما اخر فقتل ايضا ، وهكذا كلما جاء خادم ليقتله قتل ذلك الخادم ، حتى بلغ عدد القتلى سبعة ، فيئست حمراء منه وايقنت انه محفوظ ولا سبيل الى قتله ، ولما جاء الليل الى حجرتها ونامت وهي في غم عظيم ولما انفرد سيف بنفسه قال : كيف اتجشم الصعاب لاحصل على اللوح ثم تأخذه حمراء مني ؟ ذلك ما لا يكون ، ولا بد من اخذه بأية وسيلة مهما تكن العاقبة ، ثم قام ودخل حجرة (حمراء) فوجدها تغط في نوم عميق فتقدم منها بحذر وكشف الغطاء عن صدرها وفك رباط السلسلة الذهبية التي تحل اللوح وغطى صدرها ثانية وانصرف الى حجرته ووضع السلسلة في عنقه وربط اللوح تحت ابطه وجلس لا تغمض له عين لشدة فرحه باللوح وفي الصباح دخل اخميم على ابنته حمراء في حجرتها فقامت وقبلت يديه ثم قالت له:

لقد اخبرتني اني سأتزوج من سيف وقد علمت انه له زوجات غيري وذلك يحط من قدري عنده ، وكيف ارضى ان اكون كالخادمة في بيته ؟ فقال لها : سيكون هذا الرجل ملكا له شأنه ، وستخضع له وجوه الملوك، وانا اول من سيكون خادما له ، وستعلو منزلتك بالانتساب اليه ، فاحذري ان تغضبيه . فقالت لابيها : ارح نفسك فلن ارتضيه لي بعلا .

استأذن سيف حينئذ ودخل على اخميم وابنته وكان قد سمع حديثهما فحياها وقال : اتعبت نفسك مع ابنة تريد ان تجري الامور على رغبتها وهواها ، الا فلتعلم ابنتك حمراء بأنني لن اتزوج من انثى قبل شامة بنت افراح ، واذا كان القدر قد كتب علي ان تكون حمراء زوجة لي فسأتزوجها رضيت ام ابت فلا مهرب من القضاء ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وفي اثناء ذلك مدت حمراء الى رقبتها فلم تجد السلسلة فبحثت في صدرها فلم تجد اللوح فقالت لابيها : فقدت اللوح وضاع مني . فنظر ابوها الى سيف نظرة فهم معناها فقال : انا ذهبت الى حمراء في حجرتها واخذت اللوح منها وهي نائمة وهو معي ولن افرط فيه قبل ان افرط بروحي وحياتي .

فالتفت اخميم الى ابنته وقال : «حق رجع الى اهله» . فما رايك يا حمراء في زواجك منه؟ فقالت : اذا اجتمع الليل والنهار في وقت واحد اجتمعت حمراء وسيف في بيت واحد ، فليطلب من يشاء من البنات وليدعني اختار من اشاء ممن يعرف منزلتي . فقال اخميم : وما رايك يا سيف في الزواج من انثى قبل شامة . فغاظها كلام سيف فقالت : وانت لن تبرح مدينتنا حتى اتزوج منك ابطالا لرايك ونكاية في شامة التي آثرتها على اجمل البنات واعلاهن قدرا .

فقال سيف : ذلك حلم تهدئين به اعصابك ، ولن يكون الا ما اردت

وارخي لنفسك اعنة الخيال ، فلعله يجعل نار الغيرة في صدرك بردا وسلاما فقالت : غدا تجد هذا الخيال حقيقة ولن يذوق مرارتها الا سيف . الى هنا انقطع الحديث وذهب سيف الى حجرة نومه وجلس لا يطرق جفنه نعاس لخوفه من حمراء ان تبغته في نومه وتقتله ، وكان ما قدره سيف وظنه ، فان حمراء اصرت على ان تذهب اليه وهو نائم لتقتله ، ولهذا لم يزر جفنها النوم ايضا ، ولما احس بأن حمراء مقبلة الى حجرته فرك اللوح فجاءه عيروض خادمة فدخلت حمراء عليه والخنجر في يدها فوجدت خادم اللوح معه فانتظرت لترى ما يأمره سيف به. فقال سيف للخادم : احملني فورا الى مدينة الملك افراح لاطمئن على صديقي سعدون فقد تركته فيها ، فحمله عيروض وطار به ، وتركحمراء في حجرته ساهمة واجمة ، فعادت الى ابيها وقالت له : لقد ذهبت الى سيففي حجرته لاقتله فخاف مني وامر عيروضا ان يطير به الى مدينة الملك افراح فخطفه من قدامي وطار به في سرعة البرق .

فقال لها ابوها : اهدئي واطمئني فلا بد ان يجمع الله شملكما . فقالت: ليست لي به حاجة ، ولا اريده لي زوجا ، ولست ابغي الا الحصول على الذخائر . فقال ابوها : ستكون هذه الذخائر ملك يمينك وسيكون لك في بيته كل تقدير واحترام . ثم انصرف كل منهما الى شأنه .

ولما عرف سيف من عيروض انه قريب من مدينةافراح قال له : انزلني على جبل بجوارها ثم اذهب وائتني بأخبارها . فأنزل عيروض سيف في مكان حصين وذهب اليها وجاءها فقال :

ان المدينة تموج بأهلها فرحا وسرورا ، لان شامة بنت افراح ستزف الليلة الى (سيف ارعد) ملك الحبشة وسيدخل عليها بعد ان تنتهي حفلة الزفاف ، فظهر الالم على وجه سيف وقال له : احملني الى خيمة العروس ولاحظني عن قرب فان رأيتني في خطر فاحملني انا والعروس الى حيث ننجو بأنفسنا من هذه المدينة واهلها .

انزل عيروض سيف بجوار خيمة العروس حيث يسمع ما يدور بداخلها من الحديث وذلك ليعرف ما تقوله شامة في هذا الزواج ؟ اهي راضية عنه ام اكرهت عليه ، فسمعها تبكي بكاء مرا وتقول : اين انت يا سيف لتنقذني من هذا الوحش الذي تزوجني رغم انفي ، ليت شعري اتنكشف عني هذه الغمة ؟

فدخل عليها سيف وقال : لبيك يا شامة ، اطمئني ولا تحزني . فنظرت اليه في دهشة ولما عرفته القت نفسها عليه وقبلت يديه وقالت : لو ابطأت قليلا لاخذني هذا الوحش منك . فقال سيف : لماذا انت منفردة في هذه الخيمة .

قالت : انذر سيف ارعد ملك الحبشة ابي بالهلاك وخراب الديار ان لم يرض من زواجي منه ، واغراه بذلك الحكيم سقرديس فقال : يا افراح ان

لم تزوج ابنتك شامة من ملك الحبشة اهلكت نفسك واخذها منك غصبا ، ولا تطمع في سيف فان امه قمرية قد احتالت عليه وقتلته ، فقبل ابي مرغما ، ووضعوني في هذه الخيمة استعدادا للزواج ، فمن الله علي بقدومك وكشف عني الحزن برؤيتك ، وبينما هما يتحدثان دخل افراح خيمة ابنته فوجد سيف جالسا فتقدم اليه ليصافحه فزجره سيف واتهمه بالغدر والخيانة ثم استل سيفه وهم ان يضربه ففر من امامه هاربا وذهب الى خيمة (سيف ارعد) يستجير به من سيف فسأله سيف ارعد : واين هو الان ؟ قال : في خيمة ابنتي شامة ولولا اني هربت من امامه لقتلني .

فثار سيف ارعد واضطرب ونادى في جنوده ان احيطوا بخيمة العروس واتوني بسيف بن ذي يزن حتى اعدمه الحياة ، فتحرك الجنود باسلحتهم الى خيمة العروس ، وعرف عيروض بذلك وملأ المدينة دخانا يتطاير من خلاله شرار ، وارسل عليها حجارة من هنا وهناك وزلزلها زلزا لاكبيرا ، ثم حمل عيروض العروس وسيف الى الجبل ووضعهما في مكان حصين .

ولما طلع النهار وانكشفت عن المدينة تلك العاصفة طلب سيف ارعد العروس فلم يجدها في خيمتها كما لم يجدوا سيف ، فالتفت ملك الحبشة الى الحكيم سقرديس وقال له : لقد كنت في غنى عن هذا الموقف الحرج، وذلك الزواج الذي جر علينا هذه النكبات ، وما كنت راغبا فيه ، ولكنك خدعتني حتى كدت ان اهلك انا وجنودي ، فقال سقرديس : هذا من تدبير الملك افراح ولكنك ستفوز عليه وتأخذ شامة رغما عن انفه .

فقال الملك : وما هذا الدخان والشرر ، وتلك الحجارة والزلزلة ؟ ومن ذا الذي خطف شامة وسيف من الخيمة ؟

فقال سقرديس : هذا ما لا نعلمه ، فاعطني انا واخي سقرديون الامان لنعرف السبب وما جرى من هذه الحال ، ونعود لنوافيك الاخبار ، فقال: لكما الامان فافعلا ما تختاران .

نقل عيروض خيمة جميلة الى سيف وشامة وجعل يحضر لهما طعامهما وشرابهما من بيت سيف ارعد ومن كل ما تشتهيه الانفس ليزيد بذلك خوفه واضطرابه . لما ايقنت قمرية انها قتلت ابنها بسيفها رجعت فرحة وقبل ان تعود الى مدينتها ذهبت الى سيف ارعد فما ان دخلت عليه حتى هب من مجلسه وقال لها : ويل لك مني ايتها الخائنة ، اظنك اتيت الان هاربة ، كيف تتمردين وتعصين امري ؟ اما علمت اني استطيع ان اهدم عليك وعلى جنودك ؟ فقالت : ما عصيت لك امرا ، وما خرجت عن طاعتك ، لقد ارسلتني الى ذي يزن فقتلته بالسم وملكت المدينة من بعده ، وقد كنت حملت منه ولما وضعته ذكرا صبرت عليه حتى بلغ الاربعين يوما فالقيته في البيداء لتأكله الوحوش ، ولكن بعد مدة جاءني هو وسعدون الزنجي وحاجبك لمحاربتي ، فاحتلت عليه واقنعته باني امه ثم خدعته واخذته الى القفار وقتلته هناك واسترحت منه وها انا الان اتيتك مستجيرة لانني لم افعل

شيئا يستوجب غضبك حتى ترسل الي الجنود لتحاربني، فقال سيف ارعد:
انت قتلت سيف بن ذي يزن ؟ قالت : نعم وتركته في البيداء تأكل الطير من لحمه ، فابتسم سيف ارعد وقال : لقد احسنت العمل ، فماذا تطلبين الان ؟ قالت : اعطني رسالة منك الى حاجبك تأمره فيها ان يطيعني حتى احتال على سعدون واحضره بين يديك لتقطع راسه فتستقر لك البلاد، واستراح سيف ارعد وفرح ثم كتب الى حاجبه ابي الهول رسالة قال فيها:
من سيف ارعد الى حاجبه ابي الهول : كنت ارسلتك مع سيف وسعدون الزنجي لمحاربة قمرية وكنت متفقا سرا ان تحتال على سيف وتخدعه حتى تقتله ، وقد نفذت ما اتفقنا عليه وقتلت سيف وتركته مرميا في الصحراء ، فاذا قرات كتابي هذا فأطع امر قمرية ولا تخالفها حتى تتمكن من الاحتيال على سعدون وتأتيني به مكبلا بالحديد فاياك ان تخالفها في شيء والسلام .
رجعت قمرية الى مدينتها ودخلت على الحاجب فقال لها : لماذا جئت يا خائنة ؟ فناولته الكتاب ولما قراه نظر اليها وقال : افعلي ما تشائين فاني لك سميع مطيع ، فقالت : ابعث الى سعدون رسولا حكيما يدعوه اليك، وامر جماعة الحرس المكلفين بحراستك ان تقبض عليه اذا اشرت اليهم اشارة تتفقون عليها وبذلك تتم الحيلة ونرسله الى سيف ارعد ، فاختار الحاجب رسولا ذكيا ذهب الى سعدون وقال له :
ان الحاجب يدعوك الساعة ليستشيرك في امر يهمه فلبّى الدعوة .
وسحب الرسول وحده ، فتلقاه الحاجب بالترحاب ، واجلسه في اطيب مكان ثم صفق الحاجب فظن سعدون انه يصفق لاحضار شيء من الطعام اكراما له ، فما راى الا جماعة الحرس يدخلون ويقبضون عليه وقيدوه بالاغلال فاندهش سعدون وقال : لاي شيء فعلت هذه الفعال يا ابا الهول؟
فقال : معذرة يا سعدون ، فقد امرني بذلك سيف ارعد ، وانت تعلم اني لا استطيع مخالفة اوامره ، فقال سعدون : لو اخبرتني بذلك لاخذتك الى قلعتي وحميتك من سيف ارعد وغضبه ، ولو كان سيف معنا الان لما استطاع ملكك ان يرفع في وجهه سيفا .
فقال ابي الهول : ان سيف احتالت عليه امه قمرية واخذته الى الصحراء وقتلته هناك ، ثم بعد ذلك انطلق ابو الهول واتباعه بسعدون الى ملكهم سيف ارعد . فلما رآه الملك بين يديه ضحك وقال له : وقعت يا ملعون ؟ فقال سعدون : انما الملعون من خدع الشهم الذي يعف عن الدنية، ولا اجد لك في هذه الخديعة شرفا ومروءة ، فلو كنت مطلقا من قيودي الان لاهلكتك مع انصارك ، لم يحتمل سيف ارعد هذه الاهانة فأمر بضرب عنقه ، وكان الوزير بحر في مجلسه فقام الى الملك وقال : دامت ايام الملك وانتصر على اعدائه ، انني اخشى ان يقول الناس ان الملك قتل سعدون خيانة وغدرا ولذلك ما لا ترتضيه لنفسك وشرفك فقال الملك : وماذا ترى

ان نفعله ؟ قال الوزير : ارى ان تامر بسجنه فهو شجاع وموته خسارة فادحة ، فان انت احسنت اليه ملكته ودان بولائك وسخرته في الفتك باعدائــك .

اعجب الملك براي الوزير فامر بسجن سعدون على ان يكرم فيه ولا يهان ولبث سعدون في سجنه وقد بلغه ان سيف مكرت به قمرية وقتلته في الفلاة اما اتباع سعدون فانهم عرفوا ما فعل به الحاجب فاتفقوا على ان يحاربوا قمرية وينتقموا منها ، وبعد حرب طاحنة دارت دائرتها عليهــم ادركوا انهم لا ينتصرون فيها ففروا الى الجبل ولاذوا بحصونه .

فانقشعت سحابة هذه الحرب عن قمرية ومدينتها فكتبت الى سيف ارعد تقول : ابشرك ايها الملك اني حاربت رجال سعدون واذقتهم كؤوس الهوان وقد فروا هاربين ، ففرح الملك وابتهج وقرأ الكتاب على وزرائــه فهنئوا الملك على هذا النصر العظيم . استبشر الحكيم سقرديس بكل ما جرى ، ولكن شيئا واحدا أغاظه هو عدم قتل سعدون ، فذهب ذات ليلة الى السجن ليقتل سعدون فرآه مستيقظا فلم يتمكن من قتله فرجع خائبا وحكى هذا الى اخيه سقرديون فطمانه وقال له : اصبر وستراني غدا فاعلا ما يسرك وتبلغ به مأربك . وفي الصباح ذهب الحكيمان الى سيف ارعد في ديوانه واخذا يفخران بنصره وفوزه على اعدائه ثم قال سقرديون للملك:

حدثتك كثيرا عما اخبرتنا به كتب الفلك والتنجيم حيث قالت : اذا تزوج فتى في خده شامة من فتاة في خدها مثل تلك الشامة كان هذا الزواج خطرا على بلاد الحبشة ولهذا وجب علينا ان نفرق بينهما اما بقتلهما او بقتل احدهما ، وقد بذلت جهدا كبيرا في ان افرق بين سيف وشامة لوجود الشامة في خديهما فلم استطع وضاع جهدي سدى ، وقد بلغني من اخي ان قمرية قتلت ابنها سيف ولكني لا اصدق الا اذا رايته مقتولا امامي، فكثيرا ما جاءتنا الانباء بموته ولكنا نجده حيا يرزق ، واقوم سبيل عندي ان تتزوج من شامة رغم انف ابيها وذلك بأن تأمره ان يجهزها ويرسلها ؟ والا ارسلت اليه جنودا لا قبل لهم بهم فيأتون بها اليك ولا يهمنا بعد ذلك موت سيف او حياته .

فقال الملك : اصبت واحسنت ، وكتب الى افراح يقول : اصبح زواجي من ابنتك شامة امرا محتوما ، فاذا جاءك كتابي هذا جهز ابنتك واحملها الي والا ارسلت اليك جنودا يقتلونك ويأتونا بها غصبا .

استأذن رسول الملك سيف ارعد على الملك افراح ودخل عليه في مجلسه وناوله الكتاب فقبله ووضعه على راسه تكريما له ثم اذن الرسول بالانصراف وامر رجاله ان يكرموه ، ولما خرج الرسول فض الكتاب وقراه ثم اعاد قراءته على وزرائه فقالوا له : هذا شرف سيق اليك ، فسيعلو قدرك بهذا الزواج بين الملوك ، فأطع ملك الحبشة ولا تبطىء ! ثم قام افــراح ودخل على زوجته وقرا عليها كتاب ملك الحبشة وكانت شامــة حاضرة

فسمعت ما آل الكتاب، فقالت لزوجها افراح : ما اسعدنا وما اسعد ابنتي، ستكونين ملكة كامك بل احسن منها واكبر ، فلا تتاخر يا افراح عـــن تجهيزها والسير معها الى زوجها ملك الحبشة ، فقالت شامة : اذا كان ملك الحبشة قويا بجند فانا قوية ببنوتي لكم ولي من حنانكم ما يحميني من كل مكروه ، واني لا ارغب في الزواج الا من سيف ذي يزن ، فقال ابوها: كان بودي هذا ، ولكن سيف قتل واصبح في عالم الفناء ، فقالت شامة متعجبة : وكيف قتل يا ابي ؟ ومن قتله ؟ فقال ابوها : لا اعرف شيئا من اكثر من انه قتل ، وليس لك من سبيل اليه ، واعلمي اني لا ابغي بزواجك من ملك الحبشة الا هناءك ورفع السوء عنا ، ولو كان سيف حيا مـــا رضيت غيره زوجا لك ، لم يجد هذا القول مكانا في صدر شامة ولم يزل سيف حيا في نفسها ، ولم ينزل خبر موته منزل اليقين فسكنت حزينة مغلوبة على امرها ، وكان يخامر احساسها بريق من امل مكبوت خافت لا يكاد يضيء سناه ويلمع ضَوْؤُهُ ، اعد افراح لها ولامها هودجا فاخرا على جمل قوي وسار ركب الزفاف يقطع البيد والقفار ولما قربوا من مدينة الدور ارسلوا الى الملك يبشرونه بقدوم شامة مع ابويها ورجالهما . فاغتبط الملك بهذا القدوم الميمون وبعث حاشيته ورجاله يستقبلونهم وامر ان تضرب لهم الخيام خارج المدينة حتى يستعد ليوم الزفاف .

نصبت الخيام وحط القادمون رحالهم فيها بين مظاهر الابتهاج والحفاوة وامر الملك ان يقوم بخدمتهم عدد وفير من الجواري والعبيد ، وان يقدموا لهم الوانا من الطعام والشراب ما يملأ صدورهم غبطة وهناء .

ولما جاء يوم الزفاف اقام لشامة خيمة حريرية خاصة بها ونقلت اليها وحدها فجلست فيها واجمة مضطربة ، ولبس ملك الحبشة افخر ما عنده من ثياب وماجت المدينة فرحا بهذا الزواج ، وبينما هم فيَ نشوة من هذا الفرح اقبل عيروض وحملَ سيف الى شامة في خيمتها ، ثم طار بهما الى الجبل في افخر قبة احضرها من قباب سيف ارعد كما قدمنا ، فتبدلت الحال ودخلت في طور جديد لم يخطر على بال ملك الحبشة ، فجلس كئيبا غاضبا في ديوانه وامر ان يحضر اليه الحكيمان سقرديس وسقرديون فقال لهما : لا اخالكما الا بما وقعنا به عالمين ، وقد كنا في غنى عن هذه المصيبة وما ساقها الينا الا رايكما فماذا انتما فاعلان ؟ فقالا : ذلك من تدبير الملك افراح . وكم اوقعنا سيف بمهالك كثيرة ثم يعود منها سالما اقوى مما كان، لان طوائف من الجن تخدمه وتحفظه وجيوشك على كثرتها وقوتها لا طاقة لها بقتال الجن وان اردت قهره والتغلب عليه ارسل اليه رسولا يقول له:

ان ملك الحبشة يبلغك انه لا يحب الجور والعدوان ، ويطلب اليك ان تعامله بالعدل والانصاف ، فان اردت ذلك فابطل الاستعانة في قتال الجن وابرز انت الى الميدان ويكون الحكم لمن يغلب.

فقال ملك الحبشة : ليكن ذلك ولن يكون الرسول اليه الا انتما فهبا

اليه وقولا له ما تشاءان ، هب الحكيمان الى سيف في معصمه من جبله فاستأذنا بمقابلته فلما مثلا لديه سألهما عن حاجتهما ؟

فقالا : اعلم يا سيف ان الظلم ظلمات في وجه صاحبه ، وقد ظلمت ملك الحبشة اذ خطفت زوجته شامة ثم سخرت الجن في قتاله ، فأرسلنا اليك نخيرك بأحد امرين ، اما ان تحاربه محاربة الانسان للانسان واما تأذن للكهنة والسحرة ان يسخروا في قتالك طوائف من مردة الجان ، فاختر لنفسك احد الامرين .

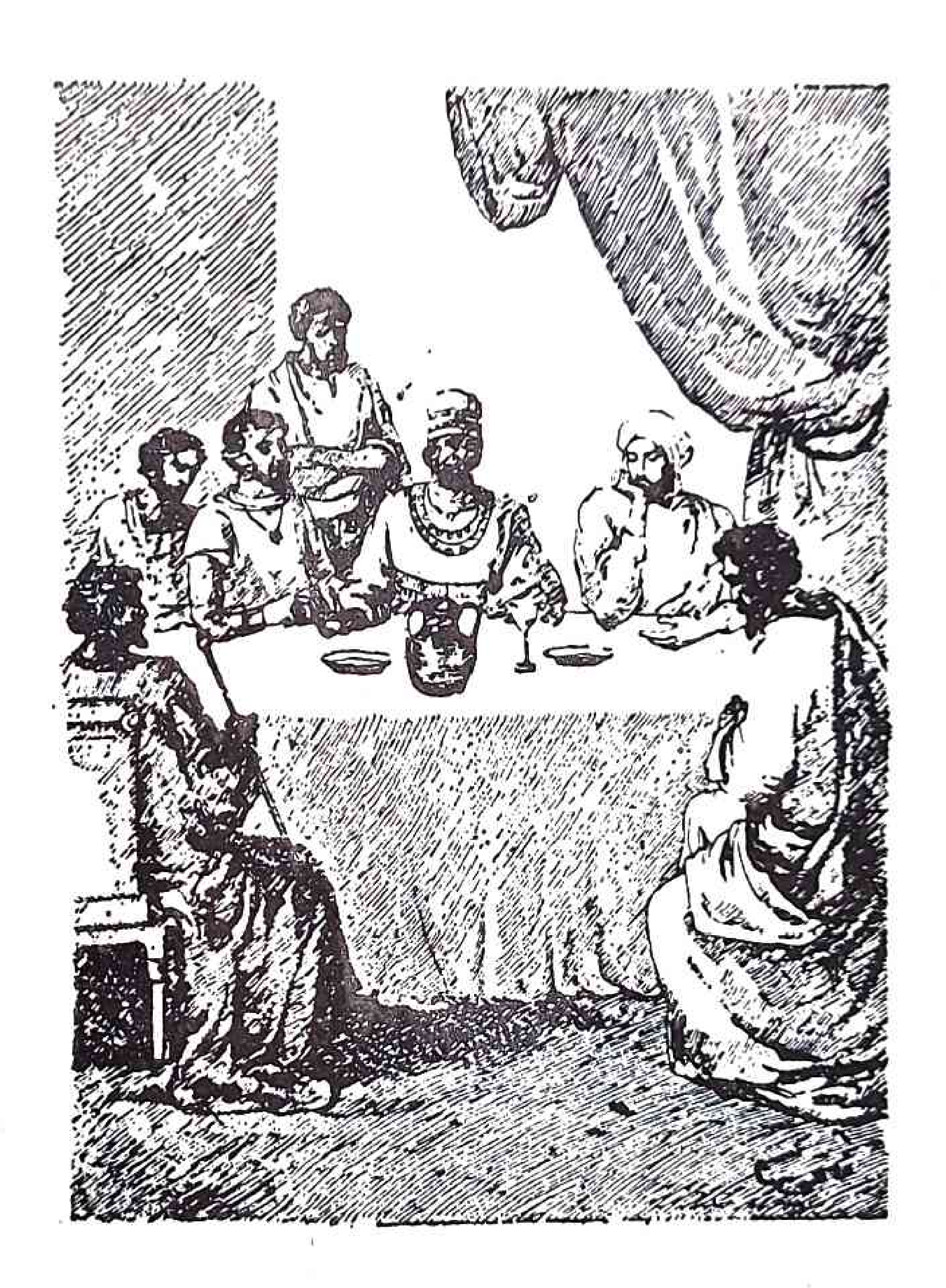
فقال سيف : اما شامة فهي من ملك الحبشة ابعد من السماء الى الارض واما استعانتي بالجن فاني لا استعين الا بالله الواحد القهار ، فبلغوا صاحبكم اني مستعد ان ابارزكم بنفسي فارسا فرسا فان خان وغدر وحمل علي بجنوده امرت الجان ان تخسف بكم مدائنكم ، وان كان لا يزال طامعا في شامة فليبرز لي هو بنفسه ، وشامة لمن غلب منا صاحبه ، فهل وعيتما ما قلت ؟ فقالا : نعم ، قال : اذهبوا وبلغوا صاحبكم وانا هنا في انتظاركم . ولما رجعا واخبرا ملكهما ما قال سيف قال الملك : لقد عدل سيف وانصف واني ذاهب معكم اليه لاسمع ما قال لكما .

رآه عيروض من بعيد مقبلا ومعه الحكيمان فأخبر سيف ان ملك الحبشة مقبل من بعيد ومعه حكيماه ، فخرج سيف لملاقاتهم بعيدا عن خيمته . فلما التقى بهم قال سيف : هل بلغك الحكيمان ما قلت لهما ؟ فقال ملك الحبشة : بلغني هذا وجئت اليك فسمعته ، وغدا تكون الحرب بيننا ، حرب انسان لانسان ، وسيبارزك فيها الفرسان . قال سيف : اتفقنا وغدا يفعل الله ما يشاء ثم ودعوه وانصرفوا ، وفي الصباح امر سيف عيروضا ان يأتي له بجواد وعدة قتال فأحضرهما من خيل (سيف ارعد) وعدده ، وجاء ملك الحبشة وفرسانه ونزل اليهم سيف راكبا جواده مناديا من يبارز؟ وقال ملك الحبشة لفرسانه : من يقتل منكم سيف ويأتيني به اسيرا اعطيته مائة دينار ذهبا وجارية ، فجعلوا يتسابقون الى مبارزته ويتدافعون فقال لهم الملك : اقترعوا فمن كانت له القرعة خرج لمبارزته ، فأخذوا يتقارعون ، وكلما خرج فارس منهم لمبارزة سيف قتله ، ولما بلغ عدد القتلى من فرسان ملك الحبشة ثلاثين كفوا عن المبارزة واعرضوا فقال لهم الملك وقد اشتد به الغضب : بارزوه عشرة عشرة ، فرضي سيف بذلك، وكلما برز اليه عشرة قتلهم حتى بلغ عدد القتلى سبعين ، وكان النهار قد ادبر فأرجيء القتال الى صباح الغد ، وعاد سيف الى شامة فتلقته فرحة وقالت : اعانك الله واعزك ، فمثلك من يحمي الحريم ، ويأبى الا ان يكون ذا فضل عظيم .

اما سيف ارعد فقد غم عليه امره وضاقت الدنيا في وجهه واحضر اليه الحكيمين وقال لهما : لا نخرج بآرائكم من ورطة الا الى ورطة اخرى اعقد منها واوجع ، فماذا نصنع ؟ فقالا : الحرب سجال ، يوم لنا ويوم علينا ،

وليس من الحكمة ان نجزع من اول صدمة ، فاذا هزمنا اليوم فقد ننتصر ، وما علينا الا ان نتجلد ونصبر . فقال ملك الحبشة : ساصبر صبرين ، صبرا على الاستماع لكما ، والانقياد لآرائكما ، وصبرا على هذه الحرب الدائرة بيننا وبين سيف والى الملتقى في صباح الغد . فانصرف الحكيمان وهما في غم عظيم ، كانت وطاة القتال في اليوم الثاني على ملك الحبشة وجنوده اشد واقسى فعقد مجلسا في اخر النهار واجتمع بأول الليل مع حكمائه وكبار وزرائه وجعل ينعى اليهم فرسانه وجنوده ويندب حظه ومكانته ، طالبا مخرجا من هذا الضيق الذي ألم به وساد المجلس سكون ووجوم ثم قال الوزير بحر : وجدت المخرج ايها الملك وهو علينا يسير ، قال : وما ذاك يا بحر ؟ قال بحر : لا يأتينا بسيف قتيلا او اسيرا الا سعدون الزنجي فالحديد ليس له الا الحديد فقال سيف أرعد : ولكن سعدون صديق سيف ونحن اسأنا اليه بخديعته وحبسه ، فقال الوزير: اغدق عليه المال فهو الذي يجعل الصديق عدوا والعدو صديقا . فأمر الملك باحضاره فلما حضر امامه قال له : اذا انت جئتني بسيف قتيلا او اسيرا، زوجتك ابنتي وجعلت خزائني تحت امرك ، فسكت سعدون قليلا يفكر فوجد ان هذه الفرصة التي تخرجه من سجنه ليلتقي بصديقه سيف فقال : وأين هو الان يا مولاي ؟ فأخبره بمكانه فقال : ومن يضمن لي تنفيذ ما وعدتني به ؟ فقال الملك : ان كنت تريد ان ازوجك ابنتي الان فعلت وليس بعد هذا دليل على صدقي فيما وعدت ، ولا تنس اني ملك ، والملوك لا تنسى عهدها فقال سعدون : ايقنت بصدقك ، ووثقت بوعدك وسآتيك به قتيلا او اسيرا فهيء لي غدا جوادا وعدة قتال ولثاما ، وفي اليوم الثاني برز سعدون الى سيف فجعل يداوره ويجري به هنا وهناك محاولا ان يظهر عجزه عن التغلب عليه الى ملك الحبشة ، ولما بان ذلك وظهر كشف اللثام عن وجهه فوقفت المبارزة ثم امسك كل منهما بيد صاحبه وسارا معا الى خيمة سيف وهناك جلس الى سيف وقص عليه ما كان له مع ملك الحبشة وانه رضي بالمبارزة ليتخذها سبيلا الى الاجتماع به ومرافقته .

اغتاظ ملك الحبشة والتفت الى وزيره قائلا : ارايت كيف تصافح الصديقان ؟ فقال الوزير : الامر واضح لنا يا مولاي ، فقد غلبه سيف ولما اشرف على العطب كشف اللثام عن وجهه ليدفع الموت عنه ، ولو كانت الغلبة لسعدون ما كان تركه الا قتيلا او اسيرا . فقال الملك : لم يبق الا ان تخرج الجنود واهل المدينة لقتال سعدون وسيف ثم اصدر امره ان تشن الان غارة شاملة من الجنود واهل المدينة عليهما في خيمة سيف ، فلما احس منهم هذه الغارة أمر عيروضا ان يطير به هو وسعدون وشامة الى مدينة امه قمرية حيث ترك سعدون رجاله فطار بهم ونزل على جبل قريب من المدينة ، وهو الذي اعتصم به رجال سعدون بعد ان هزمتهم قمرية فطلب سعدون من عيروض ان يأتيه بأخبارهم فقال : بعد ان قبض عليك



ملك الحبشة بين قواده ووزرائه والحكيمين سقرديون وسقرديس

ملك الحبشة حاربوا قمرية اياما ولما عجزوا عن قتالها فروا من وجههـا واعتصموا بهذا الجبل وكلما احتاجوا الى طعام او شيء من المدينة ذهب احدهم متنكرا وقضى حاجته ورجع مستخفيا فقال سيف : هيا بنا اليهم ثم ساروا نحوهم ولما قربوا منهم ظنوا انهم من اعدائهم فاستعدوا لملاقاتهم ولكن سعدون فاجأهم بصوته قائلا : انا سعدون رئيسكم جئت اليكم ايها الرفاق ، فلما عرفوه هرعوا اليه فرحين ثم جلسوا وقصوا عليه جميع ما حصل لهم بعد فراقه ، فغضب سعدون وقال : هيا اركبوا خيولكم وتعالوا

معنا الى مدينة قمرية لنثأر لكم ولنا منها .

وساروا حتى احتاطوا بالمدينة يريدون الحرب والقتال ، وعلمت قمرية بهم وسمعت صوت سيف فيهم يقول : الله اكبر ، فتأكد الخبر الذي جاءها انه معهم فقالت في نفسها : ليتني ذبحته ذبحا وفصلت راسه عن جسده لقد كانت طعناتي غير قاتلة ، فشفي منها وعاد ليحاربني وينتقم مني وان لم أخادعه وأمكر به فانه غالبي وقاهري ، ثم قامت اليه لتحتال عليه وتخدعه فأمرت جنودها ان يغمدوا سيوفهم ويكفوا عن القتال والتقت بابنها باكية حزينة فقالت : جرد سيفك واقطع به عنق امك التي تعتريها نوبات جنون شديدة لا تعرف بها حنان الامومة ولا حق الانسانية فتصيبك بشرها وبلائها، وانت حياتي وروحي واخشى عليك من هذه النوبات الجنونية الخاطئة ، ولهذا فأنت بريء من دمي ان قتلتني ، قالت هذا لابنها سيف وهي باكية منتحبة عارية الصدر مكشوفة الراس فرق لها قلب سيف ابنهـا وأبت سجيته ان يلوث سيفه بدم الخطيئة وان يوصم بوصمة عار فاضحة ، هي قتل امه بيده فقال لها :

يا امي ، لا تحزني فذلك قضاء الله ، والحمد لله اذ لطف في قضائه وجعل الحسنى عاقبة ، فقالت امه : سلمت يابني من جنـون امك ، وسلمت نفسك وجسمك وكل شيء فيك ، انك ابني الوحيد ، فهيا بنا الى المدينة انت ورجالك واجلس على عرش ابيك ، فانت وارثه ولا يشاركك فيه انسان فدخل المدينة هو ورفاقه وجنودهم وجلس في ديوان ابيه والتف حوله الوزراء فرحين وامر سيف عيروضا ان يأتيه بأفراح فطار اليه مسرعا فوجد الخطر محدقا والسيف مسلطا على راسه فاختطفه وطار .

وذلك ان سيف ارعد لما فارقه سيف وسعدون وشامة جمع الحكماء وقال لهم : انتصر علينا سيف واخذ شامة وسعدون وذهب الى حيث لا ندري وتركنا نقاسي آلام الهزيمة والخزي ، فقال الحكيمان : لولا الملك افراح ما اصابنا شيء من هذا ، فهو سبب بلائنا وشقوتنا ومن الصواب ان نقتله حتى لا يفسد علينا تدبيرنا ورأينا . فطلب الملك حضور افراح بين يديه فلما جيء به امر بقتله ، فقال افراح : ماذا فعلت ايها الملك حتى تأمر بقتلي ؟ لقد امرت ان احضر اليك بابنتي فحضرت وكنا نود ان تكون لك زوجة وقد اضعتموها من يدي وفجعتموني بفقدها ، ولا ادري اين هي الان، فكيف اكون لك مخلصا مطيعا ثم تأمر بقتلي ؟ فقال الملك : ذلـك راي الحكيمين ولا احب انّ اغضبهما لارضيك . واصر على قتله .

وبينما هم يتأهبون لقطع عنقه حضر عيروض واختطفه من بينهم وطار به ووضعه بين يدي الملك سيف وسعدون وشامة وقمرية وكبار المدينـة والوزراء فاندهش وتحير وقال : أفي يقظة انا ام في منام ؟ فقال سيف: انت في يقظة وهذه ابنتك شامة التي حملتها الى سيف ارعد لتزوجه بها. فقال : عجبا ، أمن الموت الى الحياة يا افراح ؟ لقد كان بيني وبين الموت

قيد شعرة فاذا بي امام حياة جديدة في مجلس آمن جمع بيني وبين شامة ابنتي وسيف بن ذي يزن ! اوقعكما الله في شر مكركما وكيدكما يـــا سقرديس ويا سقرديون ، فلقد كنتما سبب بلائي ومحنتي فلا غفر الله لكما خطاياكما . ثم التفت الى سيف وقال : انا ملكك وهذه ابنتي شامـــة زوجتك ويسرني ان نبرم عقد زواجك منها الليلة . فقالت قمرية : ولا بد من ابرامه الليلة وعلي انا القيام بكل ما يلزم له . ثم امرت قمرية ان يحضر الى ديوانها اعيان المدينة والوزراء فامتلأت بهم القاعة في الاضواء الساطعة وامامهم باقات الازهار والرياحين .

ثم اعطت قمرية الملك افراح عشرة عقود من الجوهر ثمن العقد الواحد الف دينار . وقالت : هذا مقدم صداق ابنتك شامة ، ومنحت شامة عقد من اربعة عشر فصا كل فص يبلغ ثمنه دينار وحلة فاخرة اثرية ، ووزعت هدايا اخرى قيمة على الوزراء والحجاب ، وابرم عقد الزواج ، ثم امرت ان تقام الافراح في المدينة سبعة ايام بسطت قمرية فيها الارزاق علـــى الفقراء والمساكين ، وفي اليوم الثامن دقت الطبول وعزفت الموسيقى وغنى المطربون احتفالا بزفاف الملكة شامة على الملك سيف بن ذي يزن ، فلمـــا انتهت حفلات الزفاف ذهب سيف الى قصر شامة ليدخل عليها ، فاعترضته امه وهو داخل من باب القصر وقالت : هذه ليلة سعدت فيها امك سعادة لم تخطر لها على بال ، فبالرفاء والبنين . فشكر لها هذا العطف الرقيق وقبل يدها ، ثم قالت له : انا خائفة عليك من هذا اللوح الذي معك فقد اعلمتني انه لا يحمله الا طاهر واخشى ان تغفل عنه فيضيع منك او يصيبك منه مكروه . فقال : اشكرك يا اماه على نصحك لي ، وأستحسن ان تأخذيه وتحفظيه لي عندك . قالت : لا تخف فاني حفيظة عليه حفظي على روحي . ثم فك سلسلة اللوح واعطاه لامه وقبل يدها ودخل على زوجته واجتمعت الشامتان في تلك الليلة وبعد ان سهر ما شاء لهما السهر ناما يرتقبان الصباح .

اما قمرية فانها اخذت اللوح وذهبت الى حجرتها وفركتـــه فحضر عيروض فسألته ان يصف لها وديان الارض ، فجعل يصف لها الوديان واديا بعد واد وكان منهما واديان وادي الفيلان ووادي الطودان فراته يرمي ابنها سيف في وادي الفيلان ويرمي شامة في وادي الطودان فلما القى بهمـــا في هذين الواديين رجع الى قمرية وقال : لقد فعلت ما امرتيني به فهل لك من حاجة اخرى ؟ فقالت : ليس لي الان حاجة فامض في سبيلك . وهكذا نفذت قمرية مكيدتها واطمأنت . ولما طلع النهار على شامة وجدت نفسها في برية قفراء ، فجعلت تمشي متعثرة لا تعرف اين تذهب فسألت ربها داعية مستغيثة وقالت : يا الهي نجني مما انا فيه .

واستمرت ماشية حتى رات عشرين فارسا قادمين من ناحية الجبل على خيلهم فخافت وانتظرت ما يفعلون ، فتقدم منها واحد منهم واختطفها ورجع الى رفاقه وقال : لقد اتيتكم بمسخوطة من بني آدم ، فنظروا اليها

وقالوا : صدقت لانها اصغر من نعاجنا فلنسر بها الى ملكنا ليرى هـــذه الاعجوبة . فساروا بها الى ملكهم فلما رآها قال لهم : خذوهـــا عني ، واذبحوها لانها مسخوطة لا خير فيها .

فقالت شامة : لست مسخوطة ولكني كاملة الخلقة اجيد الكـــلام واحسن التفكير واقوم بما اكلف به من الاعمال خير قيام .

فقال الملك : لا بد ان تكوني قد عصيت الهنا ولهذا خلقك صغيرة .

فقالت شامة : ان الاله يخلق الكبير والصغير . في هذه الاثناء دخلت ابنة الملك وكانت تدعى صادقة فرات شامة جميلة الخلقة فرغبت فـــي اخذها ، وكانت بنت الملك مكلفة بخدمة الهم فقالت لابيها : ماذا تريد ان تصنع بهذه الفتاة ؟ فقال لها : لقد قررت قتلها ، فقالت : يا ابي ان الاله يخلق الكبير والصغير ، واني راغبة في ان تكون معي . فقال : خذيها فليس لنا بها حاجة . فسارت بها الى باب القبة التي فيها اله هؤلاء القوم وقالت : ادخلي يا صديقتي وانحني امام سيدك الذي في القبة . فدخلت شامة فوجدت في القبة خروفا كبيرا ، فعجبت شامة نفسها من هؤلاء القوم الذين اتخذوا هذا الخروف الها لهم من دون الله ، ثم قالت لها صادقة : انظري ايتها الفتاة ، هذا حوض مملوء بالماء فاذا عطش الخروف فاملئي هذا الوعاء من الحوض وضعي فيه من هذا السكر ومن ماء الورد ثم ضعيه امام الخروف ليشرب ، وهذا وعاء اخر مملوء بالجوز واللـــوز والفستق والسمسم فاطعمي الخروف من ذلك كله . فقالت شامة : سمعا وطاعة يا صديقتي . ثم اقفلت صادقة عليها باب القبة وذهبت .

ولما احست شامة بالجوع اكلت من طعام الخروف حتى شبعت واحست بالعطش فشربت من مائه حتى رويت ، ثم نظفت القبة وباتت الى الصباح شاكرة الله على فضله . ولما جاءتها صادقة في الصباح ووجدتها قد نظفت القبة فرحت وقالت لها : اذا انت خدمت هذا الاله فانه ينجيك من كل بلية فاذا بال اجعلي وله في هذه الطاسة ليغسل به الملك وجهه كـــل صباح واحفظي بعره في هذا الوعاء فانه يستعمل بخورا ، وكل من جاءك ليأخذ بعره خذي منه دينارا . فقالت شامة : سمعا وطاعة يا صديقتي . وقالت في نفسها ان انا قصرت في خدمة هذا الخروف قتلوني ، وما علي الا ان اجهد في خدمته لاحفظ نفسي من القتل لا يضيرني ذلك ما دام قلبي عامرا بالايمان بالله وحده ولا اشرك به احدا .

ثم قالت صادقة : وطعامك كل يوم دجاجتـــان وقرصان من خبز الحنطة . فقالت لها شامة : سأفعل ما تأمرين فاني لك سامعة مطيعة. وكان الخروف يلقي بعره من غير حساب وفي اي مكان ولو كان علـــى الفراش الذي اعد لشامة ، وكان في القبة عصا فأمسكتها واوجعته به ضربا وعودته التبول والتبرز في اوقات محددة ومكان معين من القبة ، فأقامت شامة على هذا الحال مدة لا يستهان بها .

اما سيف فان عيروضا رماه في وادي الفيلان ، ولما جاء الصباح راى نفسه في بطحاء من الارض ذات زرع ونبات واشجار وانهار وفيها من انواع الفواكه شيء كثير ، فأكل من ثمار الاشجار ، وشرب من مياه الانهار وجعل يمشي في هذه الارض لعله يجد فيها اناسا او عمرانا فلم يجد فيها احدا ، ولما جاء الليل خشي على نفسه فصعد على شجرة كبيرة من الاشجار واختفى بين اغصانها حتى مطلع النهار ، وقبل ان ينزل الى الارض مد بصره في الفضاء فراى شخصا مقبلا نحوه وكان هذا الشخص بشع الخلقة ، فمه وانفه مثل فم البقرة وله انياب طويلة واذناه كالمروحتين ، ورائحته كريهة تشمئز منها النفس فاستعاذ سيف بالله من هذا الشبح ، وتوسل اليه ان ينجيه من هذا الوادي ، وكان هذا القادم غولا من غيلان هذا الوادي شم رائحة انسان فجاء ليأكله ، فوقف تحت الشجرة قليلا ثم رجع من حيث اتى ، فحمد سيف ربه وقال في نفسه ، لن يعود هذا الغول ثانية ، ولكنه راى من الحيطة والحذر ان يبقى فوق الشجرة بعض الوقت ليطمئن على ان الغول غاب مقدار ساعة ، ثم رجع ومعه اربعون غولا على شاكلته ، فوقفوا تحت الشجرة قليلا ونظر بعضهم الى بعض وفي هذه الاثناء اتت عجوز شمطاء ابيض شعرها وهزل جسمها فكلمتهم بلسانها ثم نظرت الى سيف واشارت اليه بيدها ان ينزل اليها ، فقال : اني خائف ولا استطيع النزول.

فقالت له بلسان عربي فصيح : انزل يا سيف ولا تخف من هؤلاء الفيلان فأنا الحاكمة فيهم وساحميك منهم . فنزل الى العجوز وكان يساوره الخوف منها ، فقالت له : اتبعني . وسارت امامه حتى صعدت على جبل ودخلت مغارة فدخل سيف في اثرها فأجلسته وجاءته بنصف غزالة ليأكل منها فقال : انا لا آكل من هذا اللحم يا سيدتي . فقالت العجوز : اتأكل البنق ؟ قال سيف : اما البنق فنعم ، فذهبت وهزت شجرة البنق وجمعت منها مقدارا كبيرا واحضرته امامه ، فأكل حتى شبع، اما العجوز فجلست تأكل اللحم بشراهة . وبعد ان انتهت من الاكل سألها عن الغيلان فقالت :

اعلم يا بني ان ابي كان حاكما على مدينة (الصخر الاسود) وكان يخرج كثيرا للصيد في البراري والصحراء وقد عثر على هؤلاء الغيلان في مرة من مرات خروجه ولكنهم لم يروه ، وكان يعرف الفلك والتنجيم فرجع الى مدينته واستفتى في معرفتهم علوم الفلك واخبرني بما عرف عنهم فقال : ان هؤلاء الغيلان الذين يعيشون في هذا الوادي يكرهون بني آدم ويغتالون كل من راوه منهم . وسيكون هلاكهم على يد سيف بن ذي يزن ، وستكونين انت يا ابنتي حاكمة عليهم ، وحامية سيف اذا جاهم ليقضي عليهم ، واعطاني حجابا مطلسما وقال ، اذا مت فاذهبي الى ذلك الوادي ومعك هذا الحجاب فاذا راوك التفوا حولك وامروك عليهم وسيبقون تحت طاعتك ما دام الحجاب في حوزتك ، ودلني على الطريقة التي تهلكهم بها حتى يطهر

هذا الوادي منهم ، وقد وصفك والدي وصفا واضحا بحيث اعرف منه انك سيف بن ذي يزن لاول نظرة ، واوصاني ان اكرمك واكون في خدمتك وطاعتك ، وقد مات ابي منذ سنوات ولبثت انتظرك في هذا الوادي مع الغيلان حتى حضرت وعرفتك ، وكان لي من بين هذه الاشجار شجرة لا يقربها احد من الغيلان ، واخبرني الجيران من العلامات التي تعرفين بها سيفا انه يبيت على شجرتك الخاصة حتى يكون في مأمن من شر الغيلان الى ان تحضري اليه ، فلما رآك الغيلان على شجرتي لم يجرأ أحد منهم ان يمسك بسوء ، لانهم يحترمون هذه الشجرة ، ولو كنت على شجرة اخرى لقلعوها وأكلوك ، فلما جاءوني واخبروني ان على الشجرة واحدا من بني آدم عرفت انك سيف ، وتأكدت معرفتي هذه حينما رايتك ووجدت الشامة على خدك ورايت فيك بقية الاوصاف ، وسأدلك الان على الطريقة التي تستطيع ان تهلكهم بها ، ولكن احذر كل الحذر ان تفعل شيئا اكثر من الـــذي تسمعه مني والا وقعت في البلاء كما وقعت حينما خالفت أخميم الطالب وانت تحضر السيف وقد ندمت حيث لا ينفع الندم .

فقال سيف : لا أزيد ولا انقص شيئا مما اسمعه منك ، وكفاني عبرة ما حصل لي بمخالفة اخميم ، فقالت العجوز : قم وسر في هذا الطريق وحدك ولا تخف ، فاذا وجدت قبة فاجعل ظهرك الى بابها وقس بقدمك في اتجاهك واحدا وستين قدما وفي اخر هذه المسافة احفر الارض بمقدار نصف قامتك فتجد قبرا بابه من رخام فقف امامه واذكر نسبك فانه ينفتح لك فاذا دخلت القبر تجد لولبا فأدره جهة اليسار مرة واحدة فينفتح باب المكان فتجد امامك تابوتا ينكشف غطاؤه عن الميت الذي فيه ، فقف امام هذا الميت وادع الله ان يغفر له ويرحمه ثم امدد يدك تجد تحت راسه حقا وطلسما فخذ الحق واخرج بسلام بعد ان ترد غطاء التابوت وتقفل الابواب وتردم الحفرة ثم اتني بالحق واحذر ان تفعل شيئا اكثر مما سمعت والا اهلكت نفسك . قال سيف : لن افعل شيئا غير ما سمعت ، وذهب وفعل كما أمرته به حتى حصل على الحق المطلسم ورجع اليها والحق بيده ففرحت العجوز وقالت : قم وسر الى اخر هذه المغارة فستجد طاقة يمتد خلفها مكان فسيح . فتسلل من الطاقة الى ذلك المكان تجد قفصا معلقا فقف امام بابه المغلق وأدر اللولب الذي بجانبه نحو ايلمين مرتين ولا تزد فاذا انفتح الباب تجد في القفص ديكا رأسه تحت جناحيه فاذكر اسم الله وامدد يديك الى الديك واخرج راسه من تحت جناحيه واجعله مستقيما فوق راسه كأنه يتهيأ للصياح واستمر ممسكا هذا الراس حتى تدب الروح في الديك ويصيح مرتين فاذا فعل فاعمد الى منقاره واسدده وحاذر ان يصيح الثالثة لانه ان صاح الثالثة طار من امامك ولن تراه بعد ذلك ، ثم ارم له الحب الذي في الحق المطلسم ، فاذا راى الحب خرج من القفص والتقطه ، فحينئذ امسك الديك وآتـِ به الي .

ففعل سيف ما امرته به وعاد والديك معه فقالت : في مقدورك الان ان تهلك جميع الغيلان بريشة واحدة من ريش هذا الديك فاذهب به الى سبيلك فقد وفيت لك ما اوصاني ابي به .

فقال سيف : شكرا لك يا سيدتي ، ولن انسى لك هذا المعروف ابدا ولن اتركك وحدك في هذا الوادي ، فقد اصبحت امي وانا ابنك فسيري معي حيث اسير ، فقالت العجوز : وهل ترضي بصحبتي ؟ قال سيف : نعم وسأحرص عليها وان بذلت في سبيلها روحي ، قالت العجوز : ان رضيت بما اشرط عليك صحبتك .

قالت العجوز : هلم بنا نخرج من هذه المغارة ولنقم بعيدين عنها حتى ينبلج النهار وتأتي الغيلان الى المغارة كعادتهم ، فاذا لم يجدونا جمعوا جموعهم واقتفوا آثارنا وحينئذ تهلكهم كلهم .

ولما طلع النهار فجاء الغيلان الى المغارة ولما لم يجدوا العجوز وسيفاً انطلقوا مسرعين الى الطاقة ليطمئنوا على الديك في قفصه فلما لم يجدوه ادركوا ان العجوز وسيفاً اخذا الديك وهربا ، فلما رآتهم العجوز مقتفين اثرهما قالت لسيف : انزع ريشة من جناح الديك الايمن وارم بها هؤلاء الفيلان . ففعل ما امرته به فانتشرت من الريشة نار حامية احرقتهم جميعهم ثم سارت العجوز وسيف من هذا الوادي حتى دخلوا وادي الطردان .

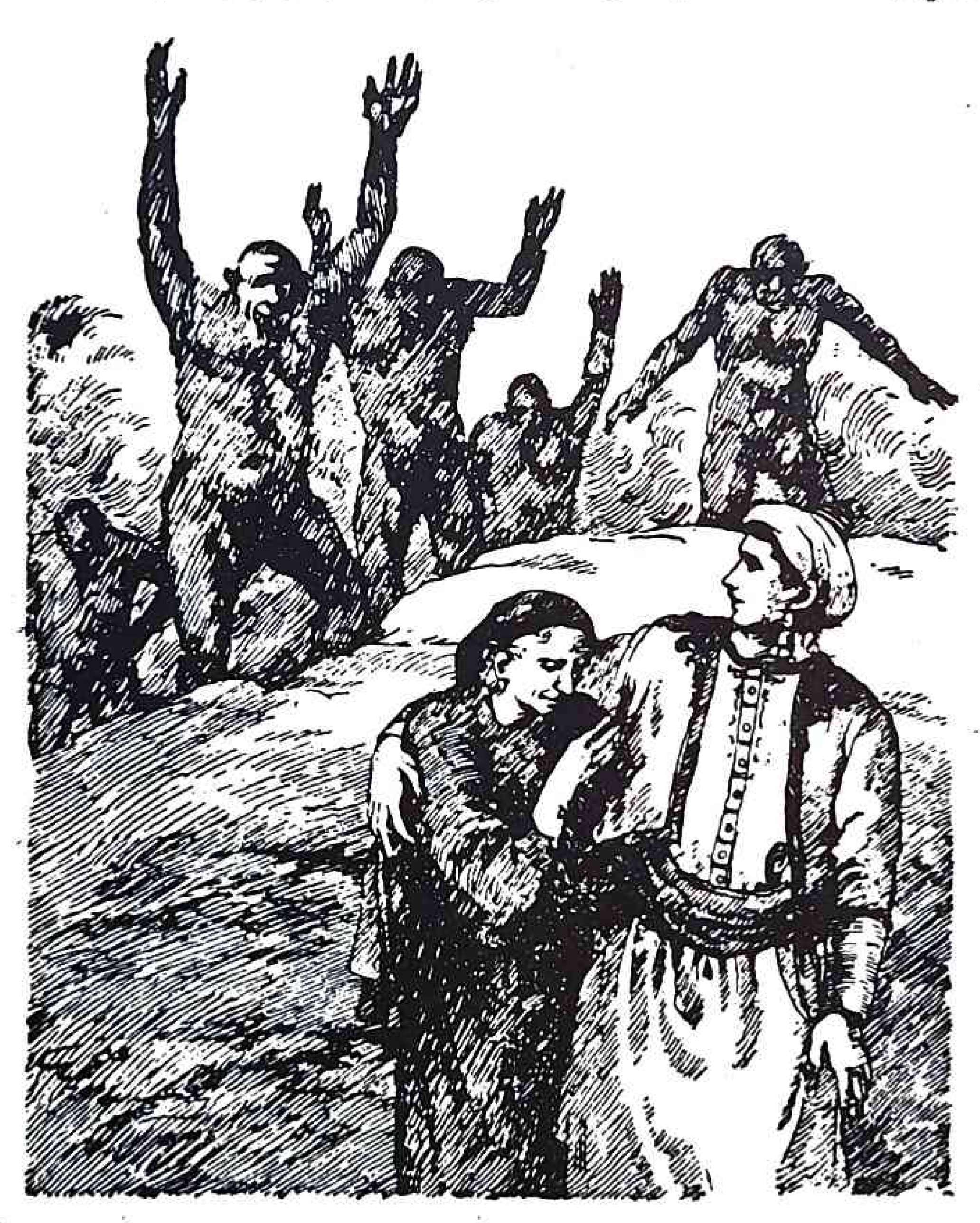
كانت الملكة شامة لا تزال مقيمة بجوار الخروف وكانت تضربه في الصباح وفي المساء لانه يعبد دون الله ، ثم قالت في نفسها : ما ذنب هذا الخروف حتى اضربه كل يوم ؟ فامتنعت عن ضربه ، وكانت قد حملت من سيف ليلة دخوله بها فلما اتمت اشهر الحمل وهي في القبة وضعت غلاما ذكرا جميل الخلقة على خده شامة خضراء فسمته امه (دمر) لانه جاءها في ايام التشتيت والتقدير .

وفي ليلة من الليالي القت شامة من شباك القبة شمعة موقدة اوشكت على النفاذ ووضعت مكانها شمعة جديدة فنزلت الشمعة التي القتها على أطمار قديمة بالية فعلقت بها النار وامتدت الى ما جاورها ونشب حريق هائل فاجتمع الناس واخمدوها وبلغ امر هذه النار الى الملك فاحضر شامة وجعل يوبخها ويقول : اردت ان تحرقي المدينة بالقائك الشمعة موقدة ، فلا بقاء لك عندنا الان ، وامر ان تصلب وتحرق ، وبينما رجال المدينة يقومون بصلبها لاحراقها اذا بشخصين مقبلين اليهم فتوقفوا عن صلبها حتى يعرفوا من هذان القادمان .

وكان هذان القادمان غيلونة العجوز وسيف فوقف سيف امام شامة فعرفها فقال لرجال المدينة : ماذا فعلت هذه السيدة حتى تصلبوها ؟

فقالوا : لا شأن لك بها ، وتعال معنا الى الملك ليقضي فيك ما يشاء. فجرد سيف حسامه وضرب هؤلاء الرجال واحدا واحدا فقتل منهم اربعين

فكانت العجوز تساعده بقدر ما تستطيع ، واتفق ان عثر سيف بجثة قتيل فوقع على الارض فأسرعوا اليه قبل ان ينهض وامسكوه واوثقوه كتافا كما قبضوا على العجوز وقيدوها وكان النهار قد ولى ، فبلغ الملك امرهما فأمر ان يحبسوا في القبة سيف وشامة والعجوز ، حتى يأتي الصباح فيصلبوهم ويحرقوهم جميعا . وكانت شامة مع ابنها لا يفارقها ، فلما كانوا في القبة اختلط على سيف امر شامة لوجود ولد معها فسألها : هل انت شامة بنت افراح ؟ فقالت : نعم انا شامة وأنت من تكون ؟ فقال : انها سيف ، ولكن من هذا الولد الذي معك ؟ فقالت : هو ابنك رزقته منك وحملت به ليلة دخولي بك ، فأخذه سيف وضمه الى صدره وجعل يقبله ثم سألها :



الغيلان تجري وراء سيف والعجوز لاخذ الديك

هل عندك شيء نأكله ؟ فقالت : نعم . ثم احضرت له الجوز واللوز والفستق والماء فأكلوا جميعا ثم سألها : هل عندك احجار ؟ قالت : يوجد في هذه القبة احجار كثيرة كلها من الصوان ، فتعاونوا على نقلها ووضعها خلف باب القبة ثم صعدوا الى سطح القبة وباتوا يتحدثون الى الصباح .

وفي الصباح قدم الرجال ليأخذوهم من القبة ويصلبوهم فوجدوهم قد فكوا قيودهم وصعدوا الى سطح القبة وجلسوا يتحدثون فعادوا واخبروا الملك بما راوا وقالوا : انهم وضعوا حجارة خلف باب القبة حتى لا يمكن دخولها ولا يبدو عليهم خوف ولا فزع ، وقد قذفونا بالحجارة من سطح القبة .

فذهب الملك اليهم وقال لسيف : لم فعلت هذا ايها الغريب ؟

فقال سيف : جعنا ولم نجد طعاما ففعلنا ما فعلنا حتى لا نموت ونحن جياع . فأمر الملك ان يطعموا ويؤجل الحكم فيهم عشرة ايام .

وفي اليوم العاشر ذبح سيف الخروف الذي يعبدونه وأسال دمه على جدران القبة وأعلن فيهم ان هذه دماء خروفكم الذي تعبدونه من دون الله.

فبلغ الملك ذلك فأتى مسرعا فراى دماء الخروف الذي يعبده تسيل على جدران القبة فقال لسيف : سوف اخسف بكم الارض وسأذيقكم الهلاك والويل والثبور فقال سيف : انك لن تستطيع ان تنالني بسوء والا ذبحتك كما ذبحت الهك الذي تعبده فاستشاط الملك غضبا وقال : اكسروا باب القبة واقبضوا على هؤلاء ، فتكاثر القوم على باب القبة وكسروه فأخذ سيف حسامه والتقى بالقوم فجعل يطيح منهم الرؤوس وغيلونة تساعده حتى ارهقتهم الحرب واحاط به الخطر واذا بالمدينة يعلوها دخان كثيف اسود وتنتشر فيها النيران وتهتز الارض بالزلزال ، فبهت القوم وتملكهم الفزع فكفوا عن القتال واذا بيد تمسك شامة وقد وضعت ابنها الى صدرها ويد اخرى تمسك بسيف ووجدا انفسهما طائرين في الجو .

فقال سيف : انت عيروض جئتنا لتنقذنا من الخطر ؟ فقالت : انا اختك عاقصة أمرني ابي ان أدركك انت وشامة وابنكما من الهلاك الذي يحيق بكم . فسألها ان تنزل به على جبل ثم تعود وتأتي بغيلونة فأنزلتهم على جبل وعادت الى المدينة ثم رجعت وقالت : وجدت غيلونة قد مزقتها السيوف وماتت ، فحزن سيف عليها حزنا عظيما ثم قالت عاقصة : والان ماذا تريد مني ؟

فقال : احملينا الى بلادنا ، فطارت بهم عاقصة وبعد قليل طلب من اخته عاقصة ان تنزل الى الارض فنزلت بهم على جبل وقالت : استريحوا الان بينما آتيكم بما تأكلون ، فجلس سيف الى شامة وهي ترضع ابنها فرجعت عاقصة ومعها خوان من فضة عليه اربعة اقراص من خبز واربع صحاف مملوءة بطعام شهي وابريق من فضة مليء ماء صافيا ، فأكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى فقال سيف : من اين اتيت بهذه المائدة الفاخرة

يا اختاه ؟ قالت : بالقرب من هذا الجبل ملك يسمى ابا تاج له جنود كثيرون وهو تابع لملك الحبشة ، وهذا الطعام من بيته . فقال سيف : ونحن الان في اي البلاد ؟

فقالت عاقصة : في بلاد الملك ابي تاج . فقال سيف : احضري لي سيفا قاطعا ودرعا مانعا ، واتركينا في هذه البلاد ، فقالت عاقصة : واين سيف (سام بن نوح) الذي اعطاك اياه اخميم الطالب ؟ فقال : لقد ضاع مني كما ضاع اللوح ايضا ،فان استطعت ان تحضري لي سيفي فلك الشكر الجزيل . فقالت عاقصة : اما السيف فسأحضره لك ، واما اللوح فهو عند امك قمرية فلن استطيع ان احضره لك .

فغابت عاقصة يومين ثم عادت ومعها سيف (سام بن نوح) وناولته لاخيها سيف فأخذه منها فرحا مسرورا وقال لها : اشكرك شكرا جميلا والان اذهبي الى ابيك وأمك واقرئيهما السلام ، فقالت : كيف اتركك وليس معك شيء تركبه ؟ فقال سيف : احسن الله اليك ، لا بأس ان تحضري لي حصانا تركبه شامة وابنها وانا امشي الى جانبهما ، فغابت عاقصة لحظة ثم عادت ومعها حصان فأعطته لسيف وذهبت لحال سبيلها .

اما سيف فقد عثر على مغارة في الجبل فذهبوا اليها وباتوا ليلتهم فيها الى الصباح ، وفي الصباح نزلوا الى الوادي من الناحية الاخرى للجبل فراى جماعة من الفرسان واقفين فظنهم قافلة عابرة سبيل فترك زوجته وابنها في مغارة بسفح الجبل وذهب الى هؤلاء الفرسان عله يعرف منهم شيئا عن هذا المكان الذي وصل اليه ، ولما وصل اليهم وجدهم محصورين خائفين لا يستطيعون ان يفلتوا ويهربوا وقد حبسهم في مكانهم هذا اسد كبير كأنه الثور ، وهم منه وجلون لا يقدرون على قتله.

وكان هذا الاسد قد قطع الطريق على القادمين والرائحين وملأ صدور اهل المدينة رعبا وفزعا ، فلما قرب سيف منهم وراى الاسد ادرك بفطنته الحالة فجرد سيفه وتقدم في ثبات وجراة نحو الاسد ليقتله فصاحوا وقالوا: ارجع ايها الفارس ولا تعرض نفسك للهلاك ، فلم يعبأ بصياحهم واستمر يتقدم نحو الاسد ، فلما رآه الاسد استعد للوثوب اليه ولكن سيف استعان بالله وعاجله بضربة من سيفه شقته نصفين .

فصاح الفرسان صيحة الاعجاب والفرح ، وانتشر الخبر في انحاء المدينة حتى بلغ الخبر الى الملك فاستبشر واغتبط وطلب ان يحضر اليه ليكافئه على شجاعته فاستقبله الملك ابو تاج في مجلسه استقبال الفارس الظافر ، وامر ان يعد له الطعام فأبى سيف وقال : ليعذرني مولاي اذا امتنعت عن الطعام لان زوجتي وابني ينتظران عودتي .

فقال الملك : وكيف تسير بأهلك في هذه القفار بين المخاوف والاخطار انت وحيد لا صاحب يعينك في مواقف الشدة ؟

فقال سيف : امري عجيب ، وحكى له ما فعلته امه قمرية به فاستمع

اليه الملك حتى اذا فرغ من حديثه قال له : انت واهلك تقيمون عندي في ارغد عيش واعلى مقام ، وارسل معه الحجاب والخيول وذاع نبا هذا القدوم الميمون في المدينة فخرج الاهلون فرحين باستقبال الفارس الهمام الذي قتل الاسد واذهب عنهم خوفهم وباساءهم ؟ واسكنهم الملك بيتا مجهزا بوسائل الراحة والمعيشة المرضية وقال له : نحن جميعا طوع امرك وانت الحاكم فينا ، وخزائني ورجالي تحت امرك ونهيك ، فابتهج سيف واستراح ، ولما راى الملك ابو تاج شامة وما هي عليه من الحسن والجمال تعلق قلبه بها ولكنه كتم ذلك في نفسه ، وصار سيف يحضر مجلس الملك ويزوره والملك يزداد في اكرامه ، وكانا يتحدثان في احاديث مختلفة فجاء ذكر النساء والرجال فقال سيف : ان من الرجال من يكون شجاعا ، عالي الهمة ذا مروءة وعفة ومنهم من يكون جبانا وضيع النفس ولا يعف عن الدنيئة ولا يحمي جاره اذا استجار به .

وأما النساء فما هن الا ارحام تدفع ليكثر الخلق ويعمر الكون ، وهن في ذلك العمل الجليل سواء ، الجميلات منهن وغير الجميلات ، ففضلهن في الحياة من اجل ذلك عظيم ، ولهن بعد ذلك فضل اعظم اذ يقمن برعاية المولود وتربيته وبمقدار هذه الرعاية يكون صلاح المجتمع والانسانية عامة.

فسأله الملك : وزوجتك يا سيف من هو ابوها ؟ قال سيف : هي ابنة الملك افراح ملك مدينة الحديد ، وهو من نواب الملك سيف ارعد ، فقال الملك : لقد شرفتم الديار ويسرني ان تمكثوا عندي مدة حياتكم وتكونوا من اهلي وعشيرتي ، فشكره سفيف وأثنى عليه ، ثم استأذن وذهب الى بيته.

وفي المساء ذهب (ابو تاج) لزيارة سيف في بيته واخذ معه حليتين احداهما لسيف والاخرى لشامة ليجعل من هذه الهدية سبيلا الى ما في نفسه فكانت حلة سيف مؤلفة من قميص مطرز من الديباج ، وجبة ، وسروال ، وعمامة ، ودرع من الزرد وخوذة مطلية بالذهب ، ونطاق وسيف وترس ورمح ، وأما حلة شامة ، فكانت مؤلفة من جميع ما تلبسه السيدات في اعلى البيوتات فقال الملك وهو يهدي الحلتين : هذا يسير بالنسبة الى مقامكم عندي ولكنه رمز للاخوة وجميل التقدير والسرور الذي ملأتم به صدورنا .

ورجع من عندهم مشتت الذهن ، ولما جلس في ديوانه شكا امره الى وزيره الاكبر (الهضام) وحدثه عن محبته لشامة ، فقال الوزير : ان شامة وزوجها في بلدك وهم يتقلبون في نعمتك وقد غمرتهم بفضلك افبعد هذا كله يتجراون ان يردوا لك رجاء او رغبة ، فقال الملك : ارى ان تزورها يا هضام في بيتها وتتحدث اليها في هذا الشأن ثم تأتيني بعد ذلك بما تجده منها .

فانتهز الوزير فرصة وجود سيف مع الملك ودخل على شامة في تجلة واحترام فنظرت اليه في دهشة وقالت : من انت ؟ قال : انا الهضام وزير

الملك الاكبر . فقالت شامة : وكيف تدخل على امراة في بيتها وزوجهـا غائب عنها ؟ اخرج من حيث اتيت . فقال الوزير : واين سيدي سيف؟ قالت : لا تطل في الكلام اخرج سريعا وفي تلك اللحظة دخل سيف فوجد الوزير واقفا في حجرة شامة فقال : كيف سمحت لنفسك ان تدخل بيتي في غيابي ؟ يبدو لي انك رجل لا كرامة له ولا نخوة ، فقال الوزير : عفوا يا سيدي ، فقد جئت اسالها عما تحتاج اليه فأقضيه لها ، فقال سيف : احسب انك جاهل او نذل لئيم فكيف وصلت الى الوزارة وانت على هذه الخسة ؟ اخرج فاني لا احب ان اسمع منك شيئا . فخرج الوزير لا يلوي على شيء وذهب الى ملكه وقص عليه ما جرى فقال الملك : وماذا نصنع ؟ فقال الوزير : لا ينفع في هذا الفارس الا ان تذله وتهينه ، فأرسل اليه جنودك يحيطون بيته حتى يرى الموت عيانا . فقال الملك : دبر هـذا الامر ونفذه .

اما سيف فقد قال لزوجته : هيا بنا نرحل من هذه المدينـة ما دام اكبر الناس فيها يجهلون الفضيلة ، ولما فتح بيته اراد الخروج وجد جمعا من الجنود واقفين في وجهه يريدون قتاله ، فأيقن ان الوزير وشى به عند الملك فأرسل جنوده لينتقم لوزيره ، ولهذا اصر على ان ينكل بهـم تنكيلا ، فسل حسامه ووقف امام الباب وشامة وابنها داخله ، وجعل يجز رقاب الجنود جزا ، ويحصدهم حصدا ، لكنهم تكاثروا عليه واوشكوا ان يأخذوه اسيرا واذا بقعقعة في الجو تصم الاذان ولم ينتبه الجنود الا ووجدوا البيت خاليا من سيف وزوجته وابنهما وطارت بهم وهـم لا يعرفون من اختطفهم ، فسأل سيف وهو في الجو : من انت يا من انقذتنا من الخطر ؟ فقالت : انا اختك عاقصة ، فشكرت لها شامة معروفها وقالت لها : لقد جئت الينا في وقت الحاجة ايتها الاخت الكريمة . ثم نزلت واياهم على جبل وقالت : عندما فارقتكم لم تطاوعني نفسي ان اسافر الى بيتي واتركم في هذا المكان ، فذهبت الى الشام واحضرت بعض الفواكه وعدت مسرعة ولما عرفت انكم في ضيق شديد اختطفتكم ونزلت بكم في هذا المكان ، وهذه فواكه الشام فكلوا منها ما تشتهون ، فجعلوا يأكلون ويحمدون فضلها وعطفها ، فقالت عاقصة : كان بودي ان احملكم الى بيتنا لتعيشوا هناك بأمان ومسرة ، فقال سيف : يا اختي ، هاتي لنا حصانين لنركبهما ونسير في هذه الارض لنلقى فيها ما قدر لنا في علم الغيب ، والله يتولانا بفضله ورعايته .

فأحضرت الحصانين وسلمتهم الى سيف وطارت الى ابويها .

ركب سيف وزوجته وابنهما الجوادين وسارا يقطعان الفيافي والقفار الى ان اهتدى سيف الى مغارة فباتا فيها ليلتهما ولما اصبحوا وهموا بالمسير راى سيف خيلا عليها فرسان مقبلة عليه ، فأمر شامة ان تعود بابنها الى داخل المغارة وانتظر هو على بابها ليتبين امر هذه الخيل .

كانت هذه الخيل للملك ابي تاج وبعض من فرسانه خرج بهم من المدينة باحثين عن آثار سيف في المكان الذي ظن انه نازل فيه ، فلما التقى بسيف قال له : أويتك واكرمتك فجازيتني بقتل رجالي والهرب من مدينتي وما ذلك من خلق الحر الكريم .

فقال سيف : لقد آويتمونا واكرمتمونا فشكرناكم ، ولما خفناكم فررنا منكم وما كنت ابغي برجالكم شرا ، ولكني دافعت عن نفسي وذلك هو خلق الحر الكريم ، وماذا تريد الان ؟

فقال الملك : اما ان تعود الى المدينة انت واهلك واما قاتلناك وارجعناك اليها غصبا . فقال سيف : اخترت ان اقاتلكم ، فقال الملك : موعدنا الغد حتى تأتي بقية الجنود فقد ارسلت في طلبهم .

وفي الليل هبط عيروض واختطف سيف وطار به وبقيت شامة وابنها في المغارة تبكي وتستغيث بربها ، ولما طلع النهار صف الملك جنوده وانتظر خروج سيف من المغارة لقتاله ومضى ثلث النهار ولم يخرج فقال الملك : سأدخل المغارة لمقابلته ، فربما بدل رايه واستحيا ان يواجهكم ، وربما ابطات عليكم في التحدث اليه فلا يدخل احدا علي ما دمت في المغارة .

دخل الملك المغارة فوجد شامة تبكي وتنتحب وابنها في حجرتها يبكي ببكائها وتطلع في المغارة فلم يجد سيفا فعلم انها فقدته فقال لها :

من يخلصك الان مني يا شامة ؟

فأجابته بصوت هادىء : يخلصني من يدك رب المستضعفين ورب الخلق اجمعين ، ثم رفعت بصرها الى السماء وقالت :

اللهم من ارادني بسوء فاخذله واسلبه عافيته فلا يستطيع النهوض من رقدته . فلما سمع الملك هذا الدعاء احس بغتة تخدرا في جسمه وجعل يزيد ويقوى حتى سقط على الارض كأنه جلمود فعلم ان ربها حماها وخذل من كان يريد لها الاذى ، فالتمس منها ان تدعو ربها لينقذه مما اصابه على ان يدين بدينها ويعبد الهها وتعهد في حمايتها وصونها من كل اذى . فقالت: ردد معي ما تسمع ، لا اله الا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت بيده الملك وهو على كل شيء قدير واشهد الله الذي لا اله غيره ان احمي شامة وابنها من كل شر واذى ، فردد الملك ما سمع منها فدعت ربها قائلة : اللهم ان كان هذا الملك ابو تاج صادقا في ايمانه وعهده فنجه ممن اصابه، والبسه ثوب العافية انك على كل شيء قدير . وما انتهت من دعائها حتى نهض الملك اقوى مما كان فقال : شكرا لك يا شامة اذ هديتني الى الدين القويم واخرجتني من الظلمات الى النور ، وسأكلف بعض الجنود ان يصحبوك في صون واحترام الى بيت مستقل لا يدخل عليك فيه الا الجواري اللاتي يقمن بخدمتك ، حتى يعود اليك سيف سالما ، والله على ما اقول شهيد .

وقد كتم ايمانه بنفسه خوفا من كبراء دولته والجنود ، فخرج من

المغارة فقال الى للجنود : لقد وجدت شامة وابنها يبكيان بكاء مرا ، فسألتها عن سيف زوجها فقالت : استيقظت في نصف الليل فلم اجده في المغارة ولم يعد الينا حتى الساعة واخشى ان يكون خرج لبعض شؤونه فتاه وضل السبيل ، او اغتاله وحش من وحوش البرية ، وقد قررت ان اجعل لها ولابنها بيتا مستقلا لا يدخله الا الجواري اللائي يقمن بخدمتها حتى ينتهي اجلها او ينجلي مصير سيف زوجها فهيأ الى المدينة وليرافقها عشرة من الفرسان الى البيت الذي اعده لهما . وهكذا عادت شامة الى مدينة الملك ابي تاج المؤمن بالله ايمانا اضاء قلبه وطهر نفسه وجعل منه ملكا كريما .

اختطف عيروض سيف ورماه في وادي السحرة وفج النار كما امرته قمرية وقال له : انت الذي ظلمت نفسك اذ اعطيت امك اللوح ولولا ان هذه الغمة ستنكشف عنك لالقيتك من اعالي الجو في هذا الوادي ، لانك مكنت امك من ايذائك وسلامي عليك والله يحفظك ويرعاك .

نزل به عيروض على جبل عظيم الارتفاع ، ليس فيه طريق سالك الى الارض فسار فوقه فوجد كأنه قطعة واحدة من الصوان ، ووجد في وسطه شقا عميقا يخرج منه دخان في النهار ونار وشرر بالليل ، فاستعاذ بالله من هذا الجبل وايقن انه هالك لا نجاة له ، ثم رأى عن بعد رجلا مقبلا نحو الجبل وهو طويل القامة ضخم الراس طويل الاظافر والاسنان احمر العينين رث الثياب رؤيته تقشعر منها الابدان ، وظن سيف ان هذا الرجل لن يصل اليه لان الجبل لم يكن فيه طريق الى اعلاه ، فجلس فوق الجبل ينظر ماذا يفعل هذا الرجل لفظاعة شكله وخروجه في هيئته عن المألوف في بني الانسان .

وقف الرجل في اسفل الجبل وبدأ يقرأ ويتمتم فاذا به يطير مرتفعا الى اعلى الجبل فجعل يسير الى ان بلغ الشق الذي يخرج منه دخانا ونارا ، فسجد عنده وأطال في السجود ثم رفع راسه والتفت نحو سيف واطال فيه النظر فأشار اليه بيده فخاف سيف ودب في قلبه الرعب وغشي عليه فلما افاق من غشيته لم يجد الرجل ، ولكنه وجد نفسه مسمرا في مكانه لا يستطيع حراكا فجعل يذكر الله تعالى ويسأله النجاة من هذا البلاء ، ولما انتهى النهار عاد ذلك الرجل ومعه ثمانون رجلا مثله واخذوا يقراون ويتمتمون فارتفعوا في الجو حتى بلغوا قمة الجبل وجاءوا الى النار فسجدوا لها جميعا واطالوا كثيرا في السجود وفي اثناء سجودهم انفلت واحد منهم الى سيف وقال له : اهلا وسهلا بسيف بن ذي يزن .

فاطمأن سيف وهدأ قليلا وقال : من انت ايها الرجل ؟ وكيف عرفت اسمي ؟ فقال : انا برنوخ الساحر صديقك ، وهؤلاء الساجدون كلهم سحرة وانا كبيرهم وزعيمهم ونحن نعبد النار ، وفي اثناء سجودي معهم اخذني النوم فجاءني رجل يفزع شكله وبيده حربة من نار فقال : يا برنوخ ، كفى ما انت فيه من الضلال وعباد النار وان لم تترك عبادتها وتعبد

الله الذي خلق الخلق وسخر لهم ما في السموات والارض ولذهب الى الرجل المسمى سيف بن ذي يزن وتخلصه مما هو فيه طمنتك بحربتي هذه، ثم صاح وايقظني من نومي فجئت اليك مسرعا، فهل انت سيف بن ذي يزن؟

قال سيف : نعم انا هو .

فقال برنوخ : وماذا اقول حتى اكون على دينك وملتك ؟

قال سيف : قل اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يحيي ويميت بيده الملك وهو على كل شيء قدير واشهد ان محمدا عبده ورسوله .

فردد برنوخ ما سمعه من سيف ثم احضر بعض الرمل وقرأ عليه وتمتم ثم رش به سيفا فبطل السحر عنه فحمد الله سيف الذي هدى برنوخ للايمان ، ثم سأله عن هؤلاء الساجدين للنار ؟ فقال برنوخ : ليس لدينا متسع من الوقت للكلام ، فقم واصحبني . وانهضه ووقف به على حافة الجبل فتمتم برنوخ فاذا هما في الوادي وابتعد به عن هذا المكان وغاب عنه برهة من الزمن وعاد اليه ومعه جوادان فركباهما ورحلا مسرعين .

قام الثمانون رجلا من سجودهم فلم يجدوا برنوخ كبيرهم ولا سيفاً فقالوا : لقد اخذ برنوخ الرجل الغريب وكنا نرغب ان نقدمه قربانا للنار ، فهيا بنا ندركه ونأتي به . ثم نزلوا عن الجبل وركبوا خيولهم وخرجوا بها خلفهما ، ولما شعر سيف وبرنوخ بهم قال سيف: دعني لهم فاني قادر على ان اكفيك شرهم ، فقال برنوخ : قف انت وانظر ما يكون بيني وبينهم من حرب السحر والكهانة . ثم سلط عليهم برنوخ الرعشة فأبطلوها فرماهم بالخفقان ثم الخذلان ثم بالدهشة والحيرة ثم بالسكتة وهكذا كلما رماهم برنوخ شيئا فقال بعضهم لبعض : ان برنوخ كبيرنا واقدر منا فيجب ان نبلغ ملكنا امره واتفقوا على ان يرسلوا رسولا منهم الى ملكهم ليشير عليهم بما يختار ولما وصل الرسول الى الملك وبلغه امر رفاقه قال له الملك : انطلق وبلغهم انني سأحضر اليهم غدا لاهلك برنوخ وصاحبه ونقذفهما قربانا للنار ففرحوا وانتظروا في مكانهم مجيء الملك .

واما برنوخ وسيف فقد جلسا يتحدثان في تلك الليلة عن سبب مجيئه الى هذه الديار ، فحكى له ما فعلته به امه من اوله الى اخره ، ثم سأل سيف برنوخ عن هؤلاء السحرة فقال :

هذه المدينة تسمى مدينة (الاشخاص) وكان عليها ملك يسمى الكاهن (حابس الوحشي) وله ولد رباه حتى بلغ رشده وعلمه السحر والكهانة حتى برع فيهما ولما كبر ابدى رغبته لابيه ان يزوجه فارسل ابوه الى الملك (شاخص) يخطب ابنته لابنه على ان يعطيه صداقها ما يشاء من اموال وخدم وعبيد فلم يرض الملك شاخص وقال : ليس عندي بنت بلغت مبلغ الزواج، فغضب الكاهن وعز عليه ان تحبس فتاة عن ابنه ونوى ان يكيد له وينتقم منه فهل تعلم ما فعل ؟ امر (الكاهن حابس) اعوانه ان يحفروا في سطح الجبل هذا الشق العميق وامر بعضا من الجن ان يسكنوا فيه وينفخوا

بأفواههم فتكون انفاسهم في النهار دخانا وفي الليل شرارا ونارا .
وقال حابس لجنوده وكان جلهم من السحرة المهرة : هذه النار الهكم فاسجدوا لها وقدموا القرابين كل يوم . فقالوا له :
وما القرابين التي نقدمها ؟ فقال حابس : انها اعضاء من بني آدم . فقالوا : ومن اين نجيء بالقرابين ؟ فقال حابس : من مدينة الملك شاخص ولما هجم الليل اغار جنود الكاهن حابس على مدينة الملك شاخص وساقوا اهلها مقيدين والملك معهم حتى انتهوا الى ذلك الجبل وقعدوا بهم في أسفل الجبل حتى طلع النهار ثم رفعوهم الى سطحه بطريقتهم السحرية اذ كان الجبل خاليا من طريق منحدر يسهل السير فيه . ولكن غلب على أعوان الكاهن النوم فاستطاع الملك شاخص ان يفك قيوده وقيود من معه ثم سار بقومه خفية وترك جنود الكاهن غرقى في نومهم وبعد ايام من مسيرهم وجدوا انفسهم في واد كثير الاشجار وراوا فيه رجالا يتسابقون على خيل من نحاس فتملكهم العجب وسال الملك شاخص واحدا منهم عن هذا الوادي ومن يحكمه ؟ فقال : هذه مدينة السحرة وملكها (شمشرون) الساحر ، وهو الجالس عند تلك العين ، فذهب (شاخص) اليه وحياه وقال : جئتك مستجيرا يا شمشرون ، فقال شمشرون : وممن تستجير ؟ فقال شاخص: من كاهن في جبل الدخان يدعى حابسا . وحكى له ما حصل ، فقال شمشرون : اجرناك ، فانت منذ الان في حمايتنا ، وأمر ثمانين من رجاله ان يصحبوا الملك شاخصا وقومه الى مدينتهم وان يقيموا فيها ولا يبرحوها الا بعد ان يهلكوا الكاهن ورجاله ، فشكره شاخص وعادوا جميعا الى المدينة.
اما حابس ورجاله فقد استيقظوا في الصباح فلم يجدوا احدا فقال : ان النار اختطفتهم واحرقتهم ، فرجعوا الى مساكنهم لا يفكرون فيهم .
اوعز رئيس السحرة الثمانين ان يصنعوا تماثيل من الطين على هيئة الانسان ، ثم صف هذه التماثيل امامه ، ثم رشها برمل كان قد قرأ عليه فوقعت رؤوس حابس ورجاله وخلا الجبل منهم وذهب شمشرون الى الاوينة ليطمئن على رجاله فوجدهم قد افنوا حابسا وجنوده ففرح بهم وامرهم ان يحتلوا مكانهم في الجبل ، وأن يعكفوا على عبادة النار جيلا بعد جيل حتى نشأنا ورايت ما رايت منا . وكانت هدايتنا الى الايمان بالله على يديك ، وكأن الله ساقك الى هذه الارض لتنقذنا من الغي الى الرشاد، وتهدينا الى عبادة الواحد القهار ، طلع النهار على برنوخ وسيف فوجدا ميدان القتال مملوءاً بالسحرة ، وبملك المدينة ، وجنوده فقال برنوخ :
لقد اصبحنا امام خطرين ، خطر السحرة ، وخطر ملك المدينة فان انا حاربت السحرة خفت عليك من الملك واتباعه ، وان حاربت الملك خفت عليك من السحرة ، فقال سيف : لا تخف ولا تحزن ، عليك انت بالسحرة وعلي انا بالملك وجنوده ، وسننتصر عليهم بعون الله الواحد الاحد ، الذي لا يعجزه شيء في السموات والارض .

اشتعلت نيران الحرب بين الفريقين ، واشتدت وطاة القتل واستمرت ناره على برنوخ وسيف فاضطرب امرهما ، وانحلت عزيمتهما ، فابتهلا الى الله ان يكشف ضرهما ، وما هي الا لحظة حتى نزلت (عاقصة) واختطفت سيفاً وبرنوخ وطارت بهما ، فسألها سيف : من انبأك يا اختاه ؟ قالت : جاءني عيروض في قصري وقال : ادركي اخاك يا عاقصة فان امه القته في وادي السحرة وقد اشرف هو وصاحبه برنوخ على الموت فأسرعت اليكما وخلصتكما من الهلاك ، فالى اين تريدان ان تذهبا ؟ فقال لها سيف : احملينا يا اختاه الى مدينة الملك ابي تاج ، فقالت : على الراس والعين.

اما السحرة والملك وجنوده فانهم ظنوا ان سيف بن ذي يزن لم يسكت عن قتالهم في الليل فجعل يحارب بعضهم بعضا حتى طلع النهار ولما لم يجدوا له اثرا بحثوا عنه بين القتلى فما عثروا عليه فجمعوا جموعهم وعادوا ادراجهم خائبين .

لما عرف جنود الملك ابي تاج واهل مدينته ان ملكهم ترك دينه وآمن بالله وحده ثاروا عليه ونقموا على شامة التي اكرمها وصانها في بيت من بيوته لانها كانت سبب ايمانه ، ونشب القتال بين الملك واهل مدينته وكان قتالا مرا عظيم الخطورة على ابي تاج الذي أصر ان يموت دفاعا عن شامة وابنها ، وفي هذه الاثناء نزلت عاقصة على قصر الملك ابي تاج تحمل اخاها سيفاً وصاحبه برنوخ ، فطرقت اسماعها اصوات قرع السيوف فسأل سيف أخته عن تلك الضجة فاخبرته بحقيقة الموقف وان ابا تاج اشرف على الهلاك دفاعا عن نفسه وعن شامة ، فأمرها ان تشتت شملهم وتمزق جمعهم فقالت : ليكن ما تريد وفي لمح البصر غطى المدينة دخان كثيف اسود ترتفع عنه السنة من النيران المشتعلة وعلى الاثر هدرت اصوات متتابعة كانها الرعد في شدته فانذهل اهل المدينة وظنوا ان المدينة ستخسف بهم ففروا منها سراعا وهاموا على وجوههم في الصحراء لا يعرفون الى اي جهة يذهبون ، ثم سمعوا من خلفهم نداء يقول : يا ايها الناس من آمن منكم بالله وحده فهو آمن وليرجع الى بيته في المدينة، ومن كفر وانكر وجود الله فليذهب حيث يشاء . فان رجع فلا يلومن الا نفسه . فرجع خلق كثير وآمنوا بالله واصبح اهل المدينة يعبدون الله الذي خلقهم ، واجتمع شمل سيف وابو تاج وشامة وابنها وبرنوخ في غبطة و بهجة لان الايمان بالله والاعتصام به خير رباط للاخوة والصداقة، ثم اقترح عليهم سيف ان يرحلوا من هذه المدينة فقالوا : نعم الراي رايك ، فلنرحل جميعا ولا داعي لبقائنا هنا ، وودعتهم عاقصة وطارت الى بيتها .

امر الملك ابو تاج بتجهيز المراكب واخذ معه بعضا من جنوده وركبوا في الفلك وجرت بهم في البحر الى مدينة (حمراء اليمن) التي فيها قمرية وجعل سيف يقص على برنوخ وابي تاج ما جرى له في حياته فامتلأ صدر برنوخ غيظا على قمرية فقال : سوف انتقم لك من هذه الام الخائنة

القاسية التي نشزت عن سنة الوجود ، فقال سيف : افعل ما تشاء ، ولكني ارجوك ان تأتيني بها حية افعل ما اريد ، وانت في حل من سلوك السبيل الذي تهواه . فقال برنوخ : ليكن ما تريد ، وكان لبرنوخ اعوان من الجن فأمر احدهم ان يحمله الى الجبل المواجه لمدينة (حمراء اليمن) فحمله وانزله حيث اراد ، ثم طلب منه ان يأتيه بقبضة من نحاس عليها صورة انثى فذهب الجني وعاد بعد لحظة وفي يده القبضة فاخذها برنوخ وكتب عليها اسم قمرية وكلفه ان يدفنها بباب المدينة ثم يذهب الى سبيله ثم استدعى أعوانا اخرين وامرهم ان يقوموا على اتعاب قمرية وارهاقها بالاوجاع والعلل ، فانطلقوا ينفذون ما امروا به ، وكانت قمرية مشروحة الصدر هادئة النفس وفجأة غلبها النوم فنامت ، ثم استيقظت فزعة مرتعشة غارقة في عرقها وخفق قلبها خفقانا هائلا واحست بالاوجاع تنهش جسمها ففركت اللوح فجاءها عيروض قائلا :

لبيك يا سيدتي . ما تطلبين ؟ قالت : احضر لي طبيبا يداويني ويخلصني من أوجاعي . فطار مسرعا وعاد بأربعة أطباء كانوا قادمين من الهند الى اليمن فأدخلهم عليها وعرفهم بها فأخذوا يفحصون جسمها فحصا دقيقا فلم يجدوا في جسمها علة ابدا ، فأخبروها انها سليمة وليس فيها مرض ، فصرفتهم الى سبيلهم ثم استدعت عيروض وقالت له : ان ما بجسمي من الاوجاع من عمل الجن فأخبرني من يكون هذا الذي ألحق بي هذا الضرر ؟ فقال : انه رجل ساحر يقال له برنوخ أرسله لهذا الغرض ابنك سيف لانه أوغر صدره ضدك فما رايك ؟ قالت قمرية : أولا يزال أبني حيا لم يمت ؟!

فقال عيروض : أجل انه لم يزل حيا يرزق .

فقالت : ومن الذي نجاه ، كنت احسب انه هلك .

قال : اخته عاقصة ، فأمرته ان يحضر اليها برنوخ وعاقصة لتقتلهما.

فقال عيروض : ان طلبك هذا فوق طاقتي ، فاذا حاولت القيام به حرقتني النيران ، فقالت : ولماذا يفعلون بي ذلك ؟ فقال : ارضاء لابنك سيف فقالت : اذهب الى ابني سيف وارمه خلف جبل قاف ثم عد مسرعا .

ذهب عيروض الى سيف وهو في الفلك مع ابي تاج وشامة وابنهما ال له : اتعبتني بتساهلك مع امك ، وقد امرتني الان ان ارميك في ن تلقى فيه حتفك ، فقال سيف : يتولاني ربي الذي نفسي بيده ، ولكني وك يا عيروض ان تحملني بحيث يبدو للرائي انني امشي على وجه الماء.

قال عيروض : لك ما تريد . فاستأذن سيف من صحبه قائلا : اني احب امشي على الماء قليلا ونزل من الفلك ومشى فوق الماء والناس تتعجب امره ولكن شامة فهمت ما حاق بسيف زوجها فكظمت الما في صدرها ثت واستمر سيف ماشيا على الماء بعد ان اختفى عن الانظار .

اشتدت الاوجاع بقمرية ففركت اللوح فترك عيروض سيفاً في جزيرة في البحر واسرع عائدا اليها فقالت له : ماذا فعلت بسيف ؟ قال : لقد حملت ابنك وطرت به ولما دعوتني اليك وضعته في جزيرة في البحر واتيتك على عجل فماذا تأمرين ؟ قالت : ثقل مرضي ، واشتدت علتي ، فهات لي الان الحكيمين سقرديس وسقرديون ، فقال عيروض : لن استطيع ، فاني اخشى برنوخ الساحر ، وان كنت راغبة في حضورهما ارسلي احدا غيري فأرسلت شخصا يسمى (القاصد) ، استفتى برنوخ رمله فعرف ان قمرية ارسلت رسولا يسمى القاصد في طلب سقرديون وسقرديس اليها فقال في نفسه :

لقد حان الوقت الذي ابلغ فيه من قمرية الخائنة ما اريد فاستدعى خادما من الجن وأمره ان يمسك القاصد ويمنعه عن السير من مكانه حتى يأمره برنوخ باطلاق سراحه ، ثم تلا عبارات سحرية كان بعد تلاوتها في شكل الحكيم سقرديس وصفاته لا يختلف عنه في قليل او كثير ، ثم سار الى المدينة فلما رآه اهلها عرفوه وفرحوا به ونقلوا خبر قدومه الى الملكة قمرية فاغتبطت وانشرح صدرها وان كانت لا تزال تقاسي من اوجاعها شيئا كثيرا ، وبعثت حاشيتها ليستقبلوه نيابة عنها ويصحبوه الى قصرها.

استقبل سقرديس (اي برنوخ) من الملكة بحفاوة بالغة واجلسته على عرشها ثم اخذت تذكر له أوجاعها وآلامها وقالت : ان هذا كله من فعل برنوخ الساحر ، فهز راسه وقال : اذا كان الامر كما تقولين فاني مبطل سحره ، فتعالي معي وانا أدلك على مكان السحر وحينئذ تخرجين ما فعله من السحر بيدك وتحرقينه بنفسك .

خرجت قمرية ومعها سقرديس (اي برنوخ) فذهب بها الى المكان الذي دفن فيه القصبة وجعل يقرا ويدمدم فخرجت القصبة التي كان قد وضعها من مخبئها فأيقنت انها كانت مسحورة بها ، ثم امرت الخدم ان يتلفوها او يلقوها في النار ، وبذلك عادت قمرية الى صحتها وعافيتها ، فسرت من سقرديس سرورا كثيرا ومنحته الهدايا وامرته ان لا يفارقها طرفة عين ، ثم سألته عن القاصد الذي ارسلته فقال : الملك سيف أرعد في ضيافته ، واستقر سقرديس في قصر الملكة قمرية .

وفي ليلة من الليالي تسلل الى حجرتها فألفاها تغط في نومها فوقف عند راسها واخذ يقرا ويتلو رموزا سحرية حتى ثقل نومها وامست لا تحس ولا تستيقظ فمد يده واخذ اللوح واسرع الى حجرته وهناك فرك اللوح فجاءه عيروض قائلا : لبيك يا سيدي .

فقال : اذهب الى سيف حيث يكون وائت به الي في الحال .

اما سيف فان عيروضا لما تركه في الجزيرة جعل يمشي في الجزيرة على غير هدى حتى عثر في طريقه على طابق في الارض مفتوح الباب ، فقال في نفسه : لا بد ان يكون في هذا الطابق كنز مخبوء . فنزل في سلمه

الحجري حتى انتهى الى اخر درجة فيه فأرسل بصره فوجد عينا يجري ماؤها الى مكان اخر ورأى رجلا جالسا الى جانب العين مكشوف الرأس وطوله بمقدار سيف اربع مرات ، فلما رآه الرجل وقف خائفا وقال : انا بك مستجير فلا تقتلني .

فقال سيف : لا تخف ايها الرجل فانا لا اريد بك سوءا ، انما اخبرني عن سبب جلوسك في هذا المكان ؟ فقال الرجل : اولا اخبرني انت انسي ام جني ؟ قال سيف : انا انسي مؤمن بالله وحده ، وطائع لامره ونهيه ، فقال الرجل : وانا ايضا انسي أعبد الله الواحد القهار ولا اعصي له امرا وأما سبب جلوسي في هذا المكان هو انه في اول شهر اذار من كل سنة يتغير لون الماء في هذه العين عشر الوان وحينئذ يأتي سرطان يتلون جسمه بهذه الالوان العشرة فنأتي الى هذه العين في هذا الموعد لكي نصيده ثم نبيعه لبعض التجار الذين يفدون الينا كل عام ، وأنا جالس هنا في انتظار السرطان .

فقال سيف : وما فائدة هذا السرطان يا عماه ؟

قال : ان التجار يبيعون هذا السرطان بأثمان باهظة جدا لانه اذا اخذ منه جزء صغير وأذيب في ماء الورد ثم وضع في عين أصيبت بالعمى فانها تبرأ باذن الله . فرغب سيف ان يأخذ السرطان لنفسه عساه ينفعه ولهذا انتظر معه الى ان اصطاد الرجل سرطانين على غير العادة فقال الرجل: حمدا لله فقد رزقنا باثنين واحد لي وواحد لك ، فأخذه منه شاكرا ثم سأله عن الطريق الى العمران فقال له : انت الان في جزيرة لا عمران فيها، فخذ هذا الفلك وهذين المجرافين وسر في البحر حتى تصل الى البر الثاني وهناك تجد المدن والعمران .

ركب سيف في الفلك وجرى فيه بالبحر ، ثم هاج البحر واضطرب وطغت الامواج على الفلك فصارت ترفعها تارة وتخفضها اخرى بخوف ووجل حتى غرقت الفلك ورمته في البحر ، فجعل يعوم ويسبح ويدعو الله في سره ان ينجيه من هذا الكرب فاستجاب الله له وسخر له الامواج دفعته الى البر فاقدا قوته فاضطجع على الشاطىء ساعات طويلة حتى عادت اليه قوته وكانت الشمس والرياح قد جففت ملابسه فاستمر ماشيا حتى اشرف على مدينة القيت على بابها رؤوس الرجال مذبوحة فسأل احد ابناء المدينة عن هذه الرؤوس المعلقة فقال :

يظهر انك غريب عن هذه المدينة ؟

قال سيف : هو ما تقول يا سيدي ، فانني لم ادخل الى هذه المدينة الا في هذه الساعة . فقال الرجل : هذه المدينة لرجل عظيم وله ابنة لا مثيل لها من الجمال ، فخطفها مارد من الجن فجعلت تبكي حتى ابيضت عيناها من الحزن ، ثم اعادها المارد الى ابيها عمياء فاقدة البصر ، فقال الملك لوزيره : اكتب الى المدن المجاورة واعلن في الناس ان كل من يداوي

ابنتي ويرجع اليها بصرها زوجته منها واتخذته وزيرا لي واقاسمه في اموالي ونعمتي وان لم يستطع قطعت راسه وهذه رؤوس الاطباء الذين عالجوها ولكنهم عجزوا عن رد البصر اليها فكان جزاؤهم القتل فتحسس سيف السرطان الذي كان قد حصل عليه في الجزيرة فوجده معه فقال: الحمد لله الذي كشف عنا الغمة وساقنا الى الخير والسمة فقال الرجل: وهل في هذا خير لك يا ولد ؟

قال سيف : اني طبيب ماهر ، واستطيع ان اداويها ، وارد اليها بصرها فخذني اليها ولك الفضل والمنة ، وكان الرجل شيخا كبيرا كريم النفس طيب القلب ، فسار به الى قصر الملك ، واعلم به الحجاب ، بأن هذا طبيب جاء ليداوي بنت الملك ، فلما حضر سيف بين يدي الملك نصح له قائلا :

ان لم تقدر على شفائها فلا تذهب اليها خوفا على حياتك ، فقال سيف: سأشفيها باذن الله ، فأمر الحاجب ان يذهب به الى ابنته وقال : ان كان هذا الطبيب صادقا كافأناه وزوجناه بها وان كان كاذبا قطعنا راسه وعلقناه على باب المدينة . فذهب به الحاجب الى ابنة الملك واعلمها بأن بالباب طبيبا يدعي بأنه يشفيك فقالت له : قل له ان يذهب في سبيله حتى لا يقطع راسه واحمل خطيئته ، فقال لها : انه اتى من بلاد بعيدة ويقول انه واثق من نفسه على انه يقدر على شفائك ، فقالت : حسنا مره بالدخول ووزره على نفسه .

دخل سيف غرفة مفروشة بالحرير ووجد بنت الملك راقدة على سرير من فضة مرصع بالجواهر كأنها البحر في سمائه فعرفها فأمرته بالجلوس فجلس ثم طلب هاونا وشيئا من ماء الورد ، وموقدا عليه جذوة نار فأحضروا له ما طلب ثم قطع جزءا صغيرا من السرطان الذي معه ، واحرقه على جذوة النار ، ثم سحقه في الهاون ووضع المسحوق في زجاجة صغيرة ووضع فيها شيئا من ماء الورد واقفل الزجاجة ورجّها بيده رجّاً عنيفا حتى امتزج المسحوق بماء الورد ثم وضع من هذا المزيج في عيني ابنةالملك فصرخت صرخةعالية وغشي عليها فدعى سيف ربهوقال:

اللهم كما خلقت الليل والنهار وجعلت الظلمات والنور امنْن علي بفضلك واشف هذه الابنة مما أصابها ، وارجع اليها بصرها انك على كل شيء قدير ، فعطست الابنة لساعتها وافاقت من غشيتها وفتحت عينيها فأبصرت كل شيء امامها ونظرت الى سيف فعرفته فارتمت في أحضانه، وطار خبر شفائها الى الملك فجاء هذا الخبر كالترياق وامر ان يذهبوا به الى الحمام وأن يلبسوه حلة فاخرة تليق بزوج ابنته واخذه الى ديوانه واجلسه بجواره وانتشر الخبر في المدينة وجاءه المهنئون من كل مكان ، ولما جاء الليل اقام الملك حفلا جمع فيه الوزراء وامر ان تقام الافراح في المدينة عشرة ايام وفياليوم الحادي عشر زفت ناهد الى سيف بن ذي يزن

الذي اصبح وزيره .

وبينما كان سيف وزوجته ناهد يتحدثان جاءه عيروض ، فقال : ليس في وقتي متسع للكلام فقم الان لاطير بك ، فقالت ناهد : خذني معك يا سيف ولا تتركني فاني لا استطيع الحياة بدونك ، فاستأذن سيف عيروض ان يحملها معه فرضي وقال : انني لا ارد لك طلبا ، ثم حملهما وطار بهما الى المدينة الحمراء حيث امه قمرية ودخل بها على برنوخ في حجرته فقام اليه وقبله بين عينيه وقال له : خذ لوحك هذا واحرص عليه حرصك على حياتك ، فاني من اجله فعلت كذا وكذا ، وقص عليه ما فعله بقمرية حتى استطاع اخذ اللوح منها فشكره سيف واخذ اللوح وربطه تحت ابطه كما كان ، وجلس يحدث برنوخ بما جرى له في غيبته ، بعد ان فارقـــه في البحر .

وفي الصباح جلس سيف على عرش ملكه بالمدينة الحمراء وجلس برنوخ بجانبه اما قمرية فانها لما استيقظت في الصباح لبست ثياب الملك وذهبت الى الديوان لتجلس على العرش فوجدت سيفا جالسا فيه ، ففوجئت بخيبة عظيمة ومدت يدها الى اللوح فلم تجده فذابت في مكانها اسفــا وحسرة ولجأت الى مكرها في الحال ، فبكت وتقدمت في خضوع وندم الـــى ابنها قائلة :

ارح نفسك من امك بقتلها ، فكم اساءت اليك وانت تحســن وكم قسوت عليك وانت ترحم . فقال برنوخ : ذلك زخرف من القول من ورائه السم القاتل ، فلا تأمن لها واقتلها في الحال ، وان لم تفعل فاسجنها حتى تموت في سجنها ، فان خالفتني فاني راجع عنك ولا تلومن الا نفسك انِ وقعت في يدها .

فأمر بوضعها مقيدة في سجن تحت الارض وجعل لها جارية خاصة تطعمها وتخدمها ، ثم ارسل برنوخ حينئذ الى المارد الذي امره بحبس (القاصد) في مكانه وامره ان يخلي سبيله ليذهب حيث يشاء ، فانفلت القاصد هذا الذي كان رسول قمرية الى الملك سيف أرعـــــد في طلب الحكيمين ، جلس سيف بن ذي يزن ملكا على عرش اليمن ، وكان اول شيء فعله حرم على رعيته عبادة الاوثان ورغبهم بالايمان بالله وحده ، وعبادته وطاعته ، واصبح كل اهل المدينة مؤمنين باللهِ مستمسكين بشريعته .

لما علم افراح وسعدون ان سيفاً جلس على عرش اليمن اجتمعا وبعثا رسولا الى المدينة ليتأكدوا من صحة الخبر ، فعاد الرسول حاملا بشرى صدقه فجمعوا جموعهم وذهبوا اليه ليهنئوه فرحين بلقائه ، فاستقبلهـــم سيف استقبالا لائقا بهم ، واجلس افراح عن يمينه وسعدون عن يساره وأما برنوخ الساحر فانه اجلسه على كرسي فخم في اتجاهه وقال : انت اخي العزيز فقدرك من قدري ، ومقامك من مقامي فلن انسى فضلك ، فلا زلت اخا كريما لي في الشدة والرخاء ، فشكره برنوخ وقال : ان فضلك

علي اسبغ واكرم فأنت الذي هديتني الى الايمان الذي سعدت به في الدنيا والاخرة ، فمهما اقدم لك من صالح الاعمال فلن استطيع ابدا ان افيك حقك الذي ادين لك به ، ثم سأله افراح : وكيف قدرت على امك ومكرهــــا والتغلب عليها ؟ فقال سيف : الفضل لله ولاخي برنوخ . وحكى له ما تم بينه وبين امه ، وقال ان شامة آتية مع الملك ابي تاج ، وعما قريب ستكون بيننا هي وابنها (دمر) .

وبعد ايام قلائل وصل ركب ابي تاج وشامة ، فانتشرت الافراح وعمت الزينات انحاء المدينة ؛ وخرج الملك وحاشيته واهل المدينة لاستقبال هذا الركب الميمون ، واسكن شامة وابنها قصرا خاصا بهما ، وجعل تحت يدها كثيرا من الجواري والعبيد ، وخصص لابي تاج قصرا مستقلا فيه كـــل وسائل الراحة والنعيم ، وكان قدوما سعيدا لشامة حيث شعرت فيـــه بالهناء اذ التقت بأبيها وزوجها في عزة ومسرة .

طال على قمرية الامد في سجنها ، وما طهرت نفسها من ضلالها وكيدها باقرب الناس اليها (هو ابنها) فبدات تمكر به لتوقعــــه في شباكهــا ، فتمارضت ولازمت الفراش وامتنعت عن الطعام والشراب ، حتى هـــزل جسمها مظهرة انها لا تستطيع ان تنهض وتتحرك ، فخشيت الجارية المكلفة بخدمتها ان تخفي الحالة الاليمة عن ابنها ، فهرعت اليه وهو في قصر شامة زوجته فلما وقفت بين يديه سألها عن امه فقالت : انها في اسوا حال يا مولاي ، انها لا تأكل ولا تشرب ، وقد لازمت فراشها لا تستطيع النهوض منه ، وربما هي الان تعالج سكرات الموت ، فنهض واقفا وقال :

اخشى ان تموت غاضبة علي ، فأخذ الجارية ودخل على امه وقبــل يديها ورثى لحالها وبكى من اجلها ، فالقت عليه امه نظرة قصيرة وقالت في صوت متهدج متقطع : ما عليك من سوء فيما فعلت بي ، فقد ظلمتك وقسوت عليك اكبر قسوة والقيتك الى التهلكة غير مرة ، دون ذنب جنيته، ولكنه الملك غرني فسلكت معك مسلكا لا يسلكه الانسان مع اخيه الانسان، فان انت قتلتني الان فلا عتب عليك ولا ملام .

فلما راى سيف امه على هذه الحال امر بنقلها الى حجرة تليق بهـــا خفية لئلا يعلم بذلك برنوخ فيثور او يرحل غاضبا ، ثم قبل يديها منتظرا قضاء ربه فيها بعد ان امر الجارية ان تعتني بخدمتها وراحتها عناية تامة.

ذهب (القاصد) رسول قمرية الى الملك سيف ارعد بعد ان اخلى المارد سبيله وناوله كتاب قمرية فقرأ فيه ما يلي :

من جاريتك قمرية الى سيف ارعد ملك الحبشة اعلمك انني قد احتلت على ابني سيف واخذت اللوح منه ليلة دخوله على زوجته شامة وامرت خادم اللوح ان يرمي به في وادي الغيلان ، وان يرمي شامة فـــي وادي الطودان ولكنه رجع سالما بعد ان انقذته اخته عاقصة ، ثم امرت الخادم مرة ثانية ان يرميه في وادي الدخان ، وقد مرضت الان مرضا شديـــدا

ورجائي ان ترسل لي سقرديس وسقرديون لاني في حاجة الى معونتهما في مرضي هذا .

فأمر الملك الحكيمين ان يسيرا الى قمرية في التو واللحظة فنهضا في الحال وسافرا وفي اثناء الطريق قال سقرديون لاخيه :

يخيل الي في هذه المرة اننا سنواجه الصعاب فاذا صدق ظني فلا بد ان في الامر شيئا . فقال اخوه : لا يصعب على الحكيم المدبر شيء فلا نخف ولا تجزع من البلاء قبل نزوله .

ولما وصلا الى مدينة حمراء اليمن دخلا ديوان الملك كعادتهما وكانا يتوقعان ان تستقبلهما الملكة قمرية . وقد طار نبأ قدومهما الى سيف بن ذي يزن في ديوان ملكه فأمر بأن يحضرا اليه فلما وجدا نفسيهما امام سيف بن ذي يزن في ديوان ملكه فأمر بأن يحضرا اليه فلما وجدا نفسيهما امام سيف ابن ذي يزن ففزعا وتمنيا ان تبتلعهما الارض ، ونظر كل منهما الى اخيه نظرة فهم منها انه يقول : لقد وقعنا في يد من لن يرحمنا وهذا مصيرنا .

فقال سيف : اهلا بالحكيمين اللذين قدما الينا ليكيدا لنا او يمكرا بالابرياء الصالحين . فلم ينطقا بكلمة وظهرت عليهما امارات الخزي والفزع، وكان اصحاب سيف قد بلغهم نبأ نقل امه من سجنها الى قصره فنهضوا مستأذنين في الرحيل فسألهم : ولاي شيء هذا الرحيل المفاجيء ؟

فقالوا : انت لك اخت تحميك من امك كلما مكرت بك ، اما نحن فليس لنا من يحمينا اذا ارادت امك بنا سوءا وخير لنا ان نرحل عن هذه المدينة .

فقال سيف : مهلا فما نقلت يا رفاقي امي من سجنها الا شفقة بها لانها كانت تعالج سكرات الموت وهي في كلتا الحالتين سجينة ، اجلسوا فاني سأريحكم . ثم امر بسجن امه والحكيمان سقرديس وسقرديون في سجن واحد .

فلما رأى الحكيمين نفسيهما مع قمرية في سجن واحد قالا لها : الا بئس المراة انت ، كيف اوقعت نفسك في هذه المحنة ؟ ولماذا اتيت بنا واوقعتنا فيها معك ؟ قالت : ما اوقعني في هذه المصيبة الا برنوخ الساحر الداهية فهو اصل بلائي ، ولولاه لما كان اعجزني ان اغرر بابني وامكر به كما مكرت به في المرات السابقة . ثم قصت عليهما كيف حجز رسولها القاصد وتنكر في زي احدهما حتى اخذ اللوح منها وقالت : لقد تمارضت امام ابني مكرا وخديعة وان كل ما اطمع به الان هو الاستيلاء على اللوح حتى ارميه في بقعة لا خلاص له منها .

فقالا : الحيل كثيرة ، ولكنا نخشى ان نحتال عليه ونحن في سجننا فيعلم بذلك فيهلكنا ، ومن الصواب ان نحتال لخلاصنا وبعد ذلك نجتهد في هلاكه ونحن بعيدون عنه .

فقالت : اسمعوا الى ما دبرت من الخديعة ، ان ابني سيف صادق

النية نقي الطوية ، لا يحب الشر ولا يأتي المنكر ، يحب الضعيف ويساعده ويؤثره على نفسه ، لا يحمل في صدره غلا ، وينسى الاساءة ، ويفكر بالفضل والاحسان ، ولهذا عزمت ان آكل نباتا معروفا بأن آكله يصفر لونه، وحينئذ اتمارض ، فاذا رآني على هذه الحال اطلقني من سجني وآنذاك ادبر له مكيدة تقتله وتقتل سعدون وبقية رجاله واعوانه .

فقال سترديون : ومن حسن الحظ ان معي هذا النبات ومع اخي سقرديس نباتا ضده اذا أكله الانسان ذهبت عنه صفرة لونه وعاد كما كان، فخذي النوعين لعلك تنجحين ، فأكلت قمرية من النبات الضار فبالحال اصفر لونها وانتفخ بطنها وظهر عليها الضعف والهزال ، فبلغ سيف مرض امه في سجنها فذهب اليها مسرعا ولما شعرت بقدومه استلقت على ظهرها وبسطت ذراعيها بجانبها ، ورآها ابنها شبحا من اشباح الموتى وبكى وقال:

انا لله وانا اليه راجعون . سامحيني يا امي واغفري لي ما قدمته لك من اساءة . فرفعت اهدابها بانكسار وقالت له بصوت ضعيف : ابني ، حبيبي سيف ، سامحني فقد انتهت ايامي والبقية في حياتك .

لم يطق سيف صبرا على بقاء امه تتعذب في سجنها ، فأمر بنقلها الى احسن حجرة في قصره ، وأن تقوم بخدمتها الجوار ليلا ونهارا ، ونفذ في الحال ما أمر به وجعل يزورها في حجرتها من حين الى اخر .

وفي ليلة من الليالي دخل سيف حجرة نومه ونزع عنه اللوح من تحت ابطه ووضعه في صندوق صغير من المعدن ووضع مفتاح الصندوق تحت المخدة التي عليها راسه وطلب من زوجته ناهد ان تقفل عليها الباب ، ولكن النوم ثقل في رأسها فتباطأت حتى غرقت في نومها وباب الحجرة لا يزال مفتوحا .

فنهضت قمرية في تلك الليلة وخرجت من حجرتها تمشي الهوينا حتى بلغت حجرة ابنها فألقتها مفتوحة والقت سيفا وزوجته غارقين في سبات عميق فدخلت وبحثت عن اللوح في جسمه فلم تجده فأدخلت يدها تحت المخدة فوجدت المفتاح فأخذته وفتحت به الصندوق فوجدت فيه اللوح فكادت تجن من الفرح وبسرعة البرق دخلت حجرتها وفركت اللوح فجاءها عيروض فقالت له : لقد سمعت من عاقصة ان سيفا اخذ القلنسوة من اولاد افلاطون ، فأريد منك الان ان تحمل سيف وتذهب به الى مدينة الحكيم افلاطون فاذا وصلت اليها فارسل صيحة عالية فيخرجوا ليتبينوا تلك الصيحة فقل لهم اتعلمون من سرق القلنسوة التي خلفها لكم ابوكم افلاطون؟ فاذا قالوا ما عرفناه وما وقعنا له على اثر فقل لهم هاهوذا معي فاذا قالوا هاته لنأخذ منه القلنسوة فقل لهم قد مزقها وقطعها فاذا قالوا نقطعه ونمزق لحمه كما قطع قلنسوتنا فقل لهم اذا كان الامر كذلك فاركزوا رماحكم وسيوفكم في الارض بحيث تكون اسنتها نحو السماء فاذا ما فعلتم القيته على هذه الاسنة فتمزق لحمه كما مزق قلنسوتكم فاذا فعلوا ذلك فاصعد به

في الجو ثم ارمه على هذه الاسنة حتى يموت ونستريح منه اسمعت ما قلت لك ؟

فقال عيروض : سمعت ووعيت . وقام بسرعة فحمل سيفا من فراشه وهو نائم وطار به في الجو ، فانتبه سيف فوجد عيروض طائرا به فقال له: ماذا جرى يا عيروض والى اين انت ذاهب بي ؟ فحكى له عيروض عما طلبت امه ان يفعل به ، فقال سيف : لا الوم الا نفسي ، يا عيروض املت رحمة من لا يرحمني ، وقد اسلمت امري الى ربي واعتمدت عليه ، وهو الذي اسبغ علي من فضله وغمرني برحمته واحسانه ، وعودني ان ينقذني من شر امي كلما وقعت في يدها ، وانت يا عيروض ان الهمك الله الى معونتي ونجاني فافعل ولك الشكر الجزيل .

فقال عيروض : نفسي فداؤك ، وان امكن احدا من قتلك ما دمت حيا. ثم نزل به على جبل عال وقال له: انتظرني هنا الى ان اعود اليك ولا تخف. ثم غاب عنه مدة ورجع ومعه شجرة جوز قلعها واتى بها كاملة الاغصان والاوراق وقال لسيف : سأخلي لك مكانا في جذع هذه الشجرة واضعك فيها ثم ألقيها على مدينة افلاطون بحيث تكون اغصانها ناحية الارض حين نزولها وبذلك تنزل ببطء ولا تضرك اذا وصلت الى الارض ، ولا تصل اليك أسنة السيوف والرماح . ثم ضحك عيروض ضحكة طويلة فسأله سيف : وما يضحكك يا عيروض ؟ فقال : ضحكت لخاطرا خطر ببالي ان وفقت اليه فقد اطمأنت عليك كل الاطمئنان ، واصبحت في منجاة من كل مكروه .

فقال سيف : وما ذاك يا عيروض ؟ قال : انتظرني هنا حتى اعود اليك.

وتركه مدة ثم عاد اليه مسرورا وقال : وفقت الى ما اردت ، وكان عيروض قد ذهب الى عاقصة وقال لها : انا عيروض خادم اللوح الذي كان مع اخيك سيف . وحكى لها ما امرته به قمرية ان يفعله به ثم قال : ولقد وضعته في شجرة جوز حتى لا يصيبه ضرر ، فعليك يا عاقصة ان تخطفي الشجرة عقب وصولها الى الارض وتطيري بها وفيها سيف ، وان نحن اغفلنا امره هذه المرة هلك وانتصرت امه عليه .

فقالت عاقصة : شكرا لك يا عيروض . وطارت معه ، فذهب هو الى سيف وذهبت هي الى مدينة افلاطون تنتظر ، ولما القى عيروض الشجرة على اسنة رماح القوم وسيوفهم اختطفتها عاقصة وطارت بها فحار القوم في هذا الامر ثم رجعوا الى مدينتهم وهم يظنون ان ماردا من الجن ضحك عليهم ، اما عاقصة لما خطفت الشجرة ذهبت الى بيتها واخرجت سيف منها فوجدته فاقد الحركة مغمي عليه ، وكانت انفاسه بطيئة تتردد في صدره فحزنت عليه ورفعت اكفها الى الله متضرعة وقالت :

اللهم يا غوث اللاجئين ، ومعين المستضعفين امنن على عبدتك عاقصة بشفاء اخيها سيف انك على كل شيء قدير . وما ان انتهت من دعائها حتى هبط عليها رجل من الجو على زير من نحاس فوقف بجوارها وقال لها :

لا تخافي يا عاقصة ولا تحزني ، فان الله تعالى سيمن على اخيك بالشفاء فخذي هذه الاوعية الثلاث فامسحي جسمه بما في الوعاء الاول، ثم اسكبي الدواء الذي في الوعاء الثاني بفمه ، واما الوعاء الثالث فضعي نقطا منه في اذنه فان فعلت ذلك شفي في الحال باذن الله .

فقالت عاقصة : من انت ايها الشهم الكريمَ ؟

فقال : لا تسألي عني الان فسيظهر لك فيما بعد من انا . ثم ركب زيره وطار فعملت عاقصة على ما أمرها الرجل فشفي سيف في الحال باذن ربه فسأل عاقصة : اين انا الان ؟ فقالت : انت في بيت اختك عاقصة في رعاية الله ورعايتها . قال : ومن فعل بي هذا الفعل ؟

قالت : اشفقت على امك ورحمتها فجازتك على معروفك بهذا الفعل، واخبرته بكل شيء وما قدمه له عيروض من المعروف ، وانها هي التي اتت به الى بيتها وان شخصا لا تعرفه أحضر اليه الدواء وذهب في سبيله ، فقال : نحمده تعالى ونشكر فضله ، ثم طلب الطعام فأحضرت له ، وبعد ان اكل وشرب وارتاح جسمه طلب من اخته ان تحمله الى مدينة حمراء اليمن التي بها امه ليجازيها على ما فعلت به ، فقالت له : انك لن تقدر ان تبرح مكانك هذا قبل مضي ثلاثة اشهر ، فقال ثلاثة اشهر ؟! انها مدة طويلة ، فاذا غبت هذه المدة ايقنت امي وانصارها موتي ، وربما اصابت بشرها اهلي ورجالي .

فقال سيف : رضيت بذلك من اجلك ، ولكن لي رجاء ، هو ان تذهبي الى مدينة الحمراء وتأتيني بأخبار شامة وابنها وناهد وسعدون والى تاج وبرنوخ وبقية رجالي واعواني .

فقالت : لك ذلك يا اخي ، وطارت الى مدينة الحمراء ورجعت وهي فرحة تضحك وقالت : جئتك من مدينة الحمراء بما يسرك فقد وجدت امك في ضيق شديد وابتلاها الله بما لا تطيقه من العذاب والهوان .

فقال : وكيف ذلك ؟ فقالت : لما اصبح رجال الدولة واخوانك وجدوا امك جالسة على عرش الملك غير حاسبة حسابا لاحد ، وبحثوا عنك فلم يجدوك ايقنوا انها سرقت منك اللوح وابعدتك عن المدينة ، فذهبوا الى برنوخ الساحر والتمسوا منه ان يبحث بعلمه عنك فأنكر اشد الانكار ما فعلته بك امك التي جلست على عرشك غير مبالية بأحد .

فقال : انتظروا بينما أرجع اليكم ، ثم دخل حجرته واستنطق رمله فعرف كل شيء فعلته قمرية بك ، فخرج من حجرته منبسط الاسارير وقال : الزموا الصمت والسكون ، وساريحكم منها فورا ، واتى برنوخ بقرطاس وكتب فيه ما كتب من أسماء وطلاسم وغيرها ثم سوده بحبر اسود وحمله بيده اليسرى وجعل يقرأ ويدمدم فطار القرطاس من يده وما زال يصعد في الجو حتى استقر في بيت قمرية فأخذ يتسع شيئا فشيئا حتى صار مثل القبة العظيمة احاطت بالقصر فصار القصر في ظلمة حالكة لا يرى

الناظر فيها يده ، واصاب قمرية منه ذهول في عقلها وأيقنت انها بين غيلان ووحوش ضارية توشك ان تنقض عليها لتفترسها ، وان بباب القصر مردة من الجن يترقبون خروجها ليدقوا عنقها ويسحقوها تحت ارجلهم ، ونسيت اللوح المعلق على صدرها ، فكلما حركت ذراعها نحو هذا اللـــوح وجدت يديها مشلولة لا تستطيع حراكا وصارت تهذي وتقول برنوخ برنوخ.

وبعد ان فعل برنوخ بقمرية ذلك ، جاء الى الديوان وطلب افراح ودمر وسعدون وقال لهم : يا معشر الاصحاب لقد اضطر سيف ان يغيب مدة طويلة ، فاجلس انت يا افراح ودمر ابن سيف على كرسي الملك لتعلم قمرية ان الملك لسيف وابنه من بعده ، وليجلس سعدون على يسارك وأنا اجلس عن يمينك ، والجنود في طاعتنا ، وستكون المدينة بذلك راضية وتول انت شؤون الملك حتى يعود سيف الينا سالما .

ثم طار برنوخ الى سيف ببيت اخته عاقصة لمداواته ورجع على نحو ما قرات ، وانقضت الشهور الثلاثة وعادت الى سيف صحته ، فرجا اخته عاقصة ان تحمله الى مدينة الحمراء فاستجابت لرجائه . وبينما هي طائرة به اذ شم رائحة جميلة فسألها عن تلك الرائحة فقالت : هذه رائحـــة الوادي المعلم وفيه بستان النزهة (المطلسم) صنعـــة باب الحكمة والكهانة لبناتهم يتنزهن فيه وان دخله احد غيرهن حمله الجان الى سحيق وقتلوه وقد خوفته عاقصة من هذا البستان حتى لا يطلب منها النزول فيه ، ولكنه لم يخف ورجاها ان تنزل به لرؤيته والتنزه فيه وقال لها : لقد شوقتني اليه تلك الرائحة الزكية وقلبك لا يطاوعك على حرمان اخيـــك من التنزه والتفرج فهبطت به الى الارض بالقرب من هذا البستان وقالت له : استمع لنصحي قبل ان تدخل البستان واحذر ان تخالفني ، فستجد قنطرة فـي البستان ترقبها ولا تنظر اليها واحذر ان تمكث اكثر من ثلاث ساعات ؛ ولا تقرب شجرة ، ولا تقطف ثمرة ولا زهرة فأشجار البستان وازهـــاره وثماره من صنع السحرة والكهان ، واني هاهنا مقيمة في انتظارك لاني لا استطيع مرافقتك .

فقال لها : سمعا وطاعة يا اختاه ، وتوكل سيف على ربه ودخل البستان فشاهد سواقي دائرة وزروعا واشجارا من كل شيء زوجان ، وفواكـــه كثيرة من كل ما تشتهيه الانفس وطيورا مختلفة الاشكال ، ونسيما يداعب الاغصان فجعل سيف يمشي في البستان متنقلا في ارجائه حتى وصل الى القنطرة رآها معلقة على اربعين عمودا من الفضة وبين كل عمودين شباك من النحاس الاصفر ويحيط بالاعمدة من الداخل مصطبة من النحاس ارتفاعها نصف قامة وعرضها اربعة اذرع مفروشة بالابريسيم ، وصف من حولهـا اربعون كرسيا مصفحة بالذهب وخلف كل كرسي خزانة فمد يده وفتح الخزائن جميعها فوجد داخل كل خزانة حلة حريرية مطرزة بالذهب فعلم ان هذه الحلل لبنات الملوك اللائي يأتين الى هذا البستان ، فعزم الا يخرج

حتى يرى هؤلاء البنات فاختفى بين اعشاب طويلة بحيث يرى البنات ولا يراه احد وبعد قليل راى طيورا حططن على رف فسيح مرتفع القبة اعد لنزولهن ونزلت احداهن الى الارض وجعلت تنظر في كل جهة ثم قالت : ليس في البستان احد ، فهيا بنا ندخل المنظرة فوقف كل طائر امام كرسيه وفككن ازرار ثيابهن المصنوعة من الريش فنزعنها ووضعنها بجوار الكراسي فبانت اجسامهن المرمرية ثم اخرجت كل بنت مأزرها من خزانتها وربطته على جسمها ونزلن في فسقية من الرخام مملوء بالماء داخل المنظرة ولبثت واحدة منهن لم تنزل مع رفيقاتها ولم تدخل المنظرة . فنادتها احداهن قائلة:
يا ملكة . . يا (منية النفوس) تعالي واسبحي معنا في الماء كعادتنا حتى بك يتم سرورنا ، فقالت : اني شاعرة بقلق صدر وكأن بالبستان انسانا ينظر الينا دون ان نراه ، فقلن لها : هوني عليك يا اختاه فالبستان مرصودة لنا ، وان دخله احد يهلكه الاعوان المكلفون بحراستنا ، فلا تحرمينا الانس بك . نزلت منية النفوس وخلعت ثيابها بجوار كرسيها والتفت بمأزرها الحريري ونزلت معهن في مياه الفسقية وجعلن يسبحن ويلعبن ويضحكن وسيف ينظر اليهن وقد تعلق قلبه بمنية النفوس ووقع في شباك محبتها فخرج مختفيا من البستان الى اخته عاقصة يشكو اليها الهم الذي اصابه فسألته عما جرى له ؟ فقال : منية النفوس يا اختاه ، آه من منية النفوس .

فقالت عاقصة : وماذا فعلت منية النفوس ؟ فقال : احببتها ولا بد من ان اتزوجها ، فقالت عاقصة : انك ابتليت بداء عز دوائه وأعيا نصر الاطباء في امره وابتليتني معك بما سألقاه من نصيب في سبيلك ، اتدري من (منية النفوس) التي احببتها وتبغي الزواج منها ؟ انها ابنة الملك (قاسم العبوس) صاحب جزيرة الالماس ، وبينك وبينها الان مسيرة سنوات وشهور، (وقاسم العبوس) ملكه واسع عريض وتحت يده اربعون ملكا خاضعين له، وعدد جنوده لا يكاد يحصيها عد ، وعنده من الحكماء ثلاثمائة وستون حكيما يجيدون الحكمة والسحر والكهانة وهو الذي صنع لابنته واترابها تلك الثياب من الريش فتطير الابنة بثوبها الريش في الساعة مسيرة عام ، فاذا كنت قد احببت هذه البنت فكيف تصل اليها ؟

فقال : اذا اراد الله وصلت اليها وان كانت في السماء ، ومتى يأتين الى هذا البستان ؟ قالت : يأتين اليه في كل عام مرة ويقمن فيه سبعة ايام فاطرد عن نفسك هذا العناء ، وتعال احملك الى مدينة الحمراء ، فقال سيف : لا اغادر هذا البستان حتى اتزوج من منية النفوس ، وسيكون ذلك ان شاء الله بعونه ومساعدته .

فقالت : سأبذل جهدي يا اخي لازوجك منها مهما اجد من المتاعب فانت عندي اغلى من نفسي ، والان قد انتهى هذا اليوم فقالت كل واسترح حتى يأتي الليل بظلامه ، ثم ادخل البستان واسرق ثوب الريش الذي لمنية

النفوس ، ثم اجلس به تحت دولاب الماء الدائر فانهن سيبحثن عنك في جميع انحاء البستان ما عدا هذا المكان ، وحينئذ ستأمرهن منية النفوس ان يذهبن ليحضرن لها ثوبا اخر من الريش ، فاذا تركنها في البستان وحدها فاخرج من مكمنك وقل لها : هذا ثوبك معي (واظهره لها حتى تراه) فاذا اتت اليك لتأخذه فاجر امامها فاذا جرت خلفك فأسرع في جريك ولا تمكنها من ان تلحق بك حتى تخرج من البستان بمقدار اربعين خطوة ، ثم ارجع اليها واقبض على ذوائبها وائتني بها لاشير عليك بما تفعل ، انتظر سيف حتى خيم الظلام فدخل البستان واخفى ثوب منية النفوس وطارت البنات ليحضرن لها ثوبا اخر ، فظهر لها وجرى امامها ثم رجع اليها وقبض على ذوائبها وعاد بها حتى بلغ المكان الذي وقفت فيه اخته عاقصة.

فقالت عاقصة : اهلا بسيدة البنات ، اهلا بملكة القلوب اهلا بفاتنة الرجال اهنئك بملك هو غرة في جبين الدهر وفارس لا يدانيه في البطولة احد .

فقالت منية النفوس : ويلك يا عاقصة ، فقد ادخلت في بستاننا هذا الصعلوك وجراته ان يمس بيده بنات الملوك .

فقالت عاقصة : مهلا يا حبيبتي وصبرا حتى تعرفين من هذا الذي تدعينه صعلوكا فهو خير الملوك ونعمة الزمان ، له من الانس والجن جنود واعوان ، من الحكماء والكهان والسحرة اتباع وانصار انه ملك اليمن سيف ابن ذي يزن ، وهو لم يأسرك كما تزعمين ، ولكنك انت التي اسرتيه وخلبت لبه بجمالك ، وما اسرت الا ملكا عظيما لك به الشرف العظيم والخير العميم .

فقالت منية النفوس : وما سبب مجيئه هذه الارض ودخوله بستاننا؟

فقالت عاقصة : انه كان في بيتي منذ ايام ، ورغب الي ان احمله الى مدينة حمراء اليمن وفي اثناء طيراني به طلب الي ان انزل به الى الارض قليلا فاتفق ان نزلت في هذه الارض ومكثت في مكاني هذا اترقب عودته وذهب هو ليروح عن نفسه ثم جاءني وانت في صحبته ، وذلك فيما اعتقد من حسن حظك ويمن طالعك ، لانه ملك عظيم وانسان كريم ، وبطل لا يدانيه في البطولة احد ، يعرف قدر الناس وشهما يولي الجميل ولا يكفر بالنعمة ، وان بحثت عن مثله فقد لا تجدينه ، فتحت عاقصة بقولها هذا قلب منية النفوس فقالت :

لا ريب ان كل شيء في الدنيا يجري بارادة الله ومشيئته ، والانسان العاقل الذي يفتش عن سعادته بين جوانب نفسه ، ويدخل ميدان الحياة عضوا عاملا يفيد غيره كما يفيد نفسه ويضع نفسه في الموضع الذي خلق له ، وقد اراد الله ان يكون لك هذا القصر المنيف ، وهذا الملك الشهم الكريم الذي لا يصلح الا لك ولا تصلحين الا له على شريعة الله ودينه وسنة الخلق الكامل القويم ، ثم جعلت تروي لها كثيرا من النوادر والطرف حتى حضرت المائدة فاكلوا واكتفوا ثم قالت عاقصة : لا ينبغي ان ياتي الليل حتى

يكون عقد الزواج قد ابرم بينكما ليكون اليق بشرفكما ومنزلتكما .

فقالت منية النفوس : اصبت يا عاقصة في رايك ، فاعدي العـــدة لابرام الزواج الليلة . فبادرت عاقصة واحضرت حلة الزفاف لمنية النفوس واعوانا من الجان ومغنيات من الجن وابرام العقد واقيمت حفلة رائعـــة ادخلت السرور الى قلب العروسين وانصرف بعدها كل الى شأنه .

وشاء القدر ان يعيش الزوجان مدة من الزمن حتى قالت ذات يـوم منية النفوس لزوجها : قد سمعت ان لك ملكا وجنودا ، فما يمنعك من ان تذهب الى بلادك ؟ فقال : لقد اشرت علي بما أريده ولنرحل من اليوم . ثم التفت الى اخته عاقصة وقال : ارجوك ان تحملينا الساعة الى مدينـــة الحمراء ، فأطاعت وطارت بها حتى وصلت الى مكان شمت فيه رائحة رصد مطلسم ، فوقفت في الجو وقالت لاخيها : ان هاهنا رصدا مطلسما لا استطيع المرور من فوقه ويحسن ان اعود بكما الى القصر الذي كنتما فيه، لان هذا الرصد من صنع استوكان كبير الحكماء والكهان ، وانني الان طائرة فوق بحر واسع ما لا نهاية له .

فقال سيف : ابحثي لنا عن جزيرة وانزلينا فيها ، ثم استأذنت مـن اخيها ان تعود الى بيتها واهلها لانها غائبة عنهم مدة طويلة ، فقال سيف : اذهبي يا أختاه رافقتك السلامة ولكن عود الينا قريبا.

مشى سيف وزوجته في هذه الجزيرة يأكلان من رزقها وينظران ما فيها من عجائب الله وصنعه ، فلم يجدا فيها احدا ، وفي يوم من الايام هاج البحر واضطرب وكثرت رياحه وارتفع الموج واذا بمراكب كثيرة ترسو على الجزيرة لان اصحابها خافوا من البحر وثورته فلجأوا بمراكبهم البر حتى يسكن ، واخذوا يطلعون الى البر فرأى كبير البحارة فعرفه وقال : اهلا بسيدي سيف ، انا ابو تاج وهذه مراكبي ورجالي اين كنت ؟ لقد حزنا لغيابك وساورنا الخوف عليك ، فحكى له جميع ما صار عليه ثم سأله عن اصحابه وأسرته فحكى له مثل ما حكت له عاقصة وقال له :

ان برنوخ انتقم لك وجعل امك قمرية الى هم وغم عظيمين ، وبعد ان سكن البحر اقلعوا بمراكبهم وسيف ومنية النفوس معهم وما زالوا سائرين الى ان بانت لهم صحراء اليمن ومن خلفها سور مدينة الحمراء ، فهللوا وكبروا ونزلوا الى البر ونصبوا الخيام وأقاموا ثلاثة ايام ليستريحوا من تعب البحر وآلامه.

طلب سيف من ابي تاج ان يدخل الجميع الى المدينة راكبين فاجـاب رغبته وبعث الى مدينته فأحضر خيولا كثيرة مطهمة فلم يبق واحدا منهم الا ركب حصانا ثم قصدوا مدينة الحمراء في موكب حافل وسط مظاهـــر التهليل والتكبير .

كان لقمرية خادم اسمه (حردون) وكان فتى ذكيا فصيحا مخلصا لها ووفيا ، لا يفارقها طرفة عين ، وكانت تطلعه على سرها وجهرها لثقتها فيه

ثقة عمياء ، فاستدعته اليها وقالت له : اني مرسلتك في امر خطير سري، وليس له الا ذكاءك وفطنتك ، فقال لها : مري بما تشائين فساكون لك فوق ما تظنين ، فقالت : لقد علمت ما فعلته بابنيّ سيف ، ثم ما فعله برنوخ الساحر بي من الظلم والعذاب فأريد منك ان تذهب الان سرا الى ملـــك الحبشة (سيف أرعد) وتشرح له حالتي مما انا فيه ، فقال : سيكون لك ما اردته وزيادة ، ثم تسلل خفية وذهب الى ملك الحبشة واستأذن ودخل عليه وقال :

دام ملكك ، وعز جاهك ، وقوي سلطانك ، انا خادمك حردون رسول قمرية اليكم . وقد ارسلتني اليكم سرا ، قال سيف ارعد :

ان قمرية جارتنا ولا نزال نعطف عليها ونحميها ، فما تريد ؟

قال حردون : قد رماها الدهر بساحر داهية يسمى برنوخ افسد عليها خطتها في التخلص من ابنها سيف وقتله ، فنجاه من التهلكة التي القته فيها وأجلسه على عرشها وحبسها مع الحكيمين سقرديس وسقرديون معها ثم استطاعت بمكرها ان تسرق اللوح من ابنها فخرجت من سجنها وأخرجت الحكيمين معها وامرت عيروض خادم اللوح ان يحمل ابنها سيف ويلقي به في ارض افلاطون الحكيم وهي ارض لا عودة له منها وربما اهلكه اهلها فعلا لانها اخبرتهم على لسان عيروض انه هو الذي سرق القلنسوة التي خلفهـا الحكيم افلاطون لاولاده ، ولكن برنوخ الساحر رماها بداهية فحبسها في قصرها وضرب عليها بظلمة لا ترى يدها فيها ، وشد يدها فلا تستطيع ان تمدها الى اللوح المعلق في صدرها وقد ارسلتني خفية راجية معونتك بأن ترسل اليها الحكيمين سقرديس وسقرديون ليساعداها في كشف الغمة عنها ، والتغلب على برنوخ الساحر عدوها ، فقال الملك : اذهب اليها وبلغها ان الحكيمين قادمان اليها على جناح السرعة . ثم طلب الحكيمين وشرح لهما حالة قمرية وموقف برنوخ منها ، وكانا يعرفانه بالمهارة والسحر ، مخشيا كيده وسحره فقالا :

ومن الذي جاءها ببرنوخ هذا ؟ فقال الملك : وهل يهمكما امر برنوخ هذا كثيرا ؟ فقالا : نحن لا نخشى برنوخ ولا الف برنوخ ولكن الامر جاوزه الى غيره ، فهناك سعدون الزنجي ، وهذا ان رآنا فلا نجاة لنا من يده فانه سيقتلنا حتما ويخلو الجو لبرنوخ ، فهل لك ان ترسل معنا قوة من الجنود تحارب سعدون وانصاره وتحمينا من شره ، ونحن لبرنوخ وامثاله .

فقال الملك : لقد اصبتما الراي واحسنتما تدبيره ، وكان بين جنود الملك فارسان كان يحتفظ بهما للشدائد احدهما (مهوب) والثانـــي (دمنهور) الوحش لانه كان يسكن الجبال ، ويقتات من لحوم الوحوش الضارية ، وكان الملك يدعوهم اليه في وقت الشدة ، فطلب الحكيمان ان يدعوهما لمحاربة سعدون ورجاله حتى يتفرغا هما لمحاربة برنوخ ، وبذلك يكون النصر المحقق لا شك فيه ، فقال لهما :

ذلك ما سيكون ، فانهما فارسان قد اشتهرا في القوة والشجاعة وفي الحال ارسل رسولا لاحضار الفارسين مهوب ودمنهور الوحش ، ثم التفت الى بقية الوزراء وقال : الاحظ انكم تحضرون مجلسي هذا وكانما يعرض فيه من شؤون لا تهمكم ويتكلم احد منكم ولا يبدي رأيا فيما يعرض من هذه الامور سوى الحكيمان سقرديس وسقرديون هما وحدهما على الغالب يتوليان البت في معظم المسائل التي توضع على بساط البحث في هذا المجلس .

فقال الوزير بحر قفقان : السبب واضح يا مولاي فانك لا توجه لاحد منا سؤالا بل تقتصر مشورتك على الحكيمين ، واذا كانا قد أرشداك الى هذين الفارسين مهوب ودمنهور الوحش فاني ادلك على فارس اقوى واشد بأسا منهما بل اقوى من سعدون ايضا واسمه ميمون وهو يسكن في غابة الاسد ، فاذا اردت ان تراه فارسل اليه رسولا بهدية منك واكتب له بالامان وانك تزوجه ابنتك ان هو انتصر على سعدون ورجاله .

فالتفت الملك الى الحكيمين وقال : اتعرفان هذا الفارس ؟ فقالا : نعرفه ولا ننكره فانه فارس مقدام ، وكثيرا ما قهر الابطال واحنى هامات الرجال.

فقال الملك : ارى ان تكونا رسولي اليه ، ومعكما الهدايا مع درع وسيف ورمح وحصان وحلة فاخرة كل اولئك منحة مني له . فأخذ الحكيمان معهما مائة فارس والهدايا تحملها الجمال وذهبا الى الفارس ميمون في غابة الأسد .

لبى الفارسان مهوب ودمنهور الوحش دعوة الملك سيف أرعد ودخلا عليه في ديوانه فحياهما واجلسهما ثم قال لهما : دعوتكما لامر عظيم ، وذلك ان عبدا من عبيدي عزته قوته فعصى وتمرد واتخذ له انصارا ليساعدونه فمن اتاني به منكما اسيرا او اتاني براسه زوجته ابنتي ، فقالا : سناتيك براسه ولا نبقي لانصاره اثرا ، فقال :

امكثوا هنا مكرمين حتى يحضر الفارس ميمون فقد ارسلت اليه لتكونوا معا يدا واحدة ، فقالا : نحن لك لما تريد .

ولما وصل الحكيمان ومن معهما من الفرسان الى غابة الاسد وكان ميمون جالسا على جبل فرآهم على بعد ، فقال في نفسه : هذه غنيمة سيقت الينا ، ثم ركب فيله وتقلد بعدة حربه ومشى اليهم ، وكان الحكيمان يتقدمان الفرسان فصرخ ميمون في وجوههم صرخة انخلعت لها قلوبهم ثم سالهم :

من انتم ؟ ومن اين جئتم ؟ ولاي غرض مشت به اقدامكم الى هذه الارض ؟ فقال الحكيم سقرديون في ذلة وانكسار : ايها الفارس نحن حكماء ملك الحبشة جئنا اليك سائلين راجين غير آمرين فان قضيتها لنا شكرناك وان لم تقضها اعطيناك ما معنا من الهدايا ورجعنا طائعين وذلك ما امرنا به ملكنا سيف أرعد ، (ثم قدموا له الهدايا) واعطوه كتاب الامان ففرح به

ميمون وقال : وما حاجتكم ؟ فقالوا : ان الملك يهديك السلام ويقول : ان عبدا من عبيده يقال له سعدون الزنجي شق عصا الطاعة عليه وبغى واستكبر فأعيته الحيل فيه، وهو يدعوك لتقتله وجعل لك اذا قتلته كل ما تطلبه وزوجك من ابنته.

فقال لهم : خذوا رجالكم وارجعوا وبلغوا الملك بأني لاحق بكم على الاثر وسأقتل سعدون ومن شاء الملك من البشر ، فرجعوا وبلغوا الملك ما قاله ميمون .

رجع ميمون الى غابته واعطى جماعته الهدايا وكانوا عشرة فرسان كلهم على شاكلته ، واخبرهم عن حاجة الملك سيف أرعد واوصاهم ان يحافظوا على الغابة حتى يعود اليهم .

ثم امتطى ميمون فيله وسار حتى وصل الى مدينة الملك وهناك تلقاه الحكيمين فرحين ودخلوا به ديوان الملك فأمر له بكرسي كبير من العاج فجلس ميمون عليه ووضعت المائدة فأكلوا حتى اكتفوا ثم اخذوا يتحدثون ويتضاحكون واذا بشيء ينزل عليهم من السقف فلما توسط الديوان انتفض واقفا فخافوا منه فقد كان بشع الخلقة طويل الاظافر رهيب المنظر . ثم قال :

اعلم يا ملك الحبشة اني رسول ثمانون من السحرة اليك وهم يسكنون جبل الدخان وكان يتزعمنا رجل ماهر في السحر ويعبد النار مثلنا يسمى برنوخ ، وفي يوم من الايام جاءنا رجل قصير القامة فأردنا ان نجعله قربانا للنار فحماه زعيمنا هذا وخاصمناه من اجله ولما اخبرنا ملكنا بأمره امرنا باحضاره ولكنه هرب فقال ملكنا ابحثوا عنه واتوني بههو وكبيركم برنوخ وقد سمعت انه عندك فجئتك لتدلني عليه ، حتى اخبر رفاقي بمكانه فنهجم عليه ونأخذه الى ملكنا او نقتله ، ومن غريب الاتفاق انهم دخلوا على ملكهم فوجدوه مقتولا ، وكان له ولد يسمى عبد لهب فقال : ما قتل والدي الا الرجل الذي حماه برنوخ ولم يعرف سبب قتل ابيه واليك حادثة قتله:

كان لهذا الملك ولد يسمى (عبد لهب) وكان يحب ابنة الوزير ولم يكن يعلم ابوها بذلك ، فراى الوزير عجوز داخلة على ابنته وفي يدها جواب فأخذه منها وقراه فوجد فيه ابن الملك يدعوها الى محبته والاتصال بـه فسألها عن ذلك فقالت : لا اعلم شيئا من هذا ولا تحدثت اليه ابدا . فذهب الوزير الى الملك ورجاه ان يزجر ابنه ويأمره بالابتعاد عن ابنته فنهر الملك ابنه وامره الا يفعل مثل ذلك مرة اخرى ، ولكنه لم يسكت عن مراسلتها وهي تخبر اباها ، فأحضر الوزير عبدا من عبيده يقال له سمعان واعطاه خنجرا وامره ان يقتل به ابن الملك وهو نائم ، واعلمه عن السبب حتى يشمئز العبد من فعل ابن الملك وقال له : اكتم هذا الامر ولا تبوح به لاحد والا كان جزاؤك القتل ، ولما ذهب سمعان ليقتل ابن الملك لم يجده مع ابيه في حجرة نومه فقد كان الولد في هذه الليلة نائم عند امه في حجرتها ، امـا

العبد فقد دخل على الملك وذبحه ظنا منه انه ذبح ابن الملك ، ثم رجع الى الوزير واخبره فقال له : احسنت ، واجلس حتى ناكل شيئا من الطعام وما وضع سمعان اول لقمة في فمه حتى ذاب جسمه ومات لساعته ، فرماه الوزير في الخلاء ومضت هذه الحادثة دون ان يشعر بها انسان .

اما عبد لهب فلما رأى اباه مقتولا ظن ان الذي قتله ذلك الرجل الذي حما برنوخ كبير السحرة ، فأجلسه السحرة واهل المدينة على عرش ابيه، وكفلوا له البحث عن برنوخ وسيف حتى يعثروا عليهما .

فرح الملك سيف أرعد وقال لهذا الساحر : بلغ جماعتك انني ابحث عن هذين الرجلين لاقتلهما وقد جهزت لهما جيشا للبحث عنهما ، فان رغبوا في ان ينضموا الى جيشنا فليأتوا في ضيافتنا حتى يرحلوا مع الجيش بعد ثلاثة ايام ، فحضر السحرة واكرمهم الملك ومنحهم كثيرا من الهدايا ، وفي اليوم الرابع ارتحل الجيش والسحرة ذاهبين الى مدينة الحمراء وكان وصولهم اليها في اخر النهار فنزلوا بالقرب منها ونصبوا خيامهم وباتوا الى الصباح ليهجموا عليها في الصباح .

ولما اتصل الخبر ببرنوخ وأفراح وسعدون ان ثلاثة فرسان والحكيمين وثمانين ساحرا جاءوا من عند ملك الحبشة للفتك بهم فاغتاظ سعدون وهم ان يبدأ بالقتال في تلك الليلة ، فمنعه برنوخ وارجأ القتال الى الغد ثم دخل خلوته وسحر ما حول المدينة فجعله بحرا زاخرا تتلاطم امواجه ليحمي المدينة من هجوم هؤلاء الاعداء .

ولما كان الغد نهض الاعداء المغيرون ليدخلوا المدينة فوجدوها قد احيطت ببحر واسع العجاج متلاطم الامواج فقالوا : لم يكن هذا البحر بالامس ، فكيف ظهر اليوم ؟ فقال سقرديس : لا تعجبوا ذلك من صنع الساحر برنوخ . ثم استدعى اليه جماعة السحرة وقال لهم : اختاروا احد الامرين: اما ان تزيلوا هذا البحر بسحركم واما ان تكشفوا عن قصر الملكة الظلمة وتذهبوا عنها الغمة . فقالوا : اخترنا ان نزيل الظلمة ، فقال الحكيمان : ونحن سنذهب هذا البحر من حيث اتى ونبطل سحر برنوخ الكاهن .

اجتمع السحرة الثمانون ونقشوا اسماء وطلاسم على ورقة بيضاء ثم جعلوا يتلون على هذه الورقة كلاما وعبارات يعرفونها فارتفعت تلك الورقة حتى صارت فوق القصر ثم اتسعت وامتدت حتى غطته جميعه ، وبعد ذلك ارتفعت الورقة في الجو وذهبت فاضاء القصر وذهبت عن قمرية الاحزان والهموم .

واما الحكيمان سقرديس وسقرديون فانهما صنعا اربع انابيب من الرصاص ونقشا عليها أرقاما وطلاسم ووضعا انبوبة في جهة من جهات البحر وجلسا يتلوان ما يعرفانه من ابواب السحر ولم يمض الا وقت وجيز حتى ضاع البحر ولم يبق من مائه شيء ، وكان ذلك في الليلة الثانية وبلغ برنوخ ما فعلوه فقال : لو علمت ذلك لفعلت شيئا اخر اقوى لا يقدرون على

ابطاله وافساده ، ولكن سعدون قال له :
دعنا من السحر والكهانة فلا ينفعنا الا قتال السيف والسنان على ظهر الخيل والله يتولانا وينصرنا فهو حسبنا ونعم الوكيل ، ثم تقلد سيفه وامتطى جواده وبرز الى الميدان ينادي : هل من مبارز ؟ هل من راغب في هلاك نفسه ؟ فبرز اليه فارس ضخم الجثة يركب فيلا كبيرا وفي يده سيف يلمع فسأله سعدون : من انت ايها الفارس ؟ فقال : انا ميمون الهجام ، وقد ارسلني الملك سيف ارعد لاذبحك واذبح من معك من الاعوان والانصار.
فقال سعدون : ضحك عليك سيف أرعد وخدعك ، وما انت الا ملاق حتفك بسيفي هذا وخير لك ان تعود الى غايتك ابقاء على حياتك ، فقال ميمون: لا تطل الكلام ، فدونك والقتال . فقال سعدون : لم يعتد حصاني ان يجول امام الفيل ، فاذا اردت مبارزتي فاركب حصانا مثلي وتعال وبارزني .
فقال ميمون : ولكن جسمي لا يحتمله حصان ، فقال سعدون : انزل عن فيلك وأنا انزل عن حصاني ولنتبارز راجلين وان لم يرضك قولي هذا فلا تلمني ان انا ضربت فيلك برمحي في عينه وانزلتك من فوقه ، وما ظلمتك بقولي هذا وما اردت الا انصافي منك وانصافك مني .
فنادى سقرديس ميمونا وقال له : لا ينبغي ان تكون اول فارس يخوض ميدان المبارزة افسح المجال لغيرك من الفرسان ، قال ميمون : اردت ان اقتل سعدون قبل ان يسفك دم فارس منا ، فقال سقرديس : ان قتلته او اسرته لا يكون لك فخر قتله او اسره فان الفرسان ستقول : نحن كنا نستطيع قتله وأسره ، ولكن سبقنا اليه ميمون وحال بيننا وبينه ، ولكنك ان تركتهم يبارزونه ولم يقدروا عليه فقد اشهدتهم على انفسهم بالعجز والفشل ، وحينئذ يكون لك الفخر في التغلب عليه ، وان هو ظهر عليك فلا عتب عليك ولا ملامة لان الذي غلبك فارس قد قهر فرسانا كثيرين قبلك .
فقال الفارسان مهوب ودمنهور الوحش : لقد صدق الحكيم سقرديس، ومضى ذلك اليوم دون حرب او مبارزة ، وما اصبح الصباح حتى كان سعدون جائلا في الميدان بحصانه طالبا مبارزة الفرسان ، فتسابقوا اليه فما نجا احد من القتل او الاسر ، وكان عدد القتلى تسعين والاسرى عشرين ودق الطبل ايذانا بانتهاء المبارزة ، وذهب سعدون الى اصحابه فأثنوا عليه والبسه برنوخ قلنسوة وامره الا ينزعها ابدا ، حتى لا يؤثر في جسمه سيف او سنان ، وحتى لا يقع اسيرا في يد فارس ، فقال سعدون :
اني توكلت على الحي الذي لا يموت ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ، فكانت مرارة سقرديس واخيه تشق غيظا ، فقالا لميمون : كيف رأيت ما فعله سعدون برجالنا ؟ فقال ميمون : لقد اردت ان اكفيكم شره من اول يوم ولكنك منعتني وخوفتني من العار وخزي الفضيحة ، وقد التزمت رأيك ولن احيد عنه ولن اخالفه .

واخذ سعدون وصحبه يتشاورون ، فطلبوا اليه ان يستريح غدا ويقوم غيره بمبارزة الاعداء فقال لهم : لن امكن احدا منكم ان يطأ ميدان القتال حتى اهلك واكون مطمئنا لسنابك الخيل ، وما داموا يبارزوننا فاني كفء لهم ، فاذا ما هجموا بجموعهم فعليكم ان تحموا ظهري والله ينصر من يشاء.

وفي الصباح وجد سقرديس مظاهر الثبات والاقدام بادية على وجه سعدون وصحبه وخيل اليه انهم سيفنون جموعه ، فجعل يلوم اصحابه ويقول :

من يصدق ان هذه الفئة القليلة تغلب رجال الحبشة وهم لا يحصون عددا ، ان تهاونكم في هذه الحرب يدل على انكم غير مخلصين للملك وسأضطر ان ابلغه كل شيء عنكم ، فقالوا له : انت السبب في هذا الفشل لانك منعت الفارس ميمون من قتل سعدون ؟ ولن تقوم لنا قائمة ما دام سعدون يحاربنا ، ولن نقبل ان تحملنا تبعة آرائك الخاطئة ، وسنبلغ الملك انك سبب البلاء الذي حاق بنا حتى الآن .

فلما رأى سقرديس الحجة قائمة عليه التفت الى ميمون قائلا : لقد جاء وقتك الذي ينتظرك يا ميمون فأرنا مبلغ قوتك وما عليك الان الا ان تقتل لتنال الفخر الذي لا يدانيك فيه احد .

فنظر اليه ميمون نظرة ساخرة وقال :

يا سقرديس ، ومن سعدون هذا حتى تشك في مقدرتي عليه ؟ ألم انزل اليه في الميدان وحدي عندما قدمنا وانت الذي منعتني عنه ؟ ثم قام غاضبا الى جواد يركبه ليبارز سعدون ويقتله ، وكان قد سبقه فارس الى الميدان اسمه ابا ناب وكنيته (ملاكم الريح) فحمل عليه سعدون حملة وبضربة واحدة كسر راسه وجعل يقتل ويأسر حتى قتل عشرة وأسر اربعة ثم جاء الليل وباتوا في الخيام وهم ناقمون من الحكماء وآرائهم وقد عزموا ان يهجموا دفعة واحدة على سعدون وجماعته لتكون الموقعة الحاسمة ، وفي الصباح نشبت معركة شاملة بين الفريقين وابلى فيها سعدون وصحبه بلاء حسنا ، وكادوا يسحقون الاعداء ولكن كثرة جنود ملك الحبشة اقفلت في وجوههم ابواب النصر ، فثقلت وطأة المعركة عليهم ورأوا شبح الهزيمة مقبلا عليهم فاستغاثوا بالله ودعوه ان يؤيدهم بنصر من عنده، وبينما هم يتضرعون اذ اقبل سيف وابو تاج وجنوده وخاضوا المعركة واشعلوا على الاعداء نارا حامية ــ وسمع حمدون وصحبه يقول : الله اكبر ، فاز من آمن وخسر من كفر .

فقويت عزائمهم ونشطت هممهم وجعلوا يحصدون جنود ملك الحبشة حصدا حتى مزقوهم كل ممزق ، وكان الليل قد اقبل فأسرعوا الى خيامهم هاربين .

وفي الصباح نزل سيف الى الميدان صائحا : انا الفقير الى الله ونصره، انا سيف بن ذي يزن صاحب مدينة حمراء اليمن ، ومبيد اهل الكفر

والفتن فمن اراد ان يلحقه حتفه فليبرز الي في هذا الميدان .
سمع الحكماء فخارت قواهم وحارت عقولهم وقالوا : لقد اشتد الخطب وعظم البلاء ، وها قد جاءنا سيف بن ذي يزن فزاد موقفنا حرجا حتى باتت الهزيمة محققة .
فقال الفارس مهوب للحكماء : ما هذا الخطب الذي افزعكم ، وما هذا الجزع الذي يبدو على وجوهكم انا سابرز اليه واكفيكم شره ، فقال دمنهور الوحش : اقعد انت يا مهوب ودعه لي وسآتيكم براسه على ذبابة سيفي .
فقال ميمون : استريحوا انتم فلن يبرز اليه احد غيري ، واشتد بينهم الخلاف من سيكون السابق الى مبارزة سيف بن ذي يزن .
فقال سقرديس : لا تختلفوا واقترعوا فمن كانت له القرعة فيبرز اليه قبل غيره . فقبلوا واقترعوا .
كانت القرعة للفارس مهوب وكان يلقب (بسباك الثلاث) فركب جواده وقفز الى الميدان فتلقاه سيف وجعل يصاوله حتى ارهقه ثم اقتلعه عن جواده بيده ونادى سعدون فأسرع اليه وساقه فنفر الحكماء افواههم ، واحتبست انفاسهم في صدورهم اسفا على الفارس مهوب فنهض دمنهور واثبا بجواده الى الميدان فشخصت الابصار اليه خشية ان يلحق بزميله مهوب واملا ان ينتصر على سيف وارتقبوا ما يكون وما اتعبهم سيف بطول الانتظار فقرر مصير هذا الفارس فرفعه بيده عن جواده حتى جاءه سعدون وساقه الى زميله الفارس مهوب وانقضى النهار وذهب كل من الفريقين الى بيته ينتظر طلوع النهار .
وفي تلك الليلة عرضت فكرة لسيف وهي ان يحضر الاسرى بين يديه ويدعوهم الى الايمان بالله وحده ، فمن آمن كان منهم وانتفعوا بمواهبهم ، ومن أعرض ولم يؤمن تخلص منه بقتله حتى لا يشتغل به عن غيره .
وقف الاسرى امامه فقال لهم : افرايتم كيف ينصرنا ربنا مع قلتنا وضعفنا على كثرتكم وقوتكم ؟ فقال مهوب : ومن ربكم هذا ؟ أرونا ربكم حتى نؤمن به ونعبده ، فقال سيف : ربنا الله الذي خلق كل شيء وهو الواحد الاحد لا يرى ولا يحده الزمان ، وهو القاهر فوق عباده ، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وهو من كل شيء قدير ، يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل وهو السميع البصير .
فقال مهوب وقد داخلته الرغبة في الايمان بالله ، فقال : وماذا اقول حتى ادخل في دينكم ؟ فقال سيف : قل آمنت بالله وحده وآمنت بأنبيائه وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره ، فقال مهوب ما قال سيف : وقال دمنهور الوحش وبقية الاسرى من بعده فاصبحوا مؤمنين .
اما الحكماء واتباعهم فقد زادهم اسر دمنهور غما على غم فطلبوا من ميمون ان يريحهم بقتل سيف او اسره فنهض قائلا : سآتيكم به ولما طلعت الشمس ركب فيله ونزل الى الميدان وطلب سيف او سعدون او هما معا ،

وكان التنافس على لقاء ميمون بين سيف وصحبه ولكنه سبقهم الى الميدان رغبة منه في سرعة الاجهاز على ميمون او كسبه ولهذا عرض عليه الدخول في دين الله قبل ان تبدأ المبارزة فقال :

يا ميمون ان رفاقك الذين وقعوا في اسري آمنوا فسلموا وعزوا ، وستكون بارا بنفسك ان انت آمنت ، وما انت بحام نفسك من سيف الله ان اعرضت ، فماذا ترى يا ميمون ؟

فقال ميمون : ومن انت حتى تبشرني وتنذرني ؟ قال سيف : انا صاحب هذه المدينة وقائد هؤلاء الجنود ، فلا تكثر من اللغو واختر ما يروق لك ، فاما ان تؤمن واما قاتلتك .

فقال ميمون : خذ حذرك فاني جاعل يومك مثل امسك .

فقال سيف : أوعدت بما لم تقدر عليه ، وما انت الا ملاق حسابا عسيرا ثم جالا في الميدان جولات تشيب الذوائب ، وطال مداها حتى تعبا وظن كل منهما انه مغلوب ، وسنحت لسيف فرصة قبض فيها على ميمون بيديه فرفعه من بحر سرجه وجلد به الارض فلم يستطع نهوضا واسرع سعدون اليه وشد وثاقه واخذه الى الخيام ووصى الخدم ان يكرموه ويطعموه ويسقوه وبعد العشاء جلس سيف وصحبه يتحدثون ويسمرون فأمر ان يأتوه بميمون ، فلما حضر أجلسه بينهم كأنه واحدا منهم ثم قال له:

هل اعجبك ديننا ؟ فقال ميمون : ما عرفت اسيرا يكرم الا فيكم ، فهل هذا من دينكم ؟ فقال سيف : اجل انه شرعة في ديننا ان نكرم اعداءنا . ولا فضل لاحد على اخر الا بالتقوى ، فقال ميمون : اعجبني دينكم وبودي ان ادخل فيه ، فماذا اقول ؟ فقال سيف : آمنت بالله وحده وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره . فلما قالها عقد سيف بين ميمون وصحبه أن يكونوا يدا واحدة في ظل الدين الذي اعتنقوه مخلصين .

وكان السحرة الثمانون قد اتخذوا كبيرا لهم بعد برنوخ واسمه (عبد نار) فقال لهم : دعونا من سيف فانه لا يؤثر فيه سحر او كهانة لانه يحمل سيف ابن نوح وهو يبطل كل سحر ويفسده ، ولكننا نسلط على الرؤساء من صحبه ابواب السحر ، وكان برنوخ يحمل وحده عبء الحرب بالسحر ، فرفع يديه الى السماء داعيا : اللهم انت هديتني الى الايمان بك والى صراطك المستقيم فايدني بقوة من عندك وانصرني على هؤلاء السحرة الكافرين ، واستمرت بينه وبينهم حرب الارواح ، وكان يعاني المشقة في رد كيدهم الى نحورهم وكانوا كلما صنعوا بابا من ابواب السحر ابطله لهم لان الله سبحانه وتعالى قد استجاب له .

وذهب الحكيمان الى عسكرهم وقالا لهم : ان السحرة قد سحروا كبار الاعداء ورؤسائهم فهم كالتماثيل لا يتحركون، فعليكم ان تضربوا بشدة حتى تهزموهم شر هزيمة ولكم بعد ذلك اموالهم ونساءهم .

وفي تلك الاثناء حضرت الحكيمة عاقلة وابنتها طامة الى سيف وهو في تلك الشدة ، وقال له الحاجب : ان امراة وبنتها تستأذنان في مقابلتك، فقال سيف : اجلسهما عند شامة زوجتي حتى افرغ مما انا فيه فاستدعيهما الي فاستقبلتهما شامة هاشة باشة وهي لا تعرفهما ولا تعلم شيئا عنهما وعرفت طامة ان شامة زوجة سيف فقالت لامها عاقلة : انني مهما اجد من كرم الضيافة في قصر سيف ، فلن ارجع عن قتل كل زوجة له ، ولن احنث في يميني ، فراع شامة ما سمعت وافزعها ، فقالت عاقلة لها : لا تخافي يا ابنتي فما جئنا الا لنساعد سيفا في شدته ونخلصه من محنته .

فقالت شامة : ومن اعلمك ان سيفا في حاجة الى معونة ؟

فقالت عاقلة : ان سيف جاءنا في بيتنا وساعدناه في الحصول على كتاب تاريخ النيل ، ووعدنا ان يرجع الينا ويتزوج من ابنتي هذه وترك عندنا القلنسوة التي خلفها افلاطون لابنائه ، ولما طالت غيبته غضبت ابنتي وظنت انه اخلف وعده ، فالتمست له العذار ، واستفتيت الرمل في خبره فوجدته في تلك الضائقة الحربية فجئنا لمعونته .

فدعاهما سيف فذهبت اليه فرحب فيهما واجلسهما جانبه ثم قالت : الحمد لله على سلامتكما ، واشكر لله تفضله علي بقدومكما ، فقالت عاقلة : وعدتها بالزواج وقد رات انك اخلفت وعدك لها .

فقال سيف : ما اخلفت بوعدي ، وليس لي صبر عنها فهي منية النفس وقرة العين ، ثم قال طامة : لن يتأخر الزواج الا بمقدار ما تنفرج عني ضائقة القتال وستكون حفلة النصر والزواج في ليلة واحدة وفي يوم مشهود كأنه يوم عيد على مر الايام .

فقالت عاقلة : اول غرض من قدومنا اليك هو ان نساعدك وننفس عنك كربك ، فاترك لي حرب السحرة ، وبعد ذلك يكون ما تقربه عينك . انتظرت طامة يوم زواجها المعلوم ، اما امها فقد خلت الى نفسها في خيمة من خيام سيف واحضرت اليها عونا من اعوان الجن وكلفته ان يملي عليها اسماء السحرة ، ثم قصت ثمانين ورقة على صورة الادميين وجعلت لكل ساحر ورقة نقشت عليها رموزا سحرية وكتبت فيها اسمه ، ثم انطلقت بهذه الاوراق الى ميدان السحرة الثمانين ، وكان برنوخ اذ ذاك في اشد حالات عسره ، فجعلته من ورائها واطلقت الاوراق السحرية من يدها فارتفعت في الجو طائرة ، ثم نزلت كل ورقة على من كتب فيها ، اسمه من السحرة . فنفذت الى صدره وخرجت من ظهره ومات لساعته وبذلك فني السحرة الثمانون عن بكرة ابيهم ، وكان ابتهاج برنوخ بموت السحرة عظيما، فقالت الحكيمة عاقلة له : تعال معي الى الملك سيف ، وساعدني في انجاز وعده بزواجه من ابنتي طامة فانها من زوجاته عاجلا او آجلا ، ولكن طال عليها امد الانتظار حتى اشقاها ، وانت تعلم راحة الام من راحة ابنتها ،

وما دام زواجه منها امرا مقضيا ، فمن الخير التعجيل به ، وان اعتذر بتلك الحرب فاني كفيلة بقوة سحري ان اشتت شمل اعدائه في لمح البصر ، فقال برنوخ : ذلك قول جميل كله صواب وسلامة ، ثم دخلوا على الملك سيف فابتهج فيهم وشكر عاقلة على معونتها السحرية له ، فقال : تلك معونة آليتها على نفسي لك ما دمت في قيد الحياة ، وقد جئتك بهدية تفوق قلنسوة افلاطون فقد حكت لك حزاما سحريا من جلد الغزال ، فاذا شددته على وسطك واعملت سيفك في هؤلاء الجنود فأنت مبيدهم ومهلكهم عن اخرهم ، دون ان يؤثر في جسمك ضرب الحسام او وخز السهام ، وان شئت نزلت انا بهذا النطاق اليهم فأفنيهم كما افنيت السحرة ، وهو من اجل ذلك افضل من القلنسوة واشمل نفعا ، فحمد لها تلك المروءة النادرة وقاد جنده ونزل بساحة اعدائه نزول الصاعقة ولما شاهد سقرديس وسقرديون الموت يحصد جيوش الملك سيف ارعد فولوا هاربين وتبعتهم بقية الجيوش وتشتتوا في الصحراء تاركين امتعتهم وخيامهم واموالهم وهكذا انتصر سيف بن ذي يزن انتصارا ساحقا فوزع الغنائم وجعل لعائلات المستشهدين من جنوده حظا عظيما منها وجلس على عرش ملكه واستراح .

لما علم الملك سيف ارعد بالهزيمة فقد ضاقت في وجهه الدنيا بما رحبت وسأل الحكيمين : كيف تهزم جيوشنا وهم كما تعلمون عدد الرمال من كل فارس مغوار ؟!.

فقالا له : ليست لنا طاقة بسيف وجنوده لان معه من يعاونه من ملوك وسحرة من امثال برنوخ والحكيمة عاقلة .

فقال سيف ارعد : لن اسكت عن سيف حتى اقتله وادمر ملكه .

ولما علمت قمرية ان ابنها استطاع ان يقهر اعداءه ويطهر منهم دياره وجلس على عرش ملكه آمنا قويا اشتد بها الحزن وفركت اللوح فجاءها عيروض فقالت له : اذهب الى ابني سيف واقطع راسه ثم ائتني به ، فذهب عيروض ولكنه لم يستطع النيل من ابنها سيف لان الحزام المسحور له قوة تحفظ صاحبه من الجن والشياطين ، فرجع الى قمرية صفر اليدين فسألته : اين راس سيف ؟ فقال : لم استطع قتله لانه متحزما بحزام سحري حفظه من كل شيطان مارد .

فقالت قمرية : ومن اعطى له هذا الحزام ؟

فقال عيروض : انها الحكيمة عاقلة اعطته اياه وستزوجه من ابنتها طامة وهي حكيمة الملك قمرون صاحب مدينة قيمرون وهي التي ساعدته في احضار كتاب تاريخ النيل .

فغاظها ذلك غيظا اليما وصبرت محاولة تدبير حيلة للفتك به وكانت داهية في المكر والاحتيال ، فأمرت غلاما لها ان يأتيها بصانع ماهر ومعه ادوات صناعية فلما اختلت به وناولته اوح عيروض وقالت له : ارغب منك

ان تصنع لي لوح شبيه بهذا بحيث لا يختلف عنه في شيء ، فانفرد بصنعه عندها وناولها اياه فاعجبها وكافات الصانع بأن وضعت له السم في الطعام فمات لساعته فنقلته ليلا الى مكان سحيق في الصحراء ثم رجعت ولا يعلم احد بما فعلت .

ولما اشرق الصباح اخذت اللوح المزيف ودخلت على ابنها باكية وقالت: رايت البارحة في منامي ان والدك انكر علي غدري بك وقسوتي في معاملتك وانذرني ان اجلي قد قرب وقال : كنت احب ان تكوني معي في الاخرة كما كنا في الدنيا ، تجمعنا عشرة المحبة والالفة ، ولكن الكفر الذي تدينين به باعد بيني وبينك ، فان احببت ان تكوني معي فاذهبي الى ابنك سيف واعطيه لوح عيروض واطلبي منه ان يدخلك في دينه ، وقد جئتك الان ، فخذ لوحك وعلمني كيف ادخل دينك ، فأخذ منها اللوح المزيف وعلمها ان تقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره ؛ وقد سره ايمانها اعظم مما سره الحصول على لوح عيروض الذي اخذه ، اما صحبه وكبراء حاشيته فما صدقوا قولها ولا اطمأنت قلوبهم اليها وقالوا لسيف : انها حيلة دبرتها للقضاء عليك ، فدعنا نقتلها .

فقال سيف : ذلك ما لا ارتضيه لامي وقد شرح الله صدره للايمان فأرجو لها صلاحا في نفسها واستقامة في امورها فيما تبقى لها من عيش في هذه الحياة .

وبذل اصحاب سيف ووزرائه جهدا جهيدا لاقناعه بعدم الركون الى امه ومكرها وطلبوا اليه اذا كان هو يعف عن قتلها ان يسمح لهم ان يقتلوهــــا ولكنه ابى بأن ينالوها بسوء .

وبعد ايام استأذن سابك الثلاث ودمنهور الوحش وميمون الهجام ان يزوروا ارضهم وديارهم فأذن لهم سيف بالرحيل وطلب اليهم ان يعودوا متى سمحت لهم الفرصة فوعدوه بذلك .

وبعد ايام رجع (سابك الثلاث) وقال لسيف : لما رجعت الى اهلــــي واخبرتهم اني آمنت بالله الذي خلق السموات والارض فشرح الله صدر زوجتي وابنتي (ام الحياة) للايمان وآثرنا الاقامة بالمدينة الحمراء ، وقــــد وهبت لك ابنتي ام حياة لتكون زوجة لك ، فقال سيف : لا يسعني ان ارفض زواج ابنتك وقد قبلتها في عداد زوجاتي واليك عشرة آلاف دينار مهرا لها .

لما علمت طامة بذلك دخلت عليه في الصباح وهو جالس بين جمع من كبراء دولته فقالت : لقد لقيت من امري معك عسرا اذ نسيتني واهملت شأني بعد ان هديتني للايمان واوعدتني بالزواج وقد آليت على نفسي ان اقتل كل زوجة تتزوجها من قبلي .

فقال سيف في ابتسامة هادئة : لم انسك يا طامة ورغبتي في الزواج منك اعظم واشد من رغبتك ، ولكنك تعلمين اني اقسمت الا اتزوج منك الا

اذا اعطيتني قلنسوة افلاطون .

فقالت طامة : وانا اقسمت ان لا ارد اليك القلنسوة الا بعد ان يبرم عقد زواجي بك ، ولن احنث في يميني ابدا وسترى من الغالب منا . ثم خرجت غاضبة ، فخاف سيف على زوجاته منها ، وكان اكثر خوفه على منية النفوس فأوعز بتشديد الحراسة عليها ، وكان سيف لا يزال يعتقد ان اللوح الذي اخذه من امه لوح عيروض .

وفي يوم من الايام جاءه اخميم الطالب، ففرح به واكرمه ثم قال اخميم : قد كنت وعدتك وانت عندي ان ازوجك ابنتي بعد ان تفرغ من حروبك وانتظرت عودتك طويلا حتى عيل صبر ابنتي فهددتني بانها ستقتل نفسها ان لم اسر بها اليك ، وهاأنذا قد جئتك بها على امل ان تقبلها زوجة لك وتسعدها بالقرب منك .

فقال سيف : بشر ابنتك باني قبلتها زوجة لي. وامر ان يقيم وابنته في قصره ، ثم احضر القاضي في جمع عظيم من رجاله ، وفيهم عاقلة وابنتها طامة واخميم الطالب وابنته الجيزة ، ثم قال سيف : ان بيني وبين طامة من يميني ويمينها وعزمها على ان تقتل من اتزوجها قبل زواجي منها ، وبما ان امها عاقلة آوي في بيتها وساعدتني في الحصول على كتاب تاريخ النيل وقتلت السحرة الثمانين وامدتنا بمعونتها حتى انتصرنا على اعدائنا ، وبما ان اخميم الطالب هو السبب في دفع الموت عني ، وهو الذي مهد لي سبيل الحصول على حسام ابن نوح ولوح عيروض لن انسى لهما هذا الفضل العظيم ، فأنا خائف على الجيزة بنت اخميم من طامة بنت الحكيمة عاقلة.

فقالت عاقلة : لا تخف من ابنتي طامة ولا يجري على يديها اذى للجيزة بنت اخميم ، لانها تعلم بانه ضيفك وانت مدين له بما قدم لك من المعروف.

وقالت طامة : علي عهد الله انني لا أتعرض لزوجات سيف الاربع وهن : شامة ، ومنية النفوس ، وأم الحياة والجيزة ، ولست بملومة ان آذيت غيرهن من كل بنت يتزوجها قبلي فماذا تقولون ؟

فقالوا : احسنت وجزاك الله خيرا ، ثم دخل سيف بزوجته ام الحياة بنت سابك الثلاث ، والجيزة بنت اخميم الطالب وادب لهما مأدبة تليق بهما ، وتظاهرت قمرية بأنها فرحة ومغتبطة بزواج ابنها وان كان صدرها يلهب غيظا والما ، وهي جادة في تدبير حيلة لاغتياله وقتله ، هذا وقد اهدى اخميم الى سيف خاتما اذا لبسه هابته الملوك والامراء .

جعلت قمرية تطرق باب الحيل حتى أتيح لها منفذ الى غرضها . ففي ليلة من الليالي زارت ناهد في بيتها (وهي احدى زوجات ابنها) فقالت لها ناهد : زرتني في وقت الحاجة اليك ، فقالت قمرية : بنيتي مري بما تشائين وعلى الله تيسير الامور . فقالت ناهد : تعلمين يا سيدتي انني زوجة ابنك سيف من عهد بعيد ، وقد مرت الايام بنا ونحن لا نزداد الا تباعدا عن بعضنا حتى بات لا يطيق النظر الي ، ولا اذكر اني عصيت له

امرا او اسات الى احد او حملته من امره عسرا ، و اثقلت عليه في طلب، فرجائي ان تصلحي بيني وبينه وتفتحي لي المغلق من قلبه حتى اجد منه ما تجده بقية زوجاته .

وجدت قمرية في ناهد الضالة التي تنشدها ، فقالت لها : اطمئني وابشري يا ابنتي فسوف اعمل ما بوسعي لاصلح بينكما فذلك مدعـــاة لسروري فلن تجدي بعد الان الا ما يسرك ، وسيكون عندك الليلة ، ولكن لي عندك حاجة ومن اليسير عليك قضاؤها .

فقالت ناهد : لن اعصي لك امرا فانت ام زوجي ، وامرك من امره وطاعتك من طاعته ، فقالت قمرية : ان كل ما اطلبه‌منك هو ان تاخذي ثوب سيف عندما يخلعه عنه وبعد ان ينام وناوليني اياه برفق .

فقالت ناهد : ذلك امر فوق طاقتي ، ولن يكلف الله نفسا الا وسعها، ومن المنكر ان تمتد يدي الى زوجي دون اذن منه .

فقالت قمرية : سأرده في الحال لتضعيه تحت راسه كما كان فـــان راسي بالليل يصيبه صداع لا اذق معه النوم ، وفي ثوب ابني نقـــوش سحرية تذهب الالام فأريد ان اخلعه على جسمي ساعة ليذهب الصداع من راسي ثم أرده اليك ، وما هو بكاره ان تذهب عني أوجاعي واستريـــح في نومي .

فقالت ناهد : انه ابنك فما يمنعك ان تسأليه ما تريدين ؟

فقالت قمرية : لعلك تعلمين ما يقوله خلطاء السوء عني ولولا انه بر كريم لاستمع لهم وقتلني .

فظنت ناهد انها صادقة ، وعاهدتها على تنفيذ ما طلبت ، ذهبت قمرية الى ابنها فقالت له : انني اجدك قد انحرفت عما يأمرك به دينك فلم تعدل بين زوجاتك فآثرت بعضهن على بعض ، فقال سيف : استغفر الله ، وكيف ذلك يا امي ؟! قالت : جرت وظلمت فهجرت زوجتك ناهد وما سويت بينها وبين زوجاتك ، فاذهب اليها الليلة وكفر بالاقبال عليها ما فرط منك بحقها، فقال سيف : سمعا وطاعة يا امي ، وساكون عندها الليلة ، واوصتها ان لا تنسى ما كلفتها به ، فقالت : على العين والراس يا سيدتي .

لما جن الليل حضر سيف الى ناهد وازال برفقه وتلطفه ما كان فـــي نفسها ، ثم نزع عنه ثوبه الذي فيه الحزام ووضعه تحت راسه ونام ، اما قمرية كانت تترقب ناهد ومعها حزام سيف ، وما ان غرق سيف في نومه حتى مدت ناهد يدها واخذت الحزام من تحت راسه وخرجت الى قمرية التي كانت تنتظرها بالقرب من الحجرة وما كادتا تلتقيان الا وفاجأتها طامة وضربت ناهد بسيفها اوقعتها على الارض ترضخ بدمائها ، واما قمرية لما رات ذلك ولت هاربة قبل ان يلحقها احد .

ايقظت صرخة ناهد سيفا زوجها فخرج اليها مسرعا فوجدها مقتولة وطامة واقفة عند راسها وسيفا بيدها يقطر دما فقال لها : كيف تقتلين



طامة تفاجىء ناهد بضربها بالسيف وفي يدها حزام سيف المسحور قبل اعطائه الى قمرية

نفسا بريئة لم ترتكب جرما ؟ فقالت طامة : لا تلوم او تحكم قبل ان تتبين، انها ارتكبت جرما فظيعا مما جعلني ان اقتلها ، فانها سرقت من تحت راسك الثوب الذي فيه الحزام المسحور الذي يحميك من كل شيطان ومـــارد وخرجت به لتعطيه الى امك قمرية حتى تستطيع ان تسلط عليك عيروض ليحملك الى حيث تلقى حتفك ، فقال سيف : ان لوح عيروض معي . ثم اخرجه وفركه فلم يحضر عيروض ولا غيره ، فقالت طامة : ان لوح عيروض لم يزل مع امك التي اطمأنت لها ، وصدقت بتوبتها وايمانها الكاذب ، اما

اللوح الذي معك فهو اوح صنعه لامك صانع احضرته امك ثم قتلته بعد صنعه ليبقى امرا خفيا ، وهي الان تريد ان تجردك من الحزام المسحور على يد زوجتك ناهد ، ولما انكشف امرها خافت وهربت .

فايقن سيف ان امه لا تزال خائنة غادرة ، وزاد في يقينه انه بحث عنها في حجرتها وفي القصر فلم يجد لها اثرا . وفي الصباح دعا سيف اليه ارباب دولته وحكى لهم ما جرى من امه وطامة فقالوا : الحمد لله الذي اظهر لك غدرها قبل ان تقع في حبائلها ، وكم اشرنا عليك ان تقتلها فتأبى متناسيا ما قدمته لك من سوء ، وبينما هم في هذه الجلسة اقبلت عاقصة اخت سيف من الرضاع ففرح بها سيف وقال لها : لقد جئت في وقت الحاجة اليك .

فقالت عاقصة : وما جرى لك يا اخي ؟ فقص عليها ما فعلته امه به فقالت : ان انا بحثت عنها واحضرتها فهل تأذنلي ان اقتلها واريحك منها ؟ فقال سيف : لك ما تشائين ، فقالت عاقصة : اشهد على نفسك ارباب دولتك ، فقال سيف : ان انت احضرتها سأريك ما أفعل بها .

فقالت عاقصة : لا اني بك عارفة فستمنعني من قتلها ان جئت بها ، وحق النقش الذي على خاتم سليمان ان عثرت عليها فلن اتركها حية ترزق ابدا ، ثم التفتت الى الحاضرين سائلة : ما تقولون في هذا ايها السادة ؟

فقالوا : ذلك هو الحق الذي لا شك فيه ، فودعتهم وطارت تسبح في الفضاء باحثة عن قمرية .

كانت قمرية بعد هربها قد فركت اللوح فجاءها عيروض فسألته : هل تعرف ملك الصين والد ناهد ؟ فقال عيروض : انه الصمصام ، وهو جبار عنيد ، فقالت قمرية : احملني اليه واسرح ، فطار بها حتى نزل بها على قصر الملك الصمصام ، وكان قصرا فخما ، فيه حجرات كثيرة واسعة ، واثاث مرصع بالذهب والفضة والجواهر الكريمة ، فنزلت على سلم ودخلت على الصمصام وهو جالس في حجرته فسلمت عليه ففزع لهذه المفاجأة وسألها : من انت ؟ انسية انت ام ؟ فقالت قمرية : لا تفزع فانا الملكة قمرية وما جئتك من بلاد اليمن الا لامر عظيم يهمك ، فقال الصمصام : عسى ان يكون خيرا ، وارجو ان تكون ابنتي على احسن حال ؟ قالت قمرية : ما قدمت الا من اجل ابنتك ، وقد كدت اقتل دفاعا عنها ، فان زوجها سيف الذي احتال عليها واخذها قتلها ، وحاولت ان ادافع عنها فهم ان يضربني بسيفه ففررت منه.

فقال الصمصام : ومتى حدث ذلك ؟

قالت قمرية : كان بالامس ايها الملك .

فقال الصمصام : وكيف جئت من بلاد اليمن والمسافة بعيدة بين الصين واليمن ؟ فقالت : طار بي اليك جني اسمه عيروض وهو خادم لوح في حوزتي اذا فركته حضر وكانطوع امري .

وكانت قمرية جميلة فاتنة بقدر ما هي ماكرة غادرة فتحركت في نفسه رغبة ملحة وعزم ان يتخذها زوجة له فقال : ان ابنتي هي التي جنت على نفسها وهي التي طاوعته ورحلت معه الى بلاد اليمن . فدعي الحديث بشأنها الى وقت اخر وانظري فيما تسمعين : اني اريد ان تدخلي في ديني وتكوني زوجتي فماذا تقولين ؟ قالت قمرية : وما تعبدون ؟

قال الصمصام : نعبد النار ونقدسها .

قالت قمرية : لا مانع لدي وسأدخل في دينك ورضيت بك زوجا .

فذهب بها الى معبد النار وسجدا لها ، ومن ثم عقد الزواج بينها وبينه على ملته وعاشت معه .

وكانت عاقصة قد جاءت في البحث عنها الى بلاد الصين وعرفت كل شيء ولكنها لم تستطع ان تقترب منها لان اللوح المطلسم لا يمكنها من ذلك، فرجعت الى سيف اخيها واخبرته ، فألح عليها ان تأتيه بها ، فاعتذرت بأن لوح عيروض يحول دون ذلك ، وكان برنوخ الساحر حاضرا فقال : خذيني معك اليها وانا اسرق اللوح منها لتكون بعد ذلك في متناول يدك ، ثم ركب زيره وطار به في صحبة عاقصة حتى نزلا فوق قصر الصمصام ملك الصين فنزل برنوخ في سلمه مستخفيا فوجد الصمصام وقمرية في حجرتهما يتهيآن للنوم فصبر حتى غرقا في نومهما فجعل عليهما رصدا من السحر فجعلهما لا يحسان ولا يتحركان ، فدخل برنوخ عليهما وفك لوح عيروض من عضدها واخذه وصعد الى عاقصة فوق سطح القصر وقمرية معها ، اما برنوخ فانه دخل على سيف واخبره بما فعلا وان امه قمرية مع عاقصة فوق سطح القصر ، فطلب منها ان تنزل بأمه فأبت فعلمت بذلك طامة فصعدت اليها بسيفها لتقتلها ، فخطفت عاقصة السيف من يدها وقذفت قمرية الى علو عشرون مترا وتلقتها وهي نازلة على سيف طامة فقسمها نصفين ، وجعلت تقذف اجزاءها وتتلقاها حتى قطعتها اربا اربا، ثم نزلت براسها الى سيف ورمته امامه قائلة : هذه امك الخائنة ، فغضب سيف وعاتبها اذ عجلت بقتلها ، فقالت : فلن تراني بعد اليوم ، فقد امنت عليك بعد قتل امك الخائنة وسلامي عليك . ثم طارت ، فحزن سيف على امه واستمر به الحزن فترة ثم سلاها ونسيها .

وبعد ايام جاءته البشائر ان زوجته منية النفوس ولدت غلاما ذكرا وطلبوا منه ان يسميه فاستبشر وابتهج وقال سيكون اسمه مصرب، ثم منح العطايا والهبات فرحا بابنه ، وبينما هو جالس ذات ليلة في حجرة منية النفوس يتحدث معها مغتبطا اقبلت طامة وسيفها في يدها فخشي منها على منية النفوس ونهض اليها قائلا : ماذا تريدين يا طامة ؟

فقالت طامة : وما ذنبي انا حتى تهملني وتغفل امري ؟

عندئذ قالت عاقلة : ان علماء الدين كفيلون بحل عقدة الايمان التي بينك وبين ابنتي طامة لو انك بذلت على مسالتها شيء من اهتمامك لانتهت

على احسن حال ، فقال سيف : ساحل العقدة وموعدك صباح الغد .



عاقصة تتلقى قمرية بالسيف

فقالت عاقلة لابنتها : قضي الامر ، ووعد الملك لا رجعة فيه . فسكن غضبها ورجعت مع امها تنتظر الصباح .

وفي الموعد المضروب احضر سيف القاضي والعلماء وعرض عليهم قضيته مع طامة (وكانوا يعرفونها من قبل) وقال لهم : اريد ابرام عقد الزواج الان في هذه الجلسة ، فقال العلماء : يبرم عقد الزواج وتدفع المهر وتأخذ القلنسوة منها ثم تدخل عليها بعد ذلك ، وحينئذ لا يحنث احدكما بيمينه.

فقال سيف : ومع هذا فقد امرت بذبح سبع بقرات سمان كفارة عن

اليمين وجعلت مهرا لطامة عشرة الاف دينار . وهكذا ابرم العقد واقيمت الافراح سبع ليال ثم دخل بطامة وعاشا في هناء وسرور . ففي يوم من الايام قالت طامة لزوجها : لي عندك امنية وارجو ان تحوز رضاك . فقال سيف : اطلبي ما تشائين ، فقالت : اود ان ارى ثوب الريش الذي لمنية النفوس ، فقال سيف اتركي هذه الامنية واطلبي ما تشائين غيرها . فقالت طامة : لا امنية لي سواها ولا ابغي الا رؤيته ثما ارده اليك .

فقال سيف : اخشى ان تراه منية النفوس معك فتحتال عليك وتأخذه.

فقالت طامة : انها مشغولة الان بتربية ابنها مصر ، وهو عندها اعز من الدنيا وما فيها .

فقال سيف : ربما رغبت في السفر الى اهلها واخذت ابني معها فحينئذ لا يهنأ لي عيش او يهدأ لي بال .

فقالت طامة : لا تخف ولن تصل اليه يدها ، فناولها سيف مفتاح الصندوق الذي به الثوب ، وحذرها ان يقع في يد منية النفوس ، واحب سيف ان يفرج عن نفسه بالصيد بالخلاء فخرج هو وصحبه وابعدوا في الصحراء وفي اثناء غيبته جمعت طامة زوجات الملك عندها ليتسلين باللهو والسمر . وفي جلسة من جلساتهن قالت طامة لمنية النفوس : احب ان اراك ترقصين في ثوبك الريش يا منية النفوس .

فقالت منية النفوس : احضريه وانا ارقص لك فيه .

فقالت طامة : اخشى ان تلبسيه ثم تطيري به وتفارقينا .

فقالت منية النفوس : ان كنت خائفة فلا تحضريه ، وليس منا من يكرهك على احضاره ، فقالت طامة : احلفي انك لن تطيري به ولا تفارقينا، فقالت منية النفوس : وراس ابوك وامك لن اطير به ولا افارقكن وسارده اليك بعد ان انتهي من رقصتي .

فقامت طامة واحضرته وناولته لمنية النفوس ، فقامت ولبسته ورقصت به رقصة نالت اعجاب الجميع ، ثم جلست وقالت : سأريكن رقصة وابني مصر في حضني . ثم ربطت ابنها في صدرها بقماط من حرير ونهضت فرقصت ثم رفرفت ودارت حول القصر ، ثم ارتفعت في الجو وحطت على شرفة من شرفات القصر ففزعت طامة ومن معها وخشيت ان تطير الى اهلها وبلادها وكانت قد حضرت امها عاقلة فأدركت خطورة الموقف فجعلت ترجو منية النفوس ان تنزل اليهن ، فقالت منية النفوس : اني مرتحلة الى اهلي فان جاء سيف واشتاق الى ابنه مصر فليلحقني في جزيرة البنات وهي احدى جزائر واق الواق . ثم حلقت في الجو وغابت عن الاعين ، تاركة طامة في حسرة وندامة تشقان المرائر ، وغضبت امها فأوجعتها بالقول القارص وقالت لها : ماذا تفعلين لو رجع سيف ولم يجد ولده ولا ام ولده؟ كيف تنجين من سيفه ؟ ان القتل يسير بجانب هذا الفضول الذي اكرهت زوجك عليه ، فبكت طامة بكاء مرا واقبلت على امها تستنجد بها لانقاذها من

هذه الورطة ، فقالت الحكيمة عاقلة : اكتمي هذا الامر حتى اوفق الى تدبير يكون موافق ، ثم احضرت نجارا ماهرا في صناعة التماثيل فصنع لهـــا تمثالا من الخشب وطلاه على هيئة منية النفوس والبسته ملابسها ووضعته مستلقيا على سريرها ثم صرخت صرخة عالية فاسرعت الجواري والخدم اليها فقالت لهم : ان سيدتكن منية النفوس كانت تشرب فشرقت وماتت لساعتها فصدقوها ثم تولت هي غسلها وتكفينها ودفنها في قبر بحديقة القصر ، وعم الحزن عليها انحاء المدينة .

ولما رجع سيف واتصل به ما حاق بمنية النفوس حزن عليها حزنا اليما وكانت الحكيمة قالت له : ان ابنه مصر اخذته عاقصة لتتولى ارضاعـــه وتربيته ثم تعود به اليك متى شب .

دب الحزن ينخر في صدر سيف حتى هد كيانه وبان ضعفه وساءت حاله فأنكرت عاقلة امره وخشيت عليه من مغبة الحزن ، فجلست اليـــه وقالت : لا تحزن على منية النفوس فهي حية لم تمت ، وجعلت تقص عليه حكايتها حتى انتهت ، فسرى عنه ولمع السرور في وجهه ، فجاءت اليه طامة باكية مستغفرة فقال لها : لا بأس عليك فلكن الدلالة وعلينا ـ نحن الرجال ـ الصبر والاحتمال وقد رفعت امك عني اثقال حزني ولكنها شغلتني بالتفكير في سبيل الوصول الى منية النفوس وابني مصر .

وبينما هو جالس بين صحبه وحاشيته اذ جاءته عاقصة فابتسم لها وقال : لا زلت غوثا لاخيك كلما اصابه غم من بعد غم وما طاوعتك نفسك ان تهجريه بعد ان قتلت امه .

فقالت عاقصة : لا تذكرنا بأمك فهي كافرة خائنة ، وكانت في حياتك الداء العضال ، وقد اطمأننت عليك بعد موتها .

فقال سيف : دعينا منها ، واذكري لي : كم يوما يقطع في السفر الى جزيرة البنات ، احدى جزائر واق الواق ؟ فقالت : تقطع الجمال السفر اليها مائة عام ، فقال سيف : في هذه الحالة لا يحملني اليها الا عاقصة . فدهشت وسألت في لهفة : اين منية النفوس ؟ لعلها لبست ثوب الريش ورحلت الى اهلها ؟.

فقال سيف : ومعها ابني مصر . ثم قص عليها القصة بتمامها ورجاها ان تحمله اليها ، فقالت : يا اخي استودع ابنك عند الله ولا تلق بنفسك الى التهلكة فان هذه الجزيرة لا يحيا فيها غريب ، لن تستطيع ان تلج بـــاب مدينتها ، لان له رصدا ولهذا الرصد ثلاثمائة وستون عونا ، فاذا ولجه غريب نادى هذا الرصد وينادي معه : دخل المدينة فلان ابن فلان وهو في مكان كذا وحينئذ يطبق اهل المدينة عليه في مكانه ويقطعونه بسيوفهم ، واهل المدينة كلهن بنات حذقوا الفروسية وركوب الخيل وليس بينهم الا رجل واحد هو ملكهم وهو والد منية النفوس .

فقال سيف : وكيف توجد البنات بهذه الكثرة من دون الرجال ؟ فهل

لذلك من سبب ؟ فقالت : هذه الجزيرة هي ضمن جزائر واق الواق وكان ملكها (كافور) شيخا مسنا اعقب والدين عاصما وقاسما فبنى مدينتين فسماهما باسم ولديه ووصى ولديه ان يكون كل واحد في مدينة بعد موته، وان يكونا يدا واحدة ، ولا يجعلان للخلاف عليهن سبيلا حتى لا يدخل بينهما عدو او حاسد.

فقال ولداه : سمعنا واطعنا ، ويحسن ان تزوجنا قبل ان ترحل عنا ، منعا لما عساه ان يحدث الفرقة بيننا ، فقال ابوهما : نعم ما رايتما ، وكان لوزيره بنتان جميلتان فزوج عاصما من احداهما وزوج قاسم من الاخرى واراد الله للزوجين ان تحملا في ليلة واحدة ، وبعد ثلاثة اشهر من الحمل مات ابوهما فشيعاه في احتفال مهيب ولبثا يتلقيان التعازي اربعون يوما، ثم انفرد كل في مدينته ، وجعلا وزير ابيهما نائبا عن الجزيرة ، ولما اتمت الزوجتان مدة الحمل وضعت زوجة قاسم انثى ووضعت زوجة عاصم ذكرا، فقال عاصم لاخيه : يقيني ان العناية الالهية شاءت لهذين المولودين ان يكون احدهما للاخر في مستقبل الايام ، ولا ريب ان زواجهما سيكون من شأنه ان يربط بين مدينتينا ويوحدهما ببعض في مملكة صغيرة يتربع ابنك على عرشها وتكون ابنتي هذه ملكة لها .

فقال قاسم : ان شاء الله يكون ذلك ، ولكنه كان يخفي اله ، ولما كبر الولدان خطب عاصم ابنه اخيه لابنه ، فاستشارها ابوها فأبت ان تتزوج من ابن عمها او من سواه وآثرت ان تبقى عانسا ترث اباها في مدينته ، وانذرته ان تقتل نفسها ان اكرهها على الزواج ، فقال قاسم لرسل اخيه بعد ان عرفوا راي ابنته منه : ولا يهون علي اكراهها وحملها على شيء ولو رضيت بالزواج لكان ابن عمها خير زوج واكرمه .

فزين لعاصم الشيطان ان اخاه ضن بابنته على ابنه فمنع زواجها منه ومن غيره ، فاصر على ان يفعل شيئا يغيظ اخاه ، وكان في هذه الجزيرة رهط من الكهان والسحرة فأحضر عاصم جمعا منهم لديه وقال : ابتدعوا لي بدعة لم يسبقني اليها احد ، ولا تخطر ببال احد من بعدي وذلك ان تجعلوا جميع من في مدينة اخي من البنات يهرعون الى مدينتي بحيث لا يبقى في مدينة اخي بنت واحد ، وجعل عاصم للسحرة دارا مستقلة وهيأ لهم فيها ما يحتاجون اليه من شؤون المعيشة حتى يعكفوا فيها ولا يخرجوا منها الا اذا انتهوا من سحرهم .

وبعد اربعين يوما خرجوا بتمثال من الشمع الابيض في صورة بنت ، فوضعوه في وسط المدينة وضربوا عليه قبة من الرخام ونقشوا على القبة طلاسم ورموز ثم جلسوا وجعلوا يتلون ويدمدمون الى ان انتصف النهار فراوا بعد ذلك سيولا من البنات تتدفق من مدينة قاسم الى مدينة اخيه عاصم حتى فرغت من جميع ما فيها من البنات ، ففرح عاصم واغدق على جماعته الكهان والحكماء نعمه وعطاياه ، ثم اشار عليهم ان يعملوا رصدا

بباب المدينة يمنع كل رجل من دخولها ، فقال : افعلوا رصدا يصيح بالرجال والغرباء ويدل اهل المدينة عليهم ليمسكوهم ويقتلوهم ، فقالوا : على شرط ان تعلم البنات ركوب الخيل وفنون القتال والفروسية حتى يغلبن الرجال ، فقال عاصم : لكم ذلك .

لما وجد اخوه قاسم ان مدينته اقفرت من البنات جمع عشرة من الكهان وطلب اليهم ان يبتدعوا شيئا يغيظ اخاه عاصما كما اغاظه ، فقالوا : سنخلي مدينة اخوك من الذكور كما اخلى مدينتنا من البنات ، فقال لهم قاسم : عجلوا بذلك . فلم تمض ساعتان من النهار حتى اطبق الظلام على مدينة عاصم وهبت عليها الرياح وانفلت من فيها من الرجال الى مدينة قاسم اخيه حتى لم يبق فيها الا عاصم اخوه ، وجعل الكهان للمدينة رصدا يدل رجالها على كل انثى تدخل المدينة كما اقاموا حوضا كبيرا من الماء بين المدينتين ، وكلوا حراسته الى اربعين عونا فسألهم عن ذلك الحوض ، فقالوا : اذا اشتاقت بنت الى الرجال سلطنا عليها الاعوان تصيب جسمها بالحكة ، فلا ترى شيئا يطفيء الحرارة التي اصابت جسمها الا ان تغتسل في ذلك الحوض ، فاذا نزعت عنها ثيابها ونزلت في الماء اخذ الحراس ثيابها فتمكث في الماء حتى يأخذها رجالنا ولا يطلقوها الا بعد ان تلد لهم بنتا بدلا منها .

فقال قاسم : وماذا انتم فاعلون في ابنتي منية النفوس ؟

فقالوا : صنعنا اربعين ثوبا من الريش اذا لبسته بنت طارت به في الجو كالطير ، وذهبت الى حيث تشاء فاذا وصلها ثوب منها فانها تطير وتأتي اليك من طبقات الجو العالية فلا يشعر بها الرصد في كل من المدينتين ، وتستطيع ابنتك ان تصطفي لها جماعة من البنات يكن معها وفي خدمتها ، وتعطي كل بنت ثوبا يطرن به متى شئن والى حيث يردن ، ومن اليسير ان تكتب الى ابنتك رسالة تعرفها بكل ذلك وتبعث لها بثوب من الاثواب بصحبة عون من الاعوان .

فسر قاسم وفعل ما اشار به الكهان وجاءته ابنته وتحدثت اليه واتفقت معه على ان تتخذ لها جماعة من البنات يصاحبنها الى اين تذهب واخذت معها اثواب الريش اللائي لهن ، ثم مرت الايام ومات الملك عاصم ، عجب سيف مما سمع وقال لعاقصة : اني مصر على الرحيل الى زوجتي وولدي ولو لقيت في ذلك الرحيل الردى والهلاك .

فقالت عاقصة : ما ذكرت شأن هذه الجزيرة الا لتعرف عما انت قادم عليه من الخطر ، فقال سيف : ان ما اجده من الخطر في سبيل ذلك سائغ لذيذ فاذهبي بي اليها ، واقصري القول .

فقالت عاقصة : اذن ودع اهلك واعهد بملكك لمن تشاء وانا ذاهبة لاودع اهلي وسأعود اليك بعد ثلاثة ايام .

عهد سيف بالملك الى ابنه دمر ، ووصاه ان يعدل بالرعية ووصى به

وزراءه ، وعرفهم بما هو ذاهب من اجله ، ولما جاءت عاقصة امر سيف عيروضا ان يحمله ويطير في صحبته عاقصة ثم نزلوا فوق جبل شامخ يشرف على الجزيرة فقالت عاقصة : لا اقدر ان اخطو خطوة واحدة بعد ذلك ، ثم سلمت عليه وطارت ، ووجد سيف في هذا المكان شيخا كبيرا فرجاه ان يمد اليه يد المساعدة ، ويسهل له السبيل الى الوصول الى غرضه ، وبعد ان قص عليه قصته قال الشيخ : بعدما عرفته من قصتك يتحتم علي الا ادخر وسعا في اعانتك باذن الله تعالى فانتظرني هنا حتى ارجع اليك ، وغاب ساعة ثم رجع ومعه ثياب نسائية من الحرير الفاخر ، وقدح من الذهب ، ولوح ذهبي ، وكرة وصولجان وزمردة خضراء ، وقال : خذ هذه الاشياء فهي محفوظة لك دون سواك. اخذها سيف ثم قال : وما نفع هذه الاشياء يا عماه ؟

فقال الشيخ : لكل منها اثر ينفعك عند الحاجة . وعلمه فوائدها وقال له : البس الحلة النسائية لتمكنك من دخول مدينة البنات ، ثم اذا فركت هذا اللوح حضر اليك خادمه «الخيرقان» وهو مارد من الجن وامره نافذ وله اعوان كثيرون ، وحينئذ تكلفه ما تشاء فهو اقوى من عيروض واوسع نفوذا واشد سطوة وبأسا ، ووصيتي لك ان تعطيه لوحه وتطلق سراحه اذا ما قضيت مأربك ورجعت الى ديارك ، فاني قد عاهدته على ذلك واذا ضاقت بك الامور فنادني فتجدني لديك حاضرا ، فقال سيف : وما اسمك يا سيدي فاناديك به ؟ فقال الشيخ : (اسمي ابو النور الزيتوني) .

وبعد ان انصرف ابو النور فرك سيف لوح المارد الخيرقان ، فحضر بين يديه في لمح البصر قائلا :

لبيك يا ملك العرب ، سلني اجيبك ، ومرني اطيعك . فقال سيف : احملني الى جزائر واق الواق ، فطار الخيرقان وبعد قليل حط على الارض قائلا : هذه الجزيرة الاولى من جزائر واق الواق ، وانت ترى مروجا واسعة مخضرة تمتد على طول هذا البحر الضخم المتلاطم بالامواج ، وهذا الجرن من النحاس الاصفر الذي تراه قد اقيم الى وسطه العمود الحديدي المطلسم الذي بطل عمله .

فقال سيف : انتظرني حتى آكل غذائي فقد احسست جوعا . ثم وضع فوطة على القدح الذي معه ووضع يده عليه وقال : بسم الله هات لي طعاما من الثريد ، ثم رفع الفوطة فوجد في القدح ثريدا عليه لحم من غزال مشوي ، فأكل وحمد الله تعالى ، ثم امر الخيرقان ان يحمله الى الجزيرة الثانية ، فقال له : سنصل اليها في الصباح ، ولاجل ان تنام مستريحا آمنا وانا طائر بك ضع الزمردة الخضراء التي معك تحت راسك . ففعل ما امر به الخيرقان ، وطار به حتى كان عند الجزيرة الثانية ، فوجد بها جبلين شاهقين يمتد بينهما واديا متسع الارجاء ذو اشجار باسقة وتتدلى من اغصانها ثمار على صورة بنات تعلقن فيها من شعورهن والريح تميل بهن

ذات اليمين وذات الشمال ، فقال سيف : سبحان ربي القادر على كل شيء، ثم امره ان يحمله الى الجزيرة الثالثة فلما وصلها القاها محاطة بأربعة جبال شاهقة ، وبها اودية وأشجار واثمار وان لتلك الاثمار صياحا كصياح الانسان كلما حركتها الرياح ، فرغب ان يأكل من تلك الثمار ، فقطف الخيرقان ثمرة على صورة بنت جميلة ثم نزع عنها قشرتها فوجد فيها فصوصا مرصوصا على شكل البرتقال ، وطعمها كطعم الجوز فقال : سبحان ربي الذي خلق الحب والنوى ، وخلق الثمر متشابها وغير متشابه ...

ثم امر الخيرقان ان ينقله الى الجزيرة الرابعة فوجدها كثيرة الازهار والرياحين تجللها انهار جارية يشقها نهر كبير أقيم على شاطئه الجرن المطلسم وعلى جانبه العمود الحديدي ، فسأل الخيرقان عن هذه الاعمدة واجرانها المطلسمة ولماذا صنعت ؟ فقال : كان ملك كاهن يدعى عابد النجم، وله ولد يسمى شاحوطة عاث فسادا في الارض ، دابه التعدي على البنات، والاعتداء عليهن ، فرأى ذات يوم ، (جلجلة) ابنة وزير ابيه ، فحاول ايذائها والاعتداء عليها فشكته الى ابيها واستنجد ابوها بملكه ورجاه ان يزجر ابنه ويصرفه عن ايذاء ابنته ، فأحضر الملك ابنه ووبخه وقال لوزيره : قد أبحت لك ان تقتله اذا عاود الاعتداء على ابنتك .

ودخل الوزير بيته ليلة فوجد ابن الملك جالسا وابنته مختبئة في مكان خفي من البيت هربا من شاطوحة ، فسأله : كيف تدخل بيتي من دون اذني ؟ فقال شاطوحة : انا ابن الملك فلا استأذن ، وقد جئت من اجل ابنتك ولن تقدر ان تصدني عنها ، فغضب الوزير وضربه بسيفه ضربة فصلت رأسه عن جسمه ثم امر جماعة ان يلقوه في الخلاء سرا ، وان يكتموا خبره ، ففعلوا ما امرهم به وفي ذات يوم دخل على الملك اربعة صيادين فقالوا : خرجنا اليوم للصيد كعادتنا فرأينا في الخلاء طيورا تحط على الارض ثم تطير فقصدنا الى جهة مطارها ومحطها فوجدنا جثة قد فصل عنها رأسها فتبيناها فاذا هي ابنك شاطوحة ، فحزنا عليه وأسفنا وجئنا لاخبارك . فجزع الملك وأيقن ان الذي قتل ابنه هو وزيره ، فأمر كيوان باحضاره ، ولما حضر سأله قائلا : لماذا قتلت ابني ؟ فقال كيوان : انسيت انك امرتني بقتله ان حاول ايذاء ابنتي ؟ فقال الملك : ما قلت لك الا مبالغة مني في صده وتخويفه ، وهل في الدنيا من يهون عليه ابنه ويأمر بقتله . انت حملت امانة الناس وتعلقت حقوقهم في عنقك ثم خان ابنك الامانة وعبث بهذه الحقوق ، فان كنت على ملة ابنك وعلى شاكلته فافعل ما تشاء.

فقال الملك : اخشى ان تشتد بي ثورة الغضب فأقتلك ، فلك ان ترحل بأهلك وعيالك عن دياري الى حيث تريد ، ولن يأتي الغد وانتم في مدينتي، ثم امره بالانصراف .

خرج الوزير كيوان بأهله ليلا من مدينة عابد النجم الى حيث لا يدري، ولقيه في اثناء سيره اربعة من السحرة الماهرين فشكا اليهم ما اصابهم من

ظلم ونفي فقالوا : نحن معك حتى نعيدك ارضك وديارك. فشكرهم واجزل لهم العطاء وساروا جميعا حتى دخلوا على الملك (حارس) صاحب جزائر ويقار فأطلعه الوزير على جلية امره واستنجد به فوعده ان يعينه وينصره على عابد النجم ويرجعه الى مدينته .

وقد خطر ببال الملك عابد النجم بعد طرده الوزير ما اخافه وشغله فقد ظن ان وزيره سيلجأ الى احد الملوك الاقوياء وسينصره ليعود الى المدينة بحد السيف ، فقام الى الرمل يستلهمه خبر الوزير فحقق الرمل ظنه وتأكد انه يعمل جاهدا على ان يرجع الى المدينةبجيوش كاسحة فصنع هذه العمد والاجران المرصودة لتصدعن المدينة كلّ عدو ، ولما قدم (حارس) ملك جزائر ويقار بجيشه ومعه الوزير كيوان الى مدينة عابد النجم فلم يستطيعوا دخولها وكلما قربوا منها دفعهم الرصد الى الوراء ، ولما اعيتهم الوسيلة وايقن (حارس) انه غير قادر على دخول المدينة هم ان يرجع الى جيشه ، فأشار عليه الوزير كيوان ان ينتظر حتى يرى السحرة لعلهم يبطلون عمل الرصد ، وبذلك تستطيع دخول المدينة في يسر وسهولة .

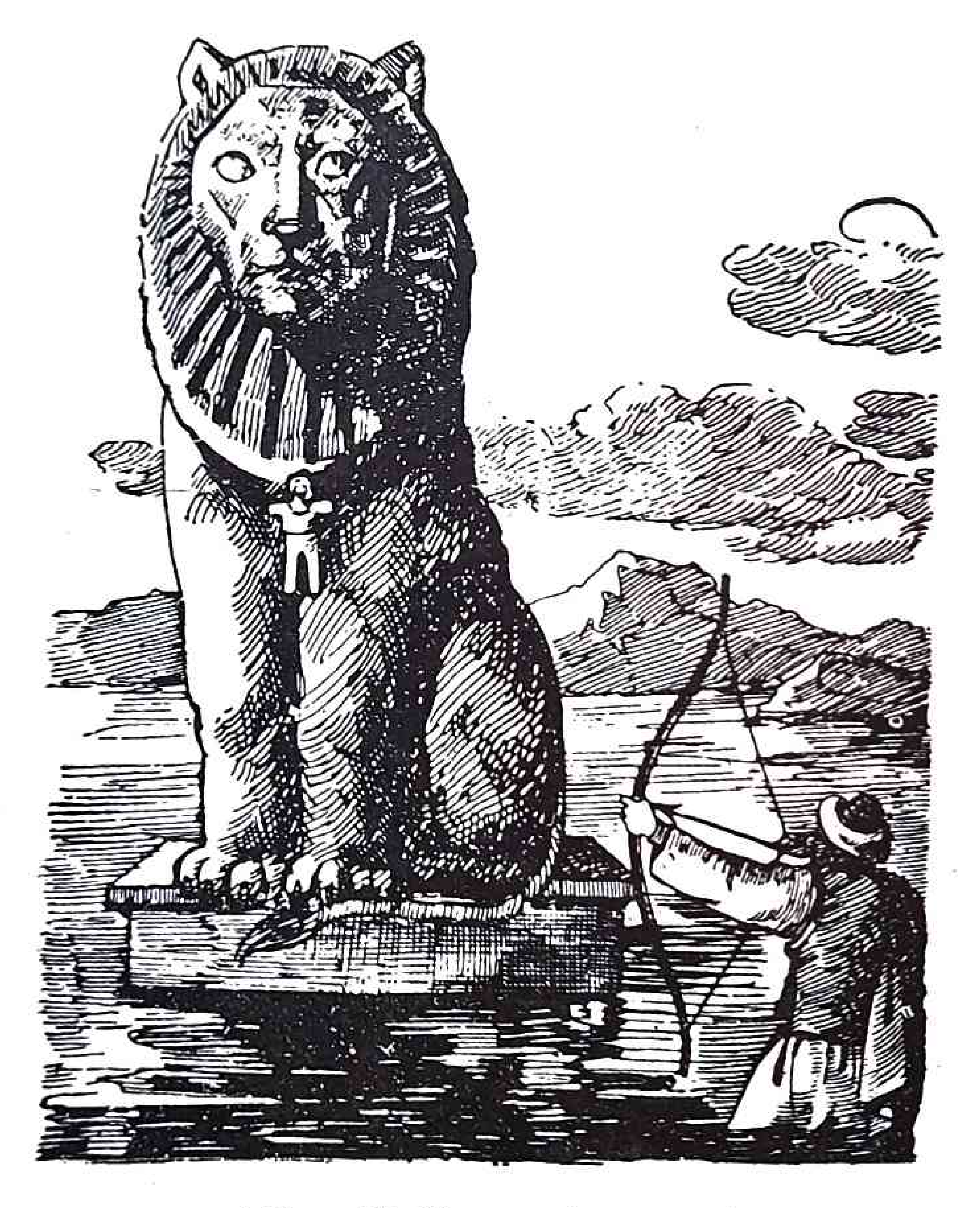
ولما سقط في أيدي السحرة ذهبوا الى كبيرهم الذي علمهم السحر وقالوا : كيف لا تستطيع ابطال الرصد وما صنعه الا ساحر مثلك ؟ الم تعلم ان هذا العجز عار وفضيحة ؟ فاذا كان ساحر الرصد اكثر منك علما فنحن مفارقوك اليه لنأخذ علم السحر عنه وان كنت مثله ندا لند او تزيد فأرنا كيف تبطل رصدا وتنصرنا عليه .

فقال لهم كبيرهم : اطمئنوا وارتقبوا ابطاله ، ثم دخل في خلوته واحضر اعوان من الجن وطلب اليهم ان يبطلوه او يدلوه على طريقة تمكنه من اتلافه، فقالوا : لقد صنع عابد النجم رصدا في اخر الجزائر ووضعه في عنق تمثال من جلد احمر لاسد عظيم الجثة فاذا ابطل هذا الرصد بطلت جميع الارصاد . فقالوا : وكيف يظل هذا الرصد ؟ قال : في كنز (كوش بن كنعان) ما يتلف الرصد ويفسده ولكنا لا نقدر ان تصل اليه أيدينا لان الاعوان الذين يحرسون الكنز منعونا من الدخول اليه ولا يمكن لاحد ان يدخله الا بأمرهم . فقال : لو ذهبتم اليهم ومنعوكم ؟

فقالوا : نعم . فقال : اني منطلق معكم ، فاحملوني الى باب الكنز. فطاروا به ووضعوه امام بابه ، فطرق الباب فقيل : من ؟ فقال : بقطرش كبير السحرة يريد ان يبطل ارصاد الملك عابد النجم ، امرنا كوش بن كنعان ان لا يفتح باب الكنز الا لك ، ثم فتحوا الباب ودخل ثم اعطوه قوسا وكيسين احدهما مملوء رمالا ناعما والاخر فيه ثلاث نبال ، وامروه ان يعيدها بعد ان يقضي حاجته منها .

اخذ بقطرش هذه الاشياء والهاه الفرح بأخذها عما يفعل بها فسال اعوانه عن ذلك فقال احدهم : اما الرمل فان وضعت منهشيئا على الاعمدة والاجران المرصودة انصرفت اعوانها ، واما القوس فانك ترمي به بالنبال

فان اصبت التمثال الذي على شكل الاسد بأول نبلة بطل سحر الارصاد، وان لم تصبه ابتلعتك الارض الى ركبتيك ، وان رميته بالثانية ولم تصبه ابتلعتك الارض الى ثديك ، وان رميته بالنبلة الثالثة ولم تصبه ابتلعتك الارض وفنيت ، فأمرهم ان يحملوه الى تمثال الاسد في اخر الجزائر فتقدم كبير السحرة ورماه بأول نبلة فلم تصبه فابتلعته الارض الى ركبتيه ثم رماه بالثانية فلم تصبه وابتلعته الارض الى ثدييه فأيقن بالهلاك وتهدده الخوف من كل مكان فكف عن رمي الثالثة خوفا من ان يخطىء ولا تصيب التمثال فتبتلعه الارض ، فقال له احد اعوانه : ارم الثالثة فقد تصيب فيها التمثال



كبير السحرة يرمي تمثال الاسد بالنبل

فتبتلعه الارض وتنجو بحياتك وتكون قد ابطلت الارصاد واتلفتها ، وان امتنعت عن رميها لبثت في مكانك هذا حتى تموت فرمي الثالثة خير لك اذ فيها امل النجاة والفوز بما جئت من اجله اما السكوت عنه فهو الطريق الى الموت العاجل . فجمع قواه ورمى التمثال بالنبلة الثالثة فاصابته في صدره ووقع على الارض كأنه بنيان تهدّمت أركانه .

فألهته فرحة الفوز عن ارجاع الاشياء الى مكانها في كنز كوش بـــن كنعان ، وحمله الاعوان الى الملك حارس والوزير كيوان وجيوشهما وامرهم ان يغيروا على المدينة بجيوشهم ، فكانت موقعة عنيفة قتل فيها الملك عابد النجم وانهزم جنوده لا يلوون على شيء .

اما أعوان كنز كوش بن كنعان فانهم انتظروا عودة الكيسين والقوس بعد ان بطلت الارصاد ونفروا بأسلحتهم الى تلك الجزائر وقتلوا الكاهـــن بقطرش واعوانه السحرة ثم جعلوا يحصدون فيها حصدا فأبادوهم ولم يبقوا فيها احدا . واصبحت تلك الديار الان كما ترى خرابا . فقال سيف : سبحان الحي القيوم الذي يحيي ويميت واليه ترجع الامور ، ثم امـــر الخيرقان ان يحمله الى غيرها ، فطار به وجعل يمر به على الجزائر ويريه ثمارها المختلفة فهذه على شكل وجوه جميلات ، وتلك على شكل رؤوس البشر من غير اجسام وهذه على شكل طير النعام وهي تسبح الله وتقول : «واق واق سبحان الملك الخلاق» حتى انتهى به الى جزيرة الملك كافور وبها المدينتان ، مدينة الرجال ، مدينة النساء ، فقال الخيرقان : الى هنا ينتهي سيري ولا اقدر ان اصحبكما والا هلكت ، وسأنتظرك حتى تعود لاحملك الى ابي النور الزيتوني وطريقك من هذه الجهة فاسلكها معتمدا على ربك الذي بعونه تأييدك نصرك وفوزك . فلبس سيف حلة الفساد واخذ معه القدح والكرة والصولجان والزمردة فوصل الخضراء وولى وجهه شطـــر المدينتين ، وهو لا يفتأ يذكر الله حتى وصل الى النهر الذي صنعه الحكماء بين المدينتين فاختبأ في كهف يشرف على المدينة وجعل يذكر ربه موكـلا اليه امره ، وبات فيه ليلته حتى طلع الصباح ورأى وهو في كهفه جماعات من البنات يتلو بعضها بعضا ، ولكنه لم يجد فيهن من تلبس ثيابا كثيابه، اذ كان لكل جماعة ملبس خاص يختلف في لونه وهيئته فتعذر عليه ان يختلط بالبنات وهو بملابسه التي ستلفت الانظار وتكشف الستر عن امره فارتعب في كهفه حتى مرت جماعات يرتدين ملابس كملابسه تماما ، وكانت كل بنت من هؤلاء البنات التي حضرت معها كرة وصولجان ، فتسلل من مخبأه واندس بين البنات وهن يمرن على باب الكهف فبان كأنه احداهن وفي يده صولجان وكرته .

كانت ملكة هؤلاء البنات (نور الهدى) اخت منية النفوس زوجته وقد جاءت بهن التماسا للعب واللهو فأمرتهن ان يلعبن بالكرة والصولجان في ساحة واسعة على شاطيء ذلك النهر ، واخذ يلعب معهن كأنه بنت منهن

ثم اخذت البنات يجرين لعبة المصارعة وشاء القدر ان تكون (مرجانة) وزيرة الملكة نور الهدى رفيقة سيف فصار يلعب معها ، وكانت مرجانة ذات عقل وافر وروية وثبات ، وفي بعض الرقصات عرفته رجلا فقالت له : كيف تنكرت في زي البنات فاندسست بينهن ؟ فمن انت ؟ ولماذا اقدمت على فعلتك هذه ؟ لو اعلنت حالتك الان لاكل كل سيف من جسمك قطعة ، فقال لها سيف : وما رايك في مظلوم وجد فيك عقلا وحكمة . فقالت مرجانة : ومن ذلك المظلوم ؟

فقال سيف : ذلك الذي يحدثك وتبرق عيناك شفقة عليه . فقالت مرجانة : اذكر حاجتك ما هي ؟ فقص عليها قصته حتى وضحت وملأت جوانب نفسها عطفا ورحمة ، وتحمست لمعونته وحمايته ، فقالت له : الزم صحبتي ، وسأعرض عليك كل بنت اسمها منية النفوس ، فاذا عرفت فيها زوجتك فلا تقل شيئا بل اطرق براسك وحينئذ اعرفها وسادبر الحيلة التي تجمعك بها .

وعرضت عليه كل بنت تدعى منية النفوس فلم يطرق براسه . ثم عرضت عليه الملكة نور الهدى (وكانت لا تختلف عن اختها في شكلها ولونها وحديثها ونظراتها) فأطرق براسه وسكت ، فانتحت به وقالت : تلك نور الهدى وهي على مثال اختها التي تبحث عنها . فقال : نذهب اليها في سجنها ، فانها بعد وصولها طرحتها اختها نور الهدى في السجن تقاسي فيه ألوان التعذيب والضرب .

وقفت حارسة السجن اجلالا للوزيرة مرجانة وفتحت لها بابه ، فدخلت وسيف معها فالقيا منيةالنفوس شاكية باكية وهي تقول : هذا جزائي ، فقد غدرت زوجي سيف وحرمته رؤية ابنه ، فارحم يا رب ضعفي واقبل توبتي واجمعني بزوجي سيف فأنت غافر الذنب وانت أرحم الراحمين .

وكان ابنها يبكي بجانبها ، فلما دخلت عليها مرجانة وسيف سألتها مرجانة :

كيف حالك يا منية النفوس ؟

فقالت منية النفوس : كما ترين يا مرجانة ، هذه آثار ضرب السياط التي أمرت اختي نور الهدى خدمها ان ينهالوا بها علي .

وكان ابو منية النفوس قد جعل نور الهدى ملكة على البنات بعد ان فارقته منية النفوس وتزوجت بسيف ، ولما رجعت ومعها ابنها اغتاظ ابوها منها وامر ابنته نور الهدى ان تسجنها وتعذبها بالضرب .

فلما راى سيف زوجته على تلك الحالة استل سيفه من غمده وتقدم اليها قائلا : انا سيف زوجك ووالد ابنك . وقد حان وقت خلاصك من هذا العذاب . ثم تقدم منها وفك قيودها واعمل سيفه في بنات المدينة فقتل منهن طوائف عديدة وملأ الرعب منه انحاء المدينة ، فاستنجدت نور الهدى بالكهنة والسحرة فسحروه واوقعوا في جسمه الضعف والانحلال

فشعرت زوجته منيةالنفوس بذلك فرفعت يديها الى السماء واتجهت بقلبها الى رب العباد قائلة : يا كاشف الضر عن البائسين ، يا دافع الظلم عن المظلومين هيء لنا فرجا وانصرنا على القوم الظالمين .

وكان الخضر عليه السلام اذ ذاك مارا بهذه المدينة فعرف ما فيها وسمع الدعاء فأسرع الى شاه زمان ملك مدينة درويز ودعاه وقومه الى الايمان فلبوا دعوته وآمنوا مخلصين ، ثم قال له : انت مدعو الى الجهاد فهيء جنودك واتبعني . وفي مدة وجيزة كان شاه زمان امام المدينة فأتلفوا الرصد ودخلوا المدينة وهرب البنات الى منازلهن ، فقبضت منية النفوس على اختها نور الهدى وجلست على كرسي المملكة وقالت لها :

لست فاعلة بك مثل ما فعلته بي من التعذيب والضرب ، فأنت اختي يتألم قلبي لالمك . وما الذ العفو عند المقدرة وما اكرمه واحلاه بين الاخوات والاخوة ، فاعتذرت نور الهدى وآمنت بالله واتبعت دين الحق .

فقال شاه زمان لسيف : انا وجنودي تحت امرك وفي طاعتك فقد آمنا بالله وامرنا بالجهاد معك ، وقص عليه قصة الخضر عليه السلام ، وبعد ان استقر الامر لسيف وزوجته استأذن ان يرجع بجنوده الى مدينته ، ورجاه ان يزوره عند عودته الى بلاده ، ثم صاحبه الخضر الى بلاده ، فوصل الى مدينته في اقل من يوم وليلة .

وبينما سيف وزوجته نور الهدى ومرجانة يتحدثون اذ سمعوا دقات طبول وصهيل خيول فأمر سيف من يأتيه بخبر هذه الخيل ، فقالت نور الهدى : لا داعي الى ارسال احد ، فان القادم هو ابي ولا يريد قتالا ولا حربا ، فركب سيف اليهم وقال : فليتقدم الى كبيركم ، فتقدم الملك وقال: انت الملك سيف بن ذي يزن زوج الملكة منية النفوس ؟

فقال سيف : نعم انا هو ، واعلم ان المدينة فقد اصبحت في حكمي وطاعتي ، وقد ابحت للرجال الزواج فمن رغب في واحدة فليطلبها مني .

فقال : وانا قاسم العبوس ، والد زوجتك منية النفوس ، واول من يخطب لنفسه وقد اخترت الوزيرة مرجانة وقد فتح بذلك باب الزواج ، فلم يمض شهر حتى تزوجت بنات المدينة من رجال مدينة قاسم العبوس ولم يبق منهن الا نور الهدى فانها التي ابت ان تتزوج الا من اختاره لها زوج اختها سيف وكان قد اخبرها من قبل انه سيزوجها الملك شاه زمان الذي عاونه في القتال ثم هدم سيف جميع الابنية المرصودة ، ووصى قاسما ان يعتصم هو وقومه بالايمان . ثم امر باحضار اربعة جياد له ولزوجته ولابنه مصر ونور الهدى واستأذن في الرحيل بعد ان نشر راية الايمان ، وابطل الارصاد ، واطلق حرية الزواج ولما هموا بالمسير قالت منية النفوس : اني استطيع ان البس ثوب الريش واحمل ابني واطير به الى قصري في مدة وجيزة .

فقال سيف : ناوليني هذا الثوب لاحرقه ، فأقسمت له انها لن تلبس

ثوب الريش ولا تطير به الى اية جهةالا باذن منه .

فقال سيف : اريد ان تحضري الى هنا جميع الثيـــــاب من الريش وصاحباتها معها ، وذلك لاخذهن معي ليكن في صحبتك ان اردت زيـارة اهلك ، وساعرض هذا الامر الى والدك ، ولما حضر والد منية النفوس والبنات عرض عليهم سيف رغبته في اخذهم معه على ان يترك الوزيرة مرجانة الملك قاسم العبوس لانه تزوجها .

فقال قاسم : هذا راي جميل ، ولتسافر معكم مرجانة لتعرف الطريق الى بلادكم لتكون الصلة بيني وبينكم فيما بعد ، وكان له وزير يسمى (وجه الامان) رغب ان يكون معهم ، ثم جعل سيف يخرج لهم من القدح الطعام الذي يشتهون وجعلوا يأكلون ومنية النفوس تفتخر بما يقوم به زوجها من هذا الاكرام العظيم ، وبهذا القدح الذي لم يكن عند ملك من الملوك .

ثم فرك اللوح فجاءه الخيرقان فقال له سيف : احضر من تشاء مـــن الاعوان واحملنا الى حيث يقيم الشيخ ابو النور الزيتوني ، فقال الخيرقان: لا حاجة بي يا سيذي الى الاعوان ، فاني استطيع ان احمل مدينة واطير بها، وحملهم وكانوا في قصر جميل وطار بهم الى ذلك المكان وكانت عاقصــــة وعيروض هناك في انتظاره فسلمت عاقصة علىمنية النفوس وهنأتها بسلامة الوصول ثم استأذن الخيرقان ان يأخذ لوحه وينصرف ، فأعطاه سيف اياه شاكرا له ما قدمه اليه من معونة .

ثم طلب سيف الى عيروض ان يخبره عن الشيخ الصالح ابي النـــور الزيتوني ، فقال عيروض : ادخلوا في هذا القصر الذي صنعه لكم الخيرقان وانا احملكم اليه فانه قريب من هنا ، فركبوا وحملهم عيروض ونزل بهم امام باب المغار الذي فيه الشيخ وسلم على سيف وقال له : هل قضيت حاجتك يابني ؟ فقال سيف : نعم قضيت وجزاك الله خيرا يا عماه .

فقال عيروض : ارى معك نساء كثيرات وقد كنت تطلب واحدة ؟!

فقال سيف : هؤلاء اختها ووزيرها واعوانها ، ثم امرهم الشيخ ان يدخلوا في المغار فدخلوا فوجدوا فيه فرشا حريريا وجواهر وعقودا ثمينة فأهدى لكل انثى عقدا من الجواهر وبات جميعهم الى الصباح ، ثم قال الشيخ لعيروض : ضع في القصر جميع ما في المغار وليركب فيه كل من لا يملك ثوبا من الريش ومن لا يستطيع ان يطير في الجو ، واما سيـــــف فسيمشي في صحبتي والمقابلة في مدينة شاه زمان .

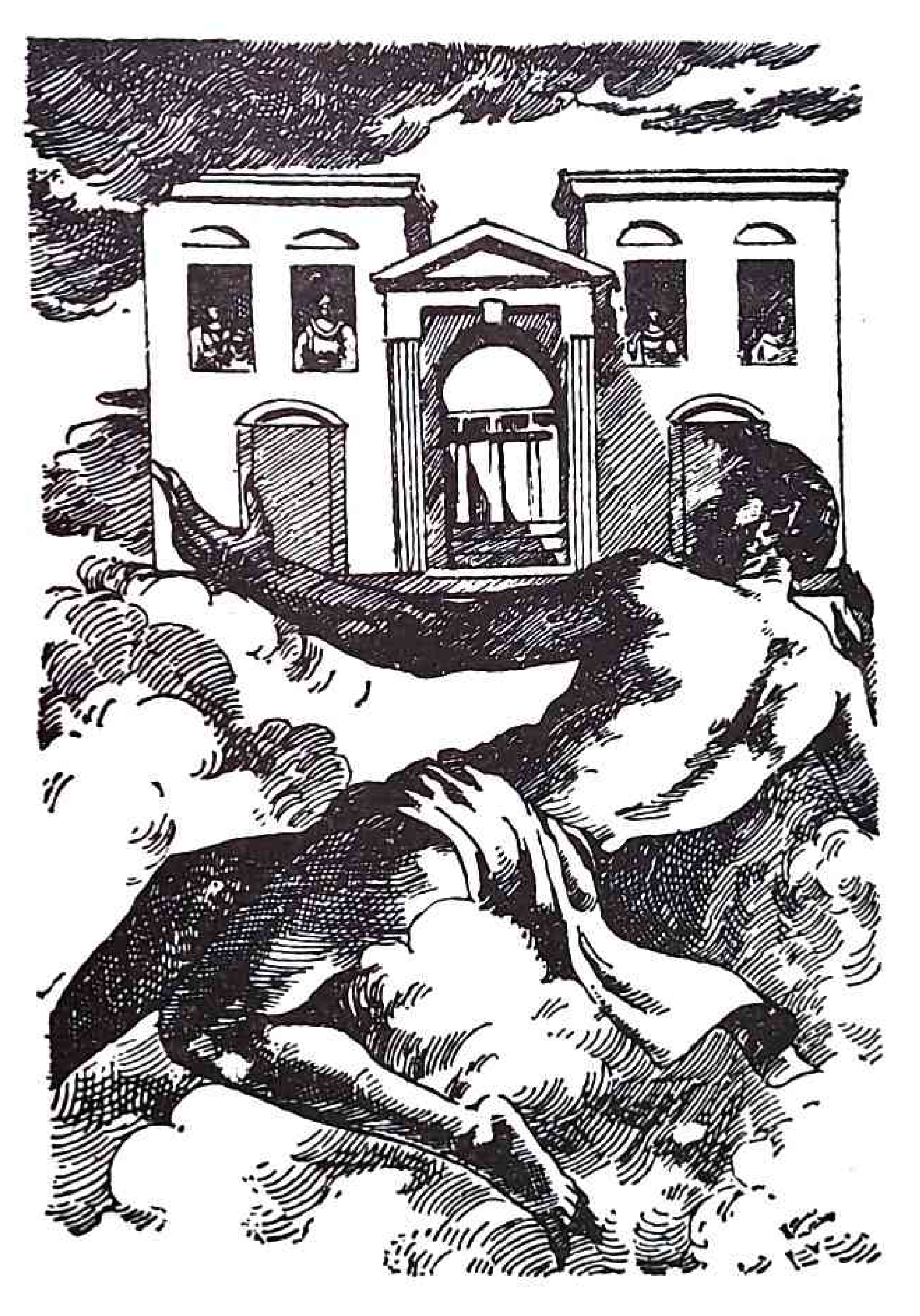
فقالت عاقصة لاخيها سيف : هل انت موافق على ان تتركني وترحل الى حيث ننتظرك في مدينة شاه زمان ؟ فقال سيف : اهي بعيدة عنا ؟

قالت عاقصة : نقطعها طيرا في يوم وليلة ، فالتفت سيف الى الشيخ وقال : اخشى ان ينقطع بنا السير ونعجز عن الوصول الى المدينة فـــــان المسافة لا تقطع مشيا الا في سنوات ، فقال الشيخ : لا تخف فأجنحتنا ذكر الله ، وهو يتولى الصالحين من عباده ، واذا امدنا الله بمعونته فلن يسبقنا

الطير ، ولا تتخطانا الريح.

فقال سيف للشيخ وهما يمشيان : اذا كانت بلاد شاه زمان بعيدة عن الجزائر كل هذا البعد فكيف وصل اليها في مدة وجيزة ؟!! وكيف علم اننا في حاجة الى معونته ؟ وما الذي دفعه الى ان يأتي الينا وينصرنا ؟؟

فقال الشيخ : اعلم يا بني اذا اراد الله خيرا بعبده يسر له اسبابه ، والسبب في ذلك ان الخضر عليه السلام مر على المدينة وأنت في محنتك



المارد الخبرقان يحمل سيفا ومن معه في قصر جميل

وعرف ما فيها من الاحوال والارصاد ، وانك ملك عرفت ربك ونصرت دينه فاطلعه الله على ان انتصارك سيكون على يد الملك شاه زمان وجنوده بعد هدايتهم للايمان على يد الخضر عليه السلام ، فاستمد من ربه المعونة فانطوت له الارض باذن الله تعالى ونقل شاه زمان وجنوده ثم رجع بهم في مدة قصيرة لا تذكر وكذلك يكرم الله عباده المتقين ويمدهم بمعونته ونصره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . واعلم يابني ان لكل شيء سببا ، فهذه مريم عليها السلام اوحى الله اليها : ان هزي اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، وتلك آية من ايات الله التي تدل على قوته وقدرته .

ولما وصلا الى ارض بيضاء نقية تسر الناظرين جلس الشيخ وسيف يستريحان ثم قال الشيخ : يا سكان هذا المكان ائتوا لنا بشيء نأكله ، فما اتم كلامه حتى القيا امامه وعاء من خوص قد مليء تمرا فاخذ الشيخ يأكل وقال لسيف : كل وارم النوى في مكان بعيد بمقدار ما تستطيع ، ولما فرغ من الاكل قال الشيخ : ستبني في المكان الذي رميت فيه النوى مدينة تدعى (يثرب) وتأذن الله سيخرج من كل نواة القيتها نخلة ، وسيطعم الناس من ثمرها طعاما لاهل هذه المدينة وسيسكنها نبي من عدنان ، ويكون منه مبعث الاسلام والايمان ويأتي بالبينات والهدى والفرقان ، وهو محمدا عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء والمرسلين ، وقد آمنت به وصدقت برسالته وليتني ابقى حتى اموت على دينه وملته ، قم يا سيف الى الملك شاه زمان فقد احاطت به اعداءه من المشركين عبدة النار ووجبت عليك معونته كما اعانك ، فسارا حتى وصلا اليها في الصباح فقال الشيخ : هذه مدينة صاحبك شاه زمان . ثم دخل غارا في جبل مشرف عليها ، اما سيف فانه استمر ماشيا ليلتقي بالملك فوجد عاقصة مقبلة فسلم عليها وسألها عن عيروض واهله ومن معهم فقالت : انهم فوق الجبل الذي دخل فيه الشيخ ، فأمرها ان تحمله اليهم فلما كان بينهم سلم عليهم وقال لعيروض : انطلق الى مدينة شاه زمان واعرف لنا اخبار هذه الجيوش التي تحيط بالمدينة ، فذهب ثم رجع وقال : هذه جيوش الكفار وملكها يسمى عبد النار وقد احاط بصاحبك شاه زمان وان لم تدركه الساعة ضاعت جيوشه وضاعت مدينته .

فقال سيف : ائتني بجواد اركبه حتى اجاهد في سبيل الله واكشف الضر عنه ، فأتاه عيروض بالجواد فركبه وسار وبرفقته عيروض ولما اشرفا على المدينة ورأيا الكفار تحيط بها امر سيف عيروض ان تصيح بالكفار صيحة تملأ اسماعهم وتهتز لها صدورهم وامرهم ان يستمعوا لما يقوله سيف لهم ، فصاح عيروض ووقف جنود الكفار يستمعون ، فقال سيف : يا معشر الكفار انا الملك سيف بن ذي يزن جئت لاقاتلكم . وانصر شاه زمان عليكم اما ان تكفوا عن محاربته وتعودوا لدياركم سالمين ، واما سقيتكم كأس

المنون فاختاروا اي الطريقين تريدون ؟
فقال ملكهم عبد النار : انتظرنا الليلة لنتدبر الامر ثم نلقاك في الصباح، فقال سيف : لا مانع ، فكروا ليلتكم هذه وانظروا ماذا تفعلون .

ثم رجع سيف واجتمع بصاحبه شاه زمان الذي فرح بقدومه وجلسا يتحدثان ، فشرح له ما هو فيه من الضيق الذي بلغ منتهاه ، وانه لولا قدومه المبارك لكان من الهالكين ، فقال سيف : وما سبب ذلك ؟ فقال شاه زمان : نعلم اننا اهتدينا الى الايمان بالله على يد الخضر عليه السلام، واصبحت المدينة لا تجد فيه الا كل مؤمن يعبد الله حق عبادته فغاظ هذا ملك الكفار وارسل الينا يدعونا الى الرجوع لعبادة النار ، والا قاتلنا وغزا بجنده ديارنا ، فأبيت وقلت له : لن نعود الى ظلمات الكفر بعد ان اهتدينا الى نور الايمان ، فافعل ما تشاء فان لنا ربا يحمينا من ظلم الاعداء ، ولكنه اصر على محاربتنا فجاء بجنده كما ترى ، وهم اكثر منا عددا ، وكان قدومك علينا بشير النصر والسلامة .

لما استشار عبد النار قواد جيشه اصروا الا ان يحاربوا وقالوا : ان انتصرنا فمن بركة النار ، وان خذلنا لجأنا الى الكهنة فهم يصرفون شر الاعداء عنا ، واحتدم القتال في الصباح وكانت موقعة شديدة على الجميع ، ورأى عيروض وعاقصة الملك سيف بحاجة الى مدد يعينه فنزلا معركة القتال وسلطا على جنود عبد النار شررا جعل الجيوش بين ماكول له ، وهارب منه ، حتى خلا الميدان منهم تاركين وراءهم زادهم وعتادهم وخيلهم وخيامهم ، فشكر شاه لسيف معونتهم التي انتهت بالنصر واخـــذه معه الى قصره بالمدينـــة .

وامر سيف عيروض وعاقصة ان يحضروا منية النفوس ومن معها اليه فذهبا اليه فلم يجداها ، ولم يجد احدا ممن معها ، فأسرعا الى سيـــف مضطربين واعلماه الخبر ، فعتب عليهما ذلك الاهمال ، فقالا : ما اهملنا ولا قصرنا ، ولكنا راينا الاعداء ظاهرين عليك فحاربنا معك حتى انتصرنا عليهم .

فأمر عيروض ان يحمله الى المكان الذي كانت فيه منية النفوس ومن معها فلما نزلا فيه اخذا ينظران في كل ناحية فرأيا الشيخ ابا النور مقبلا فتقدم منه سيف وسأله عن زوجته وصاحباتها فقال : ان منية النفوس وابنها اخذها ابوها قاسم العبوس غصبا ، فاذا اردت استرجاعهما فارسل على الفور عيروض وعاقصة في اثرهما ، فهما سيقتلان المارد الذي حملها، واما مرجانة وكوكب وزوجها فهم في الاسر والهوان عنـــد الشمشمان ، وسيكون خلاصهم على يديك .

فأمر سيف عيروض وعاقصة ان يطيرا وراء المارد ليقتلاه ويعودا بزوجته وابنه ، ترى ماذا جرى لقاسم العبوس حتى بدل رايه ؟ فبعد ان رضـــي برحيل ابنته مع زوجها وارسل معهما زوجته مرجانة عاد وارسل ماردا جبارا ليحضرهما اليه ؟!!!

كان عند قاسم العبوس عشرة كهان سحرة ، وكانوا غائبين في مدينة بابل ، وحينما كان سيف في الجزائر يبحث عن زوجته ، فلمـــا حضروا وجدوا الارصاد قد بطلت وتهدمت تماثيلها والفوا الرجال قد عادوا الـــى التزاوج وراوا الكفرة قد ازهق وانتشر الايمان بالله وساد وانتشر ، تقدم كبيرهم (العيدروس) وسأل قاسما عما جرى في غيبتهم ولماذا ابطل عبادة النار التي يعبدونها من قديم الزمان ، فقال قاسم : لقد كنت في ضلال كبير بعبادتي للنار اوقدها واطفئها متى شئت، وقامت لدي البينة والبراهين على ان الجدير بالعبادة هو الله القادر على كل شيء لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير . فآمنا به وعبدناه وكان ذلك على يد الملك سيف ابن ذي يزن، فان استطعت ان تظهر عليه وتستخلص منه ابنتي فافعل ، وسأكون مع الغالب منكما ، ولا تكلفني في سبيلك حربا او قتالا .

فقال العيدروس: سأرد اليك ابنتك اولا ، وبعد ذلك سيكون بيني وبين سيف ما تراه بأم عينك هذه . ثم قام العيدوس ودخل الى خلوته وجعل يتلو ويدمدم حتى خرج له من جوف الارض مارد من الجن ، فأمره ان يأتيه بسيف ومنية النفوس ولو كانا اخر الدنيا.

فقال المارد : اما سيف فلن استطيع الدنو منه لانه يحمل رصدا يحرق كل مارد يقرب منه ، واما منية النفوس فاني استطيع حملها اذا كان زوجها بعيدا عنها . فقال : اذهب من فورك وافعل ما تستطيعه .

وقف المارد عند الجبل الذي فيه سيف واهله ، فانتظر حتـــى ذهب سيف للقتال وآوت منية النفوس وابنها مصر الى مخدعها للنوم دخل عليهما وحملهما وطار بهما . فاندهشت منية النفوس وسألت المارد : من انت ؟ ومن امرك باختطافي ؟ قال : انا مارد من الجن احضرني العيدروس كبير الكهان وامرني ان اردك الى ابيك قاسم العبوس .

فقالت : وكيف ذلك وقد اصطلح ابي وزوجي وتعاهدا على الاخـــاء والمحبة والولاء .

فقال المارد : ليس لابيك ذنب في هذا ، ولكن العيدروس لما رجع من غيبته وجد في المدينتين تغيرا في الدين واجتماع الرجال بالنساء غضب وثار وعتب على ابيك الذي ترك دينه واتبع دينا غيره فقال له ابيك : ذلك ما كان فافعل انت ما تقدر عليه ، فأمر العيدروس ان آتيه بك وبزوجـــك سيف فقلت له: اني لن اقدر على الدنو من سيف لانه يحمل رصدا يحرقني، فقال : هات منية النفوس ، فجئتكم وحملتكم انت وابنك ، وقد وعدنـــي العيدروس ان يعطيني لوحي ويخلي سبيلي ان انا احضرت اليه الملك سيف وليتني استطيع احضاره حتى آخذ لوحي واعيش حرا طليقا .

فقالت منية النفوس : اني استطيع ان امهد لك السبيل لتأخذ سيف ، فقال المارد : وكيف ذلك ؟ قالت : آخذ منه الرصد الذي يحفظه وحينئذ تحمله وتطير به ولا خوف عليك ، ثم تأخذ لوحك وتعيش حرا .

فقال : وكيف نجتمع الان بسيف ؟

قالت : الامر في غاية البساطة ، وذلك بأن تهبط بي على هذه الارض ونمكث فيها برهة ، فلا بد لسيف ان يقتفي اثري بمعونة اعوان الجن فاذا ادركنا في هذا المكان حببت اليه الاقامة فيه مدة وحينئذ آخذ منه رصده بأية حيلة وتكون انت له بالمرصاد فتخطفه وتطير به وبذلك تحصل على لوحك وتنال حريتك . فاستحسن المارد رايها وهبط بها الى الارض ، فجلست وجعل ابنها مصر يلعب امامها ، وبينما المارد واقف ينتظر قدوم سيف اذا ببنت من الجن تهبط عليه وهي ترتعد خوفا ، وكانت ذو جمـــال فاتن ، فاشفق عليها وافتتن بها وسألها عما دهاها وافزعها ؟ فقالت : كنت طائرة في الجو فرآني مارد جبار قبيح المنظر ، فعشقني واراد ان يغتصبني ففررت فجد في طلبي حتى اذا رايتك نزلت اليك لتحميني منه ، فان انت خلصتني منه كنت لك كما تريد .

ففرح بها وقال : لا تخافي ابدا فانت في حمايتي ، ثم حدق نظره فيها معجبا بجمالها ، وانشغل المارد بجمال الجنية فجاء عيروض من خلفه وضربه بالسيف ففصل راسه عن جسده ، وكانت تلك الجنية التي اشغلت باله عاقصة اخت سيف ، ثم حمل عيروض مصر وحملت عاقصة منية النفوس ورجعا بهما الى سيف ، فقصت عليه منية النفوس ما دار بينها وبين المارد من الحديث وكيف خدعته وفكرت به حتى مكنت عيروض وعاقصة من قتله.

اغتنم عيروض الفرصة وابدى للملك سيف رغبته في الزواج من اخته عاقصة لانه متيم بحبها ، وطلب اليه ان يساعده لقاء خدمته الماضية له ، وخدمته الاتية، وقال : اذا كانت عاقصة ابنة الملك الابيض فانا الملك الاحمر، وكلانا كفء لصاحبه .

فقالت عاقصة : كيف تكون كفئا لي وانت خادم اخي سيف الـــذي منزلته من منزلتي ، وكيف يستوي المخدوم والخادم ؟!

فقال عيروض : نسيت يا عاقصة اني مؤمن بالله ومجاهد في سبيله مع اخيك ، وقد سوى الايمان بيننا ولا تمايز الا بالسلاح والتقوى .

فقال سيف : دعونا الان من حديث الزواج ، واحملا منية النفوس وابنها الى قصرها بالمدينة الحمراء ، واشار الى عيروض من طرف خفي بانه سيساعده في زواجه من عاقصة عند الفرصة السانحة .

استقبلت منية النفوس وابنها بالمدينة استقبالا لائقا بهما كاستقبـــال الملوك القادمين من معارك حربية ترفرف عليهم الوية الفـــوز والظفر . واعجبت زوجات سيف باستطاعته احضارها وفرحن بمقدمها فرحا عظيما، لان ذلك يرضي زوجهن . لما فر الجنود المهزومين من المشركين دخلوا كاهنهم الشعشعان صارخين ناعبن ما حل بهم من ويل وثبور فأطل عليهم مـــن صومعته وسألهم : ما شأنكم ؟ فقالوا : اغريتنا بقتال سيف وخليفة شاه زمان فاندحرنا وبلينا بالهزيمة وخسرنا كثيرا من الانفس والاموال وكـان

ذلك تأييدا من الههم الذي يعبدونه ، اما هذه النار التي نعبدها فلم تجلب لنا الا الخزي والعار .

اما سيف فقد لبث منتظرا ما عسى ان يحدث من هؤلاء المهزومين ، واخذ يدعوهم الى دين الله ويقيم شعائره حتى تبين له امر الكفار بعد ان شردهم وردهم مغلوبين ، اما الكفرة فقد هدا بال كاهنهم وقال لهم :

سترون ما انا فاعل بهم ، فاجمعوا جموعكم وسيروا معـي اليهم ، وسيكون لكم النصر المبين . وزحف الكفار بجيوشهم وعسكروا امام المدينة وضرب الشعشمان له قبة خاصة واختلى بنفسه فيها وجعل يتلو ويدمدم حتى جاءهمارد من الجن فقال له : ان انت اتيتني بسيف فاني اعتقك . فانفلت المارد الى سيف ليحمله لم يستطع ان يقرا منه وقال : لا مطمع لك في سيف فهو يحمل رصدا لا يقرب منه جني الا ويحرق .

فأشارت مرجانة بعد ان خطفت منية النفوس وابنها على نور الهـدى معهما من البنات ذوات الثياب الريشية ان يطرن الى المدينة الحمراء خوفا من انيرجع اليهن مارد (الكاهن العيدروس) فيحملن قسرا الى مدينـة قاسم العبوس ، وبينما هن طائرات في الجو رآهن الكاهن الشعشمـان وعرف بفراسته وعلمه انهن بنات انسيات يلبسـن ثيابا مطلسمة ، فجعل يتلو عبارات سحرية القت فيهن العجز عن الطيران فسقطن على الارض ثـم ارسل اليهن أعوانا من الجن فأخذوا منهن الثياب الريشية وسألوهن عن حالهن فحكين لهم ما جرى لهن وما انتهى اليهن امرهن ، وانهن مؤمنات بالله كما آمن ملكهن واهل مدينتهن فنقل الاعوان قصتهن الى الشعشمان الكاهن ، فوضعهن في مكان خاص حيث يقمن فيه الى ان يفصـل في امرهن .

فدخل عليهن يوم من الايام وقال لهن : سأقتل ثلثكن ، واقدم للنار بالثلث الثالث فما رايكن ؟ فقالت مرجانة : ان لنا ملوكا لا تغفل شأننـا وستلقى جزاءك الاليم ان اسأت الينا ، ولن تنفعك نارك التي تعبدها من دون الله ، ففكر في مصيرك قبل ان تقدم على عملك . ووافق هذا القول هوى في نفس البنات ، اما نور الهدى فلم تنطق بكلمة فسألها : هل انت على رأيهن ؟

فقالت ، وكانت قد ملأت نفسه وعينيه بجمالها ، وفتنة لحظها دلالها فقالت : لا يشرف بمثلك اذلال النساء المؤمنات بالله ، اننا آمنا بالله من ديارنا خوفا من الحرب بين المؤمنين وبين ملكهم عبد النار ، فعوقتنا انت عن الهرب وانزلتنا في بلادكم وأرضكم فافعل بنا ما تشاء فنحن كما ترى اضعف من ان نقاومك .

فقال الشعشمان : لقد قيل (رب عين لها الف عين) وحق النار لن تلقين مني الا كل خير وتكريم . وستكونين مني بمنزلة القلب ونور البصر ، واود ان تكوني زوجتي بعد ان انتهي من قتال المؤمنين .

فقالت : وحق النار اني احبك اكثر مما تحبني واود ان اكون زوجتك وارجو ان تبعث لي في هذا القصر من يقع في يدك من المؤمنين حتى افعل به ما اراه من ضروب التعذيب .

اشتعلت نيران الحرب بين المؤمنين والكفار وكان النصر باديا الى جانب سيف وصاحبه شاه زمان ، اذ كانت حرب مبارزة فقتل فيها من الكفار مائة وسبعون فارسا ولم يقتل من جيوش المؤمنين احد ، فصاح الكاهن الشعشعان محرما على جنوده حرب المبارزة وحاضا اياهم ان يخوضوها جميعهم حربا شاملة فتغلب كثرتهم قلة اعدائهم .

كانت الكثرة الهاجمة ثقيلة الوطأة فضعف موقف المؤمنين وانحل ثباتهم وبدا فيهم وجه الهزيمة عابسا مصفرا ، وكان هذا اليوم قد غابت شمسه ووقف القتال ، وما لبثوا قليلا حتى وجدوا اعوان سيف قد حضروا وذلك ان عيروض وعاقصة حينما وصلا بمنية النفوس وابنها الى المدينة رغب اتباع سيف واصحابه ان يذهبوا للقائه وهم برنوخ الساحر واخميم الطالب ودمنهور الوحش وسعدون وسابك الثلاث ودمر ومصر ابناء سيف والحكيمة عاقلة ولما احس جيش شاه زمان قدومهم اشتدت عزائمهم وباتوا يرتبون النصر القريب .

ولما عرف الشعشعان ان مددا جاء اعداءه دخل خيمته واحضر بسحره اعوانا من الجن وسألهم عمن حضر لنجدة اعدائه فقالوا هؤلاء اصدقاء سيف وذكروا اسماءهم له وكل شيء عنهم ومدى ما يمكن ان يقوموا به من المعونة لسيف وما قدموا له في الماضي من مساعدات ، فعزم على ان يحاربهم بسحره وبرز الشعشعان نفسه الى الميدان فخرج اليه دمر بن سيف وبارزه حتى انهكه فقرأ عبارات سحرية فوقف جواد دمر ولم يتحرك ، واحس كأن حجارة تنهال حليه من السماء ، فمد الشعشعان يده واخذه اسيرا وامر ان يذهبوا به الى حيث تقيم نور الهدى .

فزع سيف من هذه الحالة الغريبة ولهذا الاسر الذي لم يكن يخطر له في بال فسأل الحكيمة عاقلة عن ذلك فقالت : لم يكن ابنك دون خصمه قوة وشجاعة وكان باستطاعته ان يغلبه ولكن خصمه ساحر مكار فأسره بسحره ولم يكن مع ابنك ما يبطله ويدفع عنه شره .

فبرز شاه زمان الى الميدان ليهلك هذا الكاهن ولكن الكاهن منعه فرسانه ان ينزل الى الميدان الا عند الضرورة ، وبرز الى شاه زمان فرسان كثيرون وهو يجندلهم بسيفه فارسا بعد اخر حتى افزع رجال الجيش وامتنع الفرسان عن الخروج اليه ، فنادى شاه زمان : اين كاهنكم وساحركم ؟ ليبرز الي من مكمنه حتى اغرقه في دمه . فبرز اليه الشعشعان وفعل به مافعله بدمر وقال لرجاله : اذهبوا به لعند صاحبه دمر ، وسلط هذا الكاهن عليهم سحره فأسر كل من بارزه ولقد تعجب حين عرف انه اسر سيف وشاه زمان ، والحكيمة عاقلة وبرنوخ الساحر ، واخميم الطالب ، وسعدون

وسابك الثلاث وعيروضا في صورة فيل وعاقصة في صورة رجل وحبس هؤلاء مع من سبقهم عند نور الهدى مصفدين بالاغلال .

ولما جن الليل ذهب الشعشعان الى الاسرى وقال لسيف على مسمع من صحبه الذين اسروا معه : ارايت ما حل بك وبأعوانك من اسر وذلة ؟ لقد بغيت على الناس فبدلت اديانهم وخربت ديارهم ، اين ما تدعيه من قدرة الهك الذي تعبده ؟ واين نصره لك واخذه بيدك ؟ ارايت بعينك سر النار وقدرتها فالتمس النجاة من يدي بعبادتها والسجود لها ، والا فاني قاتلكم لا محالة .

فقال سيف : لقد غرك ظاهر نصرك واضلك سحرك ، وعبدت نارا اذا بال عليها الحمار اطفأها ، وطمعت ان تطمس نور الايمان في قلوبنا بباطل كفرك واشراكك ، اما نحن فلن نعدل عن ايماننا ولن نبتئس بما اصابنا واعلم انه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ولو تدبرت وفكرت واطلقت نفسك من قيود الهوى لعرفت الله وآمنت به .

ولكن الله ختم على قلب الشعشعان وسمعه وبصره فقال : دع عنك يا سيف شقشقة اللسان ، ثم ضرب الارض بقضيب كان في يده فحضر مارد الجن امامه فقال له : ان هؤلاء الاسرى ثابتون على دينهم فأقم في هذه الساحة عمدا من حديد بقدر عددهم واصلب كل واحد منهم على عمود وليكن ذلك عبرة لمن اعتبر ، فلما انتهى المارد من صلبهم ، ذهب الشعشعان الى مخدعه لينام ، وكذلك نام اهل الشرك وهم آمنون ؛ والمؤمنون يضرعون الى الله ان يكشف منهم هذا البلاء .

ولما انتصف الليل راى المؤمنون شخصا يضيء النور من وجهه قادما اليهم على حصان اخضر ، فقال لهم : السلام عليكم يا ملة الايمان ، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فقال : ابشروا بنصر من ربكم ، ثم اشار بيده فاذا هم قد تحرروا من قيودهم فالتفوا من حوله فرحين فقال سيف له : من انت ايها الرجل الكريم ؟

فقال : يا ملك اليمن ، انا الفقير اليْه تعالى الخضر ، اتيتكم بأمر الله لادرا عنكم ما تعانون من مرارة الاسر ، ثم سلم ومضى بعد ان اعطى الملك سيف قضيبا من حديد واوصاه ان يستخدمه لقتل الشعشعان اذا استكبر من الايمان .

اخذ سيف القضيب في يده ومشى هو وصحبه الى الكاهن الشعشعان فوجده نائما على سرير من عاج مصفح بالذهب ، فرفسه برجله ففتح الشعشعان عينيه مذعورا فرأى سيف واتباعه فدهش وقال : من اطلقكم من اعمدتكم ؟ فقالوا : اطلقنا الله القوي الذي نعبده والذي خلقك وخلق النار التي تعبدها من دونه ، ونجاتك الان في الايمان . فماذا تقول ايمان ونجاة ، او اشراك وموت !.

فقال الشمشعان : لن اترك النار وان قتلت في سبيلها .
فقال برنوخ الساحر : لقد حل قتله ، فعجل فيه حتى نستريح منه ، فضربه سيف بالقضيب فاشتعلت النار في جسمه فصاح الشمشمان : النار ، النار .
فقال برنوخ : هي النار التي تعبدها ولا دخل لنا بينك وبينها ، ثم أمر سيف ان تطلق البنات المسجونات فقالت عاقصة : اطلقن جميعا وهن معنا الان وليس فيالسجن احد من المؤمنين .
فقال سيف : احملوا ما تقدرون على حمله من الاموال الى خيام المؤمنين . ففعلوا ما امر به .
استيقظ جيش الكفار في الصباح فوجدوا المؤمنين قد اخلي سبيلهم، فأسرعوا الى الشمشمان فوجدوه قد اكلته النار ، فأخذوا يجمعون امتعتهم ليفروا ، ولكن جنود سيف وشاه زمان احاطت بهم ، فأقام سيف مناديا فيهم : من آمن منكم بالله فقد عصم نفسه ، ومن لم يؤمن فليس له الا الموت ، فآمنوا كلهم ودخلوا مدينة شاه زمان واصبحوا من اتباعه وجنوده، ثم عقدوا لشاه زمان على نور الهدى وامر سيف البنات ان يطرن الى المدينة الحمراء كما انه أوعز الى عيروض وعاقصة ان يحملا من ليس عندها ثوب ريش ففعلا وطار الجميع الى المدينة الحمراء .
وكان جماعة يطوفون في البرية فراوا مدينة لا تختلف عن مدينة شاه زمان فدعاهم الفضول الى دخولها فماذا راوا ؟
وجدوا شاه زمان على كرسيه وسيف بن ذي يزن على كرسي بجانبه وأمامهم كبراء الدولة ومن حولهم الحراس والخدم فعجبوا وتحيروا وقالوا : لنذهب الان الى مدينة شاه زمان وهناك نتبين امرهم ، فان وجدناهم في المدينة ابلغناهم ما شاهدنا ، واشركناهم معنا في كشف الغطاء عن هذه الحالة العجيبة ، فلما وصلوا الى مدينة شاه دخلوا قصر الملك فوجدوهم جالسين على الهيئة التي رأوهم عليها في المدينة الجديدة ، فأبلغوهم ما شاهدوا وما راوا فقال سيف : لعلكم سكارى ؟!
فقالوا : ما ذقنا طعم الخمر ابدا ونحن جماعة نخرج الى البرية كل يوم ساعتين الى أرزاقنا ، ولم نشاهد ما شاهدناه الا هذا اليوم .
فقال سيف : هيا بنا الى المدينة لنتبين هذا الخبر ونشاهد ما شاهدوا بأعيننا وصدق نبأ الجماعة اذ شاهد سيف ومن معه انفسهم في المدينة الجديدة على الهيئة التي كانوا عليها في قصر شاه زمان بمدينته ، فسأل سيف بن ذي يزن سيفا الجالس على الكرسي : هل انت سيف بن ذي يزن ؟ فقال : نعم ، انا سيف بن ذي يزن ملك اليمن واولادي نصر ودمر ومصر واختي عاقصة ، وبرنوخ الساحر واخميم الطالب وسعدون ودمنهور الوحش وسابك الثلاث ونسائي منية النفوس والجيزة وشامة وطامة وانا مؤمن وادعو الناس الى الايمان بالله ، فغضب سيف وهم ان

يضربه بسيفه فأشارت اليه الحكيمة عاقلة ان تريث ولا تتعجل ، فنزلوا من القصر وقال سيف لشاه زمان : هل رايت هذه المدينة من قبل ؟

فقال : لم ارها في حياتي ، فقالت الحكيمة عاقلة : لا بد ان يكــون هنالك سر من الاسرار ، فدعوني اكشف لكم هذا السر وليساعدني برنوخ واخميــم .

ثم اختلت عاقلة وبرنوخ واخميم وتعاونوا في كشف اسرار المدينــة الجديدة حتى عرفوها ، فجمعت عاقلة سيفا وصحبه وبدات تقول لهم : لما عرف الكاهن العيدروس ان عيروضا وعاقصة قتلا المارد ابا الرؤوس وارجعا منية النفوس وابنها الى المدينة الحمراء احتدم غيظا وكان حاكما بكهانته وسحره جزائر واق الواق التي عمرت بالرجال والملوك بعد ان اتلف سيف ارصادها وابطل سحرها وارغم الملك قاسم العبوس على ان يكون معه فيما عزم عليه ودبره ، ووطد العزم على ان يلقي الى سيف بجنود وكهان لقتاله والقضاء عليه وامر في هذه الجزائر من ملوك وكهنة ان يرافقوه الى مدينة شاه زمان حيث يقيم سيف ، ثم احضر اعوانا من الجن حملت الجنــود والكهنة بأسلحتهم وأمتعتهم وخيلهم وما يحتاجون اليه فنصبوا خيامهــم مقابل مدينة شاه زمان ثم احضر (العيدروس) الكاهن (العادي بن الهيلقام) وله أعوان على الكهنة والجن فأمره ان يبني بالقرب من مدينة شاه زمــان مدينة على مثالها في مبانيها وشوارعها بحيث لو دخل من المدينة الاصلية البيت الذي يشبه بيته في المدينة الجديدة لوجد اهلا كأهله ، فهذا ابنه الكبير ، وهذا ابنه الصغير ، وهذه ابنته ، وهذه زوجته ، ولو طلب منهم شيئا أحضروه .

فقال الكاهن (العادي) : وما فائدة بناء هذه المدينة حتى نتحمل المتاعب المضنية في بنائها ؟

فقال : لا اريد من ذلك الا بلبلة الافكار ، ونزع الثقة من النفوس حتى يشك كل امرىء في نفســه واهله ، ولا يعود يدري اهو فلان الذي في هذه المدينة ام هو الذي في المدينة الاخرى ، وحينئذ لا بد ان تنفك الروابط بين الجماعة ويسهل علينا ان نقتل سيفا وشاه زمان وجنودهما وأن ندخل مدائنهما ونرغم اهلها على عبادة النار وتقديسـها .

ثم قالت : ان العيدروس وقاسم العبوس وبقية الملوك وجنودهم مــن جزائر واق الواق قادمون لقتالك ، وسيأتيك كتاب من قاســم العبوس ينذرك فيه بالقتال ، فعليك ان تعسكر بجنودك في ظاهر المدينة حتى تكون اهبة للقائم والله تعالى ينصرك عليهم .

وبعد يوم جاءه كتاب من قاسم العبوس فأخذه وقرأه فوجد فيه :

من الملك قاسم العبوس الى الملك سيف . اعلم انك اخذت ابنتي منية النفوس وقتلت المارد أبا الرؤوس وابطلت السحر واتلفت الارصاد فــي مدينتي فقد جئتك بجنود وكهنة لا قبل الك بهم فاما ان تشتريا انفسكما منا

بالمال والخراج كل عام ، والا قاتلناكم واهلكناكم اجمعين وسلام النار عليكم.
مزق سيف الكتاب وألقى به في وجه الرسول وقال له : بلغ من ارسلك ان صباح الغد موعد القتال ، وان نجا من ايدينا فليفعل ما يشاء. فاخبر الرسول مليكه بذلك ، وبات الفريقان وهما على نية الحرب والقتال.
كانت حربا مريرة تتراوح بين حرب انسية ، وحرب سحرية ، قتل فيها العيدروس كبير الكهنة وكثير من اعوانه ، واسر فيها الملك قاسم وقتل كثير من جنده ، وباء الكفار بالخسران المبين .
اعتذر قاسم العبوس واعلمهم انه لم يترك الايمان بعد ان هدي اليه ولكنه كان يجاري الكاهن العيدروس مخافة من سحره واعوانه ، ثم استأذنهم ان يذهب الى الجنود المعسكرة وان يعرض عليهم وعلى قوادهم ان يؤمنوا بالله فأذن له سيف بعد ان تأكد من صدقه وذهب معه سيف وشاه زمان ليشرفا على قوله ودعوته ، وكانت دعوة رشيدة موفقة ، فقد اعتنق الجيش كله الايمان وتركوا عبادة النيران ، وبذلك اصبحت كلمة الله فيهم هي العليا وساد الايمان وانتشر .
لما استقر الامر لشاه زمان ودعه الملك سيف ورحل الى مدينة الحمراء ومعه اصحابه واعوانه ورحل معه قاسم العبوس ونور الهدى ابنته لزيارة اختها منية النفوس ، وكان الرجل بمعونة أعوان من الجن احضرتهم الحكيمة عاقلة ، وأخذوا ينقلون الانفس والاموال سبعة ايام الى واد خصيب بينه وبين المدينة الحمراء مسيرة نصف يوم .
ثم قالت الحكيمة عاقلة للملك سيف : هؤلاء أتباعك واصحابك وعسكرك فجهز موكبك منهم وادخل مدينتك بسلام ، ثم ارجوك ان تبيت الليلة الاولى من دخولك المدينة عند ابنتي طامة .
فقال سيف : رجاؤك امر نافذ فلن انسى فضلك علي ومعونتك لي ما حييت ، وسبقهم عيروض الى المدينة فبشرهم بقدوم سيف وصحبه فنفروا لاستقبال ملكهم في فرح عظيم ، وانتشرت الاعلام والرايات وقامت الافراح في كل بيت وتوالت حفلات الولائم نحو ثلاثة اشهر لعودة الملك سيف فائزا منصورا ، وقد اغدق الملك على الفقراء نعمه فوسع عليهم ارزاقهم بما امدهم به من كسوة ومال ، وعفا عن المسجونين ووفى للحكيمة عاقلة ما وعدها ، فبات الليلة الاولى عند ابنتها طامة .
اما عيروض فانه احضر أعوانه من الجن وامرهم ان يعدوا وليمة فيها من صنوف الطعام والشراب لم يسبق لها مثيل كثرة وجودة وكانت مأدبة جامعة شاملة ، اكل فيها الخاص والعام ما لذ وطاب .
وبعد شهور من قدوم سيف جاءه نبأ جيوش قادمة الى المدينة فامر ان تعسكر جنوده خارجها تترقب الجيوش القادمة حتى تتبين امرها . ثم ضربت الجيوش القادمة خيامها امام عسكر سيف وباتت حتى الصباح ، ثم تقدم الملك الغازي الى الميدان وقال : انا الصمصام ملك الصين والد ناهد



مدينة حمراء اليمن تستقبل سيف عند عودته

زوجة ملككم سيف وقد قتلها غدرا ولهذا جئت لآخذ بثأرها ، وهـــــؤلاء فرساني سيبارزون فرسانكم فمن رغب في الموت فليبرز الى الميدان ، ثم تأخر الى مكانه وترك الميدان لمن يتقدم من فرسانه .

برز دمر بن سيف وقال : من اراد ان تثكله امه او تفقده زوجته واولاده فليخرج الي ، فما برز اليه فارس الا صرعه واسره . فأثار هذا غضب الملك الصمصام فبرز اليه بنفسه فما امهله حتى اخذه اسيرا وكان النهار قد ولى فبات جيشه في حزن وهرج ، وبات جيش سيف في فـــــرح

واطمئنان ، وفي الصباح برز الى الميدان كاهن ساحر فصاح سيف على الحكيمة عاقلة وقال لها : هذا الكاهن لك فابرزي اليه واريه من آيـــات سحرك العجب حتى يخشاك غيره من كهنتهم وتقطعي بقتاله او اسرع اطماع الطامعين .

فركبت عاقلة زيرها ودارت حوله فقال لها : ابكي على حياتك فهـــذا اليوم اخر ايامك ، فابتسمت ولم تتكلم ، فأخذ هو ورقة سوداء من مخلاة كانت معه وتلا عليها بعض كلمات ثم نفخ فيها فطارت في الجو ونزلت على الارض ثعبانا كأنه نخلة طويلة فأمره ان يذهب الى الحكيمة عاقلة ويبتلعها فضحكت وقهقهت وفتحت للثعبان كمها فدخل فيه ثم خرج من الكم الثاني ورقة سوداء كما كانت . واراد ان يفعل شيئا اخر فلم تمكنه فنزعت شعرة من راسها وتلت عليها ما تلت ثم قالت : كوني حربة مسمومة وانفذي من صدر هذا الكاهن فكانت كما امرت فوقع صريعا لا يتحرك ، فبرز اليهـــا كاهن اخر يسمى (منفلوط) فعاجلته بسحر اخر اخرس لسانه ووقع على الارض فأسرع اليه سعدون وكتفه واخذه اسيرا . وكان الليل قد اقبـــل فاستقر كل فريق في مبيته .

فأمر سيف ان تحضر الاسرى بين يديه ، فأحضر سعدون الملـــك الصمصام ورجاه ان يكرمه من اجل ابنته ناهد فقال : ليس عندي فـــي الحق قريب او بعيد فالناس كلهم سواء ولا منجاة لك الا بالايمان ، امـــا ابنتك فقد خانت فقتلت وليس لها ذنب على احد (ثم حكى لابيها قصة موتها) فلما سمع الصمصام قصة سيف قال له : صدقت وصدقت دعوتك وقد آمنت بالله ايمانا صادقا . وكان الكاهن منفلوط قد حضر وسمع فقال: وانا ايضا آمنت بربكم واصبحت على دينكم لي ما لكم وعلي ما عليكم .

فقال سيف للصمصام : وما رايك في جيشك ؟

فقال الصمصام : ادعوهم الى الايمان فمن آمن فهو مني ومن عصاني ضربت عنقه . فقال سيف : وسنكون معك في هذه الدعوة ، وسار معه هو وصحبه الى حيث جيشه فقال لهم الصمصام : لقد تبين لي الرشد من الغي فآمنت بالله ورسله وتركت عبادة النار التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضررا ، وجئتكم ادعوكم الى دين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فماذا ترون ؟ فقالوا جميعهم : آمنا بالله ورسله .

فقال سيف : قد عصمتم بالايمان انفسكم ، فادخلوا المدينة ولكم ما لنا من الحقوق وعليكم ما علينا .

وهكذا اسلم الصمصام وجيشه ، والملوك التابعون له الذين اتوا معه لمعونته ومعهم جيوشهم وطرّزوا اعلامهم وراياتهم بكلمة الايمان ، ثم استأذنوا في الرحيل الى بلادهم فأذن سيف لهم واوصاهم ان يقيموا شعائر الدين ويدعوا الناس اليه ، فتقبلوا وصيته ورحلوا من عنده مؤمنين مهللين مكبرين وعاش سيف في مدينته فرحا بنصر دينه وظهوره على غيره من الاديان .

تقدم عيروض الى الملك سيف يوما ورجاه ان يساعده في زواجه من اخته عاقصة فقال سيف : اخطبها من ابيها فهو ولي امرها يا عيروض . فقال عيروض : لا اجسر على طلبها منه ، فما انا الا خادمك الامين وانت ولي امري فلا تخيب رجائي فاني احب عاقصة حبا مبرحا .

فقال سيف : اذهب يا عيروض واتني بعاقصة ، وكانت عاقصة قد عرفت هذا الحديث وعرفت ان عيروض يحبها حبا شديدا ، فلما دخل عليها في مكانها قالت له : لماذا جئت يا عيروض ؟

فقال لها : لقد أرسلني الملك سيف لادعوك اليه ، فقالت عاقصة : ولم هذه الدعوة يا عيروض ؟ فقال عيروض : لامر هام يعرفه الملك . فقامت وذهبت معه الى اخيها سيف وسألته : لماذا دعوتني اليك يا اخي ؟ فقال سيف : ما تقولين يا اختاه في زواجك من عيروض ؟ فقالت عاقصة : لن اتزوج الا بمن يماثلني في القدرة والكفاءة وليس عيروض اهلا ليكـــون زوجا لي .

فقال عيروض : انت ابنة الملك الابيض ، وانا ابن الملك الاحمر ، وكلانا في خدمة اخيك سيف ، فقالت له : انه اخي وعلي ان اخدمه . فقـــال عيروض : وانه مليكي وعلي ان اخدمه . فقالت عاقصة : لن اتزوج الا ممن ارتضيه لنفسي . فقالت الحكيمة عاقلة : اوليس لاخيك رأيا يا عاقصة ؟

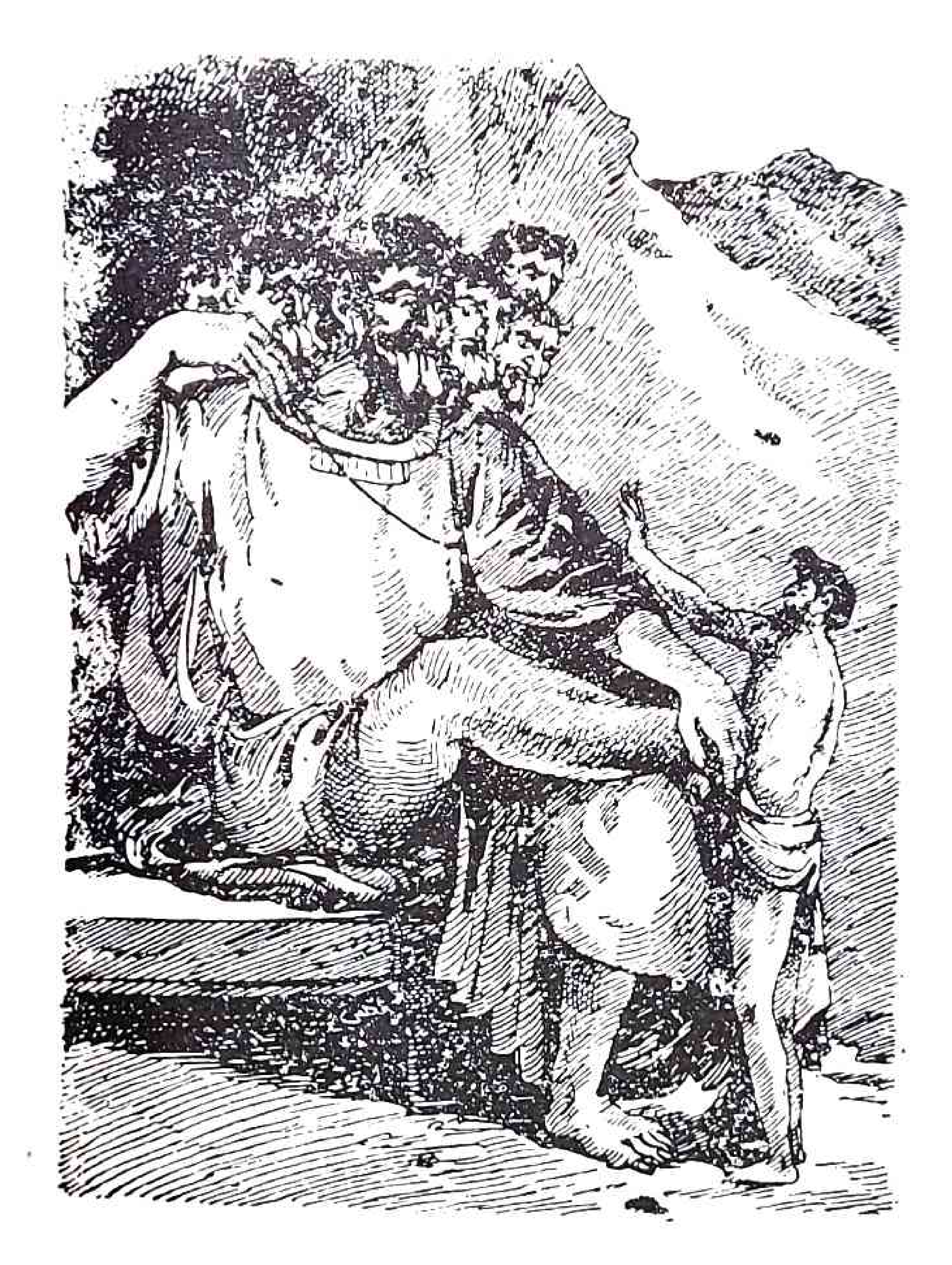
فقالت : يا امي اخشى ان يحط من قدري برايه .

فقال سيف : اطلبي ما تشائين مني ، فقالت عاقصة : لن اطلب شيئا الا ممن طلبني ، فقال عيروض : لتطلب مني ما تشاء ، فاني راض بكل ما تطلبه . فقالت عاقصة : اريد التاج والاكليل والمنطقة والحلة التي كانت لبلقيس حينما زفت الى سليمان بن داوود (ع) ، فقال عيروض : تلك كنوز مرصودة يحرسها ملك من الجان يدعى (شراشير) وله اعوان من الجان لا يحصيها عد ولا يذهب اليها احد الا صب عليه العذاب والويل ، وما طلبت هذا المهر الا لتعجزني به ، فقال سيف : اقترحي يا عاقصة مهرا غير هذا. فقالت عاقصة : لن ارتضي غيره ، فان الفانيات غاليات ، فقال عيروض : سأحضر لك المهر الذي طلبته ، وليس بكثير عندي ان اموت في سبيل غاية كريمة اسعى اليها ان تأخرت عن الحضور اليك اكثر من ستة اشهر فافركي اللوح مرة ثم افركيه بعد ذلك بستة ايام ، فان لم احضر فلا تفركيه المرة الثالثة فانك تقتليني بها ، واعلمي حينئذ اني مجبوس هناك وسلامي عليكم .

ثم طار الى تلك الكنوز ، فوجد على بابها ماردا على كرسيه فحياه ورد المارد تحيته ثم سأله : من انت ؟ ومن اين جئت ؟ وماذا تريد ؟

فقال عيروض : انني ملك اسوح في الارض متنقلا حتى قادتني قدماي الى هذا المكان . فجئتك راجيا ان تمنحني الامان من الجان وكان لهذا المارد سبعة رؤوس واربع عشرة عينا ، واربعة عشر لسانا ، يتكلم بها جميعها في وقت واحد وكأنها لسان واحد ، فظهر الغضب على وجهه فقالوا :

لقد كذبت ، وما انت الا عيروض خادم سيف بن ذي يزن ملك اليمن وجئت في طلب مهر لعاقصة التي خطبتها ، والتي طلبت ان تأتيها بالتاج والاكليل والمنطقة والحلة من كنوز سيدنا سليمان عليه السلام . ثم انتفخ



عيروض يقف امام المارد ذي الرؤوس السبعة

المارد حتى صار كالجبل وصرخ صرخة مدوية فاذا بالوادي يعج بأعوان من الجان لا يحصيهم عد وقالوا : ماذا تريد ايها الملك ؟

فقال : خذوا هذا الكذاب وقيدوه واحبسوه في هذه الاريكة التـــي

اجلس عليها وكان طولها ثلاثمائة ذراع .

فلما مضت ستة شهور ولم يرجع عيروض فرك سيف اللوح فلم يحضر فضاق صدره وعزم على الرحيل اليه ليخلصه من سجنه .

عهد سيف بالملك الى ابنه دمر ، واخذ معه سيف سام بن نوح ، وقدم الطعام وخرج سائرا معتمدا على ربه ، ولما بعد قليلا في البرية لقيته عاقصة فامرها ان تحمله الى كنوز سليمان عليه السلام .

فقالت : مالك يا اخي ولهذه المتاعب عد الى مدينتك واقلع عن عزمك .

فقال سيف : ان يهدأ بالي حتى اخلص خادمي واحضر مهرك وازوجه منك .

فقالت عاقصة : رضيت بك انت زوجا لي ومهري عندك ان ترضى بي زوجة لك . فقال سيف : لا يحل زواج الاخ مع اخته في شريعتنا .

قالت عاقصة : نعم الدين الذي يحفظ للاخوة كرامتها وحرمتها . ثم حملته وطارت الى ان نزلت به في ارض فسيحة ليس فيها انسان وقالت: الى هنا ولا استطيع السير. ثم طارت مسرعة ، فأكل من القدح الذي معه وبات في هذه الارض . وفي الصباح استأنف سيره حتى كان على شاطىء المحيط فوجد فلكا مقبلا عليه . وكان هذا الفلك ضالا في المحيط فلما رآه الربان اقبل عليه ليسأله عن هذه الارض التي هو فيها ، فوجده جاهلا شأنها ، فعرض عليه ان ينزل معه في الفلك فقبل ، ثم سأله الربان: من اين جاء والى اين يقصد ؟ فقال : كنت في فلك تحمل تجارة لي مع زملائي من التجار ، فاشتدت الرياح وغرقت بمن فيها ، وقدر الله لي النجاة فخرجت الى هذه الارض ولست ادري عنها شيئا . وقد ساقكم الله الي لانقاذي منها .

فقال له الربان : اهلا وسهلا بك ايها الاخ .

ثم احضر له طعاما فأكل وشكر الربان ومن معه . ثم سألهم عن انفسهم فقالوا : نحن تجار ومعنا تجارة من حجارة المعادن ، وقد ضللنا الطريق . فقال : توكلوا على الله وسيروا فهو الهادي في ظلمات البر والبحر وبعد مدة من سيرهم بانت لهم اسوار مدينة العمالقة ، ففرحوا وارسوا فلكهم عليها . فنزل الجميع في تلك المدينة وكل منهم راغب في معرفتها ومعرفة ما فيها فلما وصلوا اليها وجدوا جماعة من العمالقة طول الواحد منهم ثلاثون ذراعا فتقدم اليه احدهم فظن سيف انه يريد به سوء فأخرج سيفه وهم ان يضربه فجرى الى اصحابه ثم رجع معهم الى سيف وسأله : لماذا جردت سيفك واردت قتلي ؟

فقال سيف : لاني خشيت منك ان تأكلني ، فصرفتك بالسيف عني .

فقال العملاق : ما اردت شيئا من ذلك ، ولكن قصر قامتك اغرتني بالنظر اليك ، اذ ليس فينا قصيرا احد مثلك الا واحد يدعى (عرفجة) سأنتظر هنا لاحضره اليك ، فلما حضر سأله سيف عن نفسه فقال :

انا لست من اهل هذه الارض ، ولكني اتيت اليها منذ اعوام مع بعض التجار فطاب لي العيش في هذه الارض ، هؤلاء التجار يأتون الينا ببضائعهم كل عام فاكون واسطة بينهم وبين هؤلاء العمالقة في البيع والشراء فتعال معي نذهب الى ملك هذه المدينة . فذهب معه فوجده جالسا مع جماعة من العمالقة لا يبلغ سيف في طوله الا بمقدار الساق من احدهم ، فجعلوا ينظرون اليه وهو ينظر اليهم وكل منهم في عجب من الاخر . فقال الملك لسيف : أتحب ان تصارع وزيري هذا . واشار الى عملاق يقف بجانبه فان غلبك فليس لك عندنا شيء ، وان غلبته وقتلته اقمتك وزيرا بدلا عنه .

فقال سيف : رضيت بذلك ، وكان هذا الوزير يسمى البهلوان . فمد يده الى سيف وحمله كما تحمل الام طفلها ؛ ولكن سيفا تشبث ببطنه وضرب امعاءه بجمع يده فخر البهلوان على الارض مغشيا عليه . فاقبل عليه اصحابه يقلبونه ذات اليمين وذات الشمال فوجدوه جثة لا حراك بها ، فهموا ان يجردوا سيوفهم في وجه سيف ، ولكن الملك حال بينهم وانذرهم قتلا عاجلا ان تعرض احدهم لسيف بسوء ، واعلن فيهم انه قد اتخذ وزيرا خلفا للبهلوان الذي قتله ومنحه جائزة قيمة . وكان لهذا الملك العملاق ابنة عملاقة ايضا ؛ فلما دخلت على ابيها سألته عما جرى هذا اليوم في ديوانه، فروى لها شجاعة سيف وما فعله بالوزير البهلوان ، وانه اتخذه وزيرا له. فرغبت البنت ان تتزوج من سيف فقالت لابيها : هذا القصير لك عدة وقوة ولا تجد منه الا كل خير ومنفعة ؛ فجدير بك ان تحرص عليه ؛ ولا تمكنه من فراقك واقوى رباط له ان تزوجني منه ، فان الزواج قيد للرجال .

فقال الملك لسيف : اني احببتك واطمأننت اليك ووثقت برجولتك فلي بنت خطبها كثير من الملوك فما رضيت تزويجها من احد منهم ، واحب ان ازوجك منها ، على ان يكون ملكي هذا في قبضتك تحكم فيه كما تشاء ، فما رايك ؟

فقال سيف : لي الشرف ان اكون زوجا لابنتك فافعل ما اردت . فجمع الملك الكهنة وكبراء دولته وقال لهم : قد زوجت ابنتي من سيف هذا فابرموا له عقد الزواج ؛ وسيكون الملك له وانتم تكونوا طوع امره .

فقال احدهم : واين المهر ؟ فقال الملك : وماذا تريد مهرا لها ؟

فقال كبير الكهنة : عشرة رؤوس من المؤمنين .

فقال سيف : لا بل عشرة رؤوس من العمالقة ، لاني لا ارى في ارضكم مؤمنا واحدا .

فقال الملك : قد تنازلت عن مهرها ، فابرموا عقد زواجها .

فأبرم العقد واقيمت الافراح عشر ليالي متواليات ، وفي الليلة الحادية عشرة دخل سيف على زوجته فماذا وجد ؟ وجدها في طول المئذنة ولها فم كأنه كهف ورجلان كأنهما نخلتان ، ويدان كالساريتين ، واصابع كالمدراة فاستعاذ بالله في نفسه منها ودار في خلده انها اذا ارادت ان



العملاقة تخوض البحر لتدرك سيفا

تقبره في جوفها من اية فتحة في جسمها استطاعت ، فكيف يكون زوجا لها ؟ وفكر في ان يفر منها ناجيا بنفسه ، فدعا الله قائلا :

اللهم كما نجيت موسى من الغرق ويونس من الموت في بطن الحوت نجني من هذه الداهية واخرجني من هذه المدينة بقدرتك انك على كل شيء قدير . ثم تنارم بجانب زوجته وبينما هي قد غرقت في نوم عميق، فتسلل بالليل خفية وفر من القصر لا يلوي على شيء ، فلقيه عرفجة وسأله : لماذا تركت زوجتك ؟

فقال سيف : احمد الله الذي نجاني منها . فضحك عرفجة وقال له: هيا بنا الى الشاطىء عسى ان نجد بحارا نرحل معه من هذه المدينة .

وفي الشاطىء وجدوا فلكا فنزلوا فيه وكان عرفجة يعرف اصحابه ، فسار الفلك في البحر وقد تنفس سيف الصعداء ، ولما استيقظت بنت الملك ولم تجد شيئا بجانبها اخذت تسأل عنه وتبحث نقيل لها انه رحل في فلك في البحر فأسرعت اليه وخاضت البحر لتلحقه وكانت تقول:

سأردك يا سيف الى المدينة بعد ان اغرق الفلك بمن فيه ، فخاف القبطان وفزع ، فقال له سيف : ناولني هذا القوس واعطني نبلا ، ثم رماها سيف بسهم في صدرها فخرج من ظهرها ، فسقطت في البحر ميتة، ولكن البحر غضب غضبة ثارت فيها امواجه وغطاه ظلام كثيف عميت له الابصار ، واصطدم الفلك بصخرة كبيرة حطمته قطعا متناثرة ، فغرق جميع من فيه ، ولكن سيفا وعرفجة استطاعا ان يركبا فوق سارية الفلك واسلما امرهما الى الله .

فسارت السارية بهما حتى رست بجوار الشاطىء فطلعا الى البر ، وكان الجوع قد اشتد بهما فأخرج سيف قدح الطعام واكلا منه حتى شبعا، ثم مشيا قليلا فوجدا ثلاثة من العمالقة طول كل منهم سبعة اذرع ، فرحبوا بهما وسألوهما من انتما ..

فقال سيف : نحن تاجران غرقت تجارتنا في البحر واستطعنا ان ننجو بحياتنا . فقالوا : انتم مثلنا ، فنحن اذن عصبة تجمعنا حادثة واحدة وغرض واحد فلنكن معا حتى يأتينا الفرج .

وبعد يومين من صحبتهم ومسيرتهم رأوا بستانا فرغب سيف ان يدخله فسمع هاتفا يقول : لن يدخل هذا البستان احد ، ومن يدخله فقد دخل قبره .

فلم يعبأ سيف بهذا القول ودخل البستان وصحبه الاربعة معه ، فوجدوا فيه اشجار العنب والفواكه والازهار المختلفة تجري من تحتها الانهار ويهب النسيم العطر في جنباتها ، وكان التعب ارهقهم فاضطجعوا وناموا .

فاستيقظوا من نومهم على اصوات رجال طوال الاجسام وقالوا لسيف وعرفجة : انتم حميرنا نركبكم الى حيث نشاء في هذا البستان ، ولم يجدوا مفرا من حملهم الى حيث يشاؤون وهم يضحكون من التعب والمذلة. فقال سيف لعرفجة : اعصر عنبا في هذا الحوض واتركه حتى يخمر . وسأغري هؤلاء الرجال بالشرب منه ، وبعد سكرهم يفعل الله ما يشاء .

ولما شرب الرجال من الخمر وسكروا قام سيف يعمل فيهم بسيفه حتى اتى عليهم جميعا واستطاع ورفيقه عرفجة ان يخرجا من البستان وجدا في الفرار مبتعدين ، وهناك في البرية التقيا بالعمالقة الثلاثة الذين دخلوا معهم البستان فسألهم سيف : اين كنتم ؟

فقالوا : انا ههنا مقيمون وقد رايناكم والشياطين يؤذونكم في بستانهم فظن سيف انهم من هؤلاء الشياطين ، وانهم يخرجون ليجروا امثالهم الى البستان فقال لهم : امضوا الى سبيلكم ولا تصاحبونا ، فقالوا : لا ذنب لنا، ولكنكم انتم الذين دخلتم البستان ، وجرى لكم فيه ما اغضبكم .

فقال سيف : اسمعوا واطيعوا وامضوا ولا تصاحبونا .

فقالوا : ونحن لا نفارقكم ابدا .

فقال سيف : وانا ارغمكم على فراقنا ، ثم جرد سيفه وهم ليقتلهم ففروا من وجهه ، ثم سار هو وعرفجة لا يدريان الى اين يذهبان ! وبينما هما سائرين اذ رآهما فرسان كانوا يجرون وراء الغزلان فتركوها وقالوا لهما : تعالوا معنا الى ملكنا (ذي الاوتاد) في مدينته (ذات الابراج) .

فقال سيف : وما تعبدون ؟

فقالوا : نحن وملكنا نعبد الله الذي خلق السماء والارض ، وخالق كل شيء ونحن بقايا قوم هود ، وكل من يطرق هذه الارض لا بد لنا من ان نأخذه الى ملكنا طوعا او كرها.

فقال عرفجة لسيف : دعني انا اذهب لشأني ، واما انت فاذهب معهم. فسار سيف معهم الى مليكهم ذي الاوتاد فوجد خياما من خشب مبعثرة على سفح الجبل ، وخيمة من خشب في ديوان ملكهم ومجلس حكمه فيهم ، فلما سلم على الملك اجلسه وقال : من تكون من ابناء الملوك ايها الشيخ الكريـم ؟

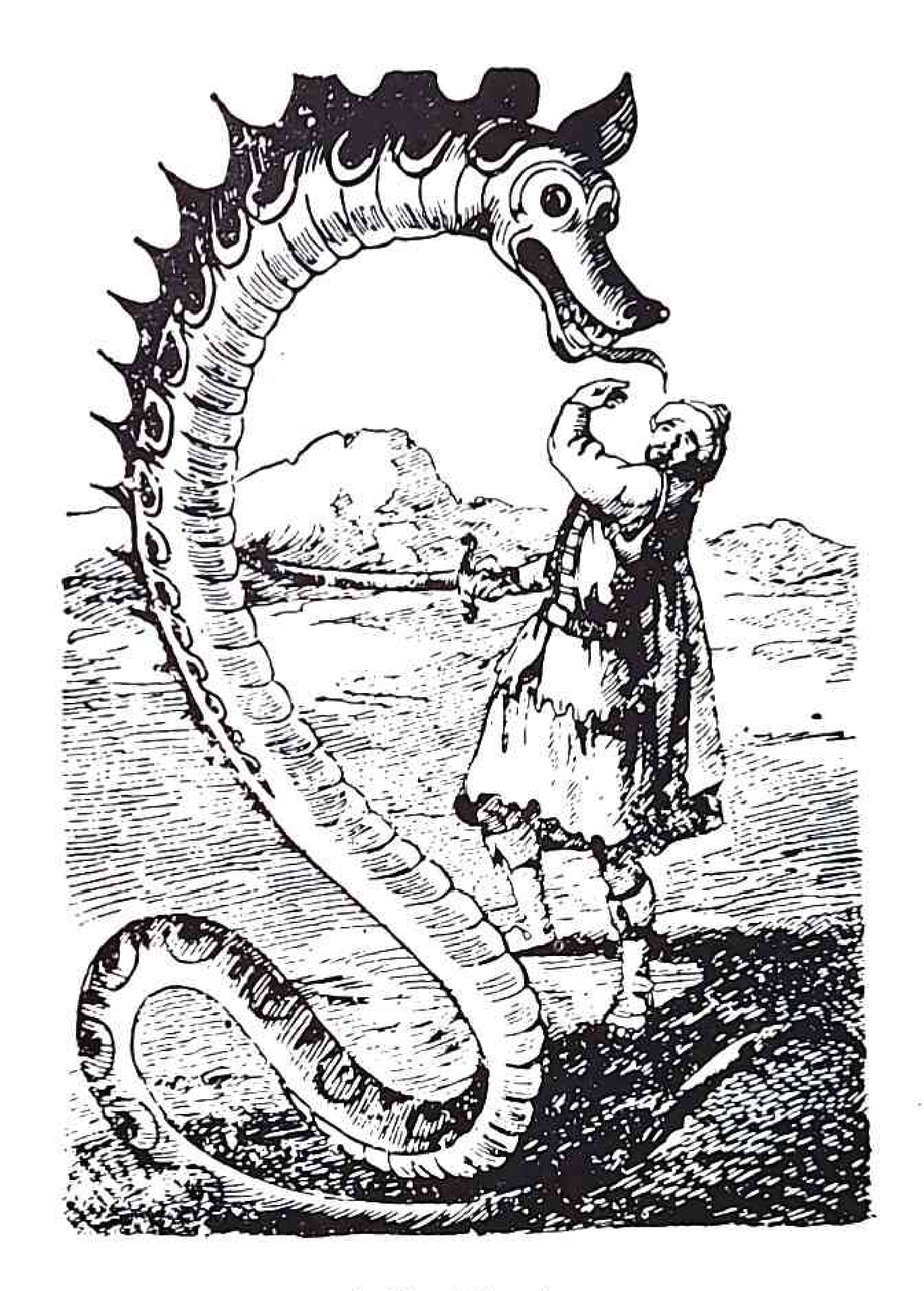
فقال سيف : ومن انبأك اني من ابناء الملوك ؟ اجابه : عرفت ذلك من الشامة التي في وجهك .

فقال سيف : صدقت ، انا سيف بن ذي يزن ملك اليمن . ثم سأل الملك وقال : هل يركب عسكرك خيولهم من غير سروج ؟ فقال الملك : نحن لا نعرف سروجا ، وما سمعنا بها ، فعلم سيف النجارين صناعتها فأعجبوا بها ووجدوا فيها راحتهم وقدرتهم على ركوب الخيل ، ثم صنع النجارون الجنود والاهلين سروجا فرحوا بها ، ثم سأله على مقامهم في هذا المكـان تحت هذه الخيام ؟ فقال الملك : يسكن في مدينتنا ثعبان طوله اربعـون ذراعا ، وراسه كراس الفيل ولا يقرب منه انسان الا نفخ فيه ومات لساعته فهجرنا المدينة من اجله .

فقال سيف : واين هذا الثعبان ؟ دلني على مكانه فانني قادر على قتله.

فقال الملك : انك رجل غريب فلا ينبغي ان نعرضك للهلاك .

فقال سيف : لا تخف ، فاني معتمد على ربي ، وما دمت ساعيا الى الخير فانه معي ينصرني ، فارسل معي من يدلني على مكانه . فسار في صحبته عشرة من الرجال حتى وصلوا الى تل مرتفع امام المدينة وقالوا : انه في ذلك التل ، وشم الثعبان رائحته فخرج من وكره فلما رآه سيف اخرج سيفه واقبل عليه مكبرا واقبل الثعبان عليه فأخر فاه ، فضربـه



سيف يقاتل الثعبان

بالسيف في فمه فأطاح بفكه الاعلى ثم ضربه ثانيـــة فقطع فكه الاسفل ، فجعل الثعبان يتلوى حتى مات . فأخذ سيف الفكين ولفهما في خرقـــة كبيرة وذهب الى الملك .

اما الرجال العشرة فكانوا قد تركوا سيفا في اول صعوده في التـــل وذهبوا الى ملكهم وقالوا : دللناه على مكان الثعبان وتركناه ذاهبا اليه ولا تنتظر عودته ، فان الثعبان قاتله لا محالة . وبينما يتحدثون اقبل سيف والقى براسي الثعبان بين يدي الملك ففرحوا وكان هذا اليوم عيدا عندهم

ثم انتقلوا الى مدينتهم وعاشوا فيها آمنين .

وكان لهذا الملك بنت تسمى (جميلة) جاءت لتوزع الشراب على الملك وجلسائه فأعجبت بسيف وتمنت في نفسها ان يتزوجها ، وكانت المدينة رجالها ونساؤها معجبين بشجاعة سيف وثباته واقدامه ، فقالت بنت الملك: امسك يدي حتى التمس منك الثبات واليقين . فامسك سيف يدها فقال ابوها : اجبتك يا سيف الى ما طلبت . .

فقال الملك : ان من عاداتنا انه اذا امسك رجل يد ابنة فقد وجب ان يتزوج منها ، وانت قد امسكت يد ابنتي فوجب علينا اجابة طلبك .

فقال وقد وافق هذا هوى في نفسه : رضيت فاطلب مهرها .

فقال الملك : عشرة حسنة دائمة لا فراق معها .

فقال سيف : رضيت وقبلت ، فقال الملك : ولنا شرط اخر وهو انك اذا سافرت سافرت ابنتي معك ، وان سافرت ابنتي سافرت انت معها .

فقال سيف : رضيت . وامر القاضي فعقد الزواج . واقبلت ابنة الوزير وتسمى (فريدة) فقالت لسيف : اني مظلومة فامنحني الامان ، فقال سيف : ما ظلامتك يا فتاتي ؟ فقالت : اني اخت لجميلة التي تزوجتها ولا استطيع ان افارقها لحظة فأرجو ان تتزوجني حتى اكون بالقرب منها ، فامسك سيف يدها وقال للوزير : اجبني . فقال الوزير : اجبتك على الشرط الذي عرفته ، وعقد القاضي بينهما عقد الزواج .

وجاءت بنت وزيرة الميسرة واسمها (ظريفة) وبنت الخازن واسمها (حسنة) وكان شأنهما شأن البنتين السابقتين ثم حلف سيف الا يمسك يد ابنة اخرى فقال الملك : لولا انك اقسمت لجاءتك بنات المدينة جميعهن ، وقامت الافراح ثلاثين يوما ، وعاش سيف مدة نسي فيها عيروض وملكه ، وبينما هو راجع من الديوان الى قصره جاءته عاقصة فقالت : ماذا دهاك يا اخي ؟ فلا انت ذهبت الى عيروض ولا انت رجعت الى ملكك ؟

فقال سيف : انها الاقدار ساقتني الى ما انا فيه . ولا ادري كيف اسافر وقد عاهدت آباء زوجاتي على أن يسافرن معي ان سافرت ؟

فقالت عاقصة : انهم لا يريدون السفر الذي تقصده وتعنيه ، ولكنهم يريدون انه اذا ماتت واحدة دفنوك معها في لحدها ، فالمراد بالسفر السفر الى الاخرة ، هل فهمت ما اعني ؟

فقال سيف : كيف تقولين هذا ؟ فقالت عاقصة : سوف ترى ان جاء اجل واحدة من زوجاتك فعليك السلام مني .

بات سيف ليلته هذه ثم خرج في الصباح الى الصيد ، ولما رجع من صيده وجد الملك في انتظاره فقال له : ماتت زوجتك جميلة وهي في انتظارك لتسافر معها . فقال سيف : عجبا وماذا تعني بالسفر معها ؟

قال الملك : ان تدفن معها في قبرها كما اتفقنا على ذلك عند الزواج .

فقال سيف : وكيف ادفن حيا قبل ان اموت ؟

فقال احد الواقفين: ها انذا مستعد لقتلك ، فقال سيف : حذار ان يتحرك احد منكم بأذى الي والا قطعته بسيفي ، كيف ادفن مع زوجة ماتت واترك الزوجات الثلاث من غير زوج ؟

فقالوا : صدقت فلا ينبغي ان تترك بناتنا بلا ازواج ، كما انه لا يصح ان تدفن معها لانك لم تمت ، ولكنك مدفون حيا ، وما دام هذا عرفنا فلا بد من دفنك حيا معها شئت ام ابيت .

فقال سيف : ذلك لن يكون . فالتفت الرجل الموكل اليه دفن الموتى وقال : الامر يسير ، ويحسن ان نتركه ونصنع له ما صنعنا بغيره من قبل.

فقالوا : لا بأس ، ولا مانع من تركه حيا ، ويكفينا ان يودعها قبل حملها الى قبرها ، فقال : لا بأس ، لا مانع لدي من توديعها .

وبعد ان جهزوها ووضعوها في حجرة اطلقوا فيها رائحة بخور مخدر يفقد وعي كل من شمه ثم قالوا لسيف : اذهب الى زوجتك في حجرتها وودعها قبل ان نحملها الى مقرها الاخير ، فدخل سيف عليها في الحجرة وكانت رائحة البخور تعبق فيها ، فما كاد يشمه حتى اغمي عليه وسقط على الارض مغمي عليه ، فدخلوا عليه بعد ان فتحوا نوافذ الحجرة وخرجت منها الرائحة ، وكفنوه وهو بملابسه واسرعوا فدفنوهما واغلقوا القبر عليهما ، فأفاق سيف فوجد نفسه مدفونا فقال والاسى يحرق كبده: لا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم انت وعدت عبادك المتقين ان تجعل لهم من كل ضيق مخرجا فاكشف عني هذه المصيبة فأنت أرحم الراحمين .

وما انتهى من دعائه حتى وجد اخته عاقصة داخلة عليه ، فحملته وخرجت به من القبر طائرة ، وما زالت تطير حتى حطت به على قمة جبل مرتفع وقالت : هذا الجبل قريب من كنوز الملك سليمان حيث سجنوا عيروض ، فقال لها : احضري لي الرجل الذي يحضر الموتى لاقتله . فلما حضر بين يديه قال له : ان عزرائيل يقبض الارواح ، وانت تدفن الناس وهم احياء ليموتوا في القبور من غير ذنب جنوه فهل تتوب ولا تدفن بعد ذلك احدا حيا ؟

فقال : ذلك عرفنا الذي نسير عليه ، فجرد سيف سيفه وقطع به عنقه، ثم امر عاقصة ان تأخذ جثته وتلقيها امام الملك وتقول : ان سيف قتل هذا الرجل وامرني ان احذركم .فمن اقدم منكم على دفن احد حيا قبل ان يموت فعل به ما فعله برجلكم هذا .

فقال الملك : تبت من الان ولن اجعل هذا العرف فينا بعد ذلك .

ثم طارت عاقصة الى سيف واحضرت له ما طلبه من الزاد ، ثم اعتذرت اليه انها لا تقدر ان تساعده في احضار الكنوز اليه لانها مرصودة .

فقال سيف : اذهبي الى سبيلك ، واما انا فسأذهب اليها معتمدا على الله .

مشى سيف في الجبل يأكل من القدح المرصود وينام في كهوف الجبل

وحيدا لا انيس له الا ربه الذي آمن به وتوكل عليه ، ودام على تلك الحالة سبعة اشهر ، ثم حملته ارجله الى ارض واسعة قذرة جرداء ، كريهـــة الرائحة ، فابتأس منها وسمع اذ ذاك قعقعة ناحية السماء فظن انها عاقصة آتية اليه ، ولكن هذه القعقعة انجلت ناحية دخان كثيف امامه ثم تحول الى مارد طويل قبيح المنظر ، بشع الخلقة ، وقال : لقد تعبت في البحث عنك منذ قتلت اخي (المختطف) ولما عرفت مكانك جئت اليك لاقتلك عقابا على قتلـه .

فقال سيف : ما جئت الا لاقتلك ، ثم رفع سيفه وضربه فقطع يده .

فطار المارد وهرب حاملا يده المقطوعة ، واستمر سيف ماشيا حتـــى وجد ثعبانين ، احدهما احمر يجري هاربا ، والثاني اسود يجري من خلفه طالبا الثعبان الاحمر فضرب الاسود بسيفه وقتله ، فانتفض الثعبان الاحمر حتى غدا ماردا عظيما من الجن ، واقبل على سيف يقول : نصرك الله على اعدائك كما نصرتني وانقذك من كل ضيق كما انقذتني . وانا مدينة لـــك بحياتي وخادمة لك ما دمت في قيد الحياة .

فقال سيف : ومن انت ؟ فقالت : انا بنت ملك من ملوك الجان ، والذي قتلته ملك من ملوك الجان ، ولكنه كافر خطبني لنفسه من ابي فأبى والدي ان يزوجني منه لكفره ، ولما مات والدي طمع ان يأخذني غصبا ، حتى اذا كان اليوم خرجت للنزهة في صورة ثعبان ، فاذا به يتبعني على صورة ثعبان ايضا ، فقيضك الله لنجاتي من يده بقتله ، فجزاك الله عني خيرا ، وانا الان في طاعتك فهل لك في حاجة اقضيها ؟

فقال سيف : اريد ان تحمليني الى مكان المارد (برق لامع) فقد كنت قطعت يده واود ان اجهز عليه .

فقالت : انه مارد جبار ، وهو يقيم في جزيرة العقاب ، وهو عدونـــا ايضا ، ولا اقدر ان اصل بك اليه ، فقال سيف : احمليــــــني الى اول الجزيرة ثم اشيري اليء‌ن مكانه من بعيد وانصرفي الى شأنك .

فحملته الى الجزيرة واشارت بيدها الى مكان المارد وانصرفت مسرعة.

فمشى سيف في الجزيرة حتى توسطها ، فأقبل عليه طير يسمـــــى (الشمردل) وقال : لقد قدمت لي من المعروف ما لا انساه . فهل من حاجة اقضيها لك ؟

فقال سيف : احب ان اصل الى مكان المارد (برق لامع) فقال الطير : كفاك الله شره فهو مارد جبار غادر دع امره لله وكفاك انك قطعت يده .

فقال سيف : لا بد لي من الذهاب اليه ، فقال الطير : اركب على عنقي فأضعك عند قصره وارجعمن فوري مخافة ان يؤذيني لانه ظالم وما سلم من ظلمه احد ، ثم طار به حتى نزل خلف الجبل الذي فيه قصر المارد وقال له: هذا قصره ، وهذه المدينة ذات الابنية الفخمة والابراج العالية هجرها اهلها وتركوها خرابا تنعي من بناها خوفا من هذا المارد الغدار ، ثم تركه الطير

ومضى ، فمشى سيف الى القصر ولما دخله وجد فيه امراة جميلة ما ان راته حتى اقبلت عليه مشفقة عليه وقالت : ارجع يا هذا فهذا قصر المارد (برق لامع) الذي خرب المدن واذل الناس ، وازهق الارواح ولولا انه مشغول بيده المقطوعة لكنت الان من الهالكين .

فقال سيف : انا الذي قطعت يده ، وجئت لاجهز عليه واقتله ، فلا تخافي ولا تجزعي فالله يحميني وينصرني ، فقالت الفتاة : سلمت يمينك، واعانك الله ونصرك ، واعلم انه لا يقتل الا بسيفه المرصود ، وسيفه المرصود معلق في سقف قصره ، فتعال معي لادلك عليه ، والمارد نائم على سريره الان، فذهب معها واخذ السيف ودخل على المارد في حجرة نومه فوخزه بذبابة السيف فهب المارد فزعا ولما رآه ـ ولم يكن قد علم ان سيفه المرصود في يد سيف ـ قال : وقعت في يدي فاختر لنفسك ميتة تحلو لك .

فقال سيف : قد اخترت ان اقتلك بسيفك المرصود هذا . ففزع المارد وقال : انا مستجير بك . فقال سيف : لن ينجيك مني الا ان تؤمن بالله العلي القدير ، فقال المارد : لن اؤمن بربك ولو قطعتني اربا . فقال سيف: الان حل قتلك . وضربه بسيفه ضربة فصلت راسه عن جسده ، فزغردت المراة وقالت : سلمت يمينك فقد محوت ظلمة وقبرت غمة ، وكشفت عن الناس بلاء ونكبة ، فقال سيف : ومن انت ؟ فقالت : انا ابنة ابرام بن غليون ملك الرها في العجم ، وليلة دخولي على ازدشير ملك الدشت ، جاءني هذا المارد الجبار وقتل ازدشير ملك الدشت زوجي ، وخطفني الى هذا القصر ، وجعلني في خدمته حتى سخرك الله وقد اصبحت في حوزتك وحمايتك ، فقال سيف : وانت على اي دين ؟

فقالت : احب ان اكون على دينك ، فآمنت بالله ورسوله وكانت تسمى (انيسة) فسألها : هل تريدين البقاء في هذا القصر ، ام ترغبين في السفر معي ؟ فقالت : والى اي مكان تريد السفر يا مولاي ؟ فقال سيف : الى كنوز سليمان بن داهود عليه السلام .

ان لهذا المارد الملعون اخت تسمى (ارميشة) ، وهي مؤمنة بالله ورسله ولاجل ايمانها سجنها الملعون في سجنه ، فاذا خلصتها ذهبت معك ويسرت لك سبيل الوصول الى ما تريد .

فقال سيف : دليني عليها ، فلما فتح باب سجنها راته ارميشة قالت: انت الملك سيف بن ذي يزن ؟ فقال سيف : نعـــم . فقالت ارميشة : اجعلني في صحبتك اينما سرت ، وكانت تشبه اخته عاقصة في الخلقة ، فقال سيف : اني ذاهب الى كنوز سليمان ، فانتظري هنا ومعك انيسة ، فقالت ارميشة : اذا كنا في صحبتك نفعناك ، فخذنا معك وكن مطمئنا .

فقال سيف : توكلنا على الله ، وعسى ان يكون لي في صحبتكما كل خير . ثم حملتهما ارميشة وطارت بهما حتى نزلت عند جبل به قلعة مارد كافر اقوى واظلم من ابن عمه (برق لامع) يسمى (ارميش) وظهر هذا المارد

امام سيف في ضخامة جسمه فتقدمت ارميشة وقالت له : لا تعترض سبيل اخي سيف والا اذاقك طعم المنون ، فعرفها ارميش وقال : انت ارميشة اخت ابن عمي برق .

فقالت ارميشة : نعم ، والان اصبحت اختا للملك سيف هذا .

قال ارميش لسيف : لما قتلت ابن عمي برق لامع اثار هذا القتل غضبي عليك ، حتى هممت ان احاربك ، واقاتلك ولكني الان قد ذهب عني الغضب وذهبت ثورتي ووضعت نفسي بين يديك ابغي رضاك لتحقق رجائي على يديك ، فقال سيف : وما رجاؤك عندي ؟

فقال ارميش : ان تزوجني من ارميشة ؟ فقال سيف : ان ارميشة مؤمنة وانت لا تزال على الكفر والاشراك .

فقال ارميش : آمنت بالله ورسوله واعبد الله الاحد الذي لا اله غيره.

فقال سيف : ان مهر ارميشة هو ان تحملني الى كنوز سليمان .

فقال ارميش : احملك الى كنوز سليمان والى غيرها من انحاء الدنيا بعد ان تزوجني منها ، ولتعلم ان اسمي (ارميش المخالف) ولهذا الاسم آثار بارزة في حياتي ومعاملتي .

فقال سيف : اعلم ذلك ولا اهتم به .

تزوج ارميش من ارمشية وبعد سبعة ايام من الزواج حمل ارميش سيفا وطار به ، وبقيت انيسة مع ارميشة لتؤنسها وتقيم معها ، وبعد ايام من رحيله نزل سيف على ارض تفوح منها رائحة زكية كرائحة الكافور ، وراى سيف شيئا ابيض يشع نورا فذهب اليه فوجده رجلا يبتعد عن شاطىء نهر فناداه الرجل : مرحبا بك يا سيف .

وراى سيف محرابا تحيط به الخضرة ، ويضيء بنوره ما حوله على الامكنة ، فسأل سيف : لمن هذا المحراب يا عماه ؟

فأجابه : هو لاستاذك الخضر عليه السلام ، اما انا فاسمي (المتوكل على الله) خادم هذه الجزيرة ، وانت الى اين ذاهب ؟ فقال سيف : اطلب كنوز سليمان عليه السلام ، لاخلص خادمي عيروض من سجنه .

فقال المتوكل على الله : اذهب اليها وحدك . فقال سيف : معي مارد يقال له ارميش . فقال المتوكل على الله ارميش المخالف : اين هو الان ؟ فقال سيف : نعم هو ارميش المخالف ، وقد تركته في الوادي ، ثم ذهب سيف الى ارميش فلم يجده فرجع الى المتوكل على الله وقال له : لم اجد لارميش اثرا ولا ادري اين ذهب ، فقال الرجل : سأدلك على من يحكمه ولا يعصي له امرا ، اذهب الى هذا القصر الذي امامك وادخل على الملك (ذي العمود) واشرح له حالتك ، ستجد عنده مأربك وغايتك . ذهب سيف الى الملك فاستقبله استقبالا كريما وقال : مرحبا يا سيف لقد وصانا بك استاذنا الخضر عليه السلام واظنك اتيت شاكيا من المارد ارميش ؟

فقال سيف : نعم ، فانني تركته ينتظرني ، ولما عدت اليه لم اجده ،

فأمر الملك احد اعوانه ان يأتيه بالمارد ارميش حيثما كان، فلما جاؤوا به ووقف بين يديه قال له : الم يزوجك سيف ؟ قال ارميش : بلى ، زوجني ممن احببت فله الشكر . قال : الم يهدك الى الايمان ؟ قال : بلى ، نجاني من النار ومن غضب الاله الواحد القهار احسن الله اليه .

قال له : ولماذا هذه المخالفة والمروق عن طاعته ؟ قال : ان المخالفة من طبيعتي يا مولاي ، وقد اعلمته ذلك ، وقد قال لي : انتظرني هنا ، فذهبت عنه ، ولو كان قال لي : اذهب لا تنتظرني لبقيت منتظرا له ، فقال الملك: ان المخالفة شر ، والعلم بالشر لا يبرر اقترافه على ان احسانه اليك شفيع له عندك بترك ما طبعت عليه من المخالفة . ولهذا فالذي فعلته ضرب من ضروب الخيانة ، وجزاؤها ان تقطع رقبتك، فقال المارد : التوبة تمحو الذنوب ، وانا اعلنها توبة نصوحا ، واستجير بسيف لديك .

فقال سيف : اني المح الندم على محياه فلنعف عنه يا مولاي .

فقال الملك : ما دمت قد تبت وانبت الى الحق ، وعفا عنك الملك سيف فانني اعفو عنك رغم اساءتك اليه ، ثم امره ان يطير به الى كنوز سليمان فطار المارد بسيف الى دار ارميشة وانيسة ، ملبيا داعي المخالفة التي تجري في دمائه وناكصا عن توبته ، فسألت ارميشة سيفا : هل قضيت مآربك ؟ فقال سيف : وهل تقضي المآرب على يد ارميش هذا وهو المخالف العاصي . وحكى لها ما حصل ، فغضبت في وجه المارد ارميش وقالت : انا التي احملك الى الكنوز التي تطلبها . ثم وصت الخدم بأنيسة وحملته وطارت ، وطار من خلفها ارميش حتى اذا رأى سيف واديا يشقه غدير وبه بستان واسع الارجاء كثير الاشجار ، فأمرها ان تنزل به في هذا الوادي ليستريح من عناء سفره على ان يستأنف الرحيل في صباح الغد ، فأنزلته على سفح جبل بجوار الغدير ، فنزل سيف الى البستان للتنزه والاستمتاع بأشجاره وازهار ، فرأى فسقية اعجبته ، فجلس بجانبها قليلا فاضطجع ليستكمل راحته فغلبه النوم ولم يستيقظ الا في الصباح .

قام سيف من نومه وذهب الى ارميش وارميشة حيث تركهما فألقاهما مقتولين ، فجلس كئيبا حزينا ، لا يدري من قتلهما ، وفجأة رأى امامه اخته عاقصة فأسرع اليها كالملهوف فقال : لقد هنت عليك يا عاقصة حتى هجرتني واغفلت السؤال عني؟ فقالت عاقصة : ما تركتك وما اغفلت امرك، ولكني صحبتك أينما حللت وقد قتلت ارميش وارميشة ، لانهما كانا يتآمران على قتلك وقد كانا ينتظران قدومك من البستان ليقتلاك ولكن الله حال بينك وبينهما ، فحبسك بالنوم بجوار الفسقية ، وحبسهما بالنوم حيث نزلا ، حتى نجاك الله بقتلهما على يد اختك عاقصة .

فقال سيف : هذا جزاء كل خوان اثيم ، ثم قال لها : ما زلت طامعا في ان تحمليني الى الكنوز ، فقالت عاقصة : الطريق بعيدة وغير آمنة .

فقال سيف : لا اكلفك الا ما تطيقين ، فسيري بي ما دامت الطريق

آمنة . ناذا خفت على نفسك فانزليني واتركيني الى ربي فهو الـــذي يتولاني برعايته . فقالت عاقصة : لك ذلك ، ثم حملته وطارت به اياما ثم انزلته في الخلاء وقالت : الى هنا استطيع ان ابلغ بك يا اخي ، فكان الله في عونك . ثم ودعته وانصرفت .

مشى سيف في هذا الوادي عله يجد فيه انسانا او اثرا لانسان فلم



ارميشة تحمل سيفا وتطير به في الفضاء

يجد شيئا من هذا فأوغل في الوادي فظهر له على البعد قصر منيف قائم

على هضبة من صخر لا يتفتت ولا يلين ، فذهب اليه وكله امل فى ان يلقى احد يأنس به ، فوجد باب القصر مفتوحا فدخله وصرخ مرات عديدة هنا وهناك فلم يجبه احد ولكنه عثر في ردهة مباطة بالرخام الملون علـى اربع موائد مختلفة الالوان ، واحدة حمراء واخرى صفراء ، وثالثـة خضراء ، ورابعة سوداء ، فأكل منهم جميعا حتى اذا شبع شعر بوقع اقدام الخيل قادمة، فاختبأ في مقصورةمن القصر حتى يتبين القادم . فماذا راى وهو في مخبئه ؟

راى اربعة فرسان ملثمين ، الوانهم كألوان الموائد ، فجلس الفـارس الاحمر امام المائدة الحمراء ، والاصفر امام المائدة الصفراء ، والاخضر امام المائدة الخضراء ، والاسود امام المائدة السوداء ، ثم كشفوا اللثام عـن وجوههم ، فاذا هن بنات في ريعان الشباب ، فقالت الاولى : ان بمائدتي آثارا لغريب دخل قصرنا في غيبتنا ، وقالت الثانية والثالثة : هيا بنا نبحث عن غريمنا ، فقالت السوداء : لا نبحث عن احد حتى نأكل ، وبعد ذلك نفتش في القصر كما نشاء ، وبعد ان اكلـن قامت السوداء ودخلت المقصورة التي فيها سيف وراته ولكنها تعامت عنه ، وكأنها لم تره ، ثم انها احضرت كؤوسا بعددهن ، وملأتها شرابا حلوا ، ووضعت في كؤوس البنات الثلاث مخدرا قويا ، اما كأسها فلم تضع فيه شيئا ، ولما شربت كل بنت كأسها فغرقن في سبات عميق ، ثم رجعت السوداء الى المقصورة التي فيها سيف فقالت :

السلام عليك يا وحش الفلا ، لقد انست بك ارضنا وديارنا .

فقال سيف : وعليك السلام ورحمة الله ، ولكن كيف عرفتني بهـذا الاسـم ؟

فقالت : سمعت البارحة في المنام هاتفا يناديني ويقول : يا تكرور اذا استيقظت من نومك فاذهبي الى المقصورة التي الى يمين باب الردهة فانك واحدة فيها طلبك ، فلما استيقظت من نومي اسرعت الى المقصورة فوجدت فيها انسانا ثيابه خضر جالس على كرسي اخضر فقلت له :

من انت ايها الانسان الكريم ؟ فقال : انني انسان خصه الله بمعرفـة الغيب . فقلت : وماذا تريد ؟ فقال : اريد ان اطهرك من رجس الكفر واشرح قلبك للايمان بالله ورسله ، فشرح الله صدري وقلت : آمنت بالله ورسله . فقال : ان تابعي سيكون زوجك ، واسمه وحش الفلا سيف بن ذي يزن ، ملك اليمن ، اذهب حديث تكرور هذا عن سيف وحشته التي أحسها بعد فراق اخته عاقصة له ، فسألها عن حكايتهن في قصرهن فقالت: تعال معي لاريك ، ثم خرجا من القصر الى الخلاء ومشيا الى ان وصلا الى قصر مشيد امتد في الجو وارتفع حتى كادت شرفاته تلامس اعنة السماء، فوقفا امامه واخذت تكرور تحكي : انا والبنات اللائي تركناهن في القصر اخوات ، وأبونا الملك شيبان ، وهو من السحرة وعبدة النيران ، ورث عن

ابيه سيف آصف بن برخيا وزير سليمان بن داوود عليهما السلام ، حاول ابي ان يتقلده ليحارب به فما استطاع لانه سيف مرصود وموقوف على ملك اسمه سيف بن ذي يزن ، واذا هم به انسان على مارد من الجن قصمه وقتله في الحال ، واذا حمله انسان لا يناله اذى من كاهن او ساحر ، وقد كشف ابي بالسحر والتنجيم عن مصير هذا السيف فعلم انه موقوف لملك اليمن سيف بن ذي يزن سيستخدمه لنسخ الشرك ونشر الايمان ودين الحق بين الناس ، ثم استفتى علوم التنجيم مرة اخرى فعلم ان موعد حضـور سيف قريب وانه ربما اخذ معه احدى بناته فبنى القصر الذي كنا فيه ، واقام فيه اربعة اواوين كل ايوان لونه كلون صاحبته ، واوصانا ان نمسك سيفا ونقبض عليه اذا وطئت قدماه ارض هذا القصر ، وقال لنا : ان علامة وجوده في القصر ان يأكل من موائدكن وانتن في صيدكن ، وقد لبثنا اياما نعد طعامنا وموائدنا ونخرج الى صيدنا ، وفي ليلة جاءني الهاتف ، وهو الخضر عليه السلام ، فآمنت على يديه ووعدني ان زواجي من سيف حان موعده ، واوصاني ان اعطيه سيف آصف بن برخيا المطلسم ليقاتل به اهل الشرك وعبدة النيران ويقيم دين الحق ، ويجمع الناس عليه وان اطيعه ولا اعصي له امرا ، ولما اتيتنا تطلب كنوز سليمان واكلت من طعامنا خدرت اخوتي واغرقتهم في اغماءةطويلة حتى استطيع ان اخرج بك من مكمنـك لاعطيك السيف المحفوظ لك والذي لا تقدر على الوصول الى الكنوز الا به، وذلك ما اوصاني به الخضر عليه السلام في منامي .

فقال سيف : وهل تعرفين مكان هذا السيف ؟ فقالت تكرور : نعم ، انه في ذلك القصر الذي تقف امامه ، فسألها عن القوارير الاربعة التي معها فقالت : هذه القوارير هي لابطال اربعة ارصاد سحرية مهلكة جعلت لمن يريد ان يأخذ السيف ، صنعتها انا واخواتي على علم من ابينا وحفظتها عندي لحال يأتي أوان الانتفاع بها اذا حضرت .

فقال سيف : ان انت اعنتني على اخذ هذا السيف فلن انسى لـك صنيعك هذا مدى الحياة ، فهيا بنا الى مكانه .

دخلت تكرور وسيف القصر واستمرا صاعدان حتى كانا فوق سطحه، فأرشدته الى مكان في حائطه يقوم عنده تمثال عقرب من ذهب ، فقالت تكرور : افرك هذا التمثال بيدك ثلاث مرات فستنكشف لك رخامة عـن سلم فانزل في هذا السلم الى ان تصل الى الدرجة الاربعين واحذر ان تضع قدمك على الدرجة الحادية والاربعين فانها مهلكة ، وستجد بابا مغلقا به حلقة وسندان فاذا ضربت السندان بالحلقة ثلاث مرات سمعت قائـلا يقول : من بالباب ؟ فأجبه على الفور : انا سيف بن ذي يزن ملك اليمن فاذا انفتح الباب فادخل في دهليز ينتهي بك الى قاعة فسيحة ارضها مبلطة بالرخام الملون ، فاذا دست على بلاطة فالتزم المشي على كل بلاطة من لونها واحذر ان تدوس على بلاطة لونها يخالفها ، وفي اخر القاعة صوان مقفل

على قفله ورقة زرقاء فلا تلمسها بيدك فانها تميت كل من يلمسها ، فقف امام الصوان وقل : انا سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، فاذا فتح الصوان فخذ منه الصندوق الذهبي ، وعد الي به سريعا .

ونفذ سيف ارشادات تكرور واحضر الصندوق اليها ولما فتحه وجد فيه ثلاث قطع من خشب . فضم بعضها الى بعض فكانت قوسا فقالت : تعال معي . ونزلت به الى القصر . فوجد فيه طاووسا فسألها عنه فقالت : سعينا هذا كله من اجل الطاووس ، فارمه بالقوس ثلاث مرات على ان تصيبه بالسهم في المرة الاولى او الثانية او الثالثة ، فان رميته الثالثة ولم تصبه فانك هالك لا محالة. فاتكل على الله وثبت قلبه ورماه بالسهم الثالث فأصابه في عنقه ووقع على الارض كأنه قطعة بالية ؛ وخرج هو من الارض التي كان غائصا فيها من جراء فشله في السهمين الاولين ، ففرح بنجاته وسمع اذ ذاك هاتفا يقول : اراحك الله كما ارحتنا ، وهنئت بما اعطاك ربك.

اخذته تكرور بعد ذلك الى دهليز في القصر به سلم له اربع درجات لكل درجة لون يخالف الوان الدرجات الاخرى ، فصعد في الدرجة الاولى فضربه ثعبان احمر بذنبه فوقع مغشيا عليه ؛ فبادرت تكرور الى ما في القارورة الاولى فأراقت سائلها في فمه فأفاق من غشيته، واخذ يصعد في الدرجات الباقية وكان كلما صعد درجة ضربه ثعبان فيغشى عليه ، ولما انتهى من الصعود وجد صندوقا مقفلا امامه ، فأمرته تكرور ان يقول : انا سيف بن ذي يزن فلما قالها انفتح الصندوق عن السيف المطلسم ؛ فاخذه وفرح به ثم خرجا من القصر ومشيا يطويان القفار حتى بلغا بستانا مقفل الابواب اراد سيف ان يدخله ليستريح فقالت له : قف على اي باب من ابوابه وقل : انا سيف بن ذي يزن ملك اليمن ينفتح لك الباب .

قال سيف : ما اشارت به وفتح الباب ودخلا البستان ، وجلسا في ظل شجرة من اشجاره ومضى على جلوسهما برهة قصيرة وضعت على اعقابها مائدة من طعام شهي امامهما فأكلا حتى شبعا ، ثم اقبل عليهما بنات ورجال ومن بينهم شيخ كبير وجلسوا على الكراسي التي صفت لهم، وسيف وتكرور من بينهم ، ثم قام الشيخ وقال : اننا اليوم سعداء بوجود ضيف عظيم بيننا هو الملك سيف بن ذي يزن عدو الشر ومصلح البشر وقد كتب عليه في الازل ان يزف الى تكرور في هذا البستان ، وان اكون انا وانتم شهوده .

وعقد الزواج بين سيف وتكرور وزفوهما على جوادين مطهمين في حقل كبير دقت فيه الطبول وزمرت المزامير وفي الصباح استيقظ سيف وزوجته من نومهما فسمعا قائلا يقول: يا سيف لقد قمنا لك بما يجب علينا فلم تعد لك حاجة الى المقام في بستاننا، فخذ عروسك وارحل بها الى حيث تريد، فركب كل منهما جواده وانطلقا في القفار ، وسيف في دهشة من هذه الحال ، اذ استقبله اصحاب البستان بكل حفاوة واكرام يلقى منهم طردا ما

كان يتوقعه ، فقالت تكرور : كان هذا البستان في حكم كاهن ماهر في السحر والكهانة ، ولبث مدة من الزمن وهو لا يعتصب ، فألحت عليه الرغبة في الذرية فتزوج وكان يأمل ان يكون له ولد ذكر ، ولكن زوجته وضعت له انثى فأخذها ورماها في الخلاء ، وقتل امها ، وكانله وزير صالح فأشفق على الابنة التي رماها فاحضرها من الخلاء سرا ورباها حتى كبرت ثم زوجها من اخيه فولدت له ابنا كأنه البدر حسنا ، فقام عمه الوزير على تربيته وتعليمه الكهانة والسحر حتى مهر فيهما وفاق كل كاهن وساحر ، وفي يوم من الايام قال له عمه الوزير : ان جدك قتل زوجته جدتك لانها ولدت له انثى وهي (امك) التي رماها في الخلاء عقب ولادتها ، وقد اتيت بها من الخلاء خفية وربيتها ثم زوجتها من ابيك (اخي) فرزقت منه بك فكفلتك وربيتك وعلمتك الكهانة والسحر حتى فقت امثالك .

والان اخبرتك بقصتك وما فعله جدك بأمك وامها ، فقال الابن : يا عمي القتل بالقتل والبادي أظلم ،و سأريك ما يحل به ، ثم ركب جواده وذهب الى حيث جده الظالم (وهو لا يعلم ان ابن ابنته التي رماها في الخلاء عقب ولادتها) فجلس معه الولد وقال : ماذا فعلت بابنتك وامها ؟

فقال : قتلتهما وارحت نفسي منهما ، فقال الولد : ولم ذلك ؟ فقال: لان زوجتي ولدت لي انثى ولم تلد ذكرا فقتلت الام ، ورميت الابنة في الخلاء ، فماتت او اكلها الوحش والطير ، فقال الولد : مسكينة هذه البنت التي ما كادت تتنسم ريح الحياة في صدرها حتى حرمتها حق الوجود ونعمة الحياة وهي لم تقترف اثما ، ولماذا لم ترد البنت الى خالقها وتحكم عليه بفظاظتك وجهلك ان يبدلها لك ذكرا ؟ انك لفاجر وجاحد اثيم ، وان الذي خلق ابنتك حماها من ظلمك فسخر لها وزيرك الذي رحمها واحضرها من الخلاء سرا ورباها ثم زوجها من اخيه فولدتني وجاءت بي لاثأر لها ولامها منك . ثم نزع من راسه شعرة وتلا عليها شيئا وقال لها : كوني حربة وانفذي من صدر هذا الظالم ، ثم رماها في الهواء فاستحالت الى حربة ونفذت في صدر جده فمات لساعته ، وخلفه في ملكه وارضه وكان هذا الغلام يعبد النار كما كان يعبدها آباؤه واهل مملكته ، فمر عليه الخضر عليه السلام وجعل يعظه ويرشده الى الايمان حتى شرح الله صدره ومن تبعه وزراؤه واهل مملكته فآمنوا جميعهم ، وكان قد انبأه الخضر عليه السلام انك ستحضر اليهم وتتزوجني في بستانهم فوصاهم ان يكرموك هذا الاكرام وان يتوارث هذه الوصية الابناء عن الاباء .

واما طردهم لنا في الصباح فلانهم يحبون ان ينصرفوا الى اعمالهم ويرجعوا الى اهلهم ، وتذهب انت الى ما خرجت من مدينتك من اجله ، وليس لنا الان الا ان نذهب الى القصر الذي فيه اخوتي ، فجدا في السير حتى بلغا القصر فلم يجدا احدا ، وكان السفر قد اتعبهما فأكلا وناما ليستريحا .

لما افاقت اخوات تكرور من اغمائهن بحثن في القصر عن تكرور فلـــم يجدنها فذهبن الى ابيهن شيبان واخبرنه بما فعلته تكرور بهن فعلـــم ان غريمه قد جاء واخذ السيف ، فركب زيره النحاس وجاء الى القصر فوجد سيفا وتكرور نائمين وكانت ابنته تكرور قد استيقظت فوجدته واقفا امامها، فغمزت زوجها فانتبه من نومه وجرد في الحال سيفه وقال : من انت ؟ ولماذا جئت الينا في هذا المكان ؟ فلم يجد شيبان مخلصا الا ان يعتصم بمكره وحيلته فقال : مرحبا بملك اليمن سيف بن ذي يزن ، لقد شرفت الديار ، ورفعت من شأني بزواجك من ابنتي ، فهنيئا بك، فأشارت تكرور الى زوجها سيف ان يأخذ حذره من ابيها ولا يخدعه زخرف قوله فانه كاذب منافق ، فأشار سيف اليها ان الامر لله الواحد القهار ، ثم قال سيف لشيبان : وما الذي جاء بك الينا في هذا القصر الذي كنت قد هجرته ؟

فقال شيبان : جاءني هاتف في المنام وقال : يا شيبان ان ابنتك تكرور قد آمنت بالله ورسله فاتبعها ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، وقد علمت من علم التنجيم انك حضرت واخذت السيف المرصود لك فجئتكم راغبا في الايمان ومهنئا لك بسيف آصف بن برخيا الذي حفظته لك ، فظن سيف انه صادق في قوله ، فأجلسه بجواره واخذوا يتحادثون حتى قال شيبان : أحمد الله الذي ابقاني حتى رايتك واكرمك برجوع السيف المطلسم اليك ، وكنت اود ان اراه وأعرف شكله ومبلغ جودته ، فقـــال سيف : خذ وانظر اليه كما تشاء . ولما اخذ شيبان تظاهر بأنه يتفحصه وهم بقتل سيف ولكن السيف طار من يده وارتفع في الهواء ثم هوى عليه فشجه في وجهه ، فارتعدت فرائص شيبان واستغاث بسيف ان يحميه، وناوله السيف وهو خائف وجل ، فقال له سيف : لا تخف ، بل طهر سريرتك من الخيانة والغدر .

فقال شيبان : تبت وبرات ان اخون بعد ذلك او أغدر . فقام اليـه سيف وأصلح جرحه وربطه فقال شيبان : اشكرك ولا انسى فضلك . فقال سيف : ان الايمان الصحيح يطهر النفوس من أرجاس الذنوب ، والمؤمن من سلم الناس من لسانه ويده ، ولعل ما اصابك قد ردك الى جادة الصواب وحبب اليك الايمان ، فقال شيبان : ان اراد الله لي الايمان فلا مرد لمشيئته .

فقال سيف : اني ذاهب الى كنوز سليمان ، وتارك ابنتك في حراستك في هذا القصر وأوصيك بها خيرا حتى اعود ، واعلم ان اسأت اليها او تهاونت في خدمتها فسأخرب بعون الله ديارك وامحو آثارك .

فقال شيبان : لن تجد ابنتي مني الا كل خير . ثم ودعهما وانصرف وجاءت عاقصة وهو سائر فقالت له : لعلك اشتقت الى حمراء اليمن ورغبت ان تعود اليها ؟

فقال سيف : كيف ارجع ولا يزال عيروض في سجنه . فقالت عاقصة:

اما رايت ما فعله شيبان بك ، فخدعك واخذ سيف وهم ان يقتلك به لولا اني خطفت السيف من يده وشججت به وجهه ؟ ومن شدة خوفي عليك ادعوك الى ان ترجع الى حمراء اليمن .

فقال سيف : ليس من كرم النفس ولا من الوفاء ان اترك خادمي في سجنه ولا اخلصه ، فلا بد من اطلاقه وكشف الضر عنه وان مت في سبيله ، فاحمليني الى حيث تستطيعين . فحملته وطارت به حتى انزلته في مكان ذي زرع وقالت : لن استطيع المضي بك ابعد من هذا ، وهذه سبيلك الى كنوز سليمان واشارت اليها ثم ودعته وانصرفت .

مشى سيف في البر الاقفر سبعة ايام ، حتى اذا كان اليوم الثامن رأى منارة فذهب اليها عله يجد فيها انسانا ، فلما قرب منها وجد عملاقا جالسا طوله ستون ذراعا فحياه سيف فرد العملاق تحيته ثم سأله : من انت ؟ وما اسمك ؟ وكيف جئت ؟ فقال سيف : انا رجل من اليمن ادعى سيفا ، اسوح في الارض ، وامشي في مناكبها ، لتقاذفني البقاع والاودية حتى قادتني قدماي الى هذا المكان . فقال العملاق : وماذا تبغي من هذا التنقل والجولان ؟ فقال سيف : ابغي ان اذهب الى كنوز سليمان عليه السلام . ثم سأله سيف عن اسمه وعن اقامته وحده في هذا المكان ؟ فقال العملاق: اسمي شمرون احد عمالقة كانوا يسكنون هذه الارض ويعبدون الله وحده ولهم ملك يسمى العملاق الاكبر ، وكان فينا رجل ماهر في السحر والكهانة له اربعة اولاد يفوقونه قدرة على السحر ، وهم : ابو هايشة الفارق ، وعبد الوقود الحارق ، وعبد اللهيب الشاهق ، وعبد الدخان المارق ، غير انهم كانوا يعبدون النار من دون الله فطلبوا من ابيهم يوما ان يبني لهم مدينة في هذه الارض يقيمون فيها بدل سكنى الجبال ، فقال : هذه ارض العملاق الاكبر ، وربما منعنا وانتم تعلمون قوته وبأسه ، فقالوا : ان منعك فاقتله ونحن اعوانك عليه وفي استطاعتنا ان نهلكه وقومه بسحرنا ، فأرسل ابوهم الى العملاق الاكبر كتابا قال فيه : قد عزمت على بناء مدينة في ارضكم وتسمى باسمي ، فان رضيت فالامر بيني وبينكم صلح وسلام ، وان ابيت فالامر حرب وخصام ، ولا بد من بنائها والسلام .

فجمع العملاق الاكبر وزرائه وقرأ عليهم كتاب الكاهن قالوا : لن يكون ذلك ابدا فهو وابناؤه من عبدة النار ، ونحن مؤمنون بالله ولا ينبغي ان تقوم لهم فينا قائمة ، فاكتب اليه بذلك ونحن كفيلون بقتلهم او طردهم مهما بلغ امرهم من السحر والكهانة ، فأرسل العملاق الاكبر رسالة قال فيها :

انك انت واولادك سحرة تعبدون النار من دون الله ، ولا ينبغي ان تكونوا فينا وتقيموا بيننا على حالتكم هذه ، فان تركتم السحر وآمنتم بالله ورسله فانتم ونحن منكم ، والا فلا مقام لكم فينا والسلام على من آمن واتبع الهدى .

قرأ الكاهن الرسالة على ابنائه فثارت فيهم عوامل السخط والغضب

فوعدهم ابوهم ان يستاصل شافتهم بسحره وقام الى خلوته وغاب فيها قليلا ثم خرج منها ومعه ماء مسحور اخذ يرشهعلى ارض الوادي هو وابناؤه وقال لهم : موعدكم صباح الغد وسترون ما يحل بهؤلاء العمالقة من هلاك بفعل هذا الماء المسحور .

اخذ العمالقة من صباح الغد يسيحون في ارض الوادي : كل منهم يسعى لما خرج من اجله ، وكان ان حبست هذه الارض جميع من وطاتها اقدامهم ، فما قدروا ان يمشوا او ينتقلوا من مكانهم . ثم نزع الكاهن شعرة من راسه وشعرة من كل راس من رؤوس ابنائه وقرا عليها وقال لها : كوني سيوفا فكانت كما قال . واخذ الاب وكل واحد من ابنائه سيفا وجعلوا يقطعون رقاب العمالقة المحبوسين على الارض المسحورة حتى ابادهم ، فبنى لكل من اولاده قصرا واصبحوا حكام الارض واصحاب الكلمة فيها ، وقد جعل في كل من تلك القصور تحفظا من كل من يريدها بسوء فطلسم القصر الاول على شكل فيل اذا ركب راكب بغير سلاح ونزل به الى ساحة القتال فان الصخور تصب على الاعداء وتلفحهم النار من كل جانب حتى يهلكوا ، وطلسم الثاني الحارق وهو على صورة انسان يخرج من انفه نار تحرق الاعداء ، وطلسم الثالث (الشاهق) ويظهر للاعداء على شكل جبل عظيم يرتفع من فوق رؤوسهم ثم يهبط عليهم فيهلكهم وطلسم القصر الرابع (المارق) وهو على شكل انسان اعور اذا رمق احدا بعينه ارداه لساعته.

قال شمرون : لم يبق من العمالقة احد غيري ، والسبب اني كنت اشرف على تربية ابناء هذا الكاهن في صغرهم ، فما برحوا يذكرون ما لي عندهم من فضل ، ولهذا شفعوا لي عند ابيهم والتمسوا منه بقائي في قيد الحياة وهذه قصتي يا سيف بن ذي يزن .

فقال سيف : لن ادع هؤلاء السحرة المشركين على قيد الحياة ، وسترى يا شمرون ما انا فاعل بهم بعون الله ونصره ، قم يا شمرون وارشدني الى هذه القصور ، فقال شمرون : الارض رخوة تغوص فيها الاقدام وذلك من آثار سحرهم ، فضرب سيف الارض بالسيف المرصود فجمدت وسهل السير فيها ، ففرح شمرون بذلك ومشيا حتى وصلا الى القصر الاول فانتظر شمرون في الخلاء ودخل سيف القصر ، فوجده مبنيا من الرخام الابيض والاحمر والازرق ، ووجد فيه اربعين عمودا من المرمر، به شبابيك من فضة وفيه سرير من ذهب .

سمع سيف صياح وضوضاء كأنها قعقعة فاطل من شباك القصر فرأى ابا هايشة مقبلا على فيله ، فاختبأ في مكان من القصر بحيث يعرف حركات ابي هايشة دون ان يشعر بوجوده .

ولما اكل ابو هايشة وشرب ذهب الى سريره لينام فدخل سيف عليه وايقظه ثم جرد سيفه المرصود فلمع منه بريق ابطل جميع الارصاد التي في القصر ، وقال لابي هايشة : ما اردت ان اقتلك على حين غرة ، ولكنني



الملك سيف يرفع سيفه في وجه الهايشة

احببت ان اعطيك فرصة لتحاربني ، فقم والبس عدة حربك لتبارزني .

فقال ابو هايشة : عجبا ايها القصير الجاهل ، كيف تتحداني وقد اهلكت قبلك جنودا لا حصر لها ، وانتظر ارصاده لتسعفه فلم يجد لها اثرا فقال له : هل انت ساحر ؟

فقال سيف : انت الساحر الذي تعتمد على سحرك ، ولكني مؤمن بالله ولا أعتمد الا عليه ولا استعين الا به ، فاستغاث بالهايشة فأقبلت الى سيف تبغي اغتياله ولكن سيفا كبر الله ورفع سيفه في وجهها ففرت منه

هاربة لا تلوي على شيء وسمعت اصوات تقول : اراحك الله يا سيف فقد ارحتنا من خدمة هذا الكاهن . ففزع ابو هايشة وصاح بأعوان سيف الجان ان يحضروا لانقاذه ، فشهر سيف سيفه المرصود في وجههم مكبرا ربه ومستعينا به ، فأرسل السيف عليهم شهبا احرقتهم جميعهم فقال لابي هايشة : قد استعنت بنارك وبأعوانك وبالهايشة فلم ينفعك احد منهم ، فلم يعد بينك وبين الموت الا ضربة من هذا السيف ، ولا ينجيك الا ان تؤمن بالله ورسله ، فقال ابو هايشة : ذلك ما لا يكون ، فضربه سيف بسيفه فأطاح راسه وقال : سيكون دين التوحيد في غنى عنك وعن امثالك . ولما قتل ابو هايشة نظر سيف فوجد نفسه في الخلاء وليس من اثر للقصر ولا اشجار ولا غير ذلك ، فانطلق الى شمرون واخبره بما فعل ، ففرح وقال: الحمد لله الذي سخرك لقتل هذا الكاهن الفاجر ، فقال سيف : دلني على القصر الثاني . فحمله شمرون من فرط الفرح على كتفيه ومشى به حتى اشرفا على القصر الثاني فأنزله وانتظره ، فسار سيف اليه فلقيه صاحبه عبد الوقود الحارق فسأله : الى اين ايها الانسان القصير اسرع بالاجابة قبل ان يحل بك الموت .

فقال سيف : عابر سبيل ، فقال الحارق : وهل مررت على قصر ابي هايشة ؟

فقال سيف : مررت به وطردت الهايشة وقتلت اخاك واعوانه ، ومحوت كل اثر للقصر ، وصارت ارضه جرداء ، وجئتك الان لادعوك الى الايمان ، فان آمنت بالله ورسله حقنت دمك ، والا فعلت بك ما فعلته بأخيك .

فقال الحارق : قد علمت بأن اخي قد قتل لان كل واحد منا عنده زجاجة بها قليلا من دم اخيه وقد كتب عليها اسمه ، فاذا مات انكسرت الزجاجة وقد انكسرت زجاجة اخي ، اما الايمان الذي تدعوني اليه فلا مطمع لك فيه ، فما كان من سيف الا ان جرد سيفه المرصود وابطل الارصاد وقتل الساحر ، فجرى اليه شمرون يهنئه ويدعو له بالعزة والتأييد ، وقال : اجرأ الان ان اسير معك الى اخيه الثالث والرابع وغيرهما ممن تشاء .

فقال سيف : هيا بنا الى اخيهما الثالث ، فحمله وهرول به فرحا وكان الاخ الثالث قد عرف بموت اخويه لان زجاجتيهما انكسرتا عنده فنزل من القصر ساعيا الى معرفة ما حل بقصري اخويه حتى قتلا ، فوجد شمرون يحمل سيف فقال له : هل انت يا شمرون الذي جئت بهذا القصير الذي قتل اخوي ؟

فقال شمرون : نعم فما رايك بذلك ؟ فقال الشاهق : وهل هذا جزاء معروفنا ؟

فقال شمرون : دعك من هذا الغرور ، فقد اصبحت من اهل القبور . فغضب الشاهق ونظر الى سيف نظرة محرقة فلم يجد تأثيرها على

سيف فسأله : بماذا اوجدت نفسك ؟ فضحك سيف وقال : بكل سلامة وعافية ، فابشر مني بداهية دهماء ترسلك الى عالم الفناء ، اما اذا آمنت نجوت ولم تجد مني الا كل خير . فقال الشاهق : لن اترك عبادة النار ابدا ، فدونك والقتال . فوثب عليه سيف وثبة شجاع وضربه بالسيف المرصود فوقع يتخبط بدمه .

ثم التفت الى شمرون وامره ان يحمله الى اخيه الرابع عبد الدخان ، فحمله ولما بلغا الى القصر ، الفياه على الباب ، فقال لشمرون : احسنا اليك يا شمرون فقدت الينا بهذا القصير ، اهذا ما يفرضه عليك الاعتراف بالجميل ؟

فقال شمرون : اتيت لاثأر للعمالقة الذين قتلتموهم بسحركم ظلما وعدوانا . فنزع من راسه شعرة وتلا عليها وامرها ان تكون حربة فكانت كما امرها ولكن سيف هز سيفه المرصود فوقعت الحربة على الارض شعرة كما كانت ، فلجأ الى المكر والخديعة وسأل سيف : ماذا تريد مني ؟ فقال سيف : ان تؤمن بالله ورسله . فقال عبد الدخان : آمنت بالله ورسله ، ولكنه كان منافقا اخفى كفره واظهر ايمانه ليحمي نفسه ، فظن سيف انه مخلص في ايمانه فضمه الى صدره وفرح به ثم قال عبد الدخان : أرني سيفك هذا فقد اعجبني .

فقال سيف : حلفت يمينا الا اعطيه لاحد ، فقال عبد الدخان : أرني اذن ذبابته ، فقال سيف : ها هي انظر اليها . فأمسكها عبد الدخان — وكان قويا — وحاول ان يستل السيف ولكن شمرون اسرع وقبض بيديه على عنقه وما زال يشد عليه حتى خارت قواه فجذب سيف سيفه وشقه نصفين ، فكاد شمرون ان يطير من الفرح وقال له : هيا الى كبيرهم الذي علمهم السحر .

فلما وصلا اليه وجداه جالسا في مغارته التي جعلها مأوى له ومقاما ، وامامه النار التي يعبدها من دون الله ، فسأله سيف : ما هذه النار التي نراك عاكف على عبادتها ؟ هل تريد ان تؤمن والا اجعل دمك شرابا بسيفي هذا ؟ فقرا الكاهن ودمدم فغاضت قدما سيف في ارض المغارة وامسكته، فأخرج بسرعة سيفه فأرجعته الارض سليما معافى ، ثم تقدم الكاهن وضربه بسيفه ، وسقى الارض من دمه ، وتركه طعاما للوحوش وخرج من المغارة يحمل الى شمرون بشرى قتله ، فقال لسيف : اراد الله الخير لعباده المؤمنين فقطع دابر اعدائهم ، وما عليك الان الا ان تسير معي الى العمالقة الذين هربوا ولاذوا بالجبال خوفا من كبير الكهنة ، فسارا حتى اذا وصلا لقي شمرون احدهم فقال له : تركت اصحابك بعد ان قتلونا وطردونا فماذا تريد منا ؟ فقال : اريد ان ابشركم بأن الكاهن واولاده قتلهم هذا الغريب ومحا كل اثر لهم وابطل ارصادهم وسحرهم .

فنادى الرجل قومه فجاءوا كلهم فبشرهم بالنبأ السار وهو قتل

الساحر واولاده فطار الخبر الى ملكهم فبعث بمن يتحقق هذا النبأ فوجده صحيحا فكبر سيف بنظرهم وقال لشمرون : هذا الملك ضيف عندنا حتى نعد له مائدة الحفاوة التي تليق به بما قدمه الينا من معروف ، وكان من عادة هؤلاء العمالقة اذا جاءهم ضيف امسكوا عنه الطعام ثلاثة ايام ثـم يبالغون في اكرامه الى حد يفوق التصور فيضعون على المائدة الوان الطعام بكثرة هائلة ، فلما ابطأ الطعام على سيف صار يأكل سرا من قدحه وكـان يتعجل الطعام ايوهم شمرون انه لم يأكل شيئا ، وبعد انتهاء الثلاثة ايام دعي الى مائدة ذبحت لها عشرون بقرة وعدد كثير من الاغنام ، وألوف من انواع الطير فجلس سيف على المائدة وجعل يأكل من كل لون لقمة ، وكلما اخذ لقمة من صفحة فرغ ما فيها حتى نفذ الطعام كله ، وفرح بذلك ملك العمالقة ورغب ان يزوجه ابنته ، فاستشار في ذلك وزرائه فأقروه على رايه وحضوه على ان يعجل به ، فدعا القاضي والشهود واعلن لسيف بما رغب فيه من تزويجه لابنته ، فرضي وابرم العقد .

ولما دخل عليها وجدها من اقبح البنات في شكلها وطولها الذي يبلغ سبعين ذراعا فأصر على الهرب منها ، فاستأذنها ان يخرج لقضاء حاجته على ان يرجع اليها سريعا فأذنت له فخرج من عندها ورجلاه اسبق مـن الريح فطار عدوا الى الصحراء وجعل يحث السير حتى بعد عن المدينـة وأمسى يخيل اليه انهم لن يلحقونه او يعرفون مكانه .

انتظرته زوجته فلم يعد اليها حتى الصباح ، فهرعت الى ابيها واخبرته عما كان منه فغضب وقال : لا بد من ارجاعه وسأرسل خلفه فرسانـا يبحثون عنه ويرجعونه طوعا او كرها .

اجتهد فرسان الملك في البحث ، واطلقوا لخيلهم اعنتها حتى ادركوه وهو يجد بالسير هربا ، فألحوا عليه ان يرجع معهم الى زوجته التي تركها حزينة على فراقه فصرخ فيهم وهو ما يزال يعدو : لن اعود اليها ولـو قتلتموني فقطع احدهم غصنا من شجرة وهم بأن يضربه به فابتدره سيف وضربه بسيفه فقطع يده ، فقال واحدا منهم : احبسوه في هذا المكان حتى نخبر ملكنا بما جرى ، فلما علم الملك امر جنده ان يخرجوا اليه ويمسكوه، وكان سيف قد دخل مغارة في جبل هناك والجماعة قائمون على حراسته ، فلما حضر الملك وجنده وعلم ان سيف داخل المغارة امرهم ان يتركوه حتى يشتد به الجوع والعطش فيخرج اليهم طائعا ، وكانت عاقصة تحضر له ما يحتاج من طعام وشراب وهم لا يشعرون بذلك ، فلما ابطأ عليهم ولم يخرج امرهم الملك ان يجمعوا حطبا ويشعلوا فيه النار امام باب المغارة وحينئذ يصير بين امرين اما يخاف من النار ويخرج الينا واما احرقته النـار واسترحنا من طلبه .

ولما اشعلت النار امام باب المغارة وشعر سيف بأنفاسه تضيق رفع يديه الى السماء ، ودعا ربه ان يحفظه من هذه النار ، فما اتم دعاءه حتى اظلم

الجو واطفئت النار ونزلت على العمالقة حجارة من كل مكان ، فابتعدوا عن المغارة خائفين وانتظروا بعيدا ليعرفوا مصير سيف بعد ان اشعلوا النـــار ليقتلوه بها .

اما سيف فقد سمع مناديا يقول : اخرج من المغارة يا سيف ولا تخشى ضرا ، فقال سيف : من انت ايها المنادي ؟ فقال : انا اختك عاقصة ، فأسرع اليها وسألها عن العمالقة فأشارت اليهم قائلة : احضرت معي كثيرا من الاعوان فأخمدوا النار ونشروا عليهم الظلام ورموهم بالحجارة فلاذوا بالفرار ووقفوا بعيدا ينتظرون معرفة مصيرك قبل ان يرحلوا ، وانا التي كنت احضر لك الطعام في المغارة دون ان تراني ، فقد الزمت نفسي الا افارقك حتى أدفع عنك كل ما اقدر على دفعه من الاخطار . فشكرها سيف وذهب الى العمالقة وقال لهم : لقد اهلكت اعداءكم وأبطلت سحرهم وامنتكم في ارضكم فلم اجد منكم الا نكرانا للمعروف وتجمعتم على قتلي وتلك خيانة تستوجب عقوبتكم بالفناء العاجل ، ولكني سأكرمكم من اجل ايمانكم بالله ورسله وقد عفوت عنكم فانصرفوا الى دياركم آمنين . ثـم تركهم ومضى الى سبيله في القفار وكان قد نسي قدح الطعام عند زوجته التي هرب منها ، فطلب من اخته عاقصةان تأتيه به فأحضرته اليه وقالت: امض انت في طريقه واني سائرة خلفك ولو كنت استطيع حملك في هذه الارض لما تأخرت لانها عامرة بالمردة والجن ، فاستعن بالله والتمس منه الحفظ والتأييد ومني عليك السلام .

استمر سيف ماشيا حتى اعترضه نهر واسع فجلس على شاطئه يفكر فيما يفعله ليلج هذا النهر الى شاطئه الاخر ، ثم قام ومشى على جانب الشاطيء حتى وجد جبلا نحت فيه سلم يؤدي الى مغارة في وسطه فصعد السلم حتى انتهى الى المغارة فألفى في مدخلها حجرا كبيرا فجلس بجوار بابها يستريح فسمع من داخل المغارة صوتا ضعيفا فأزاح سيف الحجـر ودخل المغارة ليتبين من فيها فوجد شخصا مستلقيا على ظهره وليس له يدان ولا رجلان يشع النور من وجهه وليس معه في المغارة احد فقال سيف: السلام عليك فأجابه : وعليك السلام ورحمة الله ، اهلا بك يا سيف ملك اليمن ، والداعي الى نشر الايمان يا من تسير الى كنوز سليمان لنجـــدة خادمك عيروض من الاسر والهوان .

فقال سيف : من انت حتى عرفتني وما رايتني من قبل ؟ فقال : اني انسان خلقني الله كما ترى لا يدان ولا رجلان ، وقد وعدني ربي ان القاك في هذا المكان . ولبثت انتظرك مائة عام لادلك على الطريقة التي تستطيع بها ان تعبر هذا النهر الى شاطئه الاخر لتركب سبيلك الى كنوز سليمان، فنرجو لك التوفيق . فدار بخلد سيف كيف يعيش هذا الانسان هذا العمر المديد ؟ قال : لا تعجب يا سيف ، فان عمري الان سبعمائة سنة . فقال سيف : وكيف تأكل وتشرب وليسلك يدان ولا رجلان ؟ فابتسم الرجل

وقال : ان الله هو الذي يطعمني ويسقيني ، وانت تعلم ان الله على كل شيء قدير ، واعلم اني ولدت كما ترى واصر ابي على قتلي ، ولكن امي انكرت عليه رايه ولم تظهر له مخافة ان يقتلها معي ، فتضرعت الى الله ان يصرف هذا السوء عني .

وفي صباح يوم استيقظ ابي خائفا مذهولا ، فسألته امي عن حاله قال: لقد رايت في منامي رجلا ينذرني باني ان قتلت ابني هذا فسأقتل وامرني ان اضعه في مركب واسير به في هذا النهر ثم القيه على شاطئه حيث يقف المركب ولا يتحرك .

فقالت له : نفذ الان هذا الذي جاءك في المنام لتدفع عن نفسك شره وأذاه فوضعني ابي في المركب مع جماعة من اصحابه وساروا بي في هذا النهر حتى وقف المركب في هذا المكان ، فالقوني في هذه المغارة وسدوا بابها بهذا الحجر الكبير الذي رفعته بيديك ، وتركوني وهم على يقين ان الموت نازل بي في وحدتي هذه ، ولكن الله ابقاني من اجلك لادلك على الطريقة التي تستطيع بها عبور هذا النهر ، فأقم معي في هذه المغارة الى الصباح واوصيك اذا مت ان تحملني الى شاطىء النهر وتغسلني وتضعني في هذا الكفن الذي بجواري ثم تتركني على الشاطىء من غير دفن ، فان الله هو الذي يتولى دفني في المكان الذي اراده لي ، وسأبين لك كيف تستطيع ان تعبر النهر فاسمع لما اقوله لك .

وبعد ان تدرجني في كفني اجلس على شاطىء النهر واغمس فيه يدك الى مرفقها فانك تجد وتدا به ثلاث سلاسل في كل سلسلة لوح ، اما اللوح الاول فهو من المعدن ، والثاني من الفضة ، والثالث من الذهب ، فالق اللوح المعدني في النهر فانه يظهر لك في الحال فلك به شخص من النحاس ، فاركب الفلك وعلق اللوح الفضي في رقبة الشخص النحاسي ، فاذا سار بك الى الفلك ورسا بك على الشاطىء الاخر انزل منه وادفن اللوح الثالث الذهبي من مكانه في بطن شاطئه فان الفلك يحضر اليك في الحال وحينئذ تعبر عليه النهر وترجع ، وحذار الا تدفن هذا اللوح الذهبي فانك لا تستطيع السير الى ما تريد .

بات سيف عند ذلك الرجل السطيح ، ولما طلعت الشمس وجد ماء غزيرا يتدفق في جانب المغارة حتى ملأ الوادي فأقبل الرجل يعب في الماء حتى ارتوى ثم غيض الماء فابتلعته الارض في لمح البصر ، ونبت في الحال عوذ اخضر ونما واثمر رمانتين فقال السطيح : انظر الى قدرة الله كيف يخرج الزرع ليمدني برزقي ويطعمني ، وان هذا العود يثمر كل يوم رمانة واحدة ، وقد اثمرت اليوم رمانتين واحدة لك والاخرى لي : قم واحضر رمانتك ، ولا تمد يدك الى رمانتي ، فسترى كيف تأتيني وكيف اطعمها ، فأحضر سيف رمانته وجلس بجانبه وهو ينظر الى رمانة السطيح كيف تنتقل اليه ، فاذا بريح عاصف هز العود واسقط الرمانة وبعثر حباتها على الارض

فاجتمع على تلك الحبات نمل فارسي كبير الحجم فجعلت كل نملة تأخذ حبة وتسير بها حتى تلقيها في فم ذلك الرجل السطيح ، فقال الرجل لسيف : ارايت كيف يرزق الله عباده الصالحين ويطعمهم ويسقيهم ؟.

ذهب سيف الى النهر ، وفعل ما امره به الرجل وسار بالفلك حتى وصل الى الشاطىء الاخر ، فخطر في باله الا يدفن اللوح الذهبي مخافة ان لا يهتدي الى مكانه عند عودته ، وما كاد يخطو بضع خطوات حتى راى الارض قد ملئت بالهوام والوحوش فعلم انه اخطأ في اخذ اللوح فرجع في الحال ودفنه ، ونظر فلم يجد شيئا من الهوام التي كانت قد ملأت الارض وعاقته عن السير ونظر الى الفلك فلم يجد له اثرا .

وسار سيف في طريقه تدفعه بقعة الى اخرى بين الوهاد والهضاب حتى وصل الى واد كثرت الاشجار المثمرة ويشقه نهر صافي المياه سائغ للشرب ، فجلس في ذلك الوادي ليستريح ، فسمع صوتا ضعيفا يقول :



سيف يركب الفلك المسحور

(يا لطيفا بخلقه ، ويا من لا يخلف وعده ، اغثني بالملك المؤمن الذي وعدتني ان تكشف كربتي على يديه ، وارحمني بقدومه فانت خير الراحمين) .

فذهب سيف الى مصدر الصوت فوجد امراة صفراء اللون ، فلما راته عرفته .

فقالت : مرحبا بسيف بن ذي يزن ، لطالما انتظرتك ، فادفع عني ما اصابني وارحم ضعفي وقلة حيلتي .

فقال سيف : من انت يا اماه وما حاجتك ؟

فقالت : انا نادرة بنت عبد الهادي من بني الاصفر ببلدة تسمى رومية، يجاورها قوم سحرة كانوا يغزون البلدة ويأسرون الاولاد والبنات والرجال ليتخذوا منهم خدما ، وقد اخذت ملكة هؤلاء السحرة ابني واسمه القياس وسخرته لخدمتها مع من يخدمها من البنين والبنات ، فأعجبها شكله فأخذت تراوده عن نفسه فقال لها : ان نظرتي اليك كنظرة الابن الى امه، ولست اجد في نفسي ميلا الى ارتكاب المنكر ، فغضبت عليه وسحرته كلبا، ووضعت في رقبته سلسلة يجر منها ، وكانت الملكة تسمح له بزيارتي من حين لاخر قبل ان تسحره فلما انقطعت زيارته عني ذهبت اليها وسألتها عنه فقالت : انه اقترف ذنبا عظيما فسحرته كلبا عقابا له على اقترافه ذلك الذنب ، وان شئت ان اسحرك مثله . فقلت لها : ابني خادمك ، وجميعنا في طاعتك ، ويرضينا ما يرضيك . ورجعت الى بيتي حزينة باكية ، ثم سمعت في منامي هاتفا يقول : لا تحزني فعما قريب سيأتي اليك سيف بن ذي يزن ، فاذا جاءك فقصي عليه شكايتك فهو الذي ينصفك ويرد اليك ابنك سالما ، وقد بثثت اليك شكواي راجية منك ان تخلص ابني من سحره وعذابه ، فقال سيف : ارجو من الله المعونة والتأييد ، وأين هذه الملكة ؟

فقالت : انها قريبة منا مع اتباعها ، فاذا ذهبت اليهم فخذ معك شيئا من الطعام لتأكل منه ، واحذر ان تأكل شيئا من طعامهم خوفا من الوقوع في سحرهم ، فانهم قوم لا أمان لهم ، ثم ارشدته الى الطريق .

وبينما هو سائر في طريق مدينتهم لقيه رجل طويل القامة وكان من السحرة فقال له : مرحبا بك ايها الرجل القصير انت ضيفي الليلة .

فقال سيف : اشكرك فاني صائم ، فقال الرجل : انك رجل غريب فلا تحرمنا من اكرامك ، فقال سيف : لا تحلف في الطلب ، وامضي لشأنك فقال الرجل : ان ضيافتنا واجبة ما دمت لا تعرف احدا في المدينة فشهر سيف سيفه المرصود ففر من امامه يجري الى المدينة خائفا مذعورا، ومشى سيف قليلا فقابله رجل اخر في يده رمانة وقال : اهلا وسهلا ، انت ضيفي ، فقال سيف : امض يا رجل في سبيلك ، فقال الرجل : اني اريد اكرامك فخذ هذه الرمانة مني وكلها .

فقال سيف : احتفظ برمانتك فاني اعرف ما في نفسك ، ومد يده الى سيفه فخاف الرجل وهرب ، ومشى سيف حتى وصل المدينة فسلم عليه كثير من اهلها ، وعرضوا عليه ان يأكل مما في ايديهم من فاكهة فلم يلتفت اليهم ثم جرد سيفه واعمله فيهم فاجتمعوا عليه وارهقوه بعد ان قتل

كثيرا منهم ، فعلمت ملكتهم ريحانة الساحرة فجاءته وهو يقاتل في جنود لا حصر لها ، فصاحت في رجالها قائلة : كفوا ايها الاوغاد عن منازلة هذا الرجل الغريب ، وكيف تؤذون رجلا غريبا جدير بالحفاوة والاكرام (وكانت تخدع بقولها سيف ليطمئن اليها) .

فكفوا عن قتاله فاقبلت عليه وقالت : لا تخف ايها الرجل الغريب فانت في حمايتي ، فهلم الى قصري محفوفا بالاكرام ، فظن سيف انها صادقة فأغمد سيفه وذهب معها ، فاركبته جوادا وسار بجانبها حتى دخلوا قصرها ، وكان قصرا شامخا فسيح الجنات ، له اربعة لواوين بكل ليوان جوهرة تضيء ليلا ونهارا ، وبالقصر سرير من الحرير فرش بالحرير المطرز بالذهب فأجلسته على هذا السرير وقالت : انت صاحب القصر ونحن ضيوفك يا ملك الزمان ، فازداد اطمئنان سيف اليها، ثم امرت الخدم ان يضعوا امامه المائدة فلما وضعت قالت له : كل ايها الملك من طعامنا ، نسي سيف وصية نادرة بنت عبد الهادي واراد ان يأكل وفي تلك اللحظة سمع نباح كلب جعل يبصبص بذنبه ويرفع يديه ملوحا بهما في الهواء ، وينظر اليه نظرات ذات مغزى واضح فأدرك سيف ان هذا الكلب هو ابن نادرة وانه يحاول ان يمنعه عن الطعام حتى لا يقع في أحبولة سحرهم ، فعرفت الملكة ان الكلب هو الذي منعه عن ان يأكل فجعلت تضربه بالسوط حتى ادمت جسده وقالت لسيف :

لا تلتفت الى هذا الكلب ولا تعبأ بحركاته ، وكل من طعامنا . فقال سيف : ولماذا ضربتي هذا الكلب ؟ فقالت ريحانة : لانه يكره الغرباء ويمنعهم عن اكل طعامنا ، وما زالت تلاطفه وتلين له الكلام ولكنه لم يأكل شيئا ، فلما يئست قالت له : لماذا لا تأكل من طعامي ؟

فقال : لانني لست جوعانا ، فأمرت الخدم ان يرفعوا هذه المائدة ويحضروا شيئا اخر من شراب وفواكه ، فاصر سيف على امتناعه وقال : وليس من عادتي ان آكل الا من نبات الارض ، ولا اشرب الا من الانهار فقامت الملكة ودخلت غرفة خاصة بها ودمدمت فحضر لها مارد من الجن ، فشكت اليه امتناع سيف عن تناول الطعام وأمرته ان يذهب بعقله حتى يأكل من طعامها ، فقال : سمعا وطاعة ، وكان هذا المارد يسمى (بارقا القافي) نسبة الى جبل قاف ، ووعدها ان ينفذ رغبتها في الحال ، فقالت: وكيف ذلك ؟ فقال : سأدخل عليه في صورة زوجته تكرور التي يحبها وآمره بما اريد ، فقالت : افعل ما تراه ، ولما دخل المارد على سيف في صورة زوجته ناداها سيف : كيف جئت الى هذا المكان ؟ فقال المارد : علمت انك في مدينة السحرة فخفت ان تأكل شيئا من طعامهم فتقع في سحرهم ، فقد اتيت لك من عند ابي شيبان بهذه التفاحة ، فخذها وكلها يا حبيبي .

فقال سيف : واين التفاحة ؟ فناوله المارد اياها وهم سيف ان يأكلها فسمع هاتفا يقول : لا تأكل يا سيف ، فالتفت الى المتكلم فاذا بها اخته

عاقصة التي ضربت المارد ضربة افقدته وعيه ، واختطفت اخاها سيف وطارت به تاركة تفاحتهم في قصرهم فقال سيف لها : ولم ضربت زوجتي تكرور ؟ فقالت عاقصة : واين تكرور منك الان ؟ لقد دخل عليك المارد في صورتها ليخدعك حتى تأكل التفاحة وتقع في سحرهم ، كما وقع ابن نادرة التي شكت اليك امرها ، فقال سيف : ولكني جئت لاخلص ابنها من هؤلاء السحرة . فقالت عاقصة : انتظرني هنا على هذا الجبل حتى اقتل الملكة ريحان والمارد وآتيك بالولد المسحور ، دخلت عاقصة القصر ووضعت يدها على فم الملكة وامسكت رقبتها بيدها الاخرى وارتفعت بها في الجو ثم القتها على الارض فسقطت ميتة .

اما المارد فانه هرب خوفا من عاقصة ، ثم خطفت الابن المسحور ووضعته بين يدي اخيها سيف ، فسألها : الا تستطيعين ان ترديه الى صورته البشرية ؟ فقالت : سأحضر لك الان بعضا من تراب جبل الطيفور فرش به وجهه فيعود انسانا كما كان بقدرة الله العزيز الديان ، او آخذه الى الجبل كلبا ثم اعود به آدميا ، فانطلقت عاقصة بالكلب وغابت لحظة من الزمن ثم عادت به غلاما ووضعته بين يدي سيف ، فنهض الغلام وقبل يد سيف ثم اقبل عليه سيف وهنأه بنجاته .

رجع سيف وعاقصة معهم القياس الى امه فلما راته قامت اليه وضمته الى صدرها ، ثم شكرت سيفا وقبلت يده واقاموا في ضيافتها ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اشارت عليه عاقصة ان يعود الى بلاده فقال لها : لن ارجع الى بلادي حتى اخلص عيروض خادمي ، فودعته وانصرفت .

اما سيف فانه استأذن ام القياس بالرحيل فأذنت له داعية شاكرة ، ورغب القياس في ان يصحبه في سفره ، فقال سيف : يسرني ان يصحبني جميع الناس ، واخذه سيف معه ، ووصته به امه فقال لها : اطمئني فان له ما لنا وعليه ما علينا .

ثم جد سيف والقياس في السير وطال بهما حتى عطشا وكادا يسقطان على الارض ، ولكن الامل اشرق في نفوسهم وقوى عزائمهم فقد راوا طيورا تحط على الارض ، وتمكث فيها فأسرعوا اليها فاذا هم امام بركة جارية من الماء فأسرع اليها القياس وشرب منها حتى ارتوى ، واراد سيف ان يشرب ولكنه راى القياس قد تحول طيرا وارتفع في الجو وقال : مني عليك السلام فاني عائد الى القصر الذي خرجت منه .

وجاءت على الاثر عاقصة وقالت : لا تشرب من هذه البركة فانها مسحورة وقد رايت ما حل برفيقك القياس بعد ان شرب منها كيف عاد طيرا وطار ، وانا معي لك ماء وطعام ، فشرب سيف من ماء اخته واكل من طعامها ، ثم سألها عن هذه البركة ، وعمن سحرها فقالت : في هذه البقعة ساحرة كافرة تسمى عيهونة ولها من الجن والاعوان كثيرون يطيعونها ولا يعصون لها امرا ، وقد علمت منهم ما حل بالملكة ريحانة ابنتها ، فسحرت

هذه البركة لتجعل كل من يشرب منها طائرا يطير بجناحيه ، واوعزت الى اعوانها من الجن ان يسوقوه اليها ، وهذا رفيقك القياس سبقك وشرب منها فطار اليها وهي الان تعذبه ، فرجاها ان تخلصه ، فقالت : على شرط الا يصحبك وان يعود الى امه .

فقال سيف : لا مانع عندي ، ولكن انقذيه رحمة بامه ؛ فمضت عاقصة حتى اتت الملكة عيهونة في حجرتها ، وكتمت انفاسها وارتفعت بها في الجو، ثم القتها على الارض فسقطت ميتة ثم اختطفت القياس وكانت عيهونة ارجعته الى صورته وعادت به الى اخيها وقالت : اغمس سيفك في البركة ليبطل سحرها فلما غمسه هربت أعوان الجن الذين كانت الملكة قد اوكلت اليهم امر هذه البركة ، فقالت عاقصة : الان نظفت البركة من كل سحر ورصد فاشربوا منها الان ما تشاؤون .

ثم قالت : ان طريقك الذي ستسلكه مرصود ، ولا يسير فيه اثنان الا مات احدهما ، فاسلكها انت وحدك ولا تعرض القياس الى اخطارها ، والا ثكلته امه وكنت انت السبب ، وانت ايها القياس لا طاقة لك بتحمل هذه الاخطار فارجع الى امك ولا تفجعها بموتك بعد ان فرحت بحياتك . وخاف سيف على القياس من تلك المهالك فأمره ان يرجع الى امه معه ؛ فسلم القياس ورجع الى امه وكذلك عاقصة سلمت على اخيها وانصرفت .

فاستأنف سيره حتى اذا مضى عليه سبعة ايام وجد بعدها مدينة أسوارها عالية وأبوابها مفتحة فدخلها وجعل يدور فيها الى ان وقف امام حداد فجعل ينظر ما يصنع ، فسأله الحداد : أانت غريب عن هذه المدينة؟

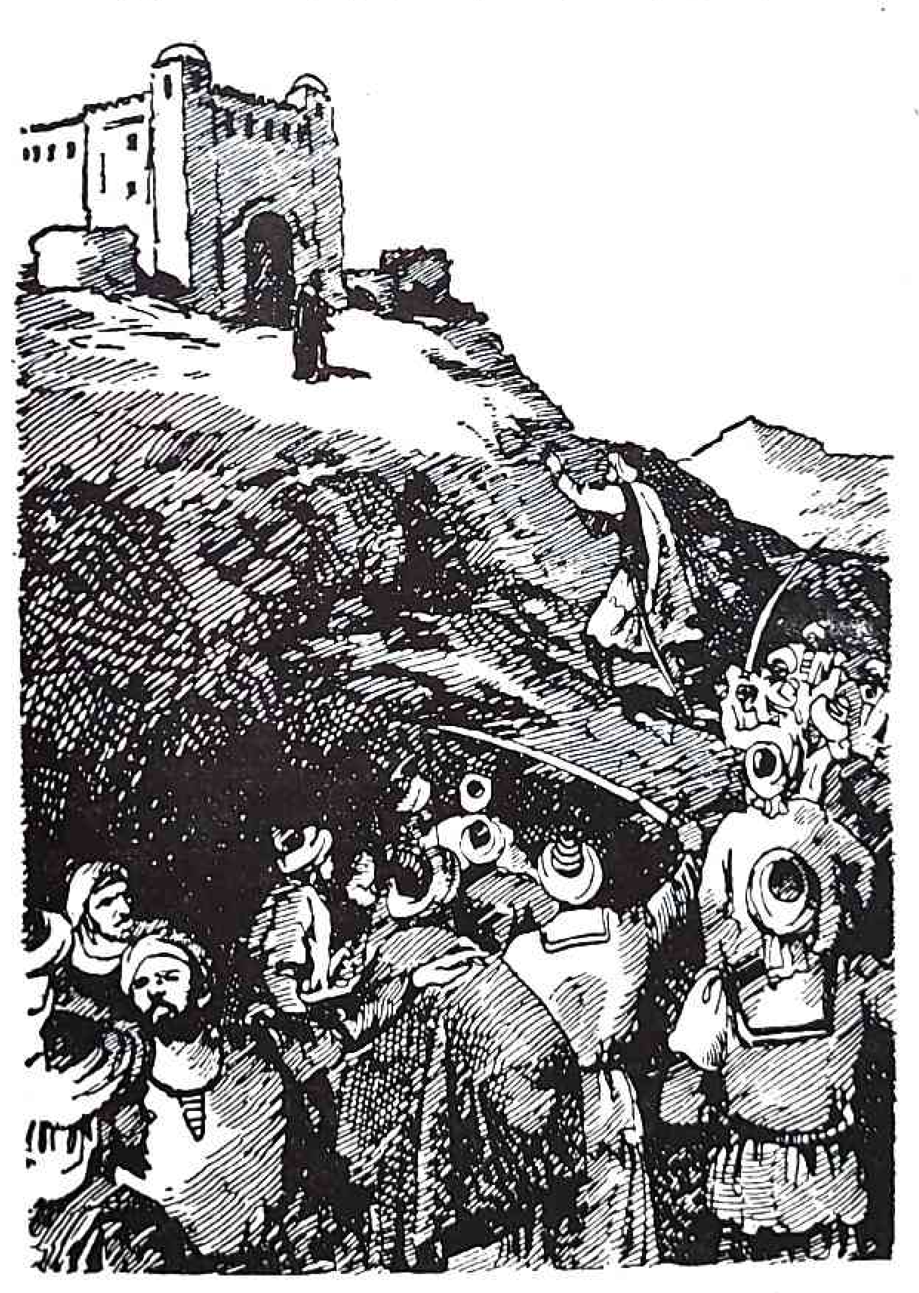
فقال سيف : نعم ، انني غريب يا عماه .

فدعاه الى الجلوس عنده فجلس وما لبث غير قليل حتى راى جنودا متجمعة امامه تريد ان تقتله ، فأخرج سيفه من غمده وجعل يحصدهم حصدا وهم لا ينفضون من حوله حتى ارهقوه ، فسمع صوتا يناديه : ادن مني يا غريب وكان هذا الصوت من قلعة عالية على راس جبل فشق طريقه اليها حتى كان امام بابها فدخلها واغلق الباب وراءه ، وبقي الاعداء محيطون بالقلعة .

وكان الذي ناداه من القلعة شيخ كبير عليه سمات الصالحين المثقفين فسلم عليه ، فرد الشيخ السلام وقال : اهلا بك يا سيف ، فسأله سيف عن اسمه . فقال : انني سيرين الطالب ، ولي في هذه القلعة اربعون عاما انتظر قدومك وقد آمنت على يد الخضر عليه السلام وهو اوصاني ان أعينك وانصرك على اعدائك واوصلك الى حيث تريد ، فصار الاعداء ينادون على هذا الشيخ ان يخرج لهم الغريب من عنده فقال لهم : ان الغريب دخل حوزتي ولا سبيل لكم اليه ، فأخبروا ملكهم بما قاله الشيخ فاغتاظ وسكت لانه لا يرد للشيخ قولا .

واكرم الشيخ سيفا ثم قال له : لن تصل مدينة الرياض التي تريدها

الا على متن الفلك الذي ركبته عند السطيح ، ثم اخذه الشيخ ونزل به من القلعة وقال : اغمض عينيك يا سيف واخط ثلاث خطوات . ففعل سيف ما امره ثم قال : والان افتح عينيك ففتحها فاذا هو على شاطىء البحر ، فجلس عليه وقرا الشيخ شيئا مما يحفظه فاذا الفلك قد ظهر امامهما . فامره ان يركب فيه ، فقال سيف : اني ارغب ان تكون معنا عاقصة . فناداها الشيخ فجاءت ملبية مسلمة ، فقال سيف لها : اني شغلت بأهلي ورعيتي ، واحب يا اختاه ان تطيري الى حمراء اليمن ثم تعودي الي بأنبائها ، فذهبت ثم رجعت وقالت : ان الملك سيف ارعد جمع جموعه وجاء لقتالكم ، وتصدى له أبناؤك دمر ونصر ومصر ، ولكن لم يقع بينهم حرب الى الان ، واما تكرور زوجتك فان اباها يعذبها عذابا شديدا لانها يسرت لك سبيل الحصول على



سيف يلجأ الى قلعة الشيخ سبرين والاعداء يتبعونه

السيف المرصود ، فرغب سيف ان تحفظها من عند ابيها وتجيء بها اليه ، ففعلت وجاءته بها ، فضمها اليه وجعل يواسيها .

وعند الفجر استقل سيف وزوجته والشيخ الفلك وسار بهم الى ان رسا على الشاطىء الاخر فنزلوا منه وجلسوا على الشاطىء قليلا ، فقال الشيخ : قم انت يا سيف وامض الى مقصدك ، والله سبحانه وتعالى يعينك ، ولو كنت اقدر ان ارافقك ما تأخرت ولكني سأحضر من يحملك، ثم نادى يا شهاب فحضر في الحال عون من اعوان الجان فأمره ان يحمل سيفا ويطير به الى حيث يريد ، فطار به وانزله في بستان وقال له : الى هنا ولا استطيع ان اسير بك ، وودعه وانصرف .

بات سيف ليلته في البستان ، وفي الصباح خرج منه وجال في الفضاء الذي حوله حتى أشرف على نهر مركب فيه عشرة رجال ، فطلب اليهم ان ينقلوه الى البر الثاني فقالوا : لا نستطيع الى ذلك سبيلا . ففي هذا البر تقوم مدينة الرياض وفيها البستان المطلسم وقد منعنا الحاكم على الارض التي في البر الثاني ان نقترب منه . فقال : ولكني ما جئت من بلادي الا لهذا البستان فانقلوني اليه وانا افتحه . فقالوا : وكيف تقدر على فتحه وقد فشل قبلك الوف ولم يجسروا على فتحه والاقتراب منه ، فهو مرصود ولا يقربه انسان ، وقد انشأ هذا البستان ارفجة وزير سليمان بن داوود عليهما السلام ووكل بحراسته الى رهط من الجن ووصى غلفالا اكبر خدمه من الجن ان يدفنه في قبره الذي بناه قبل وفاته فلما مات دفنوه فيه .

فقال سيف : وما اسم ملككم هذا ؟

فقالوا : علم النصر ، فقال لهم سيف : ان كان ملككم راغبا في فتح البستان فاني اقدر عليه . فقالوا : ينبغي لنا اذن ان ننقلك الى البر الثاني ونخبر الملك بأنك تستطيع فتح البستان ، واعلم انك ان فتحته كنت من اعز الناس على مليكنا .

فانطلق الرجال جميعهم في صحبة سيف الى حيث الملك وهناك قصوا عليه قصة سيف ، فالتفت الى سيف مبتسما وقال له : احق ما يقولون ايها الرجل ؟

فقال سيف : لا يخامرك ادنى شك ، فاني بعون الله افتحه ، فقال الملك ان فتحته فأنت شريكي في ملكي ونعمتي ، وبالغ الملك في اكرام سيف ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع قال الملك : هيا الى البستان لنرى كيف تفتحه ، فقال سيف : سأفتحه بعون الله وفضله ، وكان الملك ووزراؤه وكبراء دولته يتبعون سيف بن ذي‌يزن حتى اذا وصلوا امام الباب اخرج السيف المرصود وضرب اقفال الباب فانفتح وبطلت الارصاد وهرب جميع من كان فيه من اعوان الجن ، ودخل الملك سيف ومن معه البستان فوجدوا اشجارا مختلفة وازهارا وانهارا جارية ، فنسوا انفسهم وجعلوا يطوفون في انحائه معجبين به ، حتى اذا انتصف النهار كان سيف وصحبه قد وقفوا

امام القصر الذي في البستان وهم سيف ان يدخله فخوفه وزير الملك واعلمه انه مرصود وفي حراسته كثير من مردة الجان ، وقد مضى عليه مدة من الزمن دون ان يجسر احد على قرع بابه . فقال سيف : انني سأدخله ومن تصدى لي قتلته بسيفي هذا ؛ ثم ضرب الباب بالسيف فانفتح وصاح على الاثر مارد من داخله قائلا : يا اهل هذه الديار ان الذي اتاكم سيف بن ذي يزن ملك اليمن الذي اهلك اهلّ الكفر الذين يعبدون النار من دون الله الملك الجبار ، وما كان لاحد غيره ان يملك القدرة على فتحه وطرد المردة الشياطين منه .

فصاح الملك واتباعه مرحبين مهلكين مكبرين واخذ سيف الى ديوانه باحتفال منقطع النظير دقت فيه طبول النصر وعزفت الموسيقى ثم اجلسه على عرش ملكه وقال : لقد فعلت ما فعلت ما لم يفعله احد من قبلك ، فابطلت عمل السحرة وارصادهم وطردت المردة الشياطين ، واخشى ان تتركنا فتعود الينا الارصاد والسحر والمردة على اسوا حال ، ولا يكون مصيرنا اذ ذاك الا الفناء والتشريد ، ولهذا فأنت مليكنا حتى تطهر البلاد وتأمن العاقبة ، والامر بعد ذلك اليك ، فاما ان تبقى فينا ملكا ندين بطاعتك واما تعود الى بلادك فأقم فينا نائبا عنك ، فرضي سيف الاسلام ان يقيم عنه حاكما فيهم حتى يطمئنوا ، فنشر العدل واصلح شؤون الدولة ، وكانت ايام حكمه فيهم ايام نعمة ورجاء.

وذات يوم جاء جماعة من التجار وقالوا : نحن مؤمنون بالله ورسله فلا ينبغي ان يسطو علينا اهل جزيرة الكلبيين ، ويخطفوا اولادنا واكلوها ، ولهذا نلتمس ان تأمروا ببناء سور عال للمدينة يحمينا منهم ، فاستدعى سيف علم النصر وسأله عما يطلبه هؤلاء التجار ؟ فقال : ما حدثوك الا بالحق ، وما وقع احد منا في يد اهل هذه الجزيرة الا قتلوه واكلوه ، ولا نستطيع ان نحمي انفسنا .

فقال سيف : سيكون لاهل هذه الجزيرة مني ما يريد الله ، وامر باعداد المراكب لغزوهم ، وذلك بتحميلها ما تستطيع من آلات القتال والجنود ، وان يكونوا عند البحر في صباح الغد ، فلما جاء الموعد ذهب الملك سيف وقال لهم : اني ذاهب لغزو جزيرة الكلبين فهل انتم على استعداد ؟ فقالوا : ليس لنا طاقة بأهلها ، لانهم اشداء ، ومن اكلة لحوم البشر ومنهم اناس على صورة الكلاب .

فقال لهم سيف : اذا نقلتنا المراكب الى البر الثاني المؤدي الى جزيرتهم فانتظروني فيها وسأسير اليهم وحدي ، فان رجعت اليكم فذلك من فضل الله ، وان اكلوني فارجعوا الى مدينتكم وكأنكم ما رايتموني ولا جئت اليكم، فرضوا بذلك ونقلتهم المراكب الى الشاطىء الاخر في جزيرتهم ، فودعهم سيف وذهب لوحده وتركهم عند الشاطىء ينتظرونه فلما غاب عن انظارهم رجعوا الى مدينتهم معتقدين بأن سيف لن يرجع اليهم ، وكان علم النصر

قد وصاه ان ياتي معه ببعض الحجارة المتجمدة مما يسيل من عيـــون الوحوش . واستمر سيف يتقدم حتى نزل بواد تتوسطه بركة من الماء اقيم في منتصفها عمود مطلسم من الرخام يحمل غزالة مطلسمة من الرخام ، فوقف عند هذه البركة قليلا واذا بعشرين من الكلبيين يأتونه قائلين : هذا غذاؤنا اليوم . فسل سيف سيفه وابتدرهم بضربة فجندل منهم احد عشر رجلا وفر الباقين الى ملكهم شمراخ ، فعجب ان يغلب رجل قصير عشرين رجلا فيقتل احدى عشر رجلا ويهرب الباقون من وجهه ، ثم سار اليه في جنوده واتباعه فانقض سيف عليهم وهم لا ينفكون عنه لكثرتهم ، واستمر القتال ثلاثة ايام حتى تعب سيف وخارت قواه واستطاعوا حينئذ ان يمسكوه ويقيدوه ويضعوه امام ملكهم شمراخ . فسأله الملك : من انت ؟ ومن اين اتيت ؟ فلم يجبه سيف بكلمة فقال : خذوه الى المدينة وهناك نفعل به ما نريد ، فلما كانوا بالمدينة امرهم الملك ان يقيدوه ويسجنوه في مكان حصين، وان يوكلوا حراسته الى رجال اشداء وجوههم كوجـــوه الكلاب حتى لا يستطيع ان يهرب منهم .

ولما جن الليل نام الحراس وغطوا في نومهم ، فدعا سيـــف ربه ان يخرجه من سجنه ويصرف عنه كيد اعدائه ، واذا بشخص قادم اليـــه يمشي على يديه ورجليه ، يتجه نحوه بخطوات خفيفة فانتظر سيف وارتقب ما يصنع هذا القادم فاذا به يذبح الحراس ويفك قيود سيف ، ويخلي سبيله ، ويرشده الى الطريق الذي يسلكه لينجو بنفسه ، وكان هـــذا الشخص المرأة التي اجارها سيف وعفا عنها وكانت قد سارت معه حتى تطمئن على نجاته فسألها عما دفعها الى معونته وخلاصه من سجنه فقالت: اعلم اني ملك النزهة واخت الملك علم النصر الذي اعطاك ملكه وكان لي ابن لم ارزق غيره اعتراه مرض اشرف به على الهلاك فسألت اهل المعرفة عن شيء يشفيه فقالوا لا يشفيه الا ان يستحم في هذه البركة المرصودة ويشرب منها ، فلما جئت به اليها هاجمني الكلبيون واخذوه مني واكلوه ، ولولا اني استجرت بهم لاكلوني معه ، ولكنهم اشفقوا علي فأبقوني بينهم لاخدمهم، فاقمت عند كبيرهم الذي حماني وكفلني ، ولبثت فيهم كلما ظفرت بأحدهم قتلته خفية دون ان يشعر بي احد منهم .

فقال سيف : الا تحبين ان ترجعي الى بلادك وتستريحي ؟

فقالت : لن ابرح هذه الارض حتى لا يبقى من هؤلاء الكلاب احد او توفيني منيتي، فودعها سيف ومشى حتى وصل لاخر الوادي فلقيه صيادان يحمل كل منهما شبكة ومعهما سمكة كبيرة فقالوا له: نحن صيادان اصطدنا هذه السمكة التي تسمى الجذع وهي شهية اللحم فصيحة اللسان وكنا اردنا قسمها بيننا ولكن لما وجدناك جعلناها لاحدنا يأكلها وانت للثانـــي يأكلك ، فقال سيف : وكيف تاكلاني وانا انسان مثلكما ، فقالا : لا مفر لك من ذلك ، فسر معنا الى مغارتنا ، فمشى سيف مع الصيادين وهو يبدي

لهما من الذلة والمسكنة ما طمانهما اليه ، فمضيا الى شأنهما على ان يعودا اليه في المساء فيأكلاه .

فقال سيف للسمكة : هل تحبين الكلام حقا ؟

فقالت السمكة : نعم ايها الملك .

فقال سيف : وكيف وقعت في ايديهم ؟

فقالت السمكة : ذلك قدر الله لا مرد له .

فقال سيف : سأردك الى البحر بعون الله وقوته .

وقام الى باب المغارة وفتحه ، ثم حملها على ظهره الى البحر والقاها فيه ، فأخرجت راسها من الماء وقالت : اللهم خلص هذا الانسان كما خلصني وكن له عونا ، واكتب له من كل ضائقة مخرجا ، ثم غطست واختفت ، وسار سيف في الصحراء واوغل فيها ، ولكنه راى من خلفه عشرين رجلا جادين في طلبه ، وكانا الصيادان لما علما ما فعله بالسمكة تبعاه بثمانية عشر رجلا حتى ادركوه ، وهجموا عليه يريدون اكله ، ولكن سيف مزقهم بسيفه ، وقتل منهم اثني عشر رجلا ، وفر الباقون مسرعين لا يلوون على شيء .

ولما فرغ منهم استانف سيره ، فوجد جيشا جرارا من خلفه مقتفيا أثره . وكان هذا الجيش للملك شمراخ ، خرج به وراء سيف بعد ان اعلم انه هرب ، وان حراسه قد قتلوا ، فاستعان سيف بالله ولقيهم وجعل يجز بسيفه الرقاب ويبقر البطون ويشق اجسامهم شقا ، حتى اذهل ملكهم شمراخ واستمر القتال طوال النهار والليل ، فلما تعب وظن انه واقع في ايديهم القى بنفسه في البحر مؤثرا ان يموت غريقا على ان يقع في ايديهم .

فما كاد الماء يبتلعه حتى قيض الله من رفعه وحمله على ظهره فذكر الله تعالى وقال : من الذي يحملني ؟ فسمع صوتا يقول : انا السمكة التي نجيتها من ايدي الصيادين .

فقال سيف : وكيف عرفت انني سألقي بنفسي في البحر ؟

فقالت السمكة : امرني الخضر عليه السلام ان امكث في هذا المكان من البحر حتى اذا نزلت فيه بادرت اليك وحملتك . دار هذا الحديث والسمكة سائرة به كالريح حتى طلع الى جزيرة الصفا وكان قد جاع فأخرج قدحه واكل وشرب ثم نام ليذهب عنه تعبه ، ولما صحا من نومه اخذ يمشي في هذه الجزيرة ظانا انه افلت من الملك شمراخ ، ولكن هذا الملك لم يسكت عن طلبه فعبر البحر الى الفلك بجنوده وادركوه ماشيا في الجزيرة وحده ، فأدرك سيف ان الخطر محدق به فأسلم امره الى الله واعتمد عليه ، وانقض عليهم بسيفه شبه النمر الكاسر واستمرت الحرب قائمة ثلاثة ايام وهو يقتل فيهم وهم لا يصيبونه وكانوا يأكلون من يقتل من جنودهم .

وفي صبيحة اليوم الرابع وجد جيشا جرارا قادما من بعيد وهم يهللون بالتكبير وهجموا على الكلبيين يعاونهم سيف حتى اهلكوهم وولى من بقي

منهم هاربا .

كان هذا الجيش جيش الملك علم النصر ومعه وزيره حسان الذي طهره ايمانه من الوسواس والريب على يد سيف بن ذي يزن .

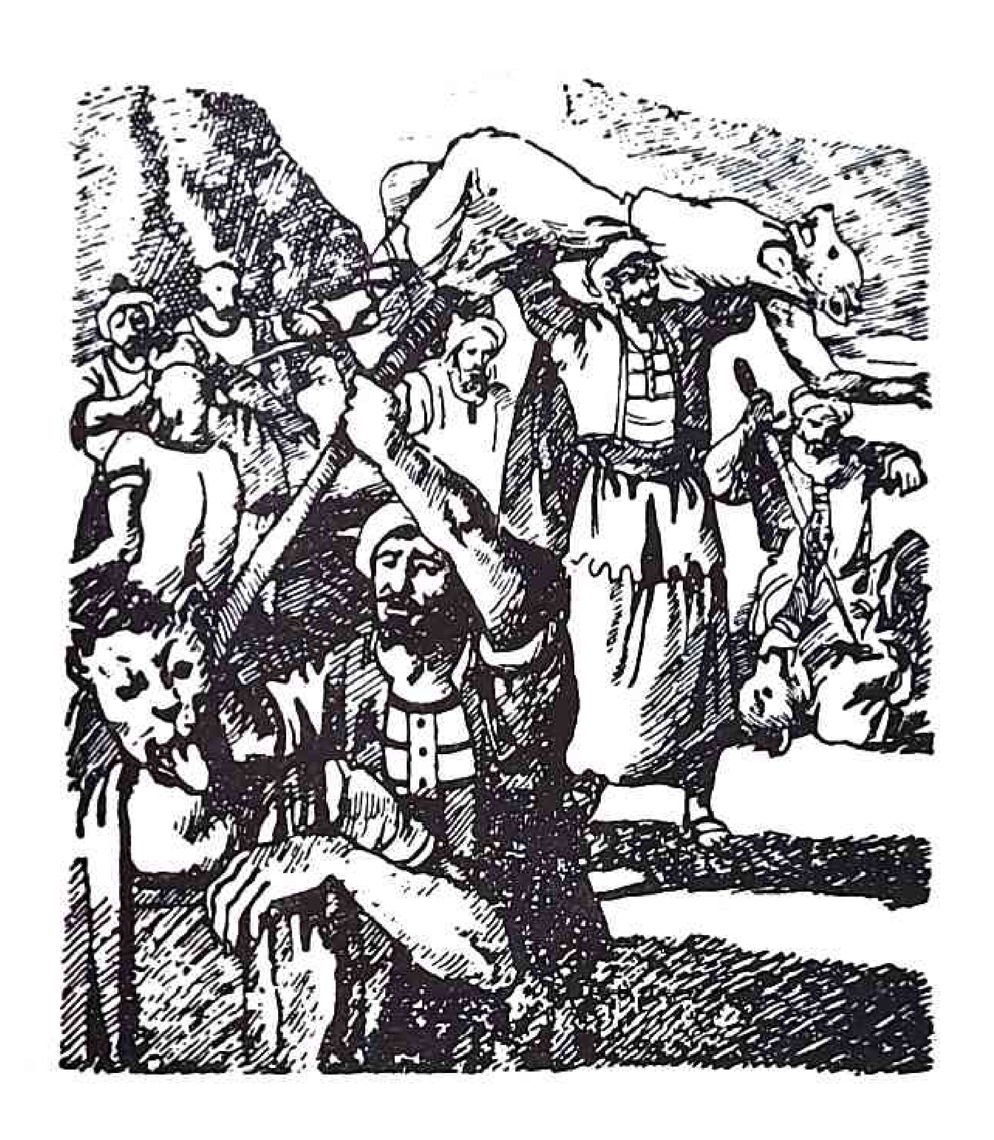
ولما اجتمع الملك علم النصر بسيف قال له : كنا نود ان تقيم فينا حتى نقضي على هؤلاء الاعداء من الكلبيين .

فقال سيف : لم يبق منهم الا عدد قليل فلا تكف عن غزوهم حتى لا يكثروا والله سبحانه وتعالى مؤيدك وناصرك ، واما انا فلا استطيع المقام فيكم لاني خرجت من بلادي لاخلص خادمي وهو محبوس عند كنوز سليمان، ومن الوفاء لخادمي الا اغفل عنه حتى اخلصه من سجنه ولو قضيت في ذلك نحبي .

وابدى الوزير حسان رغبته في السفر معه الى جزائر الكافور ، فأعد فلكا به ما يحتاجون اليه من زاد وشراب وأثاث ، واخذ معه قائد الفلك وكان ماهرا بالسفر في البحار وركب ثلاثتهم وسار الفلك بهم ، وبعد مسيرة ثلاثة ايام وجدوا الماء كالبرق وانقلب لون الجو الى حمرة وراوا على البعد منهم جبلا عاليا ، فسأل سيف قائد الفلك : اين نحن الان ؟

فقال : نحن مشرفون على الهلاك لان الجبل الذي تراه امامك هو جبل المغنطيس وهو الان يجذب اليه مسامير الفلك فتحل اجزاؤها وتغرق، ولكني استطيع ان احتال لنجاتنا ، وقام من فوره ونزع المسامير التي من الحديد ووضع مكانها مسامير من خشب ، ثم سار الفلك بهم وهم آمنون ، ولكنهم انزلقت بهم الى مجرى ضيق مظلم تحت الجبل ، وسارت بهم وهم في هذا الظلام في وجل وخوف من مصيرهم ، ثم عجل الله لهم بالفرج ، فخرجت الفلك من تحت الجبل وبان لهم الفضاء بضيائه ، فأرسلوا فلكهم وطلعوا الى البر يريحون انفسهم من هذه المخاوف وهذا البلاء فراوا بيوتا من الشعر وحولها بعض من الرجال والنساء والبنين والبنات ، فمشوا اليهم فرحين فاستقبلوهم قائلين اجرنا يا ملك الايمان ، فقال سيف : من انتم ؟ وكيف عرفتموني ولم تروني من قبل ؟ فقالوا : نحن ننتظرك هنا من مدة سنوات، وذلك ان الملك شاذلوخ ملك هذه الارض ارسلنا الى جهة نقوم بأعمال فيها له ، فلما رجعنا لم نجد المدينة فكأنها قد خسفت بها الارض في مكان سحيق ، فضربنا بيوتنا هذه من الشعر واقمنا فيها حتى كانت ليلة من الليالي سمعنا هاتفا يقول :

لا تحزنوا فان الفرج قريب منكم ، وسيكون خلاص مدينتكم على يد الملك سيف بن ذي يزن ، فقال سيف : ومن اذهب مدينتكم ؟ وما السبب في ذلك ؟ فقالوا : كان للملك شاذلوخ ثلاثة من الكهنة كان كلفهم ان يصنعوا له شيئا يفتخر به على سائر الملوك ، فقال كبيرهم : سأصنع لك جوادا من الياقوت له نور يضيء السهل والجبل ، ويكون اسرع من البرق، وقال الثاني : وانا سأصنع لك صورة صغيرة لهذا الحصان لها قضيب من



سيف وأعوانه يقاتلون الكلبيون

الياقوت والزمرد الوهاج ، وقال الثالث : اما انا فسأصنع له السرج واللجام .

فقال الملك : افعلوا ما شئتم ، فصنعوه ووكلوا امره الى خادم يقال له : برق وقد فرح الملك وانعم عليهم ، وكان فخرا له بين الملوك وكان بجوارنا مدينة تدعى الزهرة وملكها يسمى زهرا وعنده كاهن ماهر في السحر فقال له : ان للملك شاذلوخ جوادا لا نظير له عند احد من الملوك، فقال الكاهن : ارسل في طلبه فان اهداه اليك كان خيرا له ، والا كان لنا سبيل اخر معه ، فأرسل الملك زاهر كتابا الى الملك شاذلوج يطلب فيه حصانه ، فلما ناوله رسول زاهر الكتاب قراه ونهض شاذلوج من فوره وقتل الرسول وقال : كيف يطمع زاهر في حصاني الذي هو عندي أعز من نفسي ؟ ان هذا لافتراء وغرور اعمى .

ولما انتظر زاهر رسوله ولم يعد سأل كاهنه عنه فقال : لقد قتله

شاذلوخ فلا تحزن لاني عولت على قتل كهنته الثلاثة ، ثم احضر ثلاث قطع من جلد الغزال ورسم على كل قطعة صورة كاهن وكتب على جانب الصورة اسمه ، ثم جعل يقرأ عليها ويدمدم ثم قطع بالمقص رقاب الصور فمات الكهنة لساعتهم ، فاستراح زاهر قليلا وقال : اود ان تصنع مكيدة اخرى للملك شاذلوخ فقال : كما تريد ، ودخل الى خلوته واحضر اعوانا من الجن وامرهم ان يهبطوا بالجبل فوق المدينة ، وان تمر المياه من فوقها ، بحيث لا يصاب اهلها بسوء ولكن يباتون كأنهم محبوسون في الارض ، وفوقهم جبل ونهر وقد نجا من لم يكن حاضرا بالمدينة حينذاك وضربنا هذه البيوت من الشعر واقمنا فيها .

ولما انتهى الراوي من حكايته سمع سيف مناديا يقول : اخرج يا سيف من هذا المكان حالا والا قتلت وخسرت حياتك .

فأسرع سيف الى النهر بعد ان ارشدوه الى الطريق المؤدي الى مدينة الزهرة مدينة الملك زاهر وكاهنه .

ركب سيف في فلكه وسار به حتى وصل الى مدينة الزهرة ليلا فوجد ابوابها مغلقة فرقد بجانب احد ابوابها حتى الصباح فاستيقظ واراد الدخول فسمع شخصا يصيح قائلا : يا اهل مدينة الزهرة افيقوا من غفلتكم واستعدوا لما سيصيبكم ، فقد اتاكم سيف بن ذي يزن ليقتل ملككم وكاهنه وليهدم دياركم ، ولقد دخل مدينتكم فهبوا اليه واقتلوه .

نهض الملك زاهر في جماعة من جنده وطافوا بالمدينة باحثين عنه فلم يجدوا له أثرا ، فأحضر كاهنه وقال له : ماذا ترى في ذلك الصوت ؟ فقال الكاهن : لا ريب ان ما سمعتم به حق ، فقال زاهر : احضره الينا فقد اعيانا البحث عنه ، فقام الكاهن الى خلوته واستحضر عونا من الجن وامره ان يأتيه بسيف الذي دخل المدينة فقال الجني : ليس لي عليه سبيل ، ولا اقدر ان ادنو منه لانه معه سيف اصف بن برخيا وهو مرصود ، ولا يمكن لاحد من الجان ان يدنو منه ، فقال الكاهن : اذن ارنا مكانه فقط ، فقال العون : ولكني سأعود ادراجي عندما تصلون اليه ، فقال الكاهن : متى وصلنا اليه فامضي الى حيث شئت .

وكان سيف قد التجأ الى مغارة هناك عندما سمع النداء الذي يحرض اهل المدينة عليه ، فلما دلهم العون على مكانه اقبل الملك زاهر في جنده ونادوا : يا سيف لن يفيده اختفاؤك ، وما انت بناج منا .

فأمسك سيف سيفه بيده وخرج اليهم متوكلا على ربه الذي يحميه وينصره ، وخاض في جموعهم بسيفه وصار يقتل فيهم طيلة ذلك اليوم الى غروب الشمس حتى كلت يداه وبطلت حركته فأمسكوه وكتفوه وكان قد اغمد سيفه فأخذوه منه وحاولوا ان يخرجوه من غمده ليضربوا به عنقه فحبسوه الى الصباح .

وفي جوف الليل توسل الى ربه ودعاه ان ينجيه ، فلاح له شخص

يزحف على يديه ورجليه ، فحل وثاقه وقال له سر معي يا سيف ، فقال سيف : من انت ايها الرجل ؟ فقال : انا وزير الملك زاهر ، وقد آمنت بالله ورسوله وجئت لانقذك من ايدي هؤلاء القوم بعد ان كنت احرضهم على قتلك قبل ان يمن الله علي بالهداية والايمان .

قال سيف : وما سبب ايمانك ؟ قال الوزير : لقد جاءني في المنام شيخ فقال : ألمْ يأن لك ان يخشع قلبك لذكر الله ؟ اني أبشرك بنجاتك من عذاب النار فاذهب الى سيف واقرأه مني السلام وبلغه انك آمنت بالله ورسله ثم فك وثاقه وخلصه من سجنه ، فاذا سألك عني فقل له : الشيخ جياد فان لم يصدق فأعطه سيف آصف بن برخيا دليلا على ما قلت ، لان هذا السيف لا يقطع الا رقاب الكافرين ، وها هو ذا السيف، فأخذه سيف وفحصه فعلم انه هو وانه صادق فيما اخبره به فقال : واسمك ايها الوزير ؟ فقال : كانوا يدعونني عبد النار ، ولكني دعوت نفسي منذ اللحظة عبد الله ، فقال سيف : مرحبا بك يا عبد الله ، ثم قال سيف: اريد ان لا اخرج من هذه المدينة قبل ان اقتل الكاهن ، فهل لك ان ترشدني عليه ؟ فأخذه الوزير اليه وكان غارقا في نومه من شدة سكره ، فأيقظه سيف ودعاه الى الايمان ، فأعرض واستكبر فضربه بالسيف وشقه نصفين ، وتركه بجانب ملكه الذي كان يغط في نومه ، ولما استيقظ الملك زاهر من نومه راعه ان يجد الكاهن غارقا في دمه ، وقد انشق جسمه نصفين فقال : من فعل هذا بكاهني ؟ فقالوا : ما شعرنا بأحد فطلب وزيره فلم يجده ، ثم طلب سيف فلم يجده ، فأدرك ان هذا من تدبير وزيره ، فقال الملك : اني لن اسكت عن طلبهما ، ونادى في جنوده ان هبوا سراعا وراء الوزير والرجل الغريب حتى نمسكهما ، وخرجوا وراء الوزير وسيف حتى ادركوهما ، فقال سيف للوزير :

عليك ان تحمي ظهري وعلي انا ان ابيدهم ، فقال الوزير : ما كنت جبانا يوما من الايام ويسرني ان اموت شهيدا ، وسأخوض معك غمار الحرب ونذيق الاعداء الموت الزؤام .

وقامت حرب طاحنة بين الوف مؤلفة من جنود الكفر وبين سيف ورفيقه عبد الله ودامت يوما وليلة كان سيف ورفيقه ينثران الرؤوس ويلقيان الرعب في صفوف الاعداء فشعر سيف ورفيقه بالوهن يدب اليهما وبينما هما كذلك رأيا جيشا قادما اليهما حيث خاض المعركة فاشتدت منهما العزائم . فقتل الملك زاهر فلما رأى جيشه ان الملك قتل طلبوا الامان فقيل لهم : لا امان الا بالايمان فانقسم الجيش الى قسمين : قسم آمن ونجا، وقسم اعرض عن الايمان فكان مصيره الموت الزؤام ، وكان هذا الجيش للملك شاذلوخ ، وبعد مدة يسيرة جاءهم رجل يجر من خلفه جوادا ، فسلم وحيا وقال : ايكم قتل الملك زاهر ؟ فقال سيف : انا الذي قتلته ، فان كنت عدوا له فقد اراحك الله منه ، وان كنت صديقه وتريد اخذ ثأره

فدونك والقتال ، فقال الرجل : لا هذا ولا ذاك ، انما هذا الجواد لمن قتله، فاقبله مني فانه حق لك .

فقال سيف : لن اقبله منك حتى اعرف قصتك ، فقال الرجل : لما قتل الملك زاهر ابني (عقاب الحرب) صاحب قلعة السنبلة اخذت جواده هذا واعتصمت في الجبال اعبد الله وجعلته هبة مني لمن يقتل زاهر ، فلما علمت انك انت الذي قتلته اتيت به اليك ، وهذه قصتي ، فقبله الملك سيف واراد ان يقدم له هدية مماثلة ، فقال الرجل : لقد غمرني فضلك بقتلك من قتل ابني ، وليست لي رغبة في الدنيا وزينتها الا ذكر الله وعبادته ثم حياهم وانصرف .

اعجب سيف بالجواد فاستأذن من الملك شاذلوخ ان يركبه حتى يعلم مدى عدوه وسيره ، فلما ركبه طار به كالريح ، واستمر يعدو حتى قارب شاطىء البحر ، فمشى نحوه وظن سيف ان الجواد عطش ويريد ان يشرب ، ولكن اندفع بقوة الى البحر وغطس فيه فنزل سيف عنه وهو في الماء وجعل يسبح محاولا ان يدنو من الشاطىء ولكن التيار السريع حال دون ذلك وحمله معه الى جزيرة فخرج من البحر اليها ، وعصر ثيابه ثم لبسها ومشى يأكل من فواكه اشجارها ويشرب من عذب مياهها ، حتى راى قصرا يناطح السحاب ارتفاعا فقصد نحوه فوجد الباب مغلقا فنام امامه نوما ثقيلا لشدة تعبه .

كان هذا القصر لراضية بنت الملك زاهر ، وكان قد خطبها عقاب الحرب صاحب قلعة السنبلة مع ملوك وابناء ملوك كثيرين غيره ولكن اباها كان يحبها فبنى لها هذا القصر واسكنها فيه بعيدة عن الناس .

ولما فتحت باب القصر جارية من جواريه وجدت سيفا نائما ، فأيقظته فلم يتحرك ، فظنته ميتا ، ورجعت مسرعة الى سيدتها وقالت لها : بباب القصر رجل غريب وعلى ما اظن انه ميت ، فنزلت اليه راضية مسرعة وقبلته فألفته حيا لم يمت ، فأمرت ان ينقل الى القصر في مكان دافىء وان يضعوا على اطرافه ماء ساخنا ، ولما احس سيف بالدفء سرى دمه في جسده وانتبه فقال :

اين انا ؟ ومن انتم ؟ فقالت راضية : من انت ايها الرجل ؟ ومن اين اتيت ؟ فقال سيف : جئت مع بعض التجار فغرق بنا الفلك ودفعتني الامواج الى البر فسلمت وحدي من الغرق .

فقالت راضية : وما اسمك ايها الرجل ؟

فقال : اسمي عبد الله .

فقالت له : مرحبا يا عبد الله ، وامرت بالطعام فحضر ، فأكل سيف حتى شبع ثم جلسا يتحدثان فدخلت جارية لتستأذن لرجل يدق الباب، فأذنت له بالدخول ، فلما وقف بين يديها قال : قتلت الجنود وخربت الديار ، وقتل ابوك الملك زاهر .

فقالت : ومن قتله ؟
قال : قتله رجل غريب يدعى سيف بن ذي يزن وقد استولى على المدينة ولم يبق منهم الا من آمن بالله ورسله .
فقالت : يا جبان ، كيف تهرب من الحرب وتأتيني هنا ؟ ثم امسكت قوسها ورمته بسهم في صدره فوقع صريعا ، وكان هذا الرجل والد عقاب الحرب الذي اعطى الجواد الى سيف ، فأقام سيف عند راضية وهو يخفي امره ولا يبديه لاحد ، وفي يوم من الايام ، راوا القصر محاطا بجيوش لا حصر لها ، وكان هذا الجيش للملك شاذلوخ ، فانه سأل الكهنة عن سيف وعدم عودته فأعلموه بما جرى واخبروه عن مقامه ، ثم سألهم عن الرجل الذي وهب له الجواد ؟ فقالوا له : انه احد جنود الملك زاهر ، وقد اعطاه الكهنة هذا الجواد ليهبه لسيف ليأخذه الى البحر ويغرقه ، وقد لقي هذا الرجل جزاؤه ، فقد ذهب الى راضية ابنة زاهر واخبرها بموت ابيها فرمته بسهم في صدره فأردته قتيلا .
ثم ارسلت راضية الى الملك شاذلوخ تسأله عن مجيء هذا الجيش ؟
فقال للرسول : لقد دخل قصركم رجل غريب كان غرق في البحر وقد قذفه الموج الى جزيرتكم ، فان اخذناه رحلنا عنكم بسلام ، والا فسنذبح من في القصر ولا نبقي على احد . فعاد الرسول وبلغها ما سمع، فقالت : وما شأنكم بهذا الغريب ؟ ثم سألت سيفا قائلة : بحق دينك هل انت الذي قتلت ابي ؟ فقال سيف : نعم انا الذي قتلته ، فقالت راضية: ما عليك من بأس ، وما اسمك ؟ قال : اسمي سيف بن ذي يزن ملك اليمن .
قالت راضية : لا ريب ان دينك حق ، فلقد نجاك ربك الذي تعبده من هذه الشدائد ، وانا قد آمنت بالله ورسله ، والان انت تعلم انني بعد موت ابي اصبحت وحيدة ، فهل ترضى ان تأخذني معك واكون زوجتك ؟
فقال سيف : اما من جهة وحدتك في قصرك فلا بأس عليك ولا خوف ما دمت تعبدين الله حق عبادته ، اما الزواج فلا استطيعه الان لانني مسافر لغاية في نفسي ، ولو كنت في مدينتي ما تأخرت عن الزواج منك وقد اقسمت الا اتزوج في اثناء سفري لما ينالني من مشقة وتعب .
ثم عرض على جواريها ان يؤمنوا فآمنوا جميعهم وخرج معها الى الملك شاذلوخ والتقوا في سلام ووئام ، وقص عليه ما جرى له ففرح الملك بإيمان راضية وجواريها ، ثم ابدى لها رغبته في الزواج منها فوافقت وتم الزواج ورجع الجميع الى مدينة الملك شاذلوخ ثم عرض الملك على سيف ان يقيم معه على ان يكون سيف ملكا وشاذلوخ وزير له فقال : لو اردت المقام ما برحت دياري ولكني ذاهب الى كنوز نبي الله سليمان .
فقال شاذلوخ : وسأمنحك هدية تنفعك في سفرك وهي حصان من الياقوت الاحمر ، ذو لجام من ذهب ، وسرج محلى بالجواهر الكريمة ،

وركاب من الياقوت . فأعجب سيف بهذا الحصان وقبله وفرح به .
وفي الصباح ودعهم سيف وغادر المدينة طائرا على ظهر الحصان الى وجهته هذه وقد اشتد به التعب واضناه فوجد خيمة منصوبة رش مـــا حولها بالماء وفرشت ارضها ببساط من الديباج ، ووقف امام بابها غلام امرد ، فجاء بالسلام ، فرد الغلام التحية وقبل يده واجلسه فيها ثم احضر له المائدة فاكل حتى شبع ثم اضطجع ونام ، ولما استيقظ سأله : لمن هذه الخيمـــة ؟
فقال الغلام : هي لك يا مولاي ، وستجدها كلما نزلت ، واما انـــا فرصد جوادك برق البروق الياقوتي ، وابي يملك الربع الخراب ، من اول جبل قاف الى كنوز سليمان عليه السلام ، وكل مكان حللت فيه يحضر لي اعوان كل ما احتاج اليه .
فقال سيف : ما انت الا نعمة انعم الله بها علي ، ثم استأنف مسيره وركب الحصان الياقوتي ، ولكن رائحة الكافور قد احدثت في راسه دوارا كما ان طول السفر ومشقة الطريق قد اجهداه فنفق الحصان ومات .
فحزن سيف عليه حزنا شديدا ثم استأنف مسيره حتى اشرف على جبل مرتفع فجاءته عاقصة وقالت : لقد سبقتك الى كنوز سليمان ، وانت الان في بلاد الكافور ، وقد قتلت برق البروق ولم يبق امامك الا الشيء اليسير ، وستنال ما خرجت في طلبه في وقت ليس بالبعيد ، ثم ودعته وطارت ، اما هو فانه بات ليلته في هذا المكان ولما طلع الصباح جاءه فارس وسأله : من اي البلاد انت ايها الرجل الغريب ؟ فقال سيف : من ملك الله وأرضه . وماذا تريد مني ؟ فقال : انا السيسبان ملك هذه الارض وابي الزلزلخت كان قد صنع قبل وفاته حصانا من خشب الزلزلخت هذا ، وقد رايت البارحة في منامي رجلا يأمرني بالايمان ، ويطلب مني ان اعطيك جوادي هذا ليقطع بك ارض الكافور ، فانتبهت في الصباح من نومي فلم اجد احدا غيرك ثم قال : وهذا الخاتم لك ايضا فضعه فـــي اصبعك . فشكر له سيف هذا الصنيع وبات معه يعلمه الدين ، وبعد اربعة ايام بلغ وادي النور ، وملكه يسمى فارسا وهو مؤمن بالله ورسله ، وكان وزيره منافق يخفي كفره ويظهر ايمانه واسمه ليث العلاة فاستقبل الملك سيف وسأله عن سبب قدومه فأخبره انه متجه الى كنوز سليمان فقال : اظن ان هذا الزلزلخت جواد السيسبان ؟
فقال سيف : نعم . فاستأذنه ان يركبه فاستحى منه واذن له ، ثم اخذ منه الخاتم ووضعه في اصبعه وركب الجواد ، فاذا به يرتفع فـــي الجو تابعا رصده حتى كاد يلامس السحاب فقطعت منه الاوصال وهوى في البحر ذراعه الايمن الذي فيه الخاتم وتبعه الجواد وضاع الملك والجواد والخاتم على مرأى من الحاضرين . وهكذا فقد سيف حصانه وخاتمه وسار حتى انتهى الى واد زرع فيه قصبا فجعل يسأل نفسه : ما هذا الزرع ؟



الحصان الياقوتي المسحور يطير بسيف

فسمع صوتا يقول : امضي لشأنك ولا تهتم لشيء مما تراه ، فهذا شهر الكافور والعنبر ، وهذه الارض هي ارض المعادن والاحجار الكريمة ، وكان القائل اخته عاقصة .

فسار حتى انتهى الى واد اخر تنبعث منه رائحة المسك الازفر ، ورأى فيه عمودا من نور يمتد بين السماء والارض جعله الله دليلا على كنوز سليمان عليه السلام ، وبه عين جارية ماؤها ابيض من اللبن والذ من الشهد وعليها رجل طوله مائة ذراع فسأله الرجل : من انت ؟ فقال : سيف بن ذي يزن جئت قاصدا كنوز سليمان عليه السلام ، ثم حكى له قصته ولم يترك منها شيئا فقال الرجل : ان ايمانك بالله سهل لك العسير ، وسأدلك على الطريق : سر بحذاء هذا الجبل فان وجدت منعطفا فسر فيه مسافة فرسخين فتجد واديا فسيحا لا نهاية له ، وهناك كنوز سليمان عليه السلام .

ولما بلغ سيف ذلك الوادي شاهد بركة واسعة الاطراف بها سمك من النحاس الاحمر والاصفر والابيض ، فوقف متعجبا من هذا السمك

والوانه فأقبل عليه رجل طويل القامة وحياه بالسلام ، فرد عليه تحيته وقال : كنت انظر الى هذا السمك فهل تعرف شيئا عنه ؟ فقال الرجل : هذه البركة يرجع عهدها الى عصر النبي سليمان عليه السلام ، وهـــذا السمك طلبته السيدة بلقيس ، فدعا سليمان ربه ان يخلق لها ما طلبت فاستجاب الله دعاءه وانه على كل شيء قدير ، ثم تركه الرجل ومضى الى شؤونه ، وبات سيف على حافة البركة حتى يأذن الله له بما يشاء .

وفي الصباح وجد اخته عاقصة باكية حزينة ، فدهش لبكائها وسألها عن سبب بكائها ؟ فقالت : اخشى ان تكون شربت من هذه البركة . فقال: ما مددت يدي اليها ، وما وصل فمي قطرة منها ، فقالت : الحمد لله لقد ذهب عني حزني وخوفي عليك ، وناولته الطعام والشراب فأكل وشرب وحمد ربه ثم انصرفت .

صعد سيف في الجبل حتى وصل الى الكنوز فوجدها على شكـــل الاهرام مختلفة الوانها ، فمنها الابيض والاحمر والاصفر والاخضر والازرق ويصل بعضها ببعض سلسلة من الحديد وبالسلسلة لوح من الفضة عليه نقش كدبيب النمل وبينها مصطبة تربع عليها عفريت ضخم الجثة اسمـــه كيهوب تحت امرته عفاريت لا يحصى لهم عدد ، وكلهم في طاعته وخاضعون له ، وفي يده اليسرى مفاتيح وفي يده اليمنى قضيب لا يقل وزنه عن مائة قنطار ، وفي يد كل عفريت قضيب على قدر طاقته وقوته .

وكيهوب هذا حارس الكنوز ، وهو الذي حبس عيروض .

ابصر عيروض وهم يضربونه سيف بن ذي يزن مقبلا فصاح بهم قائلا :

ادركني يا سيدي وانقذني من هذا العذاب الاليم ، فالتفت كيهوب فراى شخصا مقبلا نحوه ، فأمر أعوانه ان يأتوه به حتى يحبسه مع رفيقه، فطار اليه ما يقرب من خمسة الاف عفريت ، فلوح لهم سيف بسيفـــه المرصود فتطايرت منه شهب محرقة افنت كثيرا من هؤلاء العفاريت ، فرجع الباقون الى كيهوب وجلين خائفين وحكوا له بما فعله القادم بهم لانه حامل سيف يفح لهيبا كلهيب جهنم ، فقام اليه كيهوب حتى وصل اليه فهم سيف ليجرد سيفه فقال كيهوب : مهلا يا هذا ، ولا تجرد سيفك حتى تعلمني من انت ومن اين جئت .

فقال سيف : انا سيف بن ذي يزن ، جئت من مدينة حمراء اليمن، لاغراض ثلاثة ، اولا لانظر كنوز سليمان عليه السلام ، وثانيا ان آخذ حلة السيدة بلقيس ، وثالثا ان اخلص خادمي عيروض الذي حبستموه عندكم ويدعى عيروض فقال كيهوب : حدثني عن حسبك ونسبك وقصتك من اولها الى اخرها . فذكر له كل شيء ، فقال كيهوب : ان كان ما ذكرته حقا فحاجتك مقضية فلقد وصتنا السيدة بلقيس ان حلتها لمن حدثتنا عنه، وعزز صدقك عندنا الخال الذي اراه في وجهك ، فقد جعلته بلقيس امارة الى باب الكنز ، فقرع سيف حلسه فقيل من الداخل : من الطارق ؟

فقال : سيف بن ذي يزن بن اسد البيداء بن بهلول بن حمير بن كوش بن سام بن نوح عليه السلام .

فانفتح الباب وبان لكيهوب صدقه ، وقبل يده وقال له : ادخل ولا خوف عليك . دخل سيف الكنز فوجد فيه من الجواهر والذهب والفضة ما لا يحصيها عد ووجد سريرا اسدلت عليه ستائر لؤلؤ فسمع قائلا يقول: الحلة على السرير فخذها يا سيف وعد من حيث اتيت . فوجد صرة مطعمة بالجوهر والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر فأخذها سيف ورجع ، ثم وجد عيروض فحل وثاقه واخذه معه ؛ ثم سلم على كيهوب وودعه عائدا الى بلاده .

فجاءت عاقصة حينئذ وهنأته بسلامته وقضاء مأربه ، ثم قالت : اعطني الحلة يا اخي ، فاني احب ان اراها .

فقال سيف : الحلة لك ان قبلت الزواج من عيروض فما رايك ؟

قالت : ان عيروض لم يحضرها ، ولا تعب في الحصول عليها ، بل انت الذي تعبت في خلاص عيروض واحضار الحلة ، فأي فضل لعيروض بعد ذلك ؟ لقد جاء الى الكنوز والقى نفسه في السجن ، لولا انك خلصته لبقي في سجنه حتى يموت . فقال سيف : لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وقد جاء عيروض الى الكنوز معرضا نفسه للمخاطر والمهالك من اجلك فما ذنبه اذ بلغ سعيه حد العجز ، ووقع في يده غرمائه فسجنوه . اليس ما بذل من جهد وما لقي من مشقة كاف ؟ فقالت عاقصة : ولكني احب ان آخذ الحلة الى ابي واعلمه برغبة عيروض في الزواج منه ، وان كان لا فضل له في احضارها .

فقال سيف : خير الكلام ما قل ودل ، فان رضيت بالزواج منه فخذي الحلة والا فلا سبيل لك اليها ، فغضبت عاقصة وطارت . فقال عيروض: لماذا اغضبتها يا سيدي ؟ فنحن ما احضرنا الحلة الا من اجلها ، وربما رغبت ان تستوثق من انها لها هي حتى لا تشك في امرنا وتظن انها مكيدة دبرناها . وجعل عيروض يلح على سيده ليعطيه الحلة ، فقال سيف : خذ الحلة وتول انت تدبير امرك ، فان اخذتها منك وابت ان تتزوج منك كنت انت الجاني على نفسك ، ولا تنتظر مني بعد الان ادنى معونة . ثم ناوله اياها ، ففرح عيروض وحمل الحلة ونشط طائرا خلف عاقصة ليدركها ، وسار سيف وحده ثلاثة ايام ، وفي اليوم الرابع لقي في سبيله جيشا جرارا فسألهم سيف من انتم ؟

فقالوا : نحن قوم من الجن آمنا بالله ورسله .

فقال سيف : ومن كبيركم ؟

فقالوا : كبيرنا مرعش بن ونهش واخذوه اليه وعرفه سيف باسمه ثم سأله عن هذه الجيوش الكثيرة فقال مرعش : لقد خرجت بهذا الجيش لقتال ملك كافر يقال له : الازرق وكان هذا الملك قد بغى على والدي ونهش وساق

اليه جيوش ليحمله قسرا على ان يعطيه خراجا كل عام .

استمرت نيران الحرب مندلعة سنة كاملة وهي تأكل رجال الطرفين اكلا ، وما استطاع عفلق ابو الازرق ان ينال شيئا من دنهش ، وذات يوم دخل على عفلق شيخ ذو لحية طويلة بعين واحدة وشفتين كمشفري الجمل وبدين طويلتين فابتدره عفلق سائلا : من انت ايها الشيخ ، وماذا تريد ؟

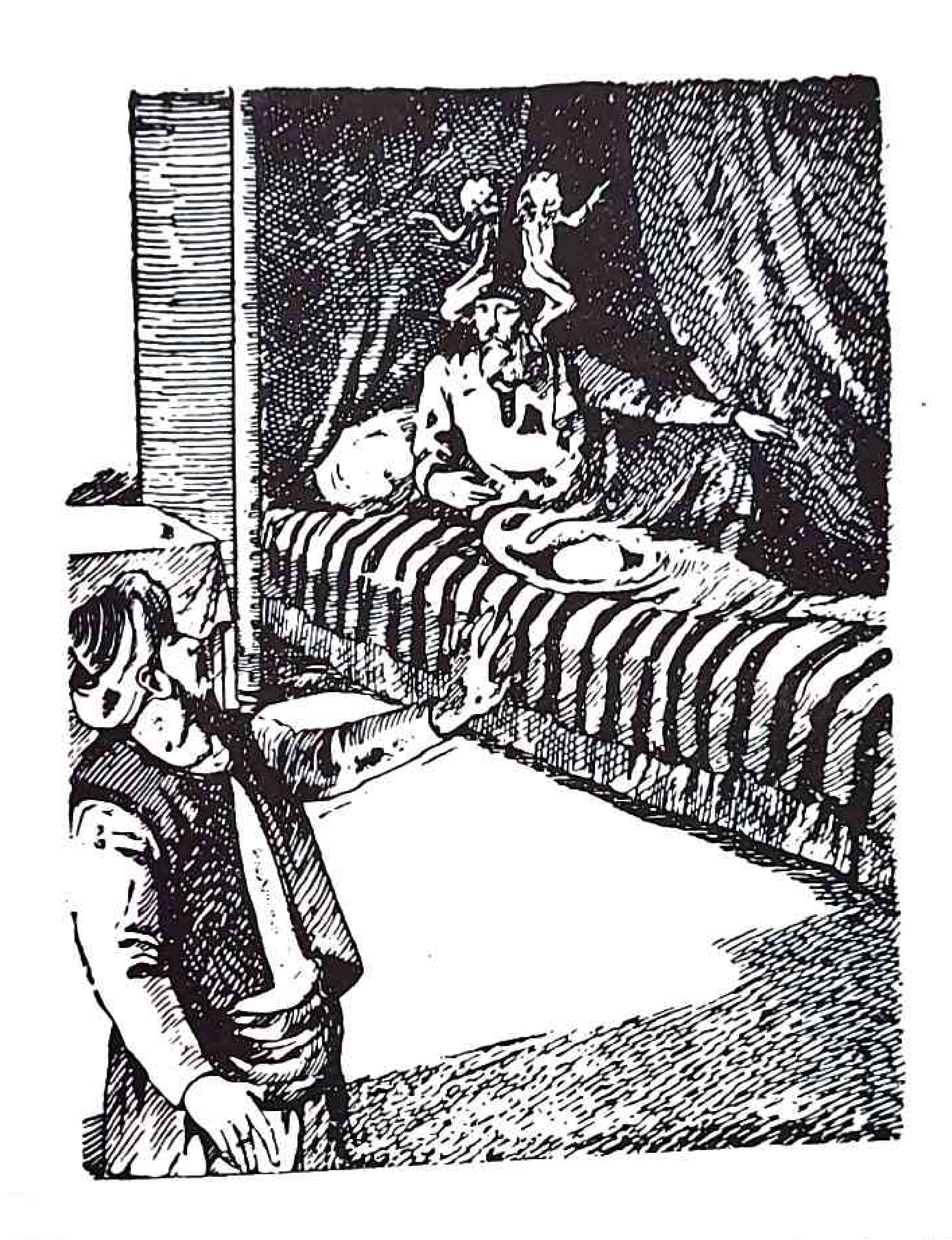
فأجاب : انا ابليس ، جئتك في امر يهمك ، ولك فيه الخير . فقال عفلق : ومتى كنت يا ابليس تسعى للخير ؟ فقال ابليس : انه شر على غيرك وخير لك . فقال عفلق : يا للعجب ، فقل ما تريد يا ابليس . فقال ابليس: ان دنهش هذا احد اولادي ، وقدعلمت انه عصاني وآمن بالله ورسله ، واخشى ان يكثر اتباعه ففكرت ان احتال لهلاكه وجئتك ليكون لك علم بما سأفعله . ثم اختفى ابليس من امامه .

جمع ابليس الفا من اولاده ، وامرهم ان يقتلوا دنهش غيلة وغدرا ، فذهبوا اليه واخذ احدهم حجرا كبيرا وضرب به راس دنهش وهو نائم فشجه فأنزل الله صاعقة من السماء جعلتهم ترابا واراد الله بذلك ان تكون دية جني مؤمن بألف جني من الكافرين .

لما مات دنهش اضطربت جنوده وخارت عزائمهم ، وعميت ابصارهم فأصبح عفلق يستطيع ان يهزم ويستولي على اسلابهم واموالهم ؛ وحمل جنود دنهش نبأ وفاته الى مرعش ، وكان صغيرا فاستعان بوزير ابيه ، فطمأنه ووعده ان يدبر حيلة لقتل عفلق ابو الازرق كما قتل والده .

جمع الوزير الفا من الجن وقال لهم : انطلقوا الى مدينة عفلق غير محاربين تظاهروا بأنكم تسعون الى ارزاقكم بالخدمة في قصر الملك ، وقصور الكبراء من خاصته وتغلغلوا بين اهل المدينة من تجار وصناع وغيرهم لتكونوا على علم بشؤون الملك وشعبه ، وعلى ضوء هذا العلم تسلكون السبيل الى اغتياله ، وكونوا على صلة فيما بينكم وحافظوا على الكتمان ما استطعتم .

واتفق ان بعض التجار ثاروا على الملك فأمر بحبسهم وانتهز هؤلاء الفرصة ففتحوا للتجار ابواب السجون ليلا فطلعوا منها ناقمين على الملك ثم ذهب الجن الى الملك وذبحوه وذبحوا من شاءوا من الموالين وطاروا الى مرعش وبشروه بما كعلوا ، فأعلن مرعش في الصباح انه استطاع ان يأخذ بثأر ابيه وقتل عفلق ملك مدينة المرمر ، ثم بلغ ابن عفلق ما اذاعه مرعش فعلم انه قاتل ابيه ، واخذ يعد العدة للانتقام منه ، وكان عنده جواسيس لمرعش فطاروا وبلغوه ان ابن الازرق يستعد لقتالك ، ليثأر منك لابيه ، فاستشار وزراءه فيما يفعله فقالوا : من الصواب ان تهجم عليه في عقر داره . ونحن مؤمنون وهم كافرون ، والله ولي عباده المؤمنين وسيؤيدنا بنصر من عنده ، فأناب عنه احد الوزراء وسار هو الى مدينة ابي الازرق، فلقي في طريقه الملك سيف وقص عليه قصته ، فقال له : خذني معك والله



يخلق ما يشاء ويختار .

وحطوا رحالهم على مسيرة نصف يوم من مدينة المرمر ، وارسلوا الرواد لكشف الاخبار عن الاعداء ، فرجعوا وقالوا : ان المدينة مملوءة بجنود كأنهم قطرات المطر لا يحصيهم عدا ، ونحن بالنسبة لهم قلة لا فائدة منها وان كان لكم امرا فعلينا الفناء .

فقال مرعش لسيف : ماذا ترى يا سيدي ؟

فقال سيف : الامر يسير ، وذلك ان نجعل جنودنا تحيط بهم ليلا . فاذا استيقظوا حسبونا بينهم ، فيضرب بعضهم بعضا ، وكلما فتر الضرب صحنا مكبرين مهللين فينشط الضرب فيهم بأيديهم وسيوفهم وهكذا حتى ينبلج وجه الصبح وحينئذ نهجم على بقيتهم بجنودنا الابطال فلا ندع منهم احدا ينشق نسيم الحياة ، وتصبح المدينة في حوزتنا بعون الله وفضله،

وكذلك فعلوا ، فقتلوا ابن الازرق وسحقوا جنوده وملكوا مدينة المرمر ودخلوها آمنين واعز الله الايمان المجاهدين بنصر من عنده .

(وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) .

ودخلوا القصر الابلق فوجدوا بنيانه من الذهب والفضة ، وعتباته من البلور الأبيض اللامع ، وبه قاعات ذات اربعة لواوين فرشت بالبسط الحريرية وصفت بها الكراسي المذهبة ، وبها الجواري الحسان ينظمن صفا كأنه خيط العقد ، ومن بينهن جارية تفوقهن حسنا وجمالا فسأل سيف عنها ؛ فقلن له : هي سيدة قومها كوكب الصباح بنت الملك الازرق الذي قتل في هذه الحرب ، فامتزج حبها بدم الملك مرعش واستولى على مشاعره فقال للملك سيف : اشكر لك فضلك ان زوجتني من هذه الجارية ، فقال سيف : القصر وما فيه ملك يمينك . ثم التفت الى كوكب الصباح وقال: هذا الجمال الذي وهبه الله لك لا يجزيه الا الايمان بالله فان له تؤمني اهدرت دمك ، ولا يهمني من يتصدى لحمايتك مهما كان شأنه . فمدت اليه يدها وقالت : آمنت بالله وحده حقا وصدقا ، وآمنت الجواري جميعهم على الاثر ، ففرح سيف به وقال : اعلميني يا جارية من ابوك ومن امك ؟ فقالت : ابي الملك الازرق الذي قتلته ، وامي هي كوكب الضياء بنت الفرقد ملك السين ، وكان ابي قد خطبها من جدي فأبى ان يعطيها له لبعد الديار ، فأراد ابي ان يأخذها بحد السيف فعارضه احد وزرائه واشار عليه ان يسكت عن طلبها حتى ينساه جدي . ثم يرسل من يأتيه بها وقال: ان جاء ابوها في اثرها حاربناه في ديارنا وارضنا ، فاستحسن رايه وارسل ماردا من الجن يدعى الاعصر وخطفها من بيت ابيها وجاءه بها ، وعاشت معه حتى ماتت بعد ولادتي بثماني سنوات ، وما زلت في بيت ابي حتى جئتم وفعلتم بجيشه ما فعلتم وهديتموني الى الايمان فأخرجتموني من الظلمات الى النور وهذه قصتي ، واعلن لكم انني فرحة بمصيري هذا ، فلك الشكر الجزيل على ما اوليتني من نعمة الايمان .

فأعجب سيفا من كلامها وطهارة قلبها ، وعقد زواجها على الملك مرعش واقام لهما الافراح التي تليق بهما ، ثم رغب مرعش في العودة الى مدينته فقال له سيف : مهلا حتى اهدم هذا القصر لتاخذوا قطعه الذهبية والفضية ، فوزعها سيف على الاعوان وكوكب الصباح والخدم والجواري، وعرف من مرعش ان في قلل قاف ، قصرا يشبهه تماما يسمى برقان ، فأعلن انه ذاهب اليه وامر مرعشا ان ياخذ الاموال ويعود وزوجته الى مدينته ، ولكنه أصر على ان يصحبه الى قصر برقان .

ثم امر اتباعه ان يسبقوه بزوجته كوكب الصباح مع جواريها الى المدينة فارتحلوا كما امر ، فلقيهم الوزير وسألهم عن الملك مرعش فقالوا سافر بصحبة الملك سيف الى قلل قاف ، فأخذ جنده وسار بهم لملاقاة الملك مرعش فقد خشي عليه من بقاع قاف وبعد مسيرة سبعة ايام التقى بملكه

وسيف عائدين ، وهناك اقام سيف في مدينة الملك مرعش اسبوعين ثم ودعه وارتحل سائرا على قدميه وبعد رحيله بأربعة ايام احس بالتعب فنام حيث جلس ولما استيقظ لم يجد سيف آصف بن برخيا فظن ان يد سرقته فصبر وسلم امره الى الله وسار وبعد قليل جاءته اخته عاقصة فقال لها :

لقد شعرت بالتعب فنمت للراحة ولما استيقظت من نومي لم اجد بجواري سيف آصف ولست اعلم من سرقه مني ، فقالت : لن يجسر احد على سرقته غيري ، فأنا التي اخذته ، فسألها : ولماذا فعلت ذلك ؟ قالت: لقد اتعبتني في رحلتك وقد انقذتك من مهالك عديدة ، ولكنك بخلت علي بحلة بلقيس ومسكتها عني . فقال سيف : ولكن الحلة اخذها عيروض واقتفى اثرك ليقدمها اليك هدية ومهرا ، فقالت عاقصة : وكيف آثرت على عيروض فأعطيته اياها من دوني وما باليت بي ؟ فقال سيف : ومن الذي خلق المتاعب لاخيه وسجنته ، وارهقتني وارهقت نفسك ، ولولا انك ما جعلتها مهرا ما تعبنا في الحصول عليها .

فقالت عاقصة : وهل كنت مصدقا اني سأتزوج من خادمك هذا ؟

فقال سيف : ولكني سأزوجك منه رضيت ام أبيت . فقالت : ذلك لن يكون ابدا وها انا قد اخذت السيف وسألقيه في البحر ، فقال سيف : حذار فان القيته في البحر فلا منجاة لك مني ، فقالت : ان عدت رايتني فافعل بي ما شئت . ثم طارت فوق سطح البحر ورمت السيف فهوى الى قاعة واستمرت طائرة وتركت اخاها سيف في البر وحده .

ضاق سيف بأخته ذرعا فجلس في مكانه حائرا لا يدري ما يفعل ، ثم حانت منه التفاتة الى البحر فوجد مركبا فيه بحارة فأشار اليهم ان يأتوا اليه فجاءوا وسألوه عن نفسه ، وعن ماء في البر ، فأخبرهم انه يوجد ماء كثير ، واما انا فاني تاجرت وقد غرقت فلكنا وقد نجوت بنفسي . فقالوا: ونحن تجار ضللنا الطريق منذ سبعة اشهر وقد نفد ما كان معنا من زاد وماء ، فاركب معنا ويتولانا الذي خلقنا ، ثم ملؤوا اوعيتهم من الماء وركبوا في فلكهم وجرت بهم في البحر ، وكانوا عشرين رجلا وكان لا يزال معهم بقية من الخبز فقسموها بينهم وأعطوا سيف نصيبه لكنه ربطه في حبل وعلقه على الصاري امام اعينهم واتخذ ذكر الله وتسبيحه زاده ولما فرغ الطعام منهم ظلوا جياعا اياما حتى افقدهم الجوع صوابهم فقرروا فيما بينهم ان يقترعوا على واحد منهم كل يوم فيذبحوه ويأكلوه وابى سيف من ان يأكل معهم وداب على ذكر الله وتسبيحه ، وكذلك نعلوا في الايام التالية، وكلما جاءت القرعة على احدهم ذبحوه واكلوه حتى جاءت القرعة على سيف فامتنع سيف وقال : انني لا اقاسمكم في زادكم فلا سبيل لكم عندي .

فقالوا : لا بد لنا من ذبحك ، فخطف سيف سيفا منهم وقطع به عنق احدهم ، فقالوا : ما دام هذا قتل فهو طعامنا هذا اليوم ، وكان كلما طلبوه للذبح قتل واحدا منهم فأكلوه ، وفي يوم اشتدت فيه الريح وشاء

القدر ان تغرق السفينة بهم فتعلق سيف بلوح من خشبها حتى القته الامواج على جزيرة في البحر فجلس في تلك الجزيرة بالقرب من شجرة كبيرة فرأى طائرين على تلك الشجرة وسمعهما يتحدثان بلسان فصيح فقال احدهما : يا شيخ جياد ، ان سيف نزل في هذه الجزيرة واخشى ان هو اغمض طرفه وقع في تهلكة لا منجاة منها .

فقال الشيخ جياد : وما العمل يا شيخ عبد السلام ؟ فقال الشيخ عبد السلام : ان كان عاقلا خلص نفسه منها والا كانت هذه الجزيرة بمثابة قبر له . فقال الشيخ جياد : وكيف يخلص نفسه ؟

فقال الشيخ عبد السلام : كي غربي هذه الجزيرة اخشاب طويلة جافة ونخيل ، فاذا احضر من هذه الاخشاب وربطها بحبال من الليف صارت كالسفينة ثم يضع فيها ما يمكن حمله من ثمار هذه الاشجار لتكون له زادا، يركبها ويتركها تجري في البحر بأمر الله فان فعل ذلك نجا وخلص .

فقال الشيخ جياد : اسأل الله الذي يحيي ويميت ان يلهمه العمل بهذه الفكرة ويعينه على تنفيذها ليكون من الناجين ، ثم طارا وغابا في الجو .

سمع سيف هذا الحديث فقام من فوره ونفذ ما سمعه وسار في البحر بقدرة الله لا يدري الى اين هو ذاهب ، وفي اليوم الثامن من مسيره راى في جانب البحر عمودا من الحجر ، ووجد فلكه ينجذب اليه بقدرة الله تعالى ، فلما دنا منه راى شخصا على راس العمود وسمعه يقول : اهلا وسهلا بالملك سيف بن ذي يزن .

فقال سيف : وكيف عرفتني وما رايتك ولا رايتني من قبل ؟

فقال : انك موعود بي ، وانا موعود بك ، وذلك ان آصف بن برخيا صنع سيفا يمانيا ورصده وطلمسه ، وجعله للملك سيف من سلالة التبع، وقد كان يعلم ان هذا السيف سيقع في البحر وقد امر الاعوان ان يقيموا هذا العمود بحيث يكون اجوفا ، وان يحفظ فيجوفه السيف بعد ان يسقط في البحر واناط بي وبالاعوان حراسته حتى نعطيك السيف ، فأخذ منه السيف وحمد الله تعالى على عظيم فضله واحسانه ، اما المارد الحارس فانه دفع العمود برجله فسقط في البحر وقال للاعوان : لقد ادينا واجبنا وانتهى عملنا فليذهب كل منكم الى شأنه . ثم ودع المارد سيفا وانصرف.

اخذ سيف سيفه وجرى بفلكه الذي صنعه في البحر حتى اذا رسا على جزيرة كبيرة فيها شجرة كبيرة ، خرج الى الجزيرة فسمع طائرين يقولان :

يا سيف يا بن ذي يزن ، اعلم ان هذه جزيرة الفيلان وانك تجلس الان تحت شجرتهم ، فغادر هذه الشجرة فورا . فأسرع الى فلكه ثم سولت له نفسه ان يعود الى الجزيرة ، فصاحت الطيور : لا تعد يا سيف ، وامض في فلكك وتوكل على الله . فركب فلكه واطلقها تجري في البحر بأمر الله حتى رست على ارض واسعة بها جبال عالية فربطها على الساحل وذهب

في هذه الارض الواسعة يجول فيها ، ثم قال لنفسه : سانام هنا الليلة وعند الصباح يشرح الله صدري الى ما اراد وقدر ، وانتبه في الثلث الاخير من الليل على قائل يقول : انظر يا اخي هذا هو الملك سيف بن ذي يزن في هذه الارض الغواصة التي قل ان ينجو منها انسان ، فقال رفيقه: يا شيخ جياد ، لا بأس عليه ولا خوف من هذه الارض .

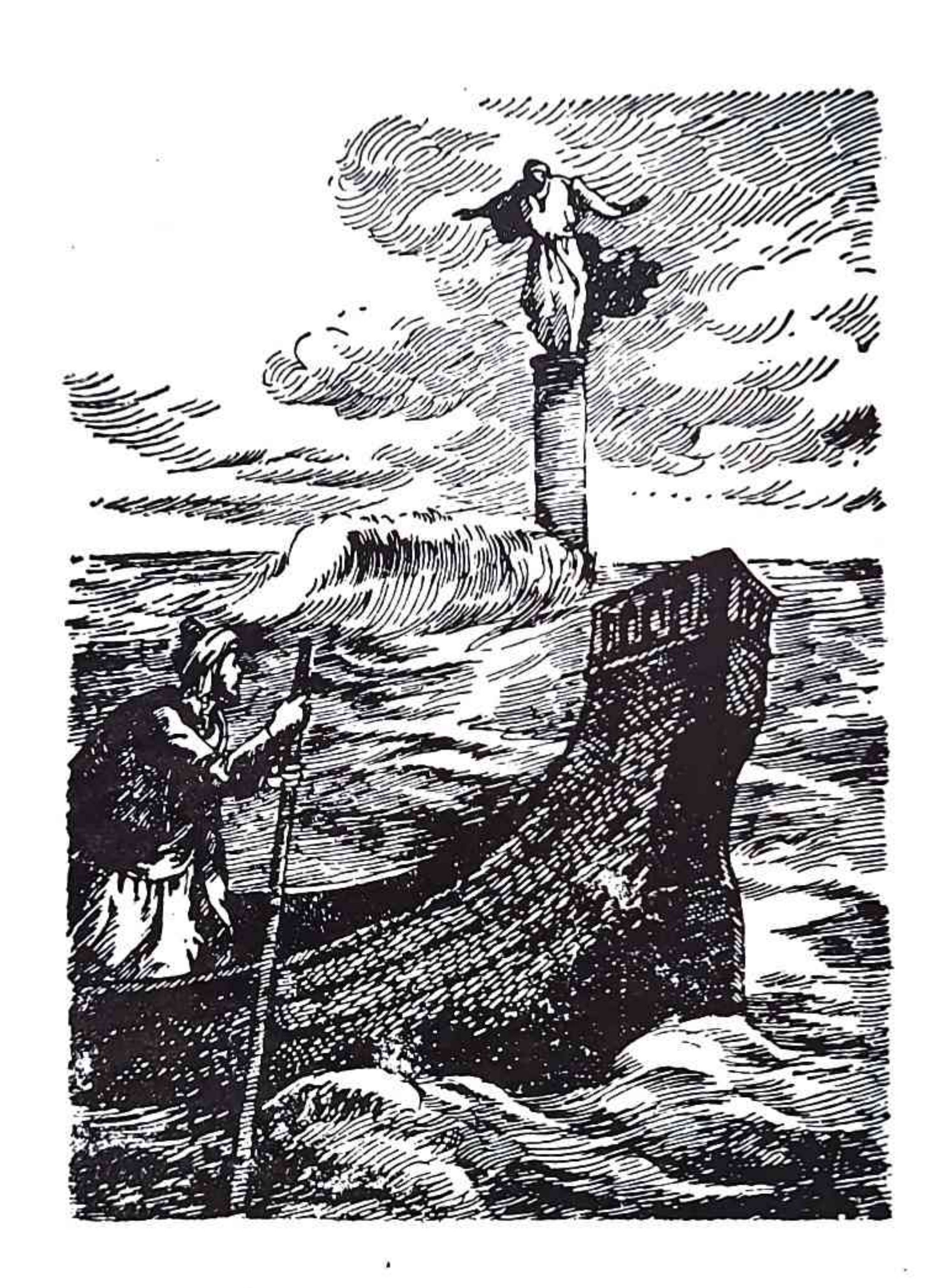
فقال الشيخ جياد : وكيف ذلك ؟ فقال الرفيق : لانه اذا استيقظ من نومه ومشى على يساره فهو هالك لا محالة ، وان توجه نحو الجبل وجد هناك قبرا مبنيا فاذا فتح باب القبر ودخله وجد فيه ميتا ، وهو الحكيم (قانصين) فليقف على يمينه ويقرأ شيئا من الصحف المنزلة فيمد الميت ذراعه اليمنى وحينئذ يأخذ من اصبعه الخاتم المطلسم ، فاذا وضعه في اصبعه بات مصونا من كل مكروه واذى .

فقال الشيخ جياد : أسأل الله ان يرشده الى جادة الصواب وان يلهمه التوجه نحو الجبل وفتح القبر واخذ الخاتم المطلسم حتى يكون في وقاية من الاذى . سمع سيف هذا الحديث جميعه فقام من نومه ونفذه كما سمع ولبس الخاتم ، وجعل يجوب في هذه الارض آنى شاء ويمشي به على سطح البحر بقدميه ، وكان سروره بهذا الخاتم عظيما ، فحمد الله الذي شمله بمعونته ورحمته ورأى فلكا تجري في البحر فذهب اليها ماشيا على سطح الماء ، ولما رآه ركابها تعجبوا وصاحوا به : هلم الينا ايها الرجل الصالح المبارك ، لنتبرك بك فعسى ان نعود الى اهلينا سالمين ، فلما جاءهم قاموا اليه وقبلوا يديه واجلسوه بينهم مكرما وكان كل منهم يحتفي به وظن بعضهم انه ملك من السماء ، وظن اخرون انه فعل السحر والكهانة ، ونشب الخلاف بينهم حتى قال له ربان الفلك : اقسمت عليك بمن منحك هذه المنزلة ان تبين لنا بأي شيء بلغت هذه الدرجة العليا ؟

فقال سيف : لست وليا ولا ملاكا ، ولكني احمل خاتما مطلسما ، فاذا اردت المشي على سطح الماء حملتني اعوانه فلا اغوص فيه ، فقال الربان . ارنيه حتى انظر اليه . فأعطاه اياه وجعل يطوف به على بقية الرجال ، حتى اذا وصل الى اخرهم كان قد ضاع ولم يستطع أحد ان يقع له على اثر ، فقال احدهم : هذا جزاؤك فقد كان احرى بك ان لا تنزعه من اصبعك ابدا .

فقال سيف : ليعوضني الله عنه خيرا ، وقد غفرت لكم ضياعه مني واقام بهم عشرة ايام كاظما غيظه ، حتى اذا اشرفوا على جبل شاهق وحاول الربان ان يبتعد بالفلك عنه ولكنه انجذب نحو الجبل جذبة قوية فارتطمت بصخرة وتحطمت وسقط ركابها في البحر فأكلتهم حيتانه ودوابه .

اما الملك سيف فانه استطاع ان يغطس في الماء حتى رآه مارد من الجن فاختطفه ووضعه امام اصحابه وقال : هذا غريق انتشلته من البحر وجئت به اليكم . فقالوا : ضعه بجوار القصر حتى يفيق ثم ننظر امره ، فلما افاق



سيف في فلكه وقد اقترب من العمود المرصود

سألهم : اين انا ؟ فقالوا : انت عندنا ونحن من الجان ، فلا تخف ولا تحزن وادخل هذا القصر فانك تجد طعاما وشرابا ومنتزها عديم النظير ، فوقع هذا القول في نفس سيف موقع القبول ، ودخل القصر فوجده مفروشا بالديباج والحرير ، ونقشت حيطانه وسقفه بالألوان الزاهية وقد عبقت في اجوائه رائحة المسك الازفر ، وبه سلم من المرمر المرصع بالياقوت والجوهر ، ويقوم حوله بستان فسيح حافل بأشجار الفواكه والازهار المتنوعة ، وبه فسقية جميلة زينت حافتها بتماثيل لانواع الطير والوحوش والانسان، تتدفق من افواهها المياه في اصوات تأخذ بمجامع القلوب، ووجد

في القصر مائدة عليها ما لذ وطاب من انواع الطعام والشراب ، فجلس اليها وبدا يأكل ويشرب حتى اكتفى ثم تمدد على سرير من ذهب فراشه من الحرير الفاخر ونام قليلا ثم نزل الى البستان فلم يجد احدا ، وبينما هو يمشي بين اشجاره اذ ظهر عليه الاعوان وقالوا : هلم بنا الى الملكة صاحبة هذا القصر وبستانه ، فمشى معهم الى قصر اخر عظيم وفخم ، وهناك استقبلته الجواري بالترحاب وصعدن به الى حجرة فرشها حرير واجلسنه على كرسي من العاج الحلى بالذهب ووقفن على يمينه وشماله في صفين متقابلين ، وبعد لحظة من جلوسه اقبلت اربعون بنتا جمالهن يأخذ بمجامع القلوب وكانت بينهم فتاة تفوقهن جمالا فظن انها الملكة فنهض اليها مسلما، ولكنها قبلت يده وقالت : لست انا الملكة يا مولاي ، ولكني الخزندارة . فدهش سيف وقال في نفسه : سبحان من خلق وابدع ، وبعد برهة اقبل اربعون بنتا اخرى كأنهن البدور وفي وسطهن فتاة كأنها الشمس في كوكبها، فهم ان يقف لها ظانا انها الملكة فمنعته الخزندارة وقالت : ليست هذه الملكة ولكنها كبيرة الجواري فاقبلت هي اليه وقبلت يده وجلست الى يساره والخزندارة الى يمينه فقال في نفسه : اذا كان هؤلاء كلهن جواري فكيف تكون الملكة اذن ؟ واشتد شغفه لرؤيتها ، وما ابطات عليه الملكة ، فقد اقبل على الاثر مارد ضخم الجثة بشع الخلقة ، يحمل فوق راسه سريرا من المرمر المصفح بالذهب محلى بالدر والجوهر وعليه فتاة هي آيات الجمال وكانت هي الملكة .

فنهض سيف هو وجواريها وانزلوها عن سريرها واجلسوها على كرسيها في حفاوة بالغة وتكريم عظيم .

فقال سيف لها : لن انسى فضلك ايتها الملكة ، فلقد انقذني خدمك من الغرق وآواني قصرك، واسبغت علي من نعمك وكرمك ، فضحكت الملكة وامرت الخزندارة ان تأخذه معها الى قصرها ، وحذرتها ان يشكو من شيء عندها فقالت : سمعا وطاعة ، ثم حملها المارد وعاد بها من حيث اتى ، واخذت الخزندارة سيفا الى قصرها ، وهناك سألها عن الملكة ، فقالت : ان اسمها الثريا الحمراء بنت عمرون حاكم هذه الارض ، ويشاركه في حكمها اخوه قمرون وله بنت تسمى الثريا الزرقاء والفرق بين الملكين كالفرق بين الليل والنهار ، هذه كما رايت غاية في الجمال ، وتلك لا اقدر لك ان تراها غاية في القبح ورداءة الطبع ، هذه لم يكمل عمرها ثلاثين سنة، وتلك بلغت من العمر مائة وخمسون سنة ، وبينهما عداوة شديدة سببها من اجل حكم هذه الارض الانفراد بملكيتها ، وقد نشبت بينهما معارك عنيفة ، ولكنهما تصالحا حقنا للدماء على ان تنفرد كل ملكة بناحية من هذه الارض يفصل بينهما ذلك البحر الذي كنت غرقت فيه وانقذناك منه . ثم اسلمت الثريا الحمراء امرها الى الله لانها مؤمنة به .

اما الثريا الزرقاء فانها لكفرها رصدت الجبل الذي في ارضها على

شاطىء البحر حتى لا يمر منه فلك الا جذبه اليه وحطمه واغرق من فيه، ولما علمت بذلك الثريا الحمراء بنت هذين القصرين واقامت في احدهما وكلفت الاعوان ان ينقذوا الغرقى ويخرجونهم من البحر .

ولما جاء فلككم وهلك من فيه بلغناها ان الغرقى اناس يأكلون لحوم بني آدم ، وفيهم رجل واحد يؤمن بالله ورسله فقالت : انقذوا هذا المؤمن وآتوني به ، فانقذناك وجئنا بك على نحو ما رايت واعلم ان لها خادما من الجن يسمى اويس القافي يخبرها بكل شيء وبما ابتلعه البحر من اموال ونفائس ، فان جاءها غريق وبلغها ما فقده من امتعة في البحر تسأل اويس القافي فان وافق على كلامه اخذ امتعته ونجا ، وان كذب فيما يدعيه قتلته ، وهذه الملكة تعلم عنك شيئا كثيرا لا استطيع ان اذكره فاحذر الكذب تسلم .

فقال سيف : ان الكذب من صفات المنافقين ، وقانا الله شره ولا تحركت السنتنا به ، ثم اخذته الى الملكة وقالت : ذلك الرجل مؤمن لا يحب الكذب ولا يصطنعه ، واني ازكيه واضمنه .

فقالت الملكة : دعيه وامضي انت لشأنك .

ولما خلت الملكة بسيف قالت له : ماذا فقد منك في البحر يا سيف ؟

فقال سيف : خاتم وسيف ليس الا .

فقالت : صدقت ايها الملك ، ولماذا تركت بلادك والقيت بنفسك في هذه المهالك ؟

فقال سيف : وفاء لخادمي ، ولاضرب للناس مثلا ، بأن الدرجة الرفيعة لا تعوق صاحبها عن اداء الواجب لاقل الناس شأنا ، ثم قص عليها قصة خروجه لاطلاق سراح خادمه عيروض من سجنه واحضار حلة بلقيس ولم يترك من قصته صغيرة ولا كبيرة الا ذكرها ، وعرفت من خلال القصة ان سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، وانه ملك ابن ملك فارتفعت منزلته في نفسها وتفتح له مغلق قلبها ، وامتزج حبه بلحمها ودمها ، ثم استأذنته ان تقوم لشأن في نفسها وتعود اليه ، فأذن لها داعيا لها بالتوفيق ، ولم تغب عنه الا قليلا ثم دخلت عليه وهي لابسة حلة بلقيس فبدت له كأنها من الحور العين ، والقى عليها نظرة طويلة كلها اعجاب وافتتان ، ووقف انفاسه في خلالها ، وكانت امارات الحيرة بادية على وجهه ، وانطلق لسانه من عقاله فجأة فسألها من اين لك هذه الحلة ؟

فقالت : كنت ارسلت خادمي اويس القافي في شغل لي فلقي في طريقه احد المردة وبيده هذه الحلة ، فجاءني به مع الحلة ، فسجنت المارد وحفظت الحلة عندي ولم البسها الا هذه الساعة ، وهي التي تراها على جسمي الان .

فقال : ان الحلة حلتي ، والمارد خادمي ويدعى عيروض .

فقالت : ان الحلة حلتك والمارد خادمك وانا وملكي في قبضة يمينك ان

انت استجبت لما اريد .

قال : وماذا تريدين ؟

فقالت : اريد شيئا لنفسي فيه الحصانة والرفعة ، وهو ان تتزوج مني فماذا تقول ؟

فقال : ما اخطأت ارادتك فهي احب شيء الى نفسي ، واعز الامور لدي وعسى ان تكون في علم الكتاب ، فاطمأنت ولبث بسيف عندها وهي فرحة به حتى اذا كان يوما جاءها رسول من ابيها يقول : ان ابنة عمك قمرون الثريا الزرقاء طلبت الينا ان ترسل اليها الرجل الفريق الذي عندك لانها متشائمة من وجوده ، والا اشعلت نيران الحرب بيننا وبينها، وحرصا على السلام يرى والدك ان ترسليه اليها ، فقالت : كيف أسلم برجلا لاذ بجواري واكل طعامي ؟ كلا لن تناله يد مخلوق ما دام في عرق ينبض . رجع الرسول الى ابيها حاملا اليه جواب ابنته الثريا الحمراء ، فأرسل هو الى اخيه قمرون يقول : ان الرجل الفريق استجار بابنة اخيك فأجارته ولاذ بجوارها هربا من عناء الحياة ، فلذلك هي متمسكة به حريصة على توفير اسباب الراحة له ، فان كان ولا بد من اخذ هذا الرجل فاصبر حتى يغادر جوار ابنة أخيك ثم امسكوه وخذوه اليكم . ولكن قمرون رد على اخيه : ان ابنته الثريا الزرقاء مصرة على اخذه طوعا او كرها ، فاستدعى قمرون ابنته الثريا الحمراء ليتحدث اليها في هذه المشكلة فاستجابت لدعوته وقالت لرسوله : اني سأحضر الى ابي ان شاء الله .

وأرادت ان تودع سيف وتوصيه فقالت : لقد دعاني ابي في شأن يخصك ، ولن اغيب عنك طويلا ، فليس لدي انسان اعز منك ، فلقد ملأت فراغ قلبي ، خذ هذه مفاتيح قصري وسأغلق ابوابه حتى لا يدخل عليك احد ، وأنت فيه حر طليق ، تنتقل فيه من حجرة الى حجرة ، فجميعها مرصودة الا هذه الحجرة فاحذر ان تفتحها ، وأمرت خادمها المارد ان يحملها الى ابيها ، فلما وصلت اليه قبلت يديه فأجلسها بجانبه واوضح لها الموقف وقال : ان تسليم الرجل سيكون من شأنه حقن الدماء فقالت له : ان الرجل انا حميته ولن يمسه احد بمكروه ما دمت على قيد الحياة ، وان لجأت الى القتال فسأفني أعوانها وامحو آثارها ، انني حذقت السحر الذي تعتز به وافوق ساحرتها كيهونة ، فان جاءك رسولها فاقتله ، وعسى ان تختار الحرب لاريح منها العباد ، فقال ابوها : اعانك الله وبلغك المراد . ثم ودعته وحملها المارد الى قصرها ، فوجدت ابواب قصرها مفتحة ، واخذت تبحث عن سيف فلم تعثر عليه ، وقد وجدت الحجرة التي حذرته من دخولها مفتوحة ولم تجده فيها فحزنت وقالت : ما صبت علينا هذه المحن الا الثريا الزرقاء فلعنة الله عليها واظلم ايامها .

حينما غادرت الثريا الحمراء قصرها وتركت فيه سيفا وحيدا يجوب انحاء القصر فقادته رجلاه الى الغرفة التي حذرته من دخولها ، فمد يده

ليفتحها ثم ردها ولكنه دفعه الفضول الى فتحها ، ولما دخلها وجد فيها سلما فصعد عليه حتى نهايته فراى بحرا متلاطم الامواج وبينما هو في عجب من ذلك اذ خطفه مارد وطار به حتى وضعه بين ايدي الثريا الزرقاء وقال لها:
هذا هو الرجل الغريق الذي كلفتني باحضاره ، فانتعشت وفرحت فتطلع سيف فوجد نفسه امام انثى سوداء اللون ؛ شاب شعرها ونحل جسمها وعمشت عيناها فاستعاذ بالله في نفسه منها وقال : الغرق اولى بالانسان من رؤية هذه الداهية ، وكان الذي خطفه مارد من اعوانها فأعطته جائزة سنية ، ثم رجعت بسيف واجلسته بجوارها وقالت : لم احضرك لعندي الا لاغيظ بك الثريا الحمراء واحرمها من التمتع بطلعتك البهية ، وستلبث في قصري معززا ومكرما ولن يستطيع احد ان يخلصك من يدي، فقد احببتك ولا يهنأ لي عيش بدونك .
فقال سيف في نفسه : ذلك شر ما ابتليت به طيلة حياتي .
اما الثريا الحمراء فانها لما لم تجد سيف سألت عنه اويس القافي فقـال :
لقد كنت في صحبتك عند ابيك فلست اعلم عنه شيئا ، فكلفته ان يبحث عنه ولا يعود الا بخبره . فجمع اعوانه من الجن وجعلوا يتشاورون فيما يفعلون واذا بعجوز قد اقبلت عليهم وقالت : انا عندي خبره ، فقد ارسلت الثريا الزرقاء ماردا اسمه طيلون اختطفه من الحجرة التي منع من فتحها فنقل اويس هذا الخبر الى الثريا الحمراء ، فأمرت باحضار العجوز وسألتها فأعادت عليها ما قالت ، فسألتها عن المارد اين هو الان ؟ فقالت: في رياض الفل ، فأمرت اويس القافي ان يأتيها براس هذا المارد الـذي خطف سيفا ، فوجده اويس جالسا بين اهله فنزل عليه وامسك رقبته بيديه ولواها فانفصلت عن بدنه ، وقال محذرا : ان تحرك احد منكـم اغلقت عليكم هذا المكان واحرقتكم اجمعين . ثم طار ووضع راس المارد امام الثريا الحمراء ، فقالت له : علقه على باب القصر ففعل ما امرت ، ولبثت في قصرها حزينة لا تجد وسيلة الى سيف الذي ملك عليها مشاعرهـا واستحوذ على قلبها ، وحضر ابوها فوجدها متألمة باكية ، فسألها عمـا يدعوها للبكاء ؟ فحكت له قصة خطف الرجل الغريق ، وقالت : لو لم تطلبني لما استطاعت الزرقاء ان تخطفه مني . فقال ابوها : ان اردت قتالها فاني معك برجالي واعواني ، فشكرته ثم امرت الجنود ان يستعدوا للحرب واقسمت الا تعود الى قصرها حتى تخرب ديار الزرقاء وتدمرها تدميرا ، وكان للزرقاء جواسيس عندها فنقلوا اليها خبر الحمراء ورحيلها بجنودها، فاستعدت الزرقاء ايضا وخرجت بجنودها لتلتقي بالحمراء وجيشها ، وكان لقاؤهما بين المدينتين ، وبدات نيران الحرب تأكل فرسان الجيشين ، ولما وجدت الزرقاء ان الدائرة ستدور عليها امرت جنودها ان يتراجعوا مـن ميدان القتال ، ثم برزت هي يطوقها ثعبان كأنه النخلة ونادت على الثريا

الحمراء ، فلما سمعت نداءها نهضت اليها مسرعة ومعها ثعبان اضخم واطول من ثعبان الزرقاء ، واطلقت كل منها ثعبانها فلم يلبث ثعبان الحمراء حتى ان ابتلع ثعبان الزرقاء ، فارتدت الزرقاء الى جيشها خائبة خاسئة.
وحضر اذ ذاك الى الميدان كبراء مدينة الزرقاء وقابلوا الحمراء وقالوا : لا ينبغي ان تفنى الالوف من الرجال من جل رجل واحد ، ولقد جئنا لنصلح بينكما ونحكم بالحق ، فقالت الحمراء : لا اريد الا الحق ، فقالوا: قصي علينا القصة .
فقالت : اني اجرت رجلا واكل من طعامي فأرسلت الزرقاء من خطفه من قصري ، فان ازجعته لي رجعت بجيشي كما اتيت .
وقالت الزرقاء : انها كاذبة فلم اختطف من قصرها احد لا رجل ولا امراة ، ودونكم قصري ومدينتي ففتشوا فيهما ، فان عثرتم عليه كنت ظالمة جائرة ، وان لم تجدوه فالامر لكم حينئذ .
فقالوا : وما رايك يا حمراء فيما قالت ؟
فأجابت الحمراء : رضيت به فابحثوا عنه فان لم تجدوه أسلم امري الى الله وأعود بجيشي الى بلدي .
فقالوا : سنرجيء البحث والتفتيش الى الصباح .
وفي تلك الليلة استدعت الزرقاء ساحرتها العجوز وقالت لها : ماذا انت فاعلة لاخفاء الرجل المخطوف ؟ فاني لا احب ان يكون في القصر ولا في المدينة ، فطمنتها الساحرة ثم احضرت قليلا من الماء وهمهمت عليه ورشت به سيف وقالت : لتكن غرابا . فانقلب في الحال الى صورة غراب، وقالت الساحرة : سأذهب به الى بستان النزهة ليأكل من فاكهته ويشرب من ماءه تحت رعايتي وحراستي حتى تأمري بعودته ، ثم طارت به الى ذلك البستان .

وفي الصباح نهض القوم وفتشوا القصر والمدينة فلم يجدوا له اثرا وبلغوا الحمراء نتيجة بحثهم وتفتيشهم فقالت : على الرغم من اني غير مقتنعة بصدقها بل اعتقد انه عندها وانها اخفته في مكان لا يعرفه احد ، ولكني رضيت بحكمكم وأسلمت الامر لله ، وغدا ستعرفون الخبر اليقين ، وامرت جيشها بالعودة الى ارضها ، وعكفت هي في قصرها حزينة باكية حتى اضناها الحزن والبكاء ثم قالت لخادمها اويس القافي : احملني الى بستان لعلي اجد فيه بعض الراحة من هذا العناء ، فحملها الى البستان الذي فيه الغراب المسحور ، فجلست تحت شجرة بجوار فسقية وهي ساهمة حزينة ، وفجأة مر من امامها غراب فطردته ، فعاد ثانية فطردته فعاد ثالثا فأمسكته ولم يتحرك ونظرت الى عينيه فوجدت الدموع تسيل منهما فظنته جائعا فأطلقته يأكل ما يشاء من فاكهة البستان ولكنه لم يبتعد عنها وجعل يتمسح فيها كأنه يستجير بها فقالت : ان طلعة الغربان شؤم، وامرت جواريها ان يمسكنه ويحفظنه حتى تنظر في امره ؛ وكان هذا

البستان يطل على البحر ، فرأى جواريها مركبا يشع منه نورا يخطف البصر فقلن لها : انظري الى هذا الفلك ونوره الساطع . فأمرت اويس ان ينطلق الى البحر ويأتيها بخبر هذا الفلك ، فغاب ورجع اليها وقال : هذا الفلك فيه سيرين الحكيم ومعه غلام صغير وامراة لا اعرفها .

وكانت حمراء قد سمعت عن سيرين الحكيم وتود ان تراه وتتحدث اليه ، فيممت شطر الشاطىء واستقبلت الحكيم سيرين وسلمت عليه وعلى من معه وعادت بهم الى البستان فسألته الى اين انت ذاهب ايها الحكيم؟

فقال سيرين : الى هذا البستان ، فان غرضي فيه .

فقالت الحمراء : وما غرضك ؟

فقال : سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، وما جئت الا لخلاصه .

فقالت : واين هو ؟

قال : انه في البستان ، فاصبري قليلا ولا تعجلي ، وكانت الجواري قد شغلن بالفلك ، فتركن الغراب في البستان وهو يود منهن ان لا يتركنه وكان سبب قدوم سيرين ان سيفا كان قد ترك زوجته تكرور وديعة عنده ورحل هو الى كنوز سليمان ، فولدت له غلاما سمته بولاق وكفله سيرين فقام بتربيته حتى كبر ، وكان هذا الغلام يعتقد ان اباه سيرين فهو يصاحبه في غدواته وروحاته ، ولكن سيرين قال لامه : اني ارى ملازمتي لبولاق في غدواتي وروحاتي تثير الشبهة من حولي وكل الناس يعرفون اني اعزب ، وربما نسبوا الي هذا الكلام افكا وبهتانا ، ولهذا وجب ان تبقيه عندك وتمنعيه من المشي معي ، فقالت : ما قلت الا حقا ، ثم حجزت ابنها عندها فأصبح لا يخرج مع سيرين ولا يمشي معه فحزن الغلام وبكى وانكر على امه ان تمنعه من مصاحبة ابيه ، فقالت : انه ليس بأبيك يا بني فسألها : ومن ابي اذن ؟

فقالت : ابوك سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، وذكرت له قصة ابيه وما خرج من اجله ، فأصر الولد على ان يخرج خلف ابيه فاما ان يجده واما ان يموت في طلبه ، وجاء سيرين والغلام وامه في جدال من اجل ابيه .

فقال سيرين للغلام : يابني ، نحن لا نعرف اين ابوك الان ، ولا نعلم أهو حي او ميت ، ولكن امهلني حتى استفتي الرمل فعسى ان نعرف مكانه ، ودخل سيرين الى حجرته ثم خرج وقال : ان ابوك سيف قد سحرته الثريا الزرقاء غرابا وهو الان في بستان بأرض الرياض ، فهيا بنا نذهب اليه قبل ان يصاب بمكروه وهو في صورته السحرية ، وركب هو وتكرور وبولاق في فلك بالبحر واحضر بسحره اعوانا من الجن وامرهم ان يسرعوا بالفلك الى الرياض في طرفة عين ، فوصل الفلك الى شاطىء ارض الرياض كما مر ، واستقبلته الثريا الحمراء وجلسوا جميعهم في البستان ، فلما راى الغراب سيرين وتكرور والغلام نعق نعيقا اثار انتباه الجميع ، فقالت الثريا الحمراء لسيرين : انظر الى هذا الغراب الذي ازعجنا بنعيقه فقال :

ليس هو بغراب ولكنه سيف ، ثم اخرج ورقة وكتب عليها ووضعها في قليل من الماء وجعل يتلو عليها برهة ثم سقى الغراب من ذلك الماء فانتفض وصار انسانا وكان هو سيف ، فقال : الحمد لله ، الله اكبر ، ثم نظروا اليه فلم يجدوه .

فسألت الحمراء : اين ذهب ايها الحكيم ؟

فقال : لا بد ان ساحرة الثريا الزرقاء اختطفته بسحرها وسترين ما افعله بهذه الفاجرة، فهيا بنا الى مدينتها، واحضرت الحمراء اعوانها وذهبوا جميعهم الى المدينة ونصبوا خيامهم عند جبل مشرف عليها ، وجعل سيرين له خيمة خاصة وبجوارها خيمة لتكرور وابنها ، وكانت الحمراء تظن ان تكرور زوجته وان الغلام ابنه ، ولهذا جعلت خيمتها بجوار خيمة سيرين وبعد ثلاثة ايام خرج سيرين من خيمته وفي يده اربع قضبان مطلسمة وذهب الى الحمراء وقال لها : انطلقوا جميعكم الى قمة الجبل ، ثم انظروا ما يكون مني ، ثم ذهب سيرين الى المدينة ليلا ورشق كل قصبة في ناحية من نواحي المدينة ، ففارت الارض بماء يغلي ، وجعل يعلو ويرتفع حتى وصل الماء الى شرفات قصر الزرقاء ، وهرب سكان المدينة خوفا من الطوفان ، ومن لم يستطع الهرب مات غريقا وكانت ساحرتها معها ، فقالت لها : ارايت ما فعلت الثريا الحمراء .

فقالت الساحرة : ذلك ليس من فعلها ، ولكنه سحر سيرين الحكيم وسأبطله ، ثم احضرت اربع اوراق وصورت على كل واحدة شخصا وجعلته يسير حتى يصل الى الماء ويقف عند الجهة التي رشقت فيها قصبة سيرين ، فلما وقفوا في تلك الاماكن جعل الماء ينقص شيئا فشيئا وهم ينزلون الى الارض كلما نقص حتى ذهب الماء ووقف الاشخاص على الارض تخرج النار من افواههم ، وهي تمتد وتنتشر وترتفع في الوادي حول المدينة كلما نفخوا فيها حتى اوشكت ان تصل الى قمة الجبل الذي فيه الثريا الحمراء ومن معها ، فأشار سيرين الى النار بيده فبعدت عن الجبل ومن فيه بعد ان اوقعت الرعب في قلوبهم منها ، وبعد أن طمأنهم سيرين اخذ شعرة من لحيته وقرأ عليها شيئا من عباراته السحرية ، وامرها ان تنفذ في صدور هؤلاء الاشخاص الاربعة الذين تخرج النار من افواههم ، ثم اطلق الشعرات في الهواء فانطلقت كالسهم الخاطف ونفذت من صدورهم فكانوا ترابا واطفئت النيران ، فخشيت الساحرة كيهونة ان يدخل عليها اعوان الثريا الحمراء ، فأقامت رصدا واحاطها بأعوان الجن، فأصبحت المدينة محصورة لا يدخلها احد ولا يخرج منها احد ، اما سيف فلم يزل في معتقله الذي وضع فيه بعد ان خطف من البستان .

عودة الى اليمن

طال سكوتنا عن مدينة حمراء اليمن بعد ان طالت غيبة سيف عنها ،

فقد عانت من المتاعب أضعاف ما عاناه سيف في رحلته الى كنوز سليمان عليه السلام من اجل عيروض واحضار مهر عاقصة هذا فان الحكيمان سقرديس وسقرديون ذهبا الى الملك سيف ارعد يحرضانه على غزو مدينة حمراء اليمن وقالا له :

ان سيف قد رحل الى كنوز الملك سليمان ليخلص عيروض وهي رحلة محفوفة بالمخاطر وتدل غيبته الطويلة وانقطاع اخباره على انه قد مات وغدت المدينة بلا راع يحكمها ، وهي في يد ابنائه وهم احداث لا يضطلعون بما يضطلع والدهم ، ومن اليسير عليك الان ان تغزو المدينة وتستولي عليها ؛ وتكون بذلك قد قضيت على اقوى عدو لنا طالما اساء الينا ، وقتل رجالنا وحال بينك وبين سيادة بلاد اليمن وضمها الى مملكتك ، ولا تنس ان هذه البلاد كانت في حوزتك فلا ينبغي ان يحكمها غيرك ، فقال سيف ارعد : ذلك تدبير حكيم ارى فيه السداد والخير ، وأمر القواد والحكام ان يستعدوا للرحيل بجيش ساحق للاستيلاء على المدينة الحمراء .

وبعد اسبوع تحرك جيش سيف ارعد وهو على راسه واخذوا ينهبون الارض نهبا ولما قاربوا من حمراء اليمن نصبوا خيامهم في الخلاء المشرف على المدينة ولما راى رجال سيف وجنوده هؤلاء الاعداء اغلقوا ابواب المدينة وبعثوا روادهم يتلقطون الاخبار ، فرجعوا اليهم وقالوا : ان الملك سيف ارعد جاءكم بجنوده ليحتل هذه المدينة وما يتبعها ، وليقضي على كل من يقف في طريقه .

واجتمع الملك دمر مع أخويه مصر ونصر يتشاورون فيما يفعلون فاتفقوا على ألا يستقلوا بالرأي في هذه ، فدعى الملك كبراء الدولة وقواد الجيش ليكون الامر شورى بين الجميع ، وفي ذلك درء لكل خلاف وتفرق الكلمة، اجتمع ابناء سيف الثلاثة ومعهم الكبراء والقواد من أمثال سعدون الزنجي، وسابك الثلاث ، ودمنهور الوحش ، وميمون الهجام ، وبرنوخ الساحر ، والحكيمة عاقلة ، فعرض عليهم الملك دمر امر هذا الجيش الطامع فيهم ، فأجمعوا امرهم على ان يلقوه بأنفسهم وفرسانهم وان يبادروا لفتح ابواب المدينة وان يعسكروا بجيوشهم خارجها ، وان يبداوهم بالقتال ، وقالوا : اننا نحن فئة آمنا بالله وسواء علينا أمتنا ام حيينا ، بل ان الموت في قتال المشركين اشهى الى انفسنا من الحياة .

وفتحت ابواب المدينة وعسكر جيش الملك دمر خارجها وانفلت سابك الثلاث بجواده الى ميدان القتال مناديا : من ينازلني . وجعل يقتل كل فارس جبار ينزل اليه حتى انتهى النهار ودق طبل الهدنة الليلية ، وكان قد قتل من أبطال سيف أرعد خمسة وعشرون بطلا ، واجتمع في خيمة سيف أرعد امراءه والملوك التابعين له وجعلوا يتساءلون في خزي وحيرة، كيف يقتل فارس واحد من فرسان الملك دمر خمسة وعشرين ؟ وكيف يمكث طول النهار مبارزا ولا يمل الكفاح ، ولا يبدو من جواده ضعف او تقصير؟

فقال سيف ارعد : صبرا فالحرب سجال ، وان لم تنالوا في هـذا اليوم نصرا فغدا تحرزونه ، ولكن لا تنسوا ان المبارزة هذا اليوم اظهرت الفرق بين رجالكم ورجالهم ، وذلك ما يشغل بالي ولا انساه .

فاستقبلوا اليوم الثاني بحماس وحمية ، وتقدم اقوى ابطالهم يتناوبون مبارزة دمنهور الوحش في ذلك اليوم وميمون الهجام في اليوم الثالث ولا يجدون الا قتلا اليما ، فابتأس سيف ارعد وقال : خرجت الى هؤلاء القوم لافني جنودي بسيوفهم ، وانتم ترون ماذا حل بجنودي على ايديهم فهم قد القوا الرعب في قلوبهم مما جعلهم ينفرون من ساحة المعركة نفور الاغنام التي يسطو عليها ذئب كاسر ، وهذه عاقبة انصياعـي لمشورة الحكيمين سقرديس وسقرديون ولا ارى مخرجا من هذا الضيق الا ان انجو بنفسي وارحل بجنودي الى دياري وقبح الظلم واهله ، ولكن الحكيمان قالا : اعلن في جيشك ان من اتاك منهم برأس بطل من ابطال هؤلاء القوم منحتـه زنتها ذهبا ، فأعلن هذا ، واغرى بعضا منهم بالمال فتقدموا للمبارزة فكان مصيرهم الى الفناء فغضب سيف ارعد حتى امتنع عن الطعام ، وجعـل الحكيمان يواسيانه ويمنيانه بالنصر حتى تأمل بتحقيق ما وعده به الحكيمان من الاماني ثم اشتبك الفريقان وكان القتال عنيفا وافنت السيوف كثيرا من جنود سيف ارعد ، وبعضا من الجنود المؤمنين وجرح الملك دمر جرحا بليغا وانجلت المعركة عن نصر المؤمنين وهزيمة المشركين ، وبيت المؤمنون العزم على ان يفتكوا بأعدائهم غدا ، ودعت زوجات سيف ابنائهن الى المبيت عندهن تلك الليلة فبات دمر عند شامة ومصر عند منية النفوس ونصر عند الجيزة ، وبات سيف ارعد ليلته مغموما حزينا ، وقال لامرائه : اين اليوم الذي لنا ؟ فما يمضي يوم الا كان علينا ، وكـان النصر فيه للمؤمنين ، واقسم لكم بديني ان لم تقاتلوا غدا باخلاص وعزم فلا بد لي من ضرب اعناقكم واعناق الالوف من امثالكم . ثم تركهم وانصرف عنهـم وهم لا يحيرون جوابا .

وفي الصباح فتش المؤمنون عن ابناء الملك فلم يقفوا لهم على اثر لا في الجيش ولا عند امهاتهم ، ولم يدروا اين ذهبوا ، فأحدث ذلك رد فعل عنيف في نفوس الجنود ولهذا هزمهم الاعداء في ذلك اليوم وتعقبوهم حتى دخلوا المدينة واغلقوا ابوابها ، وعرفت طامة نبأ فقد دمر واخويه فقالت لامهاتهم : سأذهب الليلة واجوس خلال مضارب الاعداء عسى ان اجدهم او اجد احدا منهم هناك ، قالوا : وكيف تجوسين بين خيام الاعداء ولا تخافين؟ فقالت : سألبس قلنسوة الحكيم افلاطون التي اخذتها من الملك سيف ، ما دامت على رأسي فلن يراني احد . ولبست القلنسوة ودخلت خيمة سيف ارعد وهو وانصاره من الكبراء يقررون ما سيفعلونه بالمؤمنين غدا ، فعرفت انهم عازمون على هدم سور المدينة ودخولها عنوة فرجعت مسرعة فسألنها الامهات عما وجدت فقالت : لم اجد احدا ، ثم ذهبت الى امها الحكيمة

عاقلة وابلغتها ما عزم عليه الاعداء من هدم المدينة ثم قالت : من العار يا امي ان تكوني معنا ويفعل الاعداء بالمدينة هذا الذي عزموا عليه .

فقالت لها : اطمئني فلن امكنهم من ذلك وسيكون النصر للمؤمنين باذن الله . وفي الصباح احاط المشركون بسور المدينة وهموا ان يهدموه ولكن اخذتهم صيحة عالية ارتعدت لها قلوبهم فوقفوا في اماكنهم جامدين ثم خيمت عليهم غلالة سوداء حجبت النور عنهم فاقاموا في ظلام دامس ، وصبت عليهم حجارة اهلكت كثيرا منهم وخيل اليهم ان المؤمنين يضربونهم بسيوفهم فأخذوا يدافعون عن انفسهم فيضرب بعضهم بعضا وهم لا يعلمون، وكان هذا سحر الحكيمة عاقلة فصاح سيف ارعد في وجه الحكيمين وكانا بجواره وقال : هلكنا وهلكت جنودنا ولا اظن الا ان ذلك غضب هبط من السماء ، فقالا : لا تخف فما ذلك الا من سحر الحكيمة عاقلة ، وسنبطله بعد قليل ، واتيا بورقة بيضاء وجعل كل منهما يتلو عليها شيئا مما يحفظ ثم اطلقت في الجو فارتفعت وما هي الا لحظة حتى انقشعت الظلمة وبان لهم ضوء النهار ولكن الجيش قد تمزق تمزيقا فرجعوا الى خيامهم وجلسوا فيها خائبين .

فقال سيف ارعد لكبرائه وحكمائه : ألا ترون الرحيل عن هذه المدينة افضل فانه يقال ان ملك الحبشة عبأ جيوشه يوما وذهب بهم الى حصار مدينة كهذه ولم يستطع ان يقترب منها ورجع خائبا بعد ان هلكت رجاله امام اسوارها فقالوا : امهلنا ثلاثة ايام ندبر فيها امرنا ، فقال : امهلتكم ما تشاؤون من الايام . وفي اليوم الرابع جاءوه وقالوا : دبرنا لك مكيدة ندخل بها المدينة ونبيد اهلها ، ونغنم اموالهم ، وذلك بأن تكف عن الحرب فترة من الزمن ، وفي خلال تلك الفترة نضرب خيمة كبيرة بالقرب من سور المدينة ، ونقوم بعمل سرداب تحت الارض يتصل بابه بتلك الخيمة على ان يكون العمل ليلا ، حتى لا يشعر بنا احد من الاعداء ، وان يكون الباب الثاني داخل سور المدينة في مكان مهجور لا تطؤه قدم ، ثم نتسلل بجنودنا من ذلك السرداب الى المدينة بينما البعض من جنودنا يشغل جنود الاعداء بالحرب امام السور وحوله ، وحينئذ يسهل على جنودنا الذين دخلوا المدينة من السرداب ان يطبقوا عليهم من خلفهم فيضطرب حالهم ولا يستطيعون دفاعا عن انفسهم ويصبحون هدفا سهلا لسيوفنا .

وفي اثناء ذلك لما استبطأت الحكيمة عاقلة حصار المدينة لجأت الى كهنتها لتعرف مصير هذا الحصار ، فكشف لها التنجيم عما يفعلون وان الله كتب على هذه المدينة ان تهدم ، فجمعت اليها الكبراء والامراء واخبرتهم بما عرفت وان المدينة مهدومة لا محالة ، لان هدمها من تقدير العزيز العليم ولا مفر منه ، ولهذا فاني اشير عليكم بما فيه خيركم وسلامتكم ، فقالوا : اشيري علينا بما ترين ، فنحن في طاعتك ولا نخالف لك امرا .

فقالت : لنجمع اموالنا ونضعها في هذا القصر الكبير ، ثم اقوم انا

برصده فلا يستطيع ان يقربه انس ولا جان ، ثم نخلي المدينة ونهاجر منها الى وادي السيسبان خلف هذا الجبل ، فاذا ما دخل الاعداء من سراديبهم لم يجدوا احدا في المدينة ولا شيئا من اموالنا فيهدمون ما شاءوا من المدينة ، ويعودون ادراجهم بخفي حنين .

فنفذوا رايها وضربوا خيامهم بوادي السيسبان وإقاموا فيه ، ولما دخل الاعداء المدينة وجدوها قفراء جرداء يخيم عليها سكون الخراب فضاع ما كانوا يريدون من قتل الكبراء وصلبهم على ابواب المدينة ، وخاب سعيهم الى ما كانوا يطمعون فيه من الاموال ، فغضب سيف ارعد وقال : علي بالذئبين اللئيمين سقرديس وسقرديون ، فلما جيء بهما قال : لقد افنيت زهرة رجالي وخسرت اموالي بسببكما ولم استفد شيئا فلا جزاء لكما عندي الا العذاب والتنكيل ، فقالا : ليس بقليل ان يخافك جيوش المؤمنين ويهربوا من لقائك وليس بقليل ان يهجروا مدينتهم ومقر حكمهم لتهدمها وتمحو آثارهم منها فأنت الغالب والمنتصر وهم الهاربون الخاسرون ، ويحسن بنا ان نعود بجيوشنا الى ديارنا بعد ان اريناهم من قوتنا وكثرة جيوشنا ما يحول بينهم وبين العدوان علينا ويفسد اطماع الطامعين من دونهم فينا .

فهدأ روع الملك وعاد بجنوده الى مدينته وصرفهم الله عن المؤمنين والبحث عنهم في امكنتهم التي هاجروا اليها ، كما لم يعرفوا عن فقد ابناء سيف اذ لم يكن لهم يد فيه ، وكان الحصار الاخير ستارا للمؤمنين حال دون كشف اخبارهم لاعدائهم .

ويرجع فقد هؤلاء الابناء الى شيء اخر لا صلة له بهذا القتال ، وذلك ان بهرام المجوسي دلته كهانته على ان في كنوز كوش بن كنعان خرزة ذات سبعة أوجه لكل وجه منها خادم من الجن ، اذا فركه حائزها جاءه الخادم وكان طوع امره وقد دلته كهانته على انه لا يخرج الخرزة من حرزها المرصود الا على وجه غلام له شامتان واسمه مصر بن سيف بن ذي يزن فأمر بهدام المجوسي احد اتباعه من الجن ان يأتيه بهذا الغلام حالا فطار المارد واخذ اولاد سيف الثلاثة وعاد بهم الى بهرام المجوسي فأمر بحبس دمر ونصر ، والقاء مصر في برية خالية لا يطرقها انسان ويترك هناك ليموت حتى لا يمتلك الخرزة .

لما انتبه مصر وجد نفسه في برية جرداء وحيدا لا انيس له فساورته المخاوف واخيرا سلم امره الى الله ، ثم لاح له قصر عظيم قائم على جبل فذهب اليه عله يجد فيه طعاما وماء ، فدخله وصعد في سلمه الى الطابق الثاني فالفى حيطانه مطلية بالذهب ، وبه اثاث فاخر ، وفي حجرة منه مائدة فجلس امامها واكل وشرب منها ، ثم دخل حجرة اخرى فوجد فيها حلة عالية ، فنزع عنه ثيابه الرثة ولبس تلك الحلة وجلس مسلما امره الى القدر ، وما لبث غير قليل حتى دخل عليه عشرة رجال ، فسلموا عليه وحيوه ونادوه باسمه كأنهم يعرفونه من قبل ، فسألهم مصر : من انتم ؟

وكيف عرفتموني ولم يسبق لي معكم لقاء ؟ فقالوا : نحن خدم الملك ، وله ابنة تسمى باهية ، وكلما استفتى التنجيم والرمل عن زوجها يقال له ان زوج ابنتك سيكون غلاما يدعى مصر بن ذي يزن وعلامته انه دخل هـــذا القصر يوما وحده فيأكل من المائدة ويلبس الحلة ، وقد كلفنا ان نحرس هذا القصر ونرقب من يدخله للاهتداء الى الزوج السعيد ، وقد وجدناك نتعال معنا اليه .

دخل الرجال العشرة ومعهم مصر على ملكهم في مجلس حكمه فلما راى في وجهه الشامتين قام اليه واستقبله بالترحاب واجلسه بجواره وقال : انت مصر بن سيف ؟ قال : نعم ، وهل وجدت نفسك في برية قفراء ؟ قال : نعم ، فقال : لا خوف عليك فأنت بغيتي ، وسأزوجك ابنتـــي واشركك في ملكي ، فقال مصر : اني غريب وضيف ، فلا اعصي لك امرا، فقال الملك : لست الان بغريب ولا ضيف وما انت الا كأحدنا ، ثم عقد له على ابنته وجعله وزيره الاول ، فاتخذ له مصر وزيرا عرف بأصالة الراي والاخلاص ، وذات يوم قال مصر لوزيره : لقد تحرك في صدري الشوق الى رؤية اهلي ، ولا ادري ما أفعله في ذلك .

فقال الوزير : لا يشغلك التفكير في اهلك فلهم رب يحميهم ويتولـى امرهم ، فقم الان واذهب الى بستان الرضى لتنسى فيه ما يشغل بالك ويبلبل افكارك وهو في برية خلوية بعيدة عن لبة الحياة ومشاكلها ، فقال مصر : ارجو ان تنوب عني الى ان اعود .

ركب مصر في مائة فارس وغادر المدينة الى هذا البستان ، وبينما هو سائر في طريقه راى غزالة جميلة فرام صيدها ، وجرى اليها فجرت امامه حتى غاب عن اعين فرسانه ولما ابطأ عليهم بحثوا عنه في هذه البرية فلم يقفوا له على اثر فرجعوا الى الوزير واخبروه ما كان من امر نصر واخبروا زوجته باهية فحزنوا وانتظروا عودته .

اما مصر فانه ما زال يجري خلف الغزالة حتى غطست في الارض ولم يعرف اين ذهبت ، واراد الرجوع الى فرسانه فجعل يمشي على غير هدى وايقن انه ضل السبيل واصبح من ضحايا الصحراء . وبينما هو كذلك راى اربعين فارسا مقبلين عليه فذهبت عنه وحشته واتجه الـــى لقائهم ، وكان كبيرهم بهرام المجوسي الذي خرج يطلب مصر بعد ان استنطق كهانته فدلته على انه لا يزال حيا يرزق وانه لا بد له من اخذ الخرزة ، فعزم على ان يلقاه ويحتال استخدامه في ان يخرج له الخرزة المرصودة من كنز كوش بن كنعان ، فلما رآه عرفه من شامتيه قال له : اهلا بقرة عيني وفلذة كبدي ، ومن ردني بصيرا بعد ان اذهب البكاء بصري ، فقال مصر : ذلك لقاء الوالد لولده بعد طول الغيبة وانقطاع الرجاء ، وما انا الا غريب، فمن اين لك بمعرفتي .

فقال بهرام : لقد مات لي ابن يشبهك واضناني الحزن عليه ، وقد

وجدت فيك السلو عنه ، فانت ابني ، وسأزوجك من ابنتي ، وتعيش في ظلال من غناي ونعمتي حتى توارينى قبري .

فقال مصر : انا رهن امرك فافعل ما شئت .

فقال بهرام : ما اسمك ؟

فقال : اسمي مصر بن سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، فاشار بهرام على اتباعه ان يبتعدوا عنه ، ولما خلا بمصر قال له : ان في كنز كوش بن كنعان خرزة ذات سبعة أوجه وسبعة اعوان وخدم من الجن وهم : الشاهق ، والصاعق ، والعاصي ، والبارق ، والعاصف ، والطارق ، وبردة ، كلما فركت وجها من وجوهها حضر خادمه فكان لك ما شئت ، ولهم كبير كتب اسمه على سلسلة ذهبية نيطت بالخرزة ، وقد علمت عن يقين ان هذه الخرزة ستكون لك يا مصر ، ولاني احببتك وتبنيتك تقدمت الى معونتك حتى تحصل عليها ، ففر مصر بهذا القول المعسول فقال : عجل بهذا الخير الذي جعله الله على يديك .

فقال بهرام : هيا بنا فان خير البر عاجله ، وجعلوا يقطعون الفيافي حتى وصلوا الى قبة كوش بن كنعان ، وكانت ذات اربعة اعمدة فظهر بهرام في عمود منها فوجد عليه تمثالا لعقرب ، فتلا عليه شيئا وهمهم فسقط التمثال على الارض وانفتح باب صغير بداخله سلم فصعدا فيه حتى نهايته، فوجدا بابا مفتاحه فيه ففتحه بهرام ودخلا فألفيا مكانا فسيحا به صنم على قدر الانسان وضع على قاعدة من الذهب وعن يمينه سبعة اصنام وعن يساره سبعة مثلها ، فقال بهرام لمصر : ستجلس فوق هذا الصنم الكبير مدة شهر ولا خوف عليك ، فاذا دار بك دورة فامسكه حتى تدور الاصنام التي عن اليمين وعن الشمال وستجدني حينئذ عندك لاشير بما تفعله ، ثم وضع بجانبه زاده وماءه ليأكل ويشرب مدة الشهر فرضي مصر على مضض وهو معتمد على الله الذي يرجو منه الحماية والعون .

مضى الشهر وتحرك الصنم وتحركت الاصنام ، واذا بالصنم الكبير يلفظ من فمه الخرزة المنشودة ، فالتقطها مصر وجعل يقلبها في يده وينظر اليها بفرح لا مزيد عليه ، فسمع قائلا يقول : ايها الملك الذي احـــرزت الخرزة احرص عليها ولا تفرط فيها لاحد مهما كان شأنه وحضر بهرام اذ ذاك فأخبره مصر انه اخذ الخرزة فقال له : ارينها وهي في يدك فاني اخشى الا تكون الخرزة المنشودة . فبسط مصر كفه فاختطفها بهرام واغلق الباب عليه وقال : هذا قبرك الذي ستموت فيه .

فقال مصر : خذ الخرزة واتركني لشأني وامري لله .

فقال : كيف اطلقك من سجنك هذا وانت تعبد الله ، ينبغي لك ان تموت فالى غير لقاء ، ثم تركه ومضى الى سبيله .

توجه مصر بقلبه الى الله شاكيا راجيا ، فجاءته عجوز وقالت : لم تستمع لنصحي واضعت الخرزة حتى اخذها ذلك المجوسي الكافر ليستخدم

بها اولادي ؟ فقال مصر : من انت يا عمتاه ؟

فقالت : انا عوسجة أم الاولاد السبعة الذين يخدمون الخرزة ، وقد اوصانا كوش بن كنعان ان نكون لك مطيعين مخلصين اذا ما اخذت الخرزة ولكنك فرطت بها ولم تصغ الى تحذيري فاضعتها اذ ناولتها لذلك المجوسي الكافر وجعلت اولادي يخدمون شخصا يعبد النار من دون الله ، فانت لان جدير بأن يصب عليك أوجع عقاب واقساه .

فقال : نعم ، انه صاحبها وقد اخذها ، وليس علينا ان نحافظ عليها ونا كنت تغفرين ذنبه وتكشفين عنه ما مسه من ضر ، فارجعي لابنك الخرزة واخرجيه من سجنه وما انت الا آية من رحمة الله ومعونته .

فقالت : أوجعت قلبي بحديثك هذا ، وما أرحم قلوب الامهات ، لا تحزن ولا تيأس يابني بما صنع بك المجوسي الملعون ، سأخرجك من سجنك وارد لك الخرزة ، ثم نادت ابنها بردى وهو اصغر اخوته وقالت : أتعرف هذا الرجل ؟ فقال : لا ، فقالت : انه مصر بن سيف سيدكم المطاع ، فقال : لا نعرف لنا سيدا الا بهرام المجوسي الذي باتت الخرزة في حوزته الان .

فقالت : ليس بهرام هذا صاحب الخرزة ، ولا كانت مرصودة له ، ولكنه غدر بصاحبها واختطفها منه . فهو ظالم مغتصب استولى على ما لغيره بغير حق ، وهو عدا ذلك يعبد النار ، واما مصر هذا فهو المسلوب حقه والمؤمن بالله ورسله ، فكيف تطيقون ان تحترموا مجوسيا ظالما ولا تساعدوا مظلوما مؤمنا .

ثم قالت لمصر : اكشف عن صدرك . ففعل فوجدت على ثديه الايمن شامة كلون العنبر ، فقالت لولدها : أليست هذه هي الشامة التي حدثنا ابوك عنها ؟ ثم قالت لمصر : اكشف يابني عن ساقك اليمنى ، فكشف ، فوجدت بالقرب من ركبته شامة مثلها ، فقال ابنها : وهذه ايضا حدثنا عنها والدي ، فقالت : لا ينبغي ان نسكت عن ظلم حتى ننصف المظلوم من ظالمه ، ونرد اليه حقه المغصوب ، ولا ينبغي لك ان تكون واخوتك خدما لظالم كافر ، هات لي والدك يا بردى ، فلما حضر قالت :

أليس هذا صاحب الخرزة ؟ اجاب : بلى . فقالت العجوز : لقد اخذت منه غدرا وعلينا ان نحافظ عليها ما دامت في حجرة الكنز سواء كانت في يد مصر ام في يد احد غيره ، اما اذا اخذها صاحبها وخرج بها من حجرة الكنز فليس علينا شيء بعد ذلك ، وقد خطفت من يد مصر وهو لا يزال في حجرة الكنز فكانها اذ ذاك خطفت منا وعلينا ان نردها لصاحبها ، وكان الاولاد قد حضروا في اثر ابيهم وسمعوا ما قالت وايقنوا انه الحق ، وان عليهم ان يردوا الخرزة الى مصر بن سيف ، والا فهم قد نقضوا موثق كوش بن كنعان وخانوا امانته ، فقالوا : سنحتال لارجاع الخرزة الى مصر بعون الله وفضله فلا تجزعي يا اماه ، فقالت : ولن يخرج مصر من الكنز

حتى تعاد اليه خرزته .

فجلسوا يتشاورون فقال احدهم : اذا نحن ذهبنا الى بهرام في صورتنا هذه احرقتنا ارصاده ، ولهذا يجب ان نكون في صورة انواع من الحيوانات .

فقال الاول : سأكون حوتا لاخوض البحر الى جزيرته .

وقال الثاني : سأكون قطا تحملني اليه .

وقال الثالث : وسأكون انا فأرا في فم القط ، وحملهم الحوت على البحر ، فقال الفأر : انتظروني هنا فسأدخل قصره وآتيكم بالخرزة، وتسلل الفأر الى حجرة بهرام المجوسي فوجده قد اكل وشرب الخمر واضطجع على سريره والخرزة في فمه فصبر الفأر حتى غرق في نومه ، فغمس ذنبه في وعاء الخمر ووضعه في انف بهرام وهو نائم فعطس وسقط تالخرزة من فمه على ارض الحجرة فالتقطها الفأر وفر مسرعا الى الحوت والقط ، فحملهما الحوت ورجع بهما وفي اثناء سيرهم في البحر ثارت عاصفة هوجاء اضطرب لها البحر وتواثبت امواجه فسقطت الخرزة وخاض بهم في البحر حتى بلغوا شاطىء الجزيرة على مقربة من قصره المطل فيه ، فحزنوا ورجعوا الى صورتهم وجلسوا على الشاطىء وكل منهم يلوم صاحبه . وكان بهرام لما وصل بالخرزة الى قصره احضر اربعة اعوان من خدام الخرزة وامرهم ان يحضروا مصر بن سيف ليقتله ، فقالوا : انه في حماية منا ولا نستطيع ان نحضره .

فقال لهم : احضروه وامكم معه ، فذهبوا اليها واخبروها ، فقالت : لن ادعكم تأخذوه ، ولا بد من محاربة بهرام ، فقالوا : ان الخرزة معه وبها يستطيع ان يحرقنا ويحرقك .

فقال مصر : احملوني اليه والله يفعل ما يشاء .

فقالت عوسجة : لن افارق ابني مصر بن سيف فخذوني معه ، وساروا جميعهم حتى التقوا بالشاهق والصاعق والعاصي وهم جالسون على الشاطىء بعد ان سقطت الخرزة منهم في البحر فلما عرفوا ان الخرزة سقطت في البحر اطمأنوا واعرضوا عن الذهاب الى بهرام وتركوا مصر على الشاطىء وغاصوا جميعهم في البحر باحثين عن الخرزة فيه .

راى مصر شجرة بجوار الشاطىء فقام اليها وجلس على غصن من غصونها لتتكشف له ارض الوادي وسطح البحر وليكون اقرب الى الاطمئنان على نفسه في وحدته . وما لبث حتى سمع صوت دوى في ارجاء الوادي ، فالتفت الى مصدر الصوت فراى حيوانا خرج من البحر على صورة بقرة هائلة الجثة سوداء اللون طويلة القرنين فسمعها تقول : اخرجوا من البحر فلا خوف عليكم فالمكان خال لا احد فيه ، فخرجت اذ ذاك من البحر حيوانات هائلة لا يحصى لها عدد وهي على صور واشكال مختلفة كالبغال والافيال والجمال وغيرها ، ثم خرج على الاثر حيوان كبير

نصفه آدمي والنصف الاسفل على شكل السمكة والى جانبه جماعة على شاكلته وصورته ، وكان هو كبيرهم وصاحب الامر فيهم ، ثم جلس وجلسوا حوله وامر المنادي فقال : انزعوا عنكم جلودكم ، فكانوا جميعهم على صورة الانسان ، ثم امر كبيرهم ان يأتوه بمصر بن سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، فلما سمع مصر هذا الامر ارتجف قلبه رعبا واسرع اربعة منهم الى السجرة فأحضروه امام كبيرهم ، فقال له : لا خوف عليك يا مصر ، فاطمأن مصر وسألهم عن انفسهم فقال : نحن من جزيرة العمالقة وملكنا يدعى النعمان ، وعنده اربعون كاهنا ، وجميعهم لهم اتباع واعوان ، وقد صنع الكهنة لنا هذه الجلود اذا لبسناها استطعنا ان نغوص بها في البحر ونتنقل في انحائه سنة كاملة ، ثم نخرج منه احياء سالمين ، وقد اخبر الكهنة مصرا ان له خصما عنيدا يسمى كوكب المجوسي وهو من عبدة النار، ولا ينتصر عليه ا لابسيف الملك مصر ، فأمرنا ان نبحث عنك حيث تكون وقد احضرنا لك جلدا مرصودا اذا لبسته خضت البحر ولبثت فيه مائة سنة دون ان تصاب بسوء ، فهيا بنا اليه ، فلبس الجلد ولبسوا هم جلودهم وغطسوا في البحر وسافروا الى مليكهم النعمان ، فوجدوا الحرب مشتعلة بينه وبين كوكب المجوسي ، فركب مصر جوادا وتقلد بعدة كاملة وخاض المعمعة وأذاق عبدة النار كؤوس الموت ، وفي اثناء القتال حضر عرفجة وأولاده السبعة ومعهم الخرزة فوجدوه في هذا المعترك يقاتل ويجاهد فبادروا وارسلوا على المجوسي وجنوده حجارة وصخور وشهب من نار ، ففروا هاربين وقد قتل ملكهم المجوسي وعدد كبير من جنده ، وانتصر الملك النعمان انتصارا باهرا ، ثم تقدم عرفجة الى مصر واعطاه الخرزة ووصاه خيرا بأولاده السبعة ، فشكره ووعده ان يكرمهم ولا يرهقهم من امرهم عسرا .

فقال له عرفجة : ان خادما واحدا من خدامها لو سلطته على جبل لنسفه نسفا او لنقله من مكانه ، ففرح مصر بذلك فخطر في باله ان ينتقم من بهرام المجوسي الغادر فأمر أعوان الخرزة ان يجيئوا به اليه فطاروا الى قصره فأمسكوه وحملوه الى سيدهم مصر فوضعوه امامه ، فقال له : اسمع يا بهرام ، انني اسامحك بكل ما قدمت لي من خطيئة وخيانة ان انت آمنت بالله ، فما تقول ؟

فأصر على كفره وأبى ان يؤمن فأمر ان يحرقوه بالنار فأصبح رمادا تذروه الرياح ، وكان مصيره جهنم وبئس القرار . ثم امر ان يهدم قصره فهدموه ثم امرهم ان يأتوه بوزيره فأحضروه بين يديه فسأله عن زوجته باهية فأجاب : انها بخير وفي أرغد عيش ، ولقد كان حزننا لفراقك عظيما، ولو كنا عرفنا اين انت ما تأخرنا عن اللحاق بك . فأمر ان يحمل الى مدينته وان يأتوه بزوجته باهية ، فحملوها اليه مكرمة ، ثم أمر الاعوان ان يذهبوا الى حمراء اليمن ويأتوه بأخبار المؤمنين فيها ، فانطلقوا اليها ولم

يلبثوا ان عادوا وقالوا لمصر :

ان المدينة هدمت واهلها يقيمون في وادي السيسبان ، فاحزنه هذا النبأ ثم ودع الملك النعمان وطاب من اعوانه ان ينقلوه وزوجته الى اهله في وادي السيسبان .

اما اهل حمراء اليمن فانهم لما طالت عليهم غيبة الملك سيف وابنائه طلبوا من الحكيمة عاقلة ان تستفتي في الرمل اخبارهم فقالت : ان سيفا وابنيه دمر ونصر في عناء ومشقة وسينقشع عنهما العناء بعد قريب اما الملك مصر فانه في طريقه اليكم ، وما لبثوا غير ايام حتى جاءهم مصر وزوجته فأزال عنهم بعض الكرب ، وابت امه ان تقابله او تسلم عليه حتى يأتيها بأخويه دمر ونصر، فلما بلغه ذلك سأل اعوان الخرزة عنهما فقالوا: انهما محبوسان عند اخ بهرام المجوسي الغادر ، فأمر ان يحملوهما اليه في الحـــال ، فانطلقوا اليهما في سجنهما واحضروهما بين يدي اخيهما الملك مصر ، فعمت البهجة بقدومهما وسأل دمر اخاه مصر عما جرى له في غيبته فحكى له كل شيء ، فحسده على ما اتاه الله من فضله واسر في نفسه ان يسرق منه الخرزة فجعل يترقب الفرصة السانحة حتى كان مصر في البستان وحده واستولى عليه النعاس فبالحال سرقها دمر ثم فرك وجهها فحضر الاعوان جميعهم وامرهم ان ينقلوه الى اجمل مدينة ، فحملوه الى دمشق وكـــان مليكها جبرون ، وله بنت تسمى الجابية ووزير اسمه توما وكانوا من عبدة النار ، فوقف دمر على قصر بنت الملك فلمحه احد الحراس فقال له : لا تقف ايها الرجل امام القصر والا امرت ابنة الملك باعدامك ، الا اذا كنت شاعرا فانها مغرمة بالشعراء فقال : ما انا الا شاعر اطوف البلاد. ثم طلب من عونه ان يعلمه شيئا من الشعر فقال : يحسن بي ان اكون بين ثوبك وبدنك واقول الشعر الذي تهيم به الجابية ، وجعل العون يغني بالشعر الذي تحبه الجابية فطربت منه وشغفت بالاستماع اليه ، فأمرت ان يحضر هذا الشاعر اليها ، فأجلسته معها يسمعها شعرا اسكرها وجعلها تغرم به وتتفانى في اكرامه حتى قالت له : اطلب ما تشاء فاني احب ان اكافئك بما تستحقه ، فقال : ان طلبت مالا تسقط منزلتي في نفسك ، فقالت : اطلب اذن ما تريد غير المال ، فقال : لن يتحرك لساني بما اريد حتـــى تمنحيني الامان ، فقالت : انت آمن ، لك ما تشاء وتطلب .

فقال : اود ان اتزوج منك ، فاطرقت طويلا ثم قالت: وهل سمعت ان شاعرا تزوج من بنت ملك ؟ لا بد انك غير سليم العقل بدليل انك لم تفرق بين صائب الراي وخطاه .

فقال : بل دللت برايي هذا عن اني سليم العقل ، سديد الراي ، قوي التمييز ، فقد عرفت انك احسن لي ممن في الوجود ، فطلبتك لنفسي ، وذلك احب شيء عندي . فأعجبها كلامه ، وصادف هوى في نفسها ورغبة تخفيها ولا تبديها فقالت : سأرشدك اذن الى حيلة تقودك الى ما تطلب ،

فاذهب الى ابي وقل له : سمعت عنك انك اعظم الملوك واقواهم، واكرمهم واسخاهم ، فأطمعني ذلك ان اجيئك لاثني عليك بشعري وانشر ذكرك بين الملأ، فان قال لك : اسمعني شيئا من شعرك ، فاسمعه شعرا يملك عليه عقله ، فاذا سألك ان تطلب منه جزاء على ما قلت فالتمس منه الامان ، فان منحك الامان فقل له : جئتك خاطبا ابنتك الجابية لي فلا تردني .

وكان الملك لا يتوقع منه ان يخطب ابنته ، فلما اعجبه شعره وعده ان يمنحه كلّ ما يتمناه مهما يبلغ من الامر ، ولما وجد اليه تمنى الزواج من ابنته الجابية اضطرب وتحير لانه لم يكن راض بزواج ابنته ولا هو راض عن اخلاف وعده ، فنهض وزيره توما وكان يحب الجابية ويريدها لنفسه فقال: ايرضى الملك عن زواج ابنته من شاعر جوال ، يطرق ابواب الملوك وغير الملوك ؟

فقال : ولكني ان نقضت عهدي واخلفت وعدي ، سلقني بلسانه ، وعابني بشعره بين الملوك ، فيلحقني من العار ما يؤذي سمعتي ويمس شرفي ، وقد عميت في وجهي المذاهب فلا ادري ما افعل .

فقال توما : دع عنك الامر وسأجد لك مخلصا لا يشوبك منه شائبة. فالتفت الملك الى دمر وقال : لست أجرأ على ان ارفض لك أمنية ، ولكنك انما تمنيت شيئا لا أملكه ، فقد وكلت امر زواج ابنتي الى وزيري توما فان كنت مصرا على خطبتها فاطلبها منه والامر بينك وبينه ، فخطبها دمر من الوزير فقال له : انا فيك راغبون ، ولكنك تعلم ان بنات الملوك غاليات المهور وربما عجزت عن مهرها . فقال دمر : اقترح ما تشاء من المهر تجده لديك حاضرا .

فقال الوزير توما : رأينا ان يكون مهرها ذا نفع شامل لرعية الملك فليكن المهر سبعة انهر تجري في الشام ، لتكون منبع خير وثراء لشعب الملك المتفاني في حبه ، فقال دمر : رضيت بما اقترحت ، وسأغادركم لتنفيذه ، وسلامي عليكم .

خلا دمر بنفسه وفرك أوجه الخرزة فحضر أعوانها السبعة فقال لهم : اريد منكم ان تنشئوا في ارض الشام سبعة انهر ، وان يتم ذلك في اقرب وقت ، والا احرقتكم ومحوت من الوجود اثركم ، فقالوا : امهلنا لنتدبر الامر وننهض به . فقال : امهلكم ولكن حذار من الابطاء .

اجتمع الاخوة السبعة يتشاورون ، فقال الاول : ما هذه الداهية التي نحن عليها مقبلون ، وما هذا الرجل الذي ابتلينا به ، ويريد ان يحملنا على ما هو فوق طاقتنا ، وقال الثاني : لا بد انه سيكلفكم غدا بنقل الجبال ، وردم الانهار وتسيير السحب في السماء ، فقال الثالث : عجبا له يسرق ويظلم ، ويخون ويتعسف ، وقال الرابع : لماذا نطيعه وليس هو بصاحب الخرزة ولكنه خان اخاه وسرقها منه ، وقال الخامس : انه وان كان قد خان اخاه حسدا فمن الاجدر به ان يغدر بنا ويرمينا في اخطر المهالك ان

لم نطعه ، وقال السادس : انا من رايي ان لا نطيعه ، وان نسرق الخرزة منه ونردها الى صاحبها المرصودة له ، وقال السابع : ارى ان نعرض الامر على والدينا فهما بلا ريب اكثر خبرة منا واقوى رايا واهدى سبيلا.

فاطمأنوا لراي سابعهم وانطلقوا حتى اتوا اباهم فقصوا عليه امرهم فقال لهم : ان الذي سرق الخرزة انما هو اخو مصر صاحبها ، وليس لكم ان تخالفوه بل عليكم ان تصدعوا للامر ، فقالوا : واين الماء الذي يمد الشام بالانهر السبعة ؟ فقال الاب : يوجد بالجانب من هذا الجبل عرق من الماء فليملأ كل منكم قارورة منه ، ثم ينطلق الى اعوانه من الجن ويأمرهم ان يحفروا نهرا ثم يفرغ القارورة قائلا : انا فلان ، وستجري اذ ذاك الانهر السبعة بالمياه التي تسقي الحرث والنسل وتكون مصدر غنى ورخاء على اهل الشام ، ففعلوا ما اشار به ابوهم وجرت الانهر وفرح الاهلون فرحا شديدا وبلغ الملك مسامع الملك ووزيره فتولاهم العجب لهذا الحادث الذي لا يقدر عليه احد من ملوك الانس .

وجاءهم دمر فقال : لقد اجريت لكم الانهار في بضعة ايام فعمرت البقاع بالغنى والرخاء فهل لكم من حاجة اخرى اقضيها لكم ؟

فقال الوزير توما : نعم ما فعلت ، ولك منا جزيل الشكر والثناء ، ولكني اظنك ترى معي ان ابنة الملك لا بد لها من قصر يليق بها حتى تزف فيه اليك . فقال دمر : لن تزف الجابية الا في قصر يكون اعجوبة الفن ونادرة الزمان ، فامهلني قليلا حتى ابنيه ، فقال الملك جبرون : امهلتك شهرا ليكون القصر معدا تمام الاعداد ، فخرج دمر واحضر اعوان الخرزة وامرهم ان يبنوا له قصرا لا مثيل له في الرونق والجمال ، وسط بستان به صنوف الفاكهة والوان الازهار ، تحف به الاسواق والحوانيت وبيوت السكن وحمامات عامة للاستحمام بسور مرتفع وبه باب يسمى باب الجابية وان يجهز القصر بالاثاث والفرش التي لا نظير لها في قصور الملوك ، وامرهم كذلك ان تعمر المدينة بأتباعهم واعوانهم ففعلوا ما امرهم به وبني القصر وشيدت المدينة وعمرت بالسكان فقال لهم : اذهبوا الى الوزير توما وخذوه بشدة وعنف واتوا به الى هذه المدينة ليراها واسبغوه وانتم تطوفون به ضربا مؤلما ، ثم احضروه بين يدي . فذهب احدهم اليه فوجده جالسا امام الملك يقول له : لن اسكت عن هذا وكلما قضى حاجة كلفته بأثقل منها حتى يعجز ويمضي لسبيله ، فصرخ فيه خادم الخرزة قائلا :

هلم معي ايها الوزير ، وانظر القصر والمدينة والبساتين التي انشأها سيدي دمر ودعاها الجابية يمنا باسم ابنة الملك جبرون ، فمشى معه الوزير حتى اذا كان في المدينة جعلوا يؤنبونه ويخطون من شأنه ويضربونه على وجهه وقفاه كلما دخلوا به حارة او سوقا ، وهو كاظم غيظه ثم سألهم: من اين هؤلاء الذين امتلأت بهم المدينة ، فقالوا : انهم اعوان سيدنا دمر وأتباعه ، ثم ساروا به الى دمر ووضعوه بين يديه وقالوا : اليك بالوزير

الذي يخلق لك المتاعب ويقيم العراقيل في سبيل زواجك من ابنة الملك .
فقال له دمر : ارجو ان تكون المدينة قد اعجبتك يا حضرة الوزير ؟
فقال الوزير : يا سيدي ، اعلم انني اخطأت في تقديرك ، واسأت في معاملتي لك ، فأنا استحق ما نزل بي من الهوان على يد اعوانك ، وارجو منك ان تعفو عني . فقال دمر : ان انت رويت للملك ما اصابك عفوت عنك والا فالهلاك نصيبك .

فقال الوزير : سأروي له الان كل شيء ، ومثل الوزير امام الملك مكروبا يبدو الحزن على وجهه ، فسأله الملك عما به ؟ فقال : لقد بنى الشاعر مدينة وقصرا باسم الجابية واستدعاني لرؤيتها ، ولكن اتباعه اشبعوني ضربا ومهانة وكان السبب في ذلك لاني أثقلت عليه في طلب المهر ، وظن اني اضع العراقيل في سبيل زواجه ، والامر اليك الان ، وبينما هما يفكران في الامر جاءهما جنود الملك واخبروهما ان هناك جيشا يملأ الفضاء مقبل على المدينة ، فخرج الملك ووزراءه وكبراء دولته يستقبلون هذا الجيش ويقفون على اخباره ، فجاءتهم الانباء ان هذا الجيش للشاعر دمر وقد جاء ليتم زواجه من الجابية ابنة الملك .

ولما التقى دمر بالملك جبرون ووزرائه فسأله الملك : لما فعلت ذلك ؟ فقال دمر : عندك وزير اما جاهل او حقود ، عارضني في امر زواجي من ابنتك ، وكلفني في مهرها ما لا يطيقه انسان ، وافهمني ان ابنة الملك لا يليق بها التزوج الا من ملك كفء لها ، فحضرت لكم ملكا ذا جيش ماحق لا يبقي ولا يذر ، فما انت فاعل في امر زواجي من ابنتك ؟.

فقال الملك : نحن جميعا رهن اشارتك وابنتي خادمتك ، ولك فينا ما تشاء فاطلب تطع . فشكر له دمر واثنى عليه ، ثم عقد الملك عقده على ابنته واقاموا الافراح ثلاثين يوما ، وبعد ايام قال الملك لوزيره : اني لفي عجب من امر هذا الرجل الذي زوجته ابنتي ، فقد فعل ما لا يستطيع فعله ملك الملوك وانت تراه ذا أطوار متباينة فتارة تكثر جنوده من حوله ، وتارة لا نجد حوله احد ولكنه في الحالتين ثابت الجنان مطمئن البال .

فقال الوزير : ذلك فعل السحر والكهانة ، فلا بد ان يكون معه لوح مرصود او شيء من هذا القبيل ، فهو يسخر به الجن ، ويأمر فيهم وينهي كما يريد ، وان اردت معرفة حقيقته فلا سبيل لك الا ابنتك ، لانها تستطيع ان تحتال عليه حتى يطمئن اليها ويثق بها ويبوح لها بما يخفيه سره ، فلنذهب اليها لنشر عليها بذلك حتى تأتينا بالخبر اليقين ، وكان دمر بعد ان زفت اليه الجابية قد عرض عليها الايمان فشرح الله صدرها فآمنت مخلصة لله دينها ولكنها اخفت عن ابيها وقومها ايمانها .

دخل الملك والوزير على ابنته في غيبة زوجها وكلفاها ان تحتال لمعرفة امر زوجها ، فقالت : لقد عولت على ذلك من نفسي ، وسأدبر الامر كي اعرف عنه كل شيء .

اتخذت الجابية سبيلها الى قلبه بطاعتها واحترامها اياه ، وحرصها على راحته وافهامها له انها مخلصة له كل الاخلاص حتى اصبح عندها كل شيء في الوجود ، وفي جلسة ساد فيها الولاء وعظم الاخلاص والوفاء وسألته عن نفسه فقال : انا دمر بن الملك سيف ملك اليمن واخي مصر قد حاز على خرزة كوش بن كنعان ، اذا فرك المرء وجها من وجوهها حضرت له أعوان من الجن فيسخرهم فيما يشاء ، فسرقتها منه حسدا وغيظا ، وفررت بها من مدينتنا حمراء اليمن الى ان جئتكم ، وتزوجت منك على نحو ما تعرفين .

فقالت الجابية : واين اخوك مصر الذي سرقت منه الخرزة ؟

فقال : لا أعلم ، ولا ادري اين هو الان ، ولا احب ان اعرف اين يكون، وما ان اتم حديثه حتى شعرت الجابية بنفور شديد منه ، وقالت في نفسها : انه خائن غادر لا امانة له ، ومن لا امانة له لا خير فيه ولا يؤمن جانبه ، ولا ينبغي ان تكون هذه الخرزة الا في يد شهم امين ، ولا يستحق هذا الغادر الا العذاب والتنكيل ، فقد خرج عن انسانيته بغدره وخيانته، والاطمئنان على مثله خطأ وضلال مبين .

انتظرت الجابية حتى غرق زوجها في نومه فسرقت منه الخرزة في رفق ثم انفردت بها في حجرة اخرى وفركتها فحضر الاعوان وسألتهم عن حقيقتها فأكدوا ما قاله دمر ، فأمرتهم ان يلقوه في بقعة قفراء لا يجد فيها ماء ولا زاد ليموت ولتموت خيانته معه ، ويستريح الناس منه ، ولما جاءها ابوها ووزيره قصت عليهما الحقيقة وما فعلته بزوجها ، واراد ابوها ان يأخذ منها الخرزة فأبت ، فخرج من عندها غاضبا ، وخاصة بعد ان عرف بايمانها وتركها دينه ودين آبائه ، وخشيت ان يغلبها على امرها ويأخذ الخرزة منها ثم ينتقم منها لانها آمنت ، ففركت الخرزة وطلبت من أعوانها ان يحملوها الى مكان تعبد الله فيه حتى يوافيها اجلها وان يشيدوا لها قصرا تعيش فيه ، فحملوها الى بيت المقدس في قصر أعدوه لها ، وجعلت عونا من أعوان الخرزة ببابه وامرته ان سأل عنها سائل ان يقول : هذه ولية الله منهمكة فيعبادتها وخصها الله بشفاء المرضى، ومعرفة الغائب والضائع، واقامت في هذا القصر زمنا طويلا تشفي المرضى باذن الله ، وتدل على الغائب والضائع حتى كان يوم من الايام جاءها مصر بن سيف وكان قد خرج بعد ان سرق أخوه الخرزة منه الى البلاد والبقاع لعله يجد اخاه فيستعيد منه خرزته ، حتى كان بين يديها في ذلك اليوم فبث اليها شكايته وكيف ضاعت منه الخرز وخيانة اخيه له ، ثم حكت هي له ما كان من امر اخيه وكيف اخذت منه الخرزة وقدمت لهذا القصر لتعتكف فيه على عبادة الله وناولته الخرزة ، ففركها فحضر عون من اعوانها ، فوكل اليه حماية الجابية في قصرها وحراستها وان يكفل راحتها وطعامها وشرابها ، ثم فرك الخرزة فحضر بقية الاعوان فقال لهم : احملوني الى حيث اهلي وقومي بوادي

السيسبان ، ولقد كانوا في حزن عظيم لفقده وفقد اخيه دمر ، فلما جاءهم هبوا للقائه فرحين وسألوه عن اخيه دمر ، فحكى لهم قصة الخرزة وما جرى لاخيه دمر حتى جاءهم ، فقالوا : ولكنا عهدناك كريم الخلق عظيم العفو والمغفرة ، ونود ان تبحث عن اخيك فله حق الحنان والعطف، ففرك الخرزة وحضر الاعوان فكلفهم بالبحث عن اخيه حيث يكون ، وان يأتوه به في اسرع وقت .

وكان دمر حينما استيقظ من نومه وجد نفسه في هذا المكان المقفر وحيدا ولم يجد الخرزة معه ، فندم اذ افضى بسره الى زوجته ، والتفت هنا وهناك لعله يجد ماء او زاد ولكن بدون جدوى فمشى على غير هدى الى ان رأى مدينتين فدخل المدينة التي على يمينه ، فراى حوانيتها مفتحة الابواب وكان لا يزال في الثلث الاول من الليل . وقد اشتد به الجوع والعطش ، فدخل مطعما من مطاعم المدينة فأكل حتى شبع ثم دخل خانا لمبيت التجار ونزع عنه ملابسه كلها ولبس ملابس جديدة ، وتقلد عدة حرب كانت في هذا الخان ثم غلب عليه النعاس فنام على مصطبة في شارع من شوارع المدينة المدينة وما كاد ان يغفو حتى هجم عليه الوف من البق، وما استطاع ان يدفعها عنه او يسلم من أذاها ، فخرج من المدينة ونام في خارجها على مقربة من بابها، وكانت هذه المدينة مدينة البق ، اهلها يعبدونه من دون الله فيتركون المدينة ليلا الى بستان ينامون فيه ، ثم يأتون في النهار ويكون البق قد اختفى ولا تظهر منه واحدة ، فكان الليل والنهار قسمة بين اهل المدينة والبق معبودهم .

وفي الصباح وجد اهل المدينة دمر نائما ووجد التاجر عليه ملابس تشبه ملابسه فصاح : هذا لص سرق بضاعتنا وملابسنا من حوانيتنا ، فانتبه دمر من نومه على صياحهم فشهر سيفه ليدافع به عن نفسه واحتدم بينهم القتال وكاد ينتهي بموته لولا خادم الخرزة الذي ارسله اخوه ليبحث عنه فخطفه من بينهم وهم متزاحمون من حوله ليقتلوه ، فلما طار به سأله : من انت ؟ فقال : احد أعوان الخرزة وخادم اخيك مصر ، فانه كلفني ان ابحث عنك واحملك اليه .

دخل مصر على امه منية النفوس فوجدها باكية حزينة ، فلما سألها عن بكائها فقالت : كيف لا ابكي وقد رايتكم لا تسألون عن ابيكم وفيكم قوة لا تلين ، ولكم رجال واعوان ، وعندكم سحرة وكهان ، ان كنتم قد نسيتموه واغفلتم شأنه اعطني ثوبي الريش لاجوب البلاد فاما ان اعثر عليه او اموت في سبيله ، وليس أحب الى النفس الكريمة من الوفاء بالواجب ، فطمأنها ابنها مصر ووعدها بأنه سيبحث عن ابيه ، وغادر حجرتها الى ديوان الحكم واحضر رجال المشورة والحكماء وقال لهم : لقد طالت غيبة ابي سيف ، ونحن لا ندري ما حل به ، فينبغي لنا الا نسكت عنه ، فعلى الحكماء منكم والكهنة ان يستفتوا علومهم ويدلونا على مكانه لنسعى في طلبه ، فكان هذا

القول عليهم بردا وسلاما .

فنهض الكهنة وبادروا الى استطلاع رمالهم ثم قالوا : ان سيف عند الثريا الزرقاء في الجبل الازرق المقابل للجبل الاحمر الذي فيه الثريا الحمراء ، وهما كاهنتان ماهرتان ، اما الزرقاء فانها تبغضه وتكرهه واما الحمراء فانها تحبه وتود له الخير والهناء ، وبين هاتين الكاهنتين عداء شديد .

ثم اتفقوا على ان يجمعوا جموعهم ويذهبوا اليه ، فخرج برنوخ الساحر الى اعوانه من الجان ، واخميم الطالب من رجاله ، والحكيمة عاقلة واتباعها من المردة ، ومصر بن سيف واتباعه من خدام الخرزة واعوانهم ، ولما وصلوا الى الجبل الازرق انضمت اليهم الثريا الحمراء وجنودها ، ونشب القتال واحتدم فأسرت الثريا الزرقاء وهزم اتباعها ، وقتلت ساحرتها كيهونة ، ونادى مصر في المهزومين ان يستسلموا ويؤمنوا ولكنهم أصروا على كفرهم فأبادهم ولم يبق منهم احد ثم بحثوا عن الملك سيف فلم يجدوه ، ولكن الحكيمة عاقلة استفتت علومها في السحر وقالت : ان الزرقاء الملعونة سحرته غرابا وهو الان في بستان النزهة ، عند ذلك قالت الثريا الحمراء : اني رايت غرابا في البستان وهممت ان اقتله . فهيا بنا اليه ، فلما وصلوا اليه فرح بهم وحط بجوارهم ، فأشارت الحكيمة عاقلة عليه وقالت : هذا هو الملك سيف ولا يخرج من صورته هذه الا اذا احضرتم طاسة من النحاس الاصفر تسمى طاسة الانقلاب ، وهي في بئر الوطاويط بالارض المدهشة ، صنعها احد الكهان الذين اسلموا ، فهل لاحدكم ان يأتيني بها ؟

فقالوا : ليس لها غيرك ، فركبت زيرها الى الارض المدهشة وهناك طرقت باب القصر الذي فيه البئر فسألها الخادم : من الطارق ؟ فقالت : انا الحكيمة عاقلة ، فانفتح الباب فدخلت ومشت حتى وصلت الخادم الاكبر فلما رآها قام اليها وقبل يدها وسألها عن غرضها فأخبرته بما جاءت من اجله ، فغاص في البئر وصعد بالطاسة وناولها اياها فشكرته وركبت زيرها وعادت الى الملوك والجنود الذين ينتظرونها في البستان ، وهناك ملأت الطاسة بالماء وقرات عليها بعض التعاويذ ورشت الغراب بالماء فانقلب في الحال وعاد الى صورته الاصلية ، فكان سيف بن ذي يزن . فحمد الله واقبل الجميع عليه يهنئونه بسلامته فقال : ان اول شيء انوي فعله هو ان انتقم لنفسي من الثريا الزرقاء واذيقها اليم العذاب ، فقالوا انها اسيرة عندنا ، وارسلوا من يأتيهم بها فلم يجدوها ، فقالت الحكيمة عاقلة : لن اسكت عن طلبها حتى احضرها وكان مع الثريا الزرقاء خاتم مرصود ففركته فجاءها خادمه فأمرته ان يحملها الى قلاع الضباب وكانت سبع قلاع يشرف على كل منها كاهن ، فأشار سيف عليهم ان يتبعوها الى تلك القلاع .

فرحلوا وضربوا خيامهم عند القلعة الاولى فأحاطوا بها من كل جانب وحاول حارسها الشامخ ان يستعد لقتالهم ، ولكن الحكيمة عاقلة سلطت

عليه سحرها فارتفع في الجو ثم نزل بين صفوف المؤمنين ، فامسكه الجند واوثقوه ووضعوه بين يدي سيف فدعاه الى الايمان فآمن مخلصا ، فكلفه ان يأتيه بالثريا الزرقاء فصدع بالامر وانطلق اليها لاحضارها ولكنه لم يجدها فعاد واخبر سيف بأنها هربت الى القلعة الثانية من قلاع الضباب . وذلك انها لما عرفت ان الشامخ آمن امرت خادمها ان ينقلها الى القلعة الثانية فذهبوا الى حارسها الشاهق وطلب منه سيف ان يحضرها والا قتله فقال : اما قتلي فأصبح محرما عليك لاني آمنت بالله ، واما الثريا فلا سبيل لي اليها ، فدونكم واياها . فمد اليه سيف آصف بن برخيا وقال : ان كنت صادقا في ايمانك فامسك هذا السيف وكان لا يقربه الا مؤمن ، فأمسكه ولم يصب بأذى فأيقن سيف انه صادق وما زالت الثريا الزرقاء تهرب من قلعة الى اخرى حتى وصلت الى القلعة السابعة وملكها (رصد الفلك) كافر وساحر ولما دخلت عليه اخبرته ما جرى لها وقالت : ان القلاع الست آمن اصحابها واتباعهم ، وقد جئت اليك مستجيرة ، فأجرى بسحره انهارا كأنها البحار الزاخرة من حول قصره واصبحت كأنها جزيرة في وسط البحر ثم دخل خلوته وتلا عزائمه السحرية فارتخت اعصاب المؤمنين فأراد سيف ان يخرج سيف آصف من غمده فما استطاع ان يحرك يده واستولى النعاس على الجميع فلما استيقظ سيف لم يجد معه سيف آصف بن برخيا وكذلك استيقظ ابنه مصر فلم يجد معه خرزة كوش بن كنعان ، هذا وقد رأى سيف واتباعه واعوانه انفسهم وهم مكتفون ، وقلوبهم تناجي رب العالمين ان يأخذ بيدهم وينقذهم من شر هذا الكاهن . ووجدوا الكاهن راصد الفلك صاحب القلعة السابعة يقول لهم : انتم الان في قبضتي ، ولا ينجيكم احد من يدي ، فقالت الحكيمة عاقلة: كل شيء بقضاء الله وقدره ولو اجتمع الانس والجن على ان يضروا انسانا بشيء لم يرده الله فلن يقدروا ان يضروه .

فأخرج رصد الفلك الخرزة من جيبه وفرك اوجهها فحضر خدمها فسألهم : هل تستطيعون ان تحموا سيدكم مني ؟ فقالوا : نحن خدم الخرزة ومن يحوزها فقال : امضوا الى سبيلكم ثم قال : وهذا سيف آصف في غمده قد اخذناه منك يا ابن ذي يزن فلن تمسه يدك بعد الان ، ثم امر ان تأتيه ابنته (تحفة) كلما حضرت قال لها : خذي هذا السيف وارميه في البحر حتى نأمن جانبه ، فأخذته من ابيها وقالت : هناك امر اخطر من هذا واولى بالاهتمام قبل كل شيء ، فلقد طمع في ابنتك سفلة الخلق ، فاعتدل في جلسته مهتما وقال : وكيف كان ذلك ؟ فقالت : لما برحت قصري الى الخلاء للنزهة لقيني سيرين الحكيم وهو يبكي ، فأشفقت عليه وسألته عن بكائه فقال : انما ابكي ، من اجل ابيك ، فقد اسره المؤمنون وابادوا رجاله ، وكنت ذاهبة اليك في قصرك لادلك على ذخيرة مرصودة في كنز براخيا تستعينين بها على نجاة ابيك من ايدي اعدائه فان شئت ان

تمضي بصحبتي اليها فاني طوع امرك ، فصدقته وذهبت معه لاحصل على تلك الذخيرة التي انفع بها ابي في وقت شدته ، فأدخلني في غار منقطع



الحكيمة عاقلة والثريا الحمراء وبعض أعوان سيف وبجوارهم سيف على هيئة غراب

عن الناس فشككت في امره وخفت على نفسي فجعلت الاطفه حتى انني قلت له : امكث هنا حتى اذهب الى قصري لارتدي حلتي المطلسمة لنذهب بها حيث تشاء ، فاستوثق مني بعد ان حلفت له يمينا ان اعود فاطلق سراحي

وقد اتيتك وبلغتك ، واري ان تترك هؤلاء الكلاب مقيدين وتبدا بقتل الكلب سيرين الذي يهددك في شرفك ، فان الابقاء على مثل هذا النذل فضيحة لا تمحى اما هؤلاء فما هم الا رجال يحاربون رجالا لغاية كريمة هي ان يكونوا رجالا ذوي سيادة ، ثم نعود اليهم ونفعل بهم ما نشاء . فاثر به قولها ونهض مسرعا معها الى غار سيرين ، وكان في سيره اسرع منها لشدة اهتمامه وتلهفه على الوصول اليه في اقرب وقت وهي من خلفه فاخرجت سيف آصف من غمده وقطعت عنقه ، ورجعت مسرعة الى سيف ومن معه فأطلقتهم من قيودهم الا سيرين الطالب ، فانها اوجعته ضربا على مراى ومشهد منهم ، فقال سيف : لماذا لم تكرميه كما اكرمتنا ؟ فقال سيرين : هذه التي تراها ليست ابنة الكاهن كما تظنون ، ولكنه اخي جاء ليخلصنا في هيئة ابنته ، فدعه يا سيف فهو اكبر مني سنا وله ان يفعل بي ما يراه وعلي ان اكرمه بصبري واحتمالي .

فعجب الحاضرون جميعهم وقال سيف : عجبا اهذا رجل ام امراة ؟ نكشفت عن وجهها فاذا هي رجل قوي ولكنه كان اكبر سنا من اخيه ، وقال : هذا اخي سيرين غاب عني مدة طويلة وتركني اتقلب على جمر الغضا من اجله ، ولم يفكر في اطفائها بالسؤال عني واخباري بمكانه ، ثم قال : وقد قتلت لكم رصد الفلك الكافر ، واطلقتكم لاني مؤمن واحب المؤمنين واحب ان افنى في سبيل انتصارهم قلى اعدائهم ، فشكروه واثنوا عليه ثناء عاطرا ، وأمر الملك سيف ان يأتوه بالثريا الزرقاء ، فلما حضرت دعاها الى الايمان فأبت ، فأمر بحرقها فأحرقت واصبحت رمادا ، ففرحت الثريا الحمراء لهذا النصر العظيم لسيف وجيوشه ، واحضرت اليه لوح عيروض وحلة بلقيس ففرك سيف اللوح فجاءه عيروض وقبل يده وهنأه بهذا الفوز المبين ، ثم سأل عيروض عن عاقصة فقال اويس القافي — وكان قد آمن مع سيدته الثريا الحمراء — : ها هي ذي واقفة في الجو فوق راسك ، فدعاها سيف فنزلت وسلمت عليه فسألها : اين كنت هذه المدة الطويلة ؟ فقالت : كنت معك ولم افارقك لحظة وانا التي كنت احرسك اثناء وجودك في البستان وانت غراب . فابتسم لها شاكرا ثم باتوا تلك الليلة ، وفي الصباح جاءهم الملك ميمون صاحب غابة الاسد ، فقال لسيف : جئتك لاقدم اليك خالص الولاء ولاكون من اتباعك المطيعين وقد آمنت انا وقومي ، وشعرنا بلذة الايمان ، واود ان تساعدني في الزواج من الثريا الحمراء ، فقال : حتى آخذ رايها ، ولما سألها سيف قالت : الامر لك ويسرني ان اكون في طاعتك ، فأبرم سيف بينهما عقد الزواج ، وزفت اليه في حفل بهيج ، ثم استأذنه ان يرحل بزوجته الى بلاده فأذن له وودعهما وداعا حافلا ، ثم ترك سيف ورجاله الجبلين الاحمر والازرق لابي الثريا الحمراء الذي آمن ونشر الايمان في قومه ، ثم عادوا الى اوطانهم بوادي السيسبان وأراد سيف ان يعيد تشييد مدينة حمراء اليمن ، اعترضه

الحكماء وقالوا له : لقد قرانا في الكتب ان عمارة هذه المدينة لا تجري على يديك ، ولكنها ستعمر بيد غيرك ، اما انت ستنشىء مدينة اخرى وسمها باسم ابنك مصر ، وسنحذو حذوك ويبني كل منا مدينة ويسميها باسمه ، فقال : انطلقوا معي اذن الى الارض التي سأبني فيها المدينة ، فجعلـــوا يخوضون في جوف الصحراء والقفار حتى نفذ ماؤهم ويئسوا من ان يجدوا ماء ، فركب سيف حصانه وجعل يسير به هنا وهناك باحثا عن الماء وبعد العناء والمشقة وجد غديرا حوله بيوت كثيرة للاعراب ، ووجد خيمة منفردة رفيعة العماد واسعة الرحاب فتقدم اليها فعلم انها لتكرور زوجته ومعها ابنها وهي اميرة هذه الاحياء ، فبعث اليها احدى جواريها تقول : بالباب ضيف غريب يا مولاتي ، فقالت تكرور : مرحبا بالضيف واكرم به. انه ان نزل فقد نزل بين اهله وقومه ، فاذني له بدخول الخيمة ، فلما راته عرفته ، ولكنها صبرت حتى تسأله خوفا من ان يكون هذا رجلا يشبهه فقالت : من الضيف الكريم ؟ فقال : سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، كتب عليه ان يجوب هذه القفار ، فابتسمت وبرقت عيناها ببريق الفرح وقالت: كما كتب على تكرور زوجتك ان تلتقي بزوجها سيف بعد غيبـــة طويلة ، واعتنقته فرحة باسمة ، ثم قالت : ان ابنك بولاق في الصيد الان ، فجلس وسألها عن حالها فقالت : امرت الثريا الزرقاء تابعها ان يحط بنا في بقعة جرداء غير مأهولة فطوح بنا في هذا الوادي فاشتد بنا العطش فتضرعت الى الله ان يرحم وحدتنا وذلنا وان يمدنا بماء من عنده فما انتهيت مـــن دعائي حتى غامت السماء وارسل الغيث مدرارا على هذه البقعة حتى امتلأ الوادي بالمياه فاقمت في جواره نشرب من مائه ونأكل مما تنبت ارضه ، وورد على هذا الماء عرب ظاعنون وقال بعضهم لبعض : عهدنا بهذا الوادي انه اقفر لا ماء فيه ، والان نجده كثير المياه يبشر بالرخاء والنعيم ، فقال احدهم : لعل الجن سكنوه ثم اجروا هذه المياه ، وقال عقلاؤهم : يبدو لنا ان القوم هنا من الانس ، وقد رحم الله وحدتهم فانزل عليهم من السماء هذا الماء وان سألتوهم فربما صدقونا القول .

ولما سألوني تأكد لهم صدق ظنهم ، ثم قالوا : اترضين ايتها الاعرابية ان ناتي بأهلنا واموالنا نقيم في هذا المكان على ان تكوني ملكة علينا ، واذا ما كبر ابنك وليناه ملكا علينا ؟ ولك منا اول قدومنا بيت كبير وعشرة من الابل وخمسون من الغنم وفرس لركوب ابنك .

فقلت : اهلا وسهلا بكم ولكم الامان من الله تعالى ، فاقاموا معي كما ترى في هذا المكان فرحين حتى قدمت الينا سالما ، ونحمد الله الذي من علينا بلقائك ، وذاع امر سيف بين البيوت فأقبلوا اليه مسلمين ، في اثناء ذلك اتى ابنه بولاق وبصحبته عشرة من رجاله وكانوا راجعين من الصيد .

فقال بولاق لابيه – وهو لا يعرفه – مرحبا بالضيف الكريم الذي ملأ مكاننا نورا وافعم قلوبنا سرورا ، فسأله ابوه : اما عرفتني ؟ فقال بولاق:

ما رايتك من قبل لاعرفك ؛ ولكنني اشعر بان قلبي يميل اليك ، وتستريح نفسي الى ظلك ، فأنت شرفت الديار ، واسبغت على اهلها فضلا عظيما بتشريفك .

فقال سيف : ما عدوت الواقع يابني حين اظهرت لي ما في نفسك من عظيم المحبة وجميل التقدير ، فانا ابوك سيف بن ذي يزن ملك اليمن ولك في نفس ابيك اعظم مما تجده في نفسك ، فنهض بولاق وقبل يديه ثم ضمه ابوه الى صدره وقال له : مر قومك يملؤا قربهم بالماء وينطلقوا معي الى قومي فان العطش اصر بهم فهم نازاون على مقربة من دياركم .

فلم يبق في الديار رجل لم يحمل قربة مملوءة ماء وسار سيف وابنه يتقدمان الصفوف ، فوجد عند قومه اضعاف ما عند ابنه من الماء فعجب سيف وقال : من اين لكم هذه الكثرة من الماء ؟

فقالوا : ان اخميم الطالب والحكيمة عاقلة امرانا بحفر بئرين ففاض الماء منهما كما ترى ، وقد سمينا البئرين باسميهما وجعلا لها رصدين يحرسانهما . ثم عرض على الحكماء امر الرحيل الى المدينة التي ارادوه ان يعمرها فقالت الحكيمة عاقلة : انها في قلعة تسمى قلعة الجبل ، ويرجع عهدها الى الزمن القديم ، وكانت على نهر يقال له نهر النيل وفي عهد الطوفان غرقت هذه المدينة وانطمست معالمها ، ولما غيض الماء وانكشفت الارض جاءها كاهنان ساحران وجعلا لهذا النهر رصدا وسبع جنادل وشلالات في طريقه ، وذلك مذكور في كتاب النيل الذي تعبت في احضاره والحصول عليه ثم اخذ سيف زوجته تكرور وابنه بولاق وغادروا هذا المكان الى تلك القلعة ، وهناك امر الاعوان ان يحفروا الارض ويكشفوا عنها ما غمرها من تراب وحجارة وكان معه لوح عيروض ولوح اويس القافي فأحضرهما وطلب منهما ان يسخرا أعوانهما من الجن في معونة الحفارين للكشف عن هذه القلعة .

واقام سيف بينهم ، فدخل يوما على زوجته الجيزة فوجدها تنتحب وتقول : احرق البين الكبد ، وقل مني الجلد ، وفقدت الراحة والجلد وعدمت المعين والسند .

فقال سيف : ما احزنك وازعج راحتك ؟

فقالت : ابني نصر لقد رجع اخوته ولم يعد وما سألت عنه ، فلو كنت رجلا لخرجت انا في اثره باحثة سائلة .

فحزن سيف وقال : لم اكن اعلم عن غيبته الا منك هذه اللحظة ؛ ولكني لن اغفل عن امره واقصر في البحث وان شاء الله تعلمين عنه كل خير .

وفي الصباح لقي مصر اباه سيفا مبتئسا فسأله عما به فقال : ان اخاك نصر غائبا ولا ندري اين هو فهلا امرت أعوان الخرزة التي معك ان ينبثوا في مشارق الارض ومغاربها لاحضاره ومعرفة اخباره ؟

فقال مصر : لن يبحث عنه الا اخوه مصر ، ثم ركب جواده وخرج يبحث

عن اخيه ، وبعد مسيرة ايام تذكر مدينة حمراء اليمن واستولت على فؤاده رغبة في تعميرها ، فنسي امر اخيه الذي خرج من اجله ، وامر اعوان الخرزة ان يحملوه الى حمراء اليمن .

لما استبطأ سيف عودة ولديه نصر ومصر امر في الحال اوبسا القافي بأن يأتيه بعاقصة ، فلما حضرت قال لهما : اريد ان تأتياني بأخبار ولدي مصر ونصر ، فصدعا لامره ورجعا اليه بعد ثلاثة ايام فقالا : جئناك ببشرى عظيمة تسرك جدا ، وهي : فقد عمرت مدينة حمراء اليمــــن ، واضحت اضخم واجمل مما كانت ، وفيها ولداك مصر ونصر على احسن حال . ومعهما ملك ثالث على خده شامات تدل على انه من نسل التبابعة ولابنك نصر ارهاط من الجن يسخرهم فيما يشاء ، فاغتبط سيف وطلب مــــن عاقصة ان تدخل على الجيزة وتبلغها بما جاءت به من اخبار ليذهب عنها حزنها ، فطمأنتها عاقصة واكدت قولها بالايمان المقنمة . ومن عجب ما حدث لمصر قبل ان يصل الى مدينة حمراء اليمن انه مر في طريقه على قصر فوجد فيه فتاة جميلة فقابلته بالابتسام وقالت :

مرحبا بمصر بن سيف ملك اليمن ، فقال : ومن تكونين ؟ وكيــــف عرفتني ؟ وانا لا اذكر اني قابلتك قبل الان ؟ فقالت : كان ابي يعبد النار وقد اخبره الكهنة اني سأتزوج من مصر بن سيف وهو مؤمن وسأكون على دينه ، فبنى لي هذا القصر حتى لا تراني ولا اراك ، ولبثت في هذا القصر مدة طويلة انتظرك حتى انعمت علي بقدومك ، ثم سألته : كيف جئت الى قصري ؟ فأخبرها ان معه خرزة كوش بن كنعان ولها خدم واعوان من الجن وهم تحت امره وفي طاعته ، فقالت : ارنيها ، فهم ان يعطيها الخرزة ، ولكنه راى سيفا قد انقض على عنقها فقطعه وسقطت بين يديه جثة هامدة، وكان الذي قتلها احد خدام الخرزة فسأله مصر : لم فعلت ذلك ؟ فقال : انها ليست بنتا كما اعلمتك ولكنها كاهن يعبد النار ، وهو اخو – راصد الفلك – وقد بنى هذا القصر في طريقك وخدعك بقوله ليأخذ منك الخرزة ويقتلك ، وقد عرفت ذلك فلم امكنه من تحقيق غرضه وعجلت بقتله ، فقلب مصر الجثة التي امامه فوجدها كما قال خادمه فأمره ان يحرقه ، وبعد ان احرقه لم يجد للقصر اثرا ، ووجد نفسه في برية جرداء ، ثم حمله اعوان الخرزة الى مدينة حمراء اليمن لعمارتها ، اما نصر اخوه فكان قد القي في وادي التيه قريبا من شجرة ازلية وعين من الماء جارية ، فأكل من ثمار تلك الشجرة وشرب من هذا الماء ، ثم اخذ يمشي وكان كلما سلك طريقا يرى نفسه امام هاتين الشجرة والعين وهو لا يدري سببا ؛ واذا بحية عظيمة بيضاء تخرج من هذه العين ومن خلفها ثعبان اسود يجد في اثرها ، وهي تحاول ان تفلت منه وتهرب ، فتناول نصر حجرا كبيرا من الارض وضرب به رأس ذلك الثعبان فمات لساعته ، فانقلبت الحية في الحال الى فتاة حسناء رائعة الجمال وقالت لنصر :

جزاك الله خيرا ايها الفتى ، لقد خلصتني من هذا الثعبان ، فسألها عن نفسها وعن ذلك الثعبان ؟ فقالت : انه مارد خبيث من مردة الجن رآني على غير علم مني وأحبني ، فسلط علي عجوزا كانت تختلف الى قصري لزيارتي وكنت أعطف عليها واكرمها ولكنها اخذت تحبب الي الخروج الى الخلاء للنزهة والحت علي كثيرا فطاوعتها وخرجت معها ولكن قلبي ما كان مطمئن لها فانقلبت حية لكي أفر منها وكان هذا المارد يرقبنا وانا لا ادري بوجوده فانقلب ثعبانا اسود وجرى خلفي فهربت منه ونزلت في هذه العين فنزل فيها ايضا ، فخرجت منها وهو لا يزال يتبعني حتى ضربته انت بالحجر وقتلته ونجيتني من شره ولذلك فأنا أود ان اجزيك خيرا ما فعلته معي فاطلب مني ما تشاء لاقضيه لك ، فقال : لا أريد الا ان أرجع الى اهلي ودياري ، فقالت الفتاة : هل اكلت من هذه الشجرة وشربت من ماء تلك العين ؟ فقال : نعم ، اكلت وشربت منهما ، فقالت الفتاة وكان اسمها زهرة : انك لن تستطيع ان تخرج من هذا الوادي ابدا ما دمت قد اكلت من الشجرة وشربت من العين ، فاطلب مني غير ذلك ما تشاء ، فقال : ان تكفليني وتأتيني كل يوم بطعامي وشرابي ، فقالت : لك علي ذلك ، ثم ذهبت الفتاة الى عمتها واخبرتها بما فعله هذا الغلام . فقالت : ان كان قد قتل المارد فهو الذي يبطل الطلاسم ويكشف عنا هذا البلاء ، فأحضريه الي حالا ، فعادت وبلغته ما قالت عمتها ، ثم اخذته اليها ، فاستبشرت عمتها بقدومه وحيته وأجلسته اليها ثم سألته عن اسمه ، فقال : نصر بن سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، فقالت : انت الموعود بالقضيب الذي يحميك من اهل المارد الذي قتلته ، وبابطال السحر والطلاسم في هذا الوادي الذي يسكنه الجان ، فتعال معي الى مكان القضيب لاشير عليك بما تفعله لتحصل عليه ، وذهبوا جميعا الى مكانه فقالت :

اذا دخلت هذا الغار سر فيه فانك تجد ايوانا عن يمينك به تمثال كبش ابيض ، وايوانا اخر عن يسارك فيه تمثال لكبش اسود ، وستجد على الجدار قضيبا معلقا . فخذ القضيب واضرب كل كبش مرة بين عينيه فتدب فيهما الروح ويتناطحان ، فاصبر ولا تخف ، فان الابيض لا بد ان يقتل الاسود ، ثم يموت هو على اثرها ، فحينئذ خذ القضيب وتعال الينا .

ففعل ما امرته به وجاءها بالقضيب ، فقالت له : خذه فهو لك فانه سيدرأ عنك ان تضل في هذه الارض ، ثم امرت الفتاة ان تحمله الى بلاد الانس ، فطارت به وانزلته في أوائل بلاد الانس وانصرفت ، فمشى نصر في سبيله فالتقى برجل اعجمي فقال له : قف مكانك فقد اتعبتني في البحث عنك ، ثم أوثقه وسار به الى قصره ونادى : يا طاووسة . فقالت: لبيك يا عابد النار ، فقال : اتيتك بنصر اخو مصر بن سيف بن ذي يزن فنزلت واخذته معها الى قصرها وهي مستبشرة ضاحكة .

وكان ذلك الاعجمي اخا لبهرام المجوسي الذي قتله مصر ، فلما قتل ابوها خطبها هذا الاعجمي لنفسه مدعيا لها بانه أولى بها من زوج اجنبي ، فقالت له : لن ارضى بك حتى تأتيني بقاتل ابي ، ولكنه عجز عن احضار مصر قاتل ابيها بل جاءها بأخيه نصر ، فلما راته طاووسة القى الله في قلبها محبته فقالت لعمها الاعجمي : اذهب واتنا بغزالة لنأكلها ثم ننصرف في تعذيب هذا الغلام .

وفي اثناء غيبة عمها قالت لنصر : لا تخشى بأسا ايها الفتى فانني سأفك عنك اغلالك واحميك من كل شر واذى ، فلقد رق قلبي لك واحببتك ولا صبر لي على فراقك .

فقال نصر : اتؤمنين وتتركين عبادة النار ؟

فقالت طاووسة : آمنت بالله ورسله ، ثم احضرت جوادين ركباهما وانطلقا بهما في القفار .

لما عاد الاعجمي الفى القصر خاليا ، فذهب الى قومه واحضر مائة فارس من المجوس وانطلقوا في اثر طاووسة ونصر في البيداء ، ولما ادركوهما قال الاعجمي لطاووسة : هل خدعك هذا الاسير حتى تركت قصرك ونعمتك ؟

فلم تأبه لقوله بل قالت لنصر : انزل عن جوادك والجأ الى هذا الجبل الذي على يمينك واتركني فاني كفيلة بردهم خائبين . ثم هجمت عليهم شاهرة سيفها بيدها وقتلت منهم ستين فارسا ، ولكنها في النهاية وقعت في أسر عمها فرجع بها الى قصرها تاركا نصر على اعلى الجبل .

اما نصر وجد في الجانب الاخر من الجبل واديا متسعا فمشى متوكلا على الله ، فلاح له عن بعد قصرا عاليا فاتجه اليه فوجد ابوابه مفتحة فدخله وجعل يطوف في ارجائه فلم يجد احدا ، بل راى بئرا في وسطه وقد خرج منها شخص يحمل شمعة فخاف منه واختبأ بسرعة في احد مخادع القصر واخذ يراقب ذلك الشخص فوجده يصف كراسي مصنوعة من ذهب وفضة حتى بلغ عددها ستين كرسيا وبينها كرسي كبير مرصع بالدر والجوهر ، ثم صفق ذلك الشخص بيديه وقال :

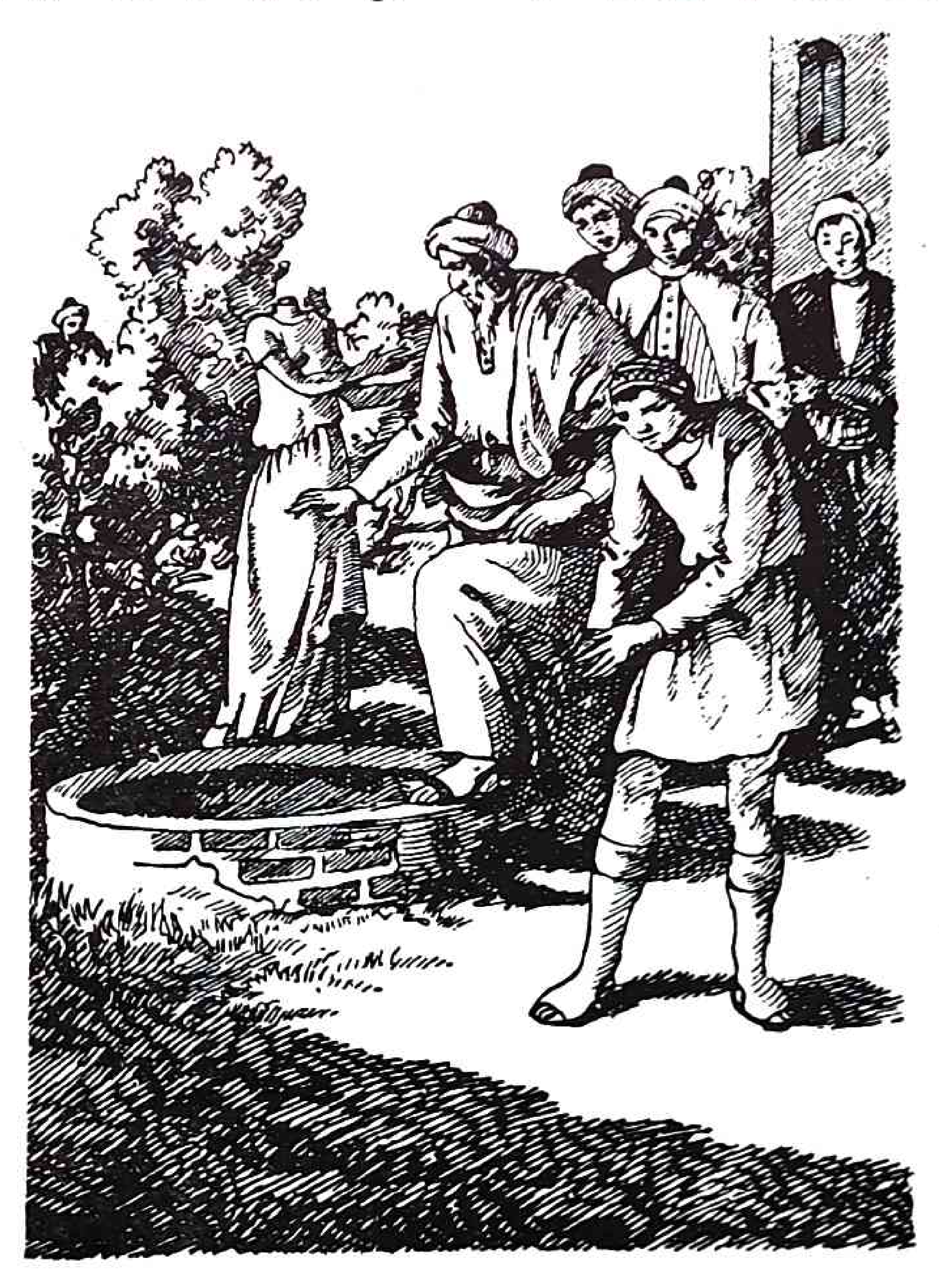
اصعدوا فليس بالمكان احد ، فخرج من البئر ستون رجلا طول كل واحد منهم ستون ذراعا ، فجلسوا على الكراسي المصفوفة ثم خرج رجل مسن ذا لحية بيضاء فجلس على الكرسي الكبير ثم قال :

يا اولادي ، ان بقصري هذا رجلا غريبا فليقم احدكم ويأتي به الي ، فقام احد الاولاد وطاف بمخادع القصر حتى وجد نصر مختبئا في مخدع منها فأشار اليه : ان اسكت ولا تتحرك فلا خوف عليك ، وعاد الى ابيه وقال : لم اجد غريبا في القصر ، فقال : انك كذبت على ابيك اجلس مكانك وليقم غيرك ويبحث عنه ، فقام الثاني وفعل ما فعله الاول ، وهكذا بقية الستين حذوا حذو اخيهم الاول فاطمأن نصر في مخبئه وعلم انهم اهل

خير وكرامة ، ثم قال ابوهم : لقد كذبتم كلكم على ابيكم وسأبين لكم كذبكم، ثم نادى : يا شماسة ، فخرجت من البئر ابنته تفوق القمر جمالا وحسنا وتمثلت بين يديه قائلة : لبيك يا ابي .

فقال : لقد كذب اخوتك علي وانكروا وجود الغريب الذي في قصري وانا متأكد يقينا من وجوده ، ففتشي عنه واتيني به فقالت : سمعا وطاعة، ثم طافت بالمخادع حتى عثرت عليه فابتسمت في وجهه وسألته من تكون فاجابها : سيف بن ذي يزن ملك اليمن . فرجعت الى ابيها قائلة :

لم اجد احدا في القصر يا ابي ، فقال : وانت ايضا تكذبين . ثم قطع راسها ونزل في البئر وتبعه اولاده ، فخرج نصر من مخبئه ووقف بجانب



الفتاة متاسفا عليها وقال : انها آثرت المعروف وحماية الغريب على حياتها ، ثم وضع راسها على رقبتها وسترها باطمارها ، ثم لمح نورا من مخبئه من البئر فخاف واسرع عائدا الى مخبئه فطلع الرجل واولاده وجلسوا في اماكنهم كما كانوا فقال لهم : ارايتم كذبكم فالرجل الغريب وضع راس اختكم على جثتها وسترها باطمارها ؟ ثم نادى : يا شماسة ، فقالت : لبيك يا ابي ، وفتحت عيناها وقد ارتدت اليها الحياة ، ففرح نصر بعودة الحياة اليها وبقي في دهشة من امرها ، ثم سالها ابوها قائلا : هل تعلمين من الذي وضع راسك على جثتك وسترك باطمارك ؟ قالت شماسة : لا اعلم يا ابي .

فقال ابوها : اذهبي الى هذا المخدع ــ واشار الى المخدع الذي كان فيه نصر ــ واحضري منه الرجل الغريب ولا تكذبي على ابيك مرة اخرى . فقالت شماسة : ربما كان الرجل الذي ننتظر قدومه منذ مائتي سنة ؟ الم تعلم ان من كان يدخل هذا القصر ويراني قتيلة كان يجردني الثياب فلا يكون جزاؤه منك الا القتل ، اما هذا الرجل فانه وضع راسي في مكانه وسترني باطماري ، ولم يأخذ شيئا مما كان علي من الحلي وهذه علاماته.

فقال ابوها : اذن فسأذهب انا واولادي ، وانت ابقي هنا واجتمعي به واحسني لقاءه فانت موعودة به وهو من نسل التبابعة ، ثم تركها ونزل في البئر مع اولاده ، اما شماسة فانها ذهبت الى نصر واخرجته فقالت شماسة : ان ما رأيته خيال وليس بحقيقة ، فان ابي يقتلني امام الغريب وينصرف ، فان جردني هذا الغريب من جواهري أسرع اليه ابي وقتله ، اما انت فقد عففت عن سلبي جواهري وانصرف همك الى اعادة الحياة الي وحماية جسمي وما أملك من كل بشر ، وكان ذلك هو الدليل على انك الرجل الذي انا موعودة بلقائه فتعال معي لاريك ما هو اعظم واروع ، ثم اخذته الى صخرة فرفعتها عن سلم نازل في الارض فغاصا الى نهايته ومشيا في سرداب طويل حتى انتهيا الى بركة واسعة على حافتها عمود مطلسم به لولب فأدارت اللولب بيدها فانفتحت في اسفله فتحة ابتلعت كل ماء البركة فانكشفت المياه عن قبة نحاسية صغيرة عليها نقش كأنه اكارع النمل ، فقالت لنصر : اذكر حسبك ونسبك ، فلما ذكر حسبه ونسبه انفتحت القبة عن صندوق من الحجر الاحمر فاخرجته ووضعته امامه وقالت له : الان انتسب الى اهلك ، فلما انتسب انفتح الصندوق عن لوح نحاسي كتب على وجهه الاول (الخليجان) وعلى الوجه الاخر (الكيلكان) فاعطته اللوح وقالت : هذا لوح مطلسم وله خادمان ، فاذا فركتهما حضر الخادمان فسخرهما فيما تشاء ، والان قد اصبح معك القضيب وهذا اللوح فهلم معي الى البحر ، فلما بلغ البحر قالت : ضع طرف القضيب في البحر وحركه ، فلما حركه تعلق به لجام ، فقالت : احتفظ بهذا اللجام فاذا اردت السفر الى اي مكان فضع القضيب في

البحر وحركه تخرج لك بغلة فالبسها اللجام واركبها واضربها بالقضيب واذكر لها الجهة التي تريد الوصول اليها فانها تنقلك في سرعة البرق واحذر اذا نزلت عنها ان تترك عليها اللجام فانك ان تركته عليها فلن تعود تراها بعد ذلك ، يضيع منك القضيب وتبطل الارصاد ، والان استاذنك في الانصراف.

فقال لها : قبل ان تذهبي اريد ان تعلميني لمن هذه الاشياء التـــي اهديتيني اياها ؟ فقالت : لملك مؤمن يسمى بلغام كان قد صنعها له الكهنة لتكون له قوة وملاذا ، وقد حدثه الكهنة انها تنفع لنصر بن ذي يزن عند الشدة والضيق وتساعده في الدعوة الى الايمان ، وابطال عبادة النار ، فوضعها في هذا المكان واقام عليها ارصاد تحرسها حتى تأتي انت وتأخذها.

والان قد اخذتها وبطلت الارصاد وانصرف الجان الى ديارهم وها انا ماضية الى اهلي سلامي عليك .

اما نصر فانه احضر البغلة وركبها وقال : خذيني الى حمراء اليمن فلم يلبث غير قليل حتى وجد نفسه في ساحلها ، فأخذ اللجام وسرج البغلة ومشى نحو المدينة فلقيه خمسون فارسا من فرسان سيف ارعد فباغتوه وهجموا عليه وساروا به الى ملكهم سيف ارعد وقالوا : وجدنا هذا فـــي ارضنا فسألناه عن اسمه فقال اسمي نصر بن سيف بن ذي يزن فجئنا به اليك وكانت مدينة حمراء اليمن قد عمرت وتم بناؤها ، وكان سيف ارعد لما بلغه ان المدينة عمرت ورجعت احسن مما كانت عليه ، فالتفت سيف ارعد الى ابنه المقلقل وقال له : خذ هذا الغلام وضعه في حراستك حتى اعود من رحلتي .

فصدع بأمر ابيه وجلس مكانه وتولى شؤونه لحين عودته ، فبلـــغ الحكيمين سقرديس وسقرديون ان ابن سيف في السجن فاتفقا على تدبير حيلة لقتله تشفيا او انتقاما من ابيه قبل ان يعود سيف ارعد من غيبته ، فكتبا كتابا على لسان الملك سيف ارعد وختموه بخاتم يشبه خاتمه وقالوا فيه : من الملك سيف ارعد الى ابنه المقلقل ، اذا قرات كتابنا هذا فاحضر نصر بن سيف من سجنه واقتله واياك ان تتهاون في تنفيذ هذا والسلام .

وارسلوه مع رسولا الى المقلقل ، ولما وصل الرسول الى بين يدي المقلقل ناوله الكتاب وقال له : كنت مع ابيك فكتب هذا الكتاب وبعثنـــي به اليك .

فأخذ المقلقل الكتاب وفضه ولما علم فحواه استدعى اليه السياف وامره ان يأخذ نصرا الى باب المدينة ويقتله .

وكان نصر مكتوف اليديـــن فلم يكن ليستطيع ان تصل يده الى اللوح فأسلم امره الى الله واستجار به ، ومشى مع السياف الى باب المدينة وقلبه مشغول بذكر الله والتضرع اليه .

كان لسيف ارعد ابنة جميلة تدعى دجوة وكانت فارسة ذات هيبـــة ووقار وبينما كانت عائدة من الصيد وجدت على باب المدينة جموعا غفيرة

فسألت عن سبب هذه الجموع فقالوا لها : ان الملك امر بقتل نصر بن سيف ابن ذي يزن وصلبه .

فأسرعت بجوادها وشقت طريقها بين تلك الجموع حتى وصلت الى السياف وقالت له : اطلق سبيل هذا الغلام ولا تمسه بأذى .

فقال لها : ان الملك امر بقتله وصلبه ، فامتشقت بحسامها راس السياف فخاف الناس وإنفضوا من حولها حتى لم يبق منهم احد ، وكانت دجوة قد القى الله محبته في قلبها على اثر رؤيتها له ، فأمرت بفك قيوده ثم اردفته خلفها على جوادها وانطلقت هاربة ، فأشار عليها ان تسير الى البحر ولما بلغا الساحل وضع القضيب في الماء وحركه فخرجت البغلة فركباها وامرها ان تسير بهما ، فما هي الا غمضة عين حتى ابعدا السير ، وكان اخوها المقلقل قد بلغه ما فعلته اخته فخرج اليها بعسكره فرآهما عن بعد وهما على البغلة ولكنه لم يستطع ادراكهما فعاد خائبا ، وكان نصر قد نسي اللوح والقضيب على الشاطيء . وبات نصر ودجوة في الخلاء وكان حبه قد اشعل في قلبها النار فطلبت اليه ان يتزوجها فقال :

لن يكون ذلك حتى تؤمني بالله . فقالت :

آمنت بالله واعتنقت دينه ، فعقد زواجه عليها واقاما في ذلك المكان مدة يأكلان مما يصيدانه .

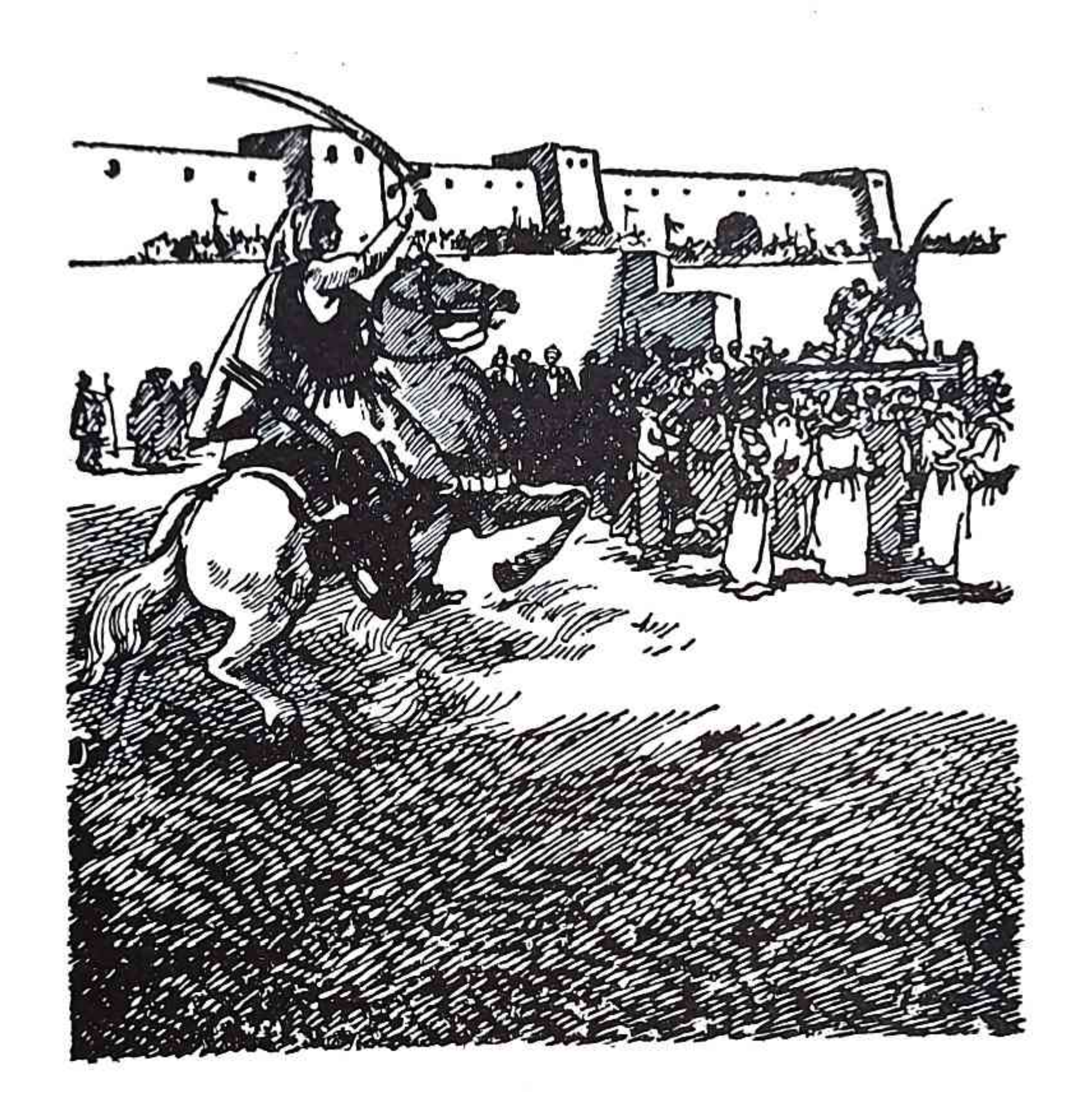
وفي يوم نظر نصر فرأى قوما بين جبلين وهم وقوف لا يمشون ولا يتحركون ، فذهب اليهم وسألهم عن سبب وقوفهم ؟

فقالوا : لقد حبسنا في مكاننا هذا اسد عظيم واقف في طريقنا فأخذ نصر السيف من دجوة وهجم على الاسد وضربه به فشقه نصفين ففرح القوم واقبلوا عليه يشكرونه ، وكان رئيس القوم شابا جميل الطلعة فتقدم نصر اليه وسأله قائلا :

فقال : انا قمر الزمان بن نوفل بن بحر بن السبع حسان .

فقال نصر : انك اذن ابن عمي ، فأنا نصر بن سيف بن ذي يزن ، ففرح قمر الزمان وقال : لقد وجب عليك ان تقيم عند ابن عمك واخيك مدة حتى تشتد الرابطة وتقوى دعائمها ، وبعد ايام لمح نصر في وجه قمر الزمان امارات الاسى والوجوم فقال له : كأني بك وقد مليت مقامي عندك او كرهته . فقال قمر الزمان : لا يا اخي ، ما اغضبني الا شيء واحد افعله ولا ادري له الحكمة من فعله ، وقد وجدت والدي كان يفعله واوصاني قبل موته بفعله ، وذلك اني املأ وعاء من بندق وفستق ، وآخر من ماء الورد واضعهما في هذا السرداب كل يوم وقد كرهت هذه الحال لاني لا اعرف لها سببا والاستمرار على هذه الحال عكر صفوي وجعل الدنيا تظلم في عيني .

فقال نصر : اطمئن يا ابن عمي ، فسأدخل هذا السرداب لاكشف لك عن سر هذه الحال .



دجوة تنقذ نصر من القتل .

فدخل نصر الى السرداب فوجد بابا مغلقا ومفاتيحه عليه ففتحه ودخل حتى انتهى الى ردهة واسعة بها حصانا وكان ذلك الحصان هو الذي يأكل البندق والفستق ويشرب ماء الورد ففك رباطه ووضع اللجام في فمه وخرج به الى قمر الزمان وقال له : ليس بهذا المكان الا هذا الحصان ، وهو الذي يأكل الزاد ويشرب الماء ، فقال قمر الزمان : بارك الله فيك . فأخذه نصر وركبه وسار به في الخلاء خارج المدينة فضرب الحصان برجله وطار في الجو ، وما زال طائرا حتى نزل به على حافة بئر فنفضه الى الارض وغاص الجواد في البئر واختفى .

فنظر نصر في البئر فلم ير غير الماء ، فأتى بحجر كبير والقاه فيه ، واذا بمارد من الجن يخرج من البئر ويمسك نصر وقال له : تبا لك ايها الفتى الارعن لقد قتلت ابني الرضيع بالحجر الذي القيته ، فلا بد من

قتلك ، وهم المارد ليقتله ولكن نصرا كان اسبق منه فاستل سيفه وكاد ان يهوي به عليه فخاف المارد ولاذ بالفرار ، فوقف نصر مبهوتا من هــذه الحال وقد حز في نفسه الم شديد من فراق دجوة لانه لا يعلم اين هي الان.

وكان الحصان ماردا مسحورا ولما ذهب الى امه سألته : من اطلقك؟ فقال : رجل على خده شامة ، فقالت : احملني اليه فهو الموعود بخاتم كوش بن كنعان ، فلما صارت عنده سألته عن اسمه فأخبرها به فبشرته عندئذ بخاتم ابن كنعان الموعود به ، ثمّ سألها عن الحصان الذي نزل في البئر فقالت :

ان الحصان هو ابني واسمه سحاب ، وهو الحصان الذي حملك وهو خادم الخاتم الذي سأدلك عليه واعطيه لك ، ثم اخذته الى كنز كوش ابن كنعان وقالت : يا حراس الكنز لقد جاءكم صاحب الامانة فافتحوا له ، فلما فتح له الباب دخل في بهو واسع طويل وامرته ام المارد ان يدخل الايوان الذي على يمينه ، ويقف امام سرير من ذهب ، ثم قالت له : ان حارس كنز كوش بن كنعان سيعرّفك ويعطيك خاتمه ، فلما دخل واتاها بالخاتم امرته ان يغسله بالماء سبع مرات حتى يخلص من السم الذي فيه ثم ودعته وانصرفت .

وبعد ذهابها فرك نصر الخاتم فحضر خادمه سحاب فأمره ان يحمله الى قمر الزمان ، فلما رجع اليه فرحوا به واطمأنت زوجته دجوة التي امضها القلق في غيبته ، فقص عليهم ما حصل له فكانت دهشتهم عظيمة ، وقال قمر الزمان لنصر : لقد كنت اخبرتك بشيء مما يحزنني وجعل الدنيا تسود في وجهي بسببه واذكر لك شيئا اخر اشد وادهى ، وذلك ان قــوت القلوب بنت الملك الاحمر كانت تحضر كثيرا لزيارتنا للاستماع للاغاني مــن الجواري الحسان ، وعقدت هذه الزيارات صلة محبة قوية بيني وبينها ، حتى لم يكن لاحدنا صبر على غياب الاخر ساعة واحدة ، وقد عكفت في قصري مدة ، ثم استأذنتني لزيارة اهلها على ان تعود بعد ثلاثة ايام على الاكثر ، ولكنها لم تعد الى الان وقد مضى على غيابها سبع سنوات وهذا شغل ذهني وبلبل افكاري واحزنني حزنا لا يطاق .

فقال نصر : فرج عن نفسك وابشر بالخير ، فلن اقعد حتى اجمعــك بقوت القلوب ، ثم تركه ودخل على زوجته دجوة وقال لها : اني ذاهب الى خلوات القفار لاستمتع بسكون الطبيعة اياما ثم اعود ، فلا تستسلمــي للوساوس والشكوك .

فقالت دجوة : اتمنى لك سلامة العودة . ولما صار نصر في الخلاء فرك الخاتم فجاءه سحاب ، فقال له : لقد سقط مني لوح مطلسم له خادمان : الخليجان والكيلكان ولست ادري اين فقدته ، فأريد منك ان تبحث عنــه وتأتيني به .

فقال سحاب : لا بد انك فقدته على ساحل البحر ، سأذهب للبحث

عنه ، ولم يغب طويلا حتى رجع باللوح ، فأخذه نصر وشكره ، ثم فرك وجه الخليجان فأتى اليه بسرعة فأمره ان يأتيه بقوت القلوب بنت الملك الاحمر ، فقال الخليجان : لا استطيع ولا يستطيع غيري ان يذهب الى قوت القلوب او يدنو منها ، وذلك انها كانت عند قمر الزمان ، وبينما هي عائدة الى ابيها لقيها مارد من الجن اسمه العاطب ، فخطفها وحبسها في قصره، ولما بلغ الخبر الى ابيها جمع الملوك واتباعهم واشياعهم وجنودهم وذهبوا الى قصر العاطب لتخليصها منه عنوة ، فأقسم لهم العاطب بالنقش الذي على خاتم سليمان عليه السلام ان لم يرجعوا عن طلبها فانه ليقتلها ويحرق بالنار كل من يحاول الدنو منها ، ثم قال لهم :

اني ما خطفتها الا لاني احب ان أتمتع بالنظر اليها ، واقسم لكم اني لن أتعرض لها بسوء ولن اتزوج منها الا اذا رضيت هي ورضي اهلها ، وستبقى عندي جوهرة مصونة .

فلم يجد ابوها الملك الاحمر مفرا من تركها عند هذا المارد ، فقال نصر: والعاطب هذا من اي قبيلة ؟ فقال الخليجان : هو اخو سحاب خادمك ، نفرك نصر خاتم كوش بن كنعان فحضر سحاب فقال له : اريد ان تذهب الى اخيك العاطب وتأتيني من عنده بقوت القلوب ، فقال سحاب : ان اخي العاطب اكبر مني سنا وهو مارد جبار ، وربما اهلكني فنخسر خدمتي لك .

فقال نصر : اذن احضر لي امك الرقطاء فلعلها تستطيع بحنكتها وتجاربها ان تأتيني بها ، او ترشدني الى راي سديد في مسألتها .

فذهب سحاب واتى بأمه الرقطاء ، فسألها نصر : هل لك اولاد غير سحاب هذا ؟

فقالت : نعم لي ولد يقال له العاطب ، وكان خادما لكنعان ولكنه لم يسمح لاحد ان يستخدمه لانه متمرد جبار شرس لا حلم عنده ولا هدية وقد أبغضته لذلك ، ولا تأخذني من اجله شفقة ، وهو مقيم في جبل الزرنيخ على هيئة فيل كبير . فقال نصر : هل كان له رصد ؟

فقالت الرقطاء : له لوح مرصود وهو موجود عندي .

فقال نصر : احب ان تأتيني بهذا الرصد ، فأحضرته وكان لوحا من الذهب الاحمر ولكنها حذرته ان يفركه ، فقال : ولكني ما اخذت اللوح الا لاستخدم العاطب بواسطته .

فقالت الرقطاء : لا سبيل الى غايتك الا ان تمضي انت وسحاب والخليجان والكيلكان الى جبل الزرنيخ فتدوس على خرطومه وهو نائم ، ناذا صاح : من هذا الاعمى الذي داس على خرطومي ؟ فقل له: انه الذي يملك رصدك ورصد اخيك سحاب ، وما أريد الا ان تطيعني وتمتثل لاوامري فلعله يختار المسالمة ويتجنب الخصام والمكابرة .

فقال نصر : ان الهدى هدى الله . وذهب واتباعه الثلاثة الى جبل الزرنيخ ، وداس على خرطوم العاطب فصاح :

من هذا الاعمى الذي داس على خرطومي ، ونهض هاما ان يبطش به وبمن معه ، وقد تملكهم الخوف منه ، واذا بالخضر عليه السلام مقبل من الفلاة .

فأشار الى العاطب بيده ، ثم قال : اما تستحي ان تبطش بنصر وهو ملك كبير له شأن بين الملوك ، وابوه سيف بن ذي يزن ملك الجن والانس وناشر الايمان في كل بقاع العالم ، الم تكن خادم كنعان الكافر ؟ فكيف تتكبر ان تخدم نصر بن سيف وهو المؤمن بالله ، انك ان لم تطعه وتمتثل لامره احرقتك واحلتك الى رماد .

ثم قال لنصر : اعطني لوح العاطب ، فناوله اياه ، فأخذه وفركه .

فقال العاطب : لبيك ، لبيك ..

فقال الخضر عليه السلام : اريد منك ان تلبي سيدك نصر بن سيف والان قل : آمنت بالله ورسله ، فقالها العاطب مخلصا وعندئذ قال الخضر: لتكن في طاعة نصر بن سيف وفي خدمته ما حييت .

فقال العاطب : سيكون ذلك احب الاشياء الى نفسي ، طالما ربي قد شرح صدري للايمان ، فقد آليت على نفسي ان اكون له خادما مطيعا ، ثم التفت الخضر الى نصر وقال :

اعرض على بقية اتباعك الايمان فتقدم سحاب والخليجان والكيلكان اليه واعلنوا ايمانهم مخلصين لله العلي القدير . وكانت الرقطاء تنظر عن كثب ما عساه يكون من امرهم فما رأت انهم آمنوا تقدمت تقدمت منهم واعلنت ايمانها . ثم سلم الخضر عليه السلام وانصرف مودعا .

فالتفت نصر للعاطب وقال له : اريد منك ان تحضر لي قوت القلوب التي اخذتها قسرا ، فقال العاطب : اني اعلم انك ما جئت الى جبل الزرنيخ الا من اجل ان تظفر بها لتردها الى ابن عمك قمر الزمان ، وما دامت هذه رغبتك فسأحضرها الان بين يديك ثم جاءه بها في الحال .

فأمرهم نصر ان يرقدوها على سرير ويرجعوا جميعا الى ابن عمه قمر الزمان ، وما كاد قمر الزمان يراها حتى عمه الفرح وشكر لابن عمه جزيل معروفه ، واراد ان يعد العدة لزواجه منها فقال نصر : من رأيي ان ننطلق جميعنا الى مدينة حمراء اليمن ، وهناك نجتمع بأهلنا وقومنا ونقيم افراحنا بينهم ، فذلك اكرم واعظم . فاستحسن قمر الزمان رأيه ورحلوا جميعا الى مدينة حمراء اليمن .

وهناك اجتمعوا بمصر واهلهم ، وروى نصر لاخيه ما لقيه في غيبته حتى اجتمع به ، وكذلك روى مصر لاخيه ما لقيه هو ايضا حتى اجتمع به .

فتذكر طاووسة فبعث العاطب اليها فوجدها معلقة من شعرها في قصر بهرام ابيها ، ولسانها لا تفتر عن ذكر الله .

ففك العاطب رباطها وقال لها : قفي مكانك لاريك ما افعله بعمك ، ثم

امسك عابد النار من رقبته وطار في الجو وارتفع حتى لامس السحاب ، ثم القاه الى الارض يهوي فكان حطاما ، وبعد قليل كانت طاووسة بين يدي نصر بن سيف ، فالتفت مصر لاخيه وقال : لقد من الله علينا بالتلاقي ونحن اولو بأس وقوة ، فلا ينبغي لنا بعد ان تتم عمارة المدينة ان نقعد فيها ناسين والدنا الملك سيف بل لا بد لنا من الرحيل اليه في مكانه فقد يكون في حاجة الى معونتنا ، واتفقوا على الرحيل بعد ان ينتهوا من بناء المدينة.

وكانت عاقصة قد بلغت والدهم سيف بأن اولاده في مدينة حمراء اليمن التي اعيد بناؤها على احسن حال ، فركب في جموعه واتباعه وساروا حتى قدموا الى حمراء اليمن ، فاستقبلهم ابناؤه واتباعهم واهل المدينة استقبال الفاتحين وعم السرور كل بيت وكل بقعة واقام سيف وابناؤه في ظل وارف من الهناء والمسرة وجعلوا يروون في مجالسهم كل ما لقوه من الحوادث في غيبتهم وهم يحمدون الله الذي شملهم برعايته وحفظهم الى ان رجعوا الى مدينتهم سالمين مكرمين ، ثم اشار عليهم سيف ان يذهبوا جميعا الى مصر في قلعة الجبل ، فذهبوا اليها حيث تم زواج قمر الزمان من قوت القلوب مع انه انسي وهي جنية ، لانها كانت معه على الدوام في صورة فتاة جميلة .

وفي يوم من الايام دخل على سيف بن ذي يزن في مجلسه احد ملوك الجان فسأله سيف : من انت ؟ فأجابه : انا ملك من ملوك الجان ادعى الاحمر بن عطار وملكي في ارض القيروان . فقال : ما هي حاجتك فنقضيها لك ؟ فقال : لولا حاجتي ما طرقت بابكم ، وقد اصبحت صهركم وأنا والد قوت القلوب زوجة قمر الزمان . فقال سيف : انك اصبحت منا ونحن منك ، فقل ما شئت ، فلا نرد لك طلبا .

فقال الملك الاحمر : ومن اجل هذا جئتك راغبا في ان انضم انا وارهاطي من الجن وأعواني الى زمرة اتباعك وحماتك الذين لهم شرف خدمتك وطاعتك فشكره سيف واكرمه ، واقام هذا الملك بينهم زمنا ثم انصرف الى سبيله ، وانصرفت الحكيمة عاقلة الى استفتاء علوم التنجيم لتقف معها على مدى حركة التعمير وبناء المدن ، وبلغت سيف عما عرفت وقالت : انك موعود بتمهيد مجرى النيل ، وسيبني دمنهور الوحش مدينة باسمه . وكذلك دجوة والجيزة ، ومصر له تلك المدينة ، ونصر وبولاق وتكرور معه ، ودمر موعود بأرض الشام وأما ميمون والثريا فانهما يعمران مدينة نوت التي لا مثيل لها الان بين البلاد ، لان فيها كاهنا ساحرا متمردا قد استكبر على الله وادعى الالوهية ، وبها انهار وبساتين سحرية ، وضرب عليها قبة من البلور تدور فيها كواكب كأنها سماء وبها تنور نحاسي اذا اوقدت فيه نار كان لها السنة مختلفة الالوان ، ولهذا الكاهن يوم واحد في الشهر يسجد فيه للنار ويدعو الناس للسجود معه ، فمن اطاعه ادخله بستانه ومن عصاه القاه في النار وجعل على سور تلك المدينة ثلاثمائة

تمثال من نحاس في كل منهم بوق ينفخون فيه وهناك تمثال كبير من الحديد ينفذ فيها حكمه ، وفي فمه بوق كبير ينادي به اذا دخل المدينة شخص ليس من اهلها فيقول : دخل غريب فتصيح التماثيل على اثره قائلة : دخل المدينة فلان ابن فلان ، وغايته كذا . فيهرع سكان المدينة اليه ويمسكونه ويذيقونه أشد الوان العذاب ، واقام على باب المدينة تمثالين لاسدين ، فاذا هرب الغريب واراد الخروج من بابها قبل ان يدركه اهلها هجم عليه هذان الاسدان ويمزقانه شر ممزق .

فلما سمع سيف هذا من الحكيمة عاقلة عزم على هلاك ذلك الكاهن وابطال سحره وارصاده لابطال عبادة النار فيها ونشر الايمان بين ربوعها وان يسكنها ميمون الهجام والثريا ، وان يبدا بهذا كله قبل ان يفعل شيئا غيره ، فرحل بجنوده الى مدينة نوت وهناك في مكان يشرف عليها ضرب خيامه ، هذا وقد اتصل الخبر بالكاهن وعلم ان سيف بن ذي يزن جاء ليبطل عبادة النار ويدعوه هو وقومه الى الايمان ، فأمر اعوانه ان يضربوا خيامهم امام سيف خارج المدينة ويستعدوا للمبارزة والقتال ، ثم بعث عونا من أعوانه الى سيف فقال له : لقد بعثني الكاهن اليك لاسألك ماذا تبغي من نزولك بجندك واعوانك امام هذه المدينة ؟

فقال سيف : بلغ كاهنك اني قدمت لواحدة من ثلاث : اما ان يؤمن بالله ورسله ويبطل عبادة النار ، واما ان يرحل عن هذه المدينة واما فليستعد لمحاربتي .

فعاد العون واعلم الكاهن بما قال سيف ، فاغتاظ غيظا شديدا وبالحال ركب زيره النحاسي وانطلق الى ميدان القتال طالبا البراز ، فبرز اليه برنوخ الساحر وقام بينهما كفاح سحري دام ثلاثة ايام وانتهى بأسر برنوخ، ثم برز اليه أخميم الطالب فأسره ، وفرك مصر بن سيف خرزة كوش بن كنعان فحضر اعوانها ونزل بهم الى الميدان فغلبهم الكاهن وأسرهم ، فأراد سيف ان ينزل اليه فأوقفته الحكيمة عاقلة وقالت له :

لا تعجل ايها الملك فالنصر لك وجميع من اسرهم الكاهن لا بد راجعون اليك ، وسوف ترى في هذه الليلة ما يسرك بقدرة الله العزيز الحكيم ، وفي الليل جاءته الحكيمة عاقلة وقالت : لن يكون النصر الا على يديك ، فقم معي الى المدينة ، وهناك يفعل الله ما يريد .

فلما وصلا الى امام تمثال الاسد قبضت الحكيمة عاقلة من الرمل وتلت عليها بعض التعاويذ وضربت بها وجه الاسد فوقع على الارض حجارة مهشمة ، ثم اخرجت كرة من خشب وتلت عليها عبارات سحرية وضربت بها التمثال الاكبر فسقط وسقط في اثره جميع التماثيل وبطل عملها ، ثم تقدمت الى باب المدينة فتمتمت وهمهمت فانفتح الباب ودخلا المدينة وذهبا الى مكان الاسرى فأطلقوهم وذهبوا بهم الى معسكر سيف بن ذي يزن ، وكان فرحه بما فعلته الحكيمة عاقلة عظيما .

وكان الكاهن قد نام مطمئنا معتمدا على تماثيله وارصاده فلما طالع الصباح ونهض من نومه طلب الاسرى فقيل له : ليس بالسجن احدا منهم ، فقال : ومن تجرأ وخلصهم ؟ فقيل له : انها الحكيمة عاقلة ، فغضب وشخر ونخر وطفى وتجبر ودخل خلوته وجعل يتلو من سحره ما جعل النار تستعر في الجو محيطة بجنود سيف من كل ناحية فنادت عاقلة فيهم : لا يتحرك احد منكم ولا يغادر مكانه ، فمكثوا في امكنتهم والنار من حولهم كأنها عمد ممددة يميل بعضها على بعض ولها زفير وشهيق فظنوا انهم منها غير ناجين ، فأحضرت الحكيمة عاقلة ورقة وكتبت عليها بعض كلمات ثم قرات بعض التعاويذ ونفختها في الجو حتى قاربت السماء ، فاذا بالامطار تهطل كأفواه القرب ، والظلام يخيم على المدينة فأطفئت النيران وجرت السيول الى المدينة وكادت تمزق اهلها فأسرع الكاهن الى تعاويذه وسحره فأبطل ما فعلته الحكيمة عاقلة ، فانقشع الظلام وغيض الماء وبرز الى الميدان مناديا :

اين الحكيمة عاقلة ؟ ابعثوها لتريني قدرتها في هذا الميدان على ملأ من قومي وقومها ، فدعت رب العالمين ان ينصرها عليه ، وبرزت اليه قائلة : ها انا التي تتحداها ، والتي تعتمد في جهادها على مولاها الذي بيده كل شيء وهو على ما يشاء قدير ، فسلط عليها الخوف فأبطلته ، وسلطت عليه المرجفة فأبطلها ، ونزع شعرة من راسه وجعلها حربة فردتها اليه شعرة كما كانت فجعلها ثعبان كأنه النخلة يمشي على بطنه فأرجعته شعرة في الهواء ثم سلطت عليه ما الهب كبده واخرج لسانه من فمه وامرت عاقصة ان تجعل مصرا ونصرا يسرعان بأعوانهما الى الميدان ويشعلونها حربا من مردة الجان فأسرعت اليهما وبلغتهما ما أمرت به الحكيمة فأظلم الميدان وتدافعت الصخور والاحجار وامتدت السنة النيران في كل مكان ، وترامت اعوان الكاهن على الارض صرعى ، وكسرت سماء الكاهن الزجاجية ، وانفض اتباعه الناجون من حوله ، ثم التفتت الحكيمة عاقلة الى الكاهن وقالت : ليس بينك وبين النجاة من الهلاك الا الايمان ، فقال لها : ذلك لن يكون ابدا ، فضربته بالحسام ضربة اطاحت راسه عن بدنه ، ثم دخل جيش سيف الى المدينة فوجدوا اهلها قد آمنوا عن بكرة ابيهم .

وكانت الثريا وميمون قد تسللا الى المدينة في اثناء القتال وكانت فاتنة الجمال فالتف حولها الناس ورغبوا في الاستماع لحديثها ، فاستغلت هذه الحال وجعلت تبين لهم مزايا الإيمان وسخافة عبادة النار ، فأثر فيهم قولها ودخلوا جميعا في دين الله أفواجا ، وهكذا فتحت المدينة - عسكريا - على يد الملك سيف وأتباعه ، و - دينيا - على يد الثريا وميمون ، ولهذا جعل سيف هذه المدينة للثريا وميمون يحكمانها بشريعة الايمان وعادوا الى قلعة الجبل وامر سيف ابناءه وأتباعه ان ينشئوا المدن، ويسمي كل منهم مدينته التي انشأها باسمه ، ثم سالت الحكيمة عاقلة

سيفا عن كتاب النيل الذي احضره لتتخذه وسيلة لامداد هذه المدن الجديدة بمياهه .

فقال سيف : لا اعلم اين وضعته ، وربما فقد مني ، فقالت عاقصة: انا اعرف اين هو ، فقد سرقه منك الحكيم سقرديس واعطاه الى ملكه سيف ارعد وهذا ناوله الى وزيره بحر قفقان ليحفظه عنده الى ان يطلبه منه ، وقد اخذته انا من هذا الوزير وما زلت محتفظة به لاني اعلم انك ستحتاج اليه يوما ما .

فقال لها : وماذا نفعل الان ونحن نسعى من اجل جريان النيل في تلك البقاع الجدباء ؟

فقالت عاقلة : لا بد لنا من سبعة اشياء : اولا ــ سيف آصف بن برخيا لنرد به اعداءك من اعوان النيل ، ثانيا ــ كتاب تاريخ النيل ، لانه لا يجري الا تبعا له ، وثالثا ــ جوادك الطائر ، فان غيره من الجياد لا طاقة لها ولا غناء ، رابعا ــ عتلة يافث بن نوح فهي التي تقدر على تحطيم الصخور الصماء ، خامسا ــ خرزة كوش بن كنعان ، للانتفاع بأعوانها في حفر الجداول ، سادسا ــ لوح الخليجان واخيه الكيلكان ، سابعا ــ الرهق الاسود ، وبعدها لا بد ان تكون في حاجة الى الحكماء والجنود .

فقال لها : اما سيف والجواد فهما معي ، والخرزة مع مصر ولوح الخليجان واخيه الكيلكان مع نصر ، واما كتاب تاريخ النيل فهو مع عاقصة ولم يبق الا عتلة يافث ، والرهق الاسود ، فقالت : هما ضروريان فلا تبدأ اي عمل حتى تحضرهما ، ولما سمع الاعوان ان الملك يطلب الرهق الاسود خافوا وقالوا للحكيمة : ان الرهق في قوة اربعين رهطا من الجن ، وهو صعب المراس ونحن نؤثر ان نعمل ليلا ونهارا ولا يكون الرهق الاسود فينا. وبلغ الملك سيف عرف الاعوان منه فقال : يا ام الحكماء من يكون هذا الرهق الاسود الذي خافت منه الاعوان ؟ واين يقيم ؟

فقالت عاقلة : انه مارد جبار ، يعادل في قوته رهطا من الجن لا يؤثر فيه سلاح ولا تعاويذ السحر ، وكان الملك سليمان عليه السلام قد قيده في عمود من الرخام بالقصر الحديدي لانه علم انك ستسخره في حفر مجرى النيل ، وتحطيم ما يعترضه من الصخور بعتلة يافث بن نوح .

فقال سيف : وما هذه العتلة يا ام الحكماء وما قصتها ؟

فقالت : انها في سمك الشجرة ، وطولها اربعون ذراعا ، وقد كان يافث أعدها لتكسير الصخور ، وتحطيم السدود في طلب الماء وقد رصدها آصف بن برخيا ليستخدمها الرهق الاسود في حفر مجرى النيل ، وما اخبرتك عن حدسي وظني ، ولكنه المقدور الذي لا بد منه .

جهز سيف جيشا من الاعوان والحكماء وكانت الحكيمة عاقلة رائدهم، وجعلوا يقطعون البراري والقفار حتى نزلوا عند مدينة جابرصا وبعد ان استراحوا ثلاثة ايام ركبت الحكيمة زيرها وركب سيف جواده وطار كلاهما

حتى بلغا المكان الذي حبس فيه الرهق الاسود ، وكان بابه مغلقا بحجر كبير من الرخام الابيض فقالت الحكيمة : اضرب برجلك على هذه الرخامة واذكر نسبك ففعل فارتفعت الرخامة عن سلم نازل في الارض فنزلا فيه حتى انتهيا الى طريق طويل ، فمشيا فيه الى مكان واسع به اربعون عمودا من الحديد ثبتت في الارض على شكل دائرة في وسطها عمود ضخم ربط راسه بروؤس العمد الاربعين بسلاسل ضخمة من الحديد ، فقالت الحكيمة عاقلة : هذا العمود الضخم الذي في وسط الدائرة هو الذي سجن فيه الرهق الاسود ولشدة قوته ربط بهذه العمد حتى لا يميل الرهقَ الاسود بالعمود المسجون فيه ، وراس هذا العمود مختوم بخاتم سليمان عليه السلام ، حتى لا يخرج منه ، فاصعد الى راس العمود واخرق الرهق الاسود . فقال سيف : وكيف اصعد الى راس العمود وهو طويل وأملس ؟ فقالت : لا تتعب في صعوده ، لان الارصاد ستساعدك وترفعك الى رأسه.

ولما كان سيف فوق رأس العمود سمع الرهق يقول : سامحني يا نبي الله وأشفق علي فسأكون طوع امرك .

فقال سيف : لست نبيا ولكني سيف بن ذي يزن ملك اليمن ، جئتك لاعتقك من سجنك .

فقال الرهق الاسود : انتظر يا أنسي حتى استشير نفسي ، ثم اضمر له في نفسه الغدر والخيانة فقال له : اعتقني ايها الملك ولك الامان مني . فبادر سيف ونزع الخاتم ، واذا بصوت يدوي ودخان يتصاعد من العمود حتى لم يبق منه شيء ، ثم تحول الدخان الى صورة شخص طويل ضخم، كان اليد الواحدة نخلة سجوق ، ثم امسك الملك سيفا بيده ورفعه الى السماء وقال : غرك جهلك فظننت اني اخدمك واطيعك وكنت استكبرت على من هو اقوى منك وعصيته ، فسجنت في هذا العمود ذلك العمر المديد .

فقال سيف : اما خدمتي فأمرها اليك ، ولا يقدر احد ان يرغمك عليها ، ولصن تذكر اني خلصتك وكل منا في عمله له اصل يرجع اليه ، كالاناء ينضح بما فيه .

فقال الرهق الاسود : سأخدمك مخلصا مطيعا ، وفيا امينا ، ولا ادع لك حاجة الا قضيتها ان انت زوجتني من اختك عاقصة ، فقال سيف : على ان تعاونني ولا تتوانى في قضاء حاجتي .

فقال الرهق الاسود : وحق النقش الذي على خاتم سليمان ان وعدتني بزواجها لاكون اكثر طاعة لك من العبيد ، ولن اعصي لك امرا .

فقال سيف : وقد انعمت عليك بأختي عاقصة ، وكانت الحكيمة عاقلة مختبئة محصنة نفسها بارصادها ، فلما استكان الرهق الاسود الى سيف وشغف بعاقصة حبا ظهرت له وقالت :

ان كنت راغبا في عاقصة ، فنحن اشد رغبة فيك ، ولكنا نريد منك ان

تزيل الجنادل والصخور من مجرى النيل ، حتى يحيي بمائه الارض ويمد المدن والزرع بالحياة والرخاء ويصب ما افاض منه في البحر المالح ، وبعد ذلك نقيم لك الافراح ونزوجك من عاقصة التي تحبها .

فقال الرهق الاسود : سأزيل لكم الجنادل ، واجعل مياه النيل تجري رخاء حيث تسيل ، وان كان عندكم عتلة صلبة ثقيلة فاعطونيها وانا اطهر لكم مجرى النيل من كل شائبة .

فقالت : لا ينفعك الا عتلة يافث بن نوح ، فان سرت معنا وعاقصة تدلك على مكانها لتحضرها امامها وتريها قوتك وجراتك فانها تقول : لن اتزوج الا من قوي شجاع ، اما الضعيف الجبان فلا حاجة لي به .

ففرح الرهق وقال : هيا بنا اليها ، وان ارادت عاقصة ان انقل لها جبلا برمته فاني بنقله زعيم ، ومشوا الى سد الصدفين فقالت الحكيمة: هنا مكان العتلة ، فتقدم واذكر نسبك على هذه الصخرة . فتلا سيف نسبه فتزحزحت الصخرة وبان من تحتها سلم فنزل فيه الرهق الاسود الى دهليز طويل فوجد فيه العتلة فحملها بيده وخرج كأنه ممسك عصا ، ثم القاها على الارض امامهم فاهتزت لها الارض اهتزاز الزلزلة ، ثم حملها وساروا جميعا ومعهم اعوانهم حتى بلغوا الجندل الاول فرفع العتلة بيده وضربه فانفرط الجندل الى قطع صغيرة من الحجارة كأنها الحصى وامر اعوان الملك سيف وابنائه وحكمائه ان ينقلوا الحصى من مجرى النيل ، وهكذا فعل ببقية الجنادل ، ولم يبق الا الجندل السابع ، فأسر اليه أحد المردة وقال له : سيقتلك سيف بعد ان تطهر له مجرى النيل ، فرمى من يده العتلة وطار في الجو لا يستقر له قرار .

فسأل سيف الحكيمة عاقلة عما اغضب الرهق حتى جعله يرمي العتلة من يديه .

فقالت عاقلة : الله اعلم وذلك تقدير العزيز العليم .

فقال سيف : سأذهب الى منبع النيل لانظر من اين يستمد مياهه حتى ينجلي لنا امر الرهق الاسود ، ثم سار يقطع الفيافي حتى لقيه شيخ يشع النور من وجهه ، فحياه سيف وسلم عليه وقال : الا اجد فيكم معينا لمن يريدكم ويحبكم ؟

فقال الشيخ : انما المعين هو الله الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ولا يكون الا ما جرى به علمه وارادته ، وقد الهمك الله ان تجعل النيل يجري في الارض فيحييها من بعد موتها ، ولكن الرهق الاسود ترك العمل لان احد المردة الكفار اسر له بأن الملك سيف سيقتلك بعد ان ينتهي من عمله ، فغضب وترك العمل فأرسل اليه اختك عاقصة فهي التي تستطيع ان تمسح عنه غضبه وترجعه الى عمله ، ولا تنسى انه كافر بالله وان هلاكه على يديك .

فقال سيف : ومن اين تأتي مياه النيل ايها الشيخ الكريم ؟



الرهق الاسود يحمل عتلة يافث بن نوح

فقال الشيخ : سمعنا إنها تأتي من الجبال في اقصى الجنوب .

ثم قال له : هات يدك فانك بعدت عن جندك ، وخطا به ثلاث خطوات فاذا هو امام الحكيمة عاقلة ، واذا الرجل قد اختفى عن الانظار فقالت له الحكيمة عاقلة : الحمد لله على سلامتك ، لقد حدثني من قبل من كان معك بقضاء مآربك وكنت اخفي ذلك عنك ، ثم التفتت الى عاقصة وقالت لها :

ضعي هذه الرقعة الصغيرة تحت لسانك وطيري الى الرهق الاسود واخدعيه بلباقتك وقولي له : لاي شيء هجرتني بعد ان شغفت بك حبا ، ولا ابغي لي زوجا غيرك ، فقم واتمم عملك حتى يستريح فؤادي وانعم بزواجي منك .

فطارت عاقصة الى الرهق الاسود ، وتلطفت في محادثته ، فقال لها :

انت أحب الي من نفسي ، ولكن احد المردة اخبرني بأن اخاك سيغدر بي ولا يزوجني منك .

فقالت عاقصة : وحياتك عندي ان اخي يحبك ويرغب في زواجي منك ولولا اني جعلت مهري مجرى النيل لكان زوجني منك قبل ان تبدأ العمل ولكنه يخشى العار والفضيحة ولهذا فهو ينتظر بفروغ صبر ان تنتهي من حفر مجرى النيل ويزوجني منك فور انتهائك ، فقم معي ولا تشمت بي الاعداء فاني حزينة باكية من يوم فارقتني ، فطاوعها الرهق ورجع معها الى اخيها سيف ، وهناك امر الاعوان ان يجدوا في حمل الحصى والتراب من مجرى النيل بعد ان يفتت بعتلة يافث الصخور والجنادل .

فقالوا : سمعا وطاعة ، وطهر المجرى وانتهى من عمله ، فقالت الحكيمة للملك سيف : اركب الان وتوكل على العزيز الرحيم ، فركب سيف جواده واخذ معه كتاب النيل وجعله على صدره ، ولوح الخليجان والكيليكان على يساره ، والخرزة على يمينه والحكماء والاتباع والاعوان في أثره ، وساروا جميعا كانهم الهوجاء وبعد قليل من مسيرهم اخذت الصيحات من كل جانب ، وبرق البرق وزار الرعد وانتشرت شهب النيران وتساقطت الاعوان كما تتساقط في الخريف اوراق الشجر ، وسيف بن ذي يزن في ذهول وحيرة لا يدري معها أهو في الارض ام في السماء حتى اذا انتهى به المطاف على جبل في واد يقال له بركة السحرة وبطن البقرة وكان وقوفه رغم ارادته وذلك انه كان في بطن ــ البقرة ــ كاهن فاجر يجحد الاديان المنزلة وغير المنزلة ، فكان اباحيا ينقاد وراء اهوائه ، وكان يوجد في ذلك الوادي سبعون قصراً لسبعين كاهنا يعبدون النار من دون الملك الجبار ويوجد بين تلك القصور قلعة يقيم فيها ذلك الكاهن الذي يسمى السيسبان، وبينه وبين هؤلاء الكهنة عداوة شديدة لانهم كانوا قد دعوه الى عبادة النار مثلهم ، فقال لهم : لقد تحلت من جميع الاديان وابتعت هواي تمتلك غايتي من الحياة ، وفي ليلة من الليالي احاط الكهنة بقلعته ، ولما شعر بهم نزل اليهم وسألهم قائلا : ماذا تبتغون ؟ فقالوا : جئنا لندعوك لعبادة النار ، فان لبيت الدعوة نجوت من ايدينا ، وان اعرضت عنا قتلناك ، فما رأيك ؟

فسكت عن الجهر بالكلام واخذ يتلو في سره من سحره ما تيسر له ولما احسوا منه ذلك اخذوا يتلون من سحرهم ما يتلون وكلما سحر طرف منهما ابطلوه حتى نفذت منهم ابواب السحر .

اما السيسبان فانه سحر شمعة بيضاء حربة واشار اليها ان تنفذ في قلوبهم اجمعين فماتوا ولم يبق احد منهم ، ثم هدم قصورهم وعاش وحده في القلعة ، وعلم من كهانته ان احد الملوك التبابعة سيأتي الى هذا الوادي هو واعوانه ويجري فيه ماء النيل ، فصنع تمثالا لبقرة وطلسمها لتسحر الملك في مكانه وتطرد مياه النيل الى جهات متفرقة بحيث لا يجري في ذلك الوادي ، ولما علم سيف عن سبب وقوفه قال : لا ادري الا انني وقفت على

الرغم مني .

فقال احد الاعوان : ان الذي اوقفه هو كاهن فاجر يسمى السيسبان وهو الذي فرق المياه واوقف الجان .

فقال سيف : دلوني عليه لاكفيكم شره بعون الله ، وبينما هم في هذا الحديث اذ بسرير من الفضة وفراشه من جلد النمور ، قد حط امام الملك سيف ، وقد جلس عليه السيسبان وعلى راسه قلنسوة يخرج منها نور ساطع وعليها شخصان على هيئة الاسد ولهما زمجرة كزمجرته فقال الكاهن :

كيف تؤذونني وتجرون المياه في ارضي دون اذن مني ؟

فقال سيف : ما فعلنا بك ولا بغيرك ضرا ، ولقد اجرينا هذا النهر لكي يمد الناس بالحياة والغنى ، ولو كنت مؤمنا ما بخلت بمالك ونفسك في مساعدتنا على تحقيق النفع العام ولا يغرنك سحرك ومهارتك فيه ، فان الله الذي نعبده غالب على امره وقد وعد عباده المؤمنين نصرا عظيما ، وفتحا مبينا وخير لك ان تترك عبادة الهوى وتؤمن بالله الواحد القهار ، والا حاربناك والله ناصرنا عليك فهداه الله للايمان وآمن ومشى مع سيف الى البقرة فضربها بسيفه فهشمها وبطل السحر وتحرك الجند ورجع الماء الى مجراه وظهرت فيه تماسيح كثيرة ازعجت الناس ، فقال السيسبان الى سيف : لن افارقك ما دمت حيا فتابع طريقك وسأدلك على مكان تقع فيه على كتاب النيل اما هذه التماسيح فلن تذهب الا اذا جئنا بالعمود الذي صنعه آصف بن برخيا من اجلها ، وهو في جبل حوران بأرض الشام ، ولن يقدر على احضار العمود الا الرهق الاسود ، فاذا جاء به وضعنا كتاب النيل في جوف العمود ودفناه في المكان المسمى بالمقياس ، والذي به قصر الملكة الروضة ابنتي . وبينما هما في حديثهما اذ اقبل الرهق الاسود فقال له السيسبان : الا تزال راغبا في الزواج من عاقصة ايها الرهق ؟

فقال الرهق الاسود : نعم ومن اجلها لا اذوق النوم الا غرارا ، وقد جئت لمعونتك .

فقال الحكيم ، ولكني لن استطيع ان اعمل شيئا الا اذا احضرت لي العمود المرصود من جبل حوران ، فانطلق الرهق وغاب وعاد يحمل العمود ووضعه امام الحكيم وقال له :

اظن انه قد آن الاوان لزواجي من عاقصة .

فقال الحكيم : اصبر قليلا حتى ننتهي من اعمالنا ، ثم نتفرغ لاقامة الافراح من اجل زواجك ، ونحن محتاجون اليك في اعمالنا هذه التي اوشكت ان تنتهي ، ثم اختلى السيسبان وصنع من النحاس الاصفر تمثال تمساح وبجسمه نقوش سحرية ، ثم عاد الى سيف واخذ منه كتاب النيل وقرا شيئا على التمساح ففتح فمه ، ثم قال الحكيم له : ما تلوته عليك وما بجسمك من نقوش ابتلع هذا الكتاب واحفظه في جوفك الى الابد ، فبلعه

التمساح كما امر الحكيم واقفل عليه فمه .

ثم امره ان يدخل في جوف العمود الذي احضره الرهق الاسود من الشام ، ثم ذهب الى النهر فسحره حتى نشف وامر الاعوان ان يحفروا حفرة عميقة تزيد على طول العمود ، فلما حفروها امر الرهق ان يحمل العمود ويضعه في الحفرة ، ثم بنوا فوق العمود الى مستوى شط النهر، وجعل الحكيم على هذا البناء علامات يعرف بها الزيادة والنقصان وسماه المقياس وجرى الماء في مجرى النهر كما كان ، وعرف هذا المكان بالمقياس كما كان معروفا للكاهن من قبل ، وبذلك نفرت التماسيح ولم تعد تظهر بعد ذلك .

ثم ذهبوا الى قلعة الجبل واقاموا فيها حتى جاء اوان الفيضان ، فزاد الماء واحمر لونه وطغى في زيادته على البلاد وكادت تغرق عن اخرها فظنوا ان ماءه اختلطت به الدماء ، وان ذلك من فعل السحرة ، فأسرعوا الى الملك سيف يشكون له ما فعل النهر بهم ، نطمأنهم سيف وقال لهم : لا تخافوا فان النهر سيعود كما كان ، وقد قيل عن هذا الجيل انهم كانوا يعتقدون بأن نهر النيل لا يزيد ولا ينقص ، وانما ارتفاعه وانحطاطه ناشئان عن ارتفاع الارض وانخفاضها ، فاذا ارتفعت انخفض النيل ، واذا انخفضت ارتفع النيل وفاض . وذات يوم دخل الرهق الاسود على الملك سيف وهو في مجلسه وحوله اتباعه واعوانه فقال له : لقد قمت بكل ما كلفتني بـه فزوجتي اختك عاقصة ، وانت ايها الحكيم السيسبان اوف بعهدك ، وساعدني في ذلك الزواج ، فقد صبرت عليكم حتى انتهيتم من اعمالكم ، فأراد سيف ان يتكلم ولكن الحكيم سبقه وقال للرهق الاسود : هل احضرت مهرها ايها الرهق ؟

فقال الرهق : اني على استعداد لمنحها ما تطلب .

فقال الحكيم : انك اصبحت منا ونحن منك ، ومهرها تركناه الى تقديرك ، وما اتيت به اخذناه ورضينا وزوجناك .

فرضي الرهق وانصرف ، ولما غادرهم قال سيف للحكيم : لم قلت هذا القول ؟ اني لا أزوج عاقصة الا من عيروض ، فقال الحكيم : اعرف ذلك ولكني اردت ان اماطله واخادعه حتى تأتينا فرصة نعرض عليه فيها الايمان فان ابى قتلته وكفيتنا شره ، ولا نكون حينئذ قد غدرنا به .

فقال سيف : ذلك قول جميل ، وكان سيف قد قطع عهدا لعيروض على ان عاقصة ستكون له ولن يزوجها من احد غيره ، ولما انقضى النهار ذهب الى مبيته عند زوجته شامة ، وبينما هما يتحدثان قبل النوم هبطت عليهما عاقصة فسلمت وجلست ثم قالت :

لقد اجريت لك نهر النيل فعمرت به البلاد ونفعت العباد ، وذلك ما رفع قدرك وخلد ذكرك واما اختك عاقصة التي لم تفارقك في محنتك وافنت حياتها في الحدب عليك وحمايتك فقد هانت عليك حتى جعلتها

منحة منك للرهق الاسود ، وذلك ما اعتبه ولا ارتضيه لنفسي ، فلست ارغب في الزواج من الرهق الاسود ولا من غيره ، وان انت اكرهتني على الزواج نفرت منك وعاملتك بمثل ما تعاملني به ، وسأتودد الى الرهـــق الاسود واجعله يقتطع صخرة من الجبل على قدر ديوانك ثم يرتفع بها في الجو الاعلى ويلقيها على ديوانك فيهدمه على من فيه ، وبعد ذلك أحاول الخلاص منه بالحيلة او بغيرها كما يشاء الله .

فقال سيف : تعالي غدا الى الديوان لنتدبر في الامر ، فطيبي نفسا فلن يكون الا ما تريدين .

ولما جاءته في الصباح وجدت المجلس مجتمعا ومقررا على ان الرهق الاسود لن يتزوج من عاقصة بأي حال من الاحوال ، ثم اخذوا يتشاورون ليهتدوا الى وسيلة تصل بهم الى قتل الرهق الاسود ان لم يؤمن ، اما ان آمن فيجدون في سماحة الدين وكرمه ما يرضي الاثنين ، فقالت الحكيمة عاقلة : خذوا من الرهق المهر الذي يجيء به واقيموا الافراح في مغارة بالجبل نذهب اليها كل مساء نلهو فيها وننعم بما نسمعه من الاغاني والضرب على الدفوف ، وتقوم عاقصة في هذه الجلسة المرحلة بالتقرب من الرهق والتودد اليه والاحتفاء به حتى يطمئن الينا ، ويوقن بأننا أوفياء لـــه مخلصون وهو كافر لا طمع لنا في ايمانه ، فلا بأس من ان تسقيه عاقصة شراب الخمر الذي يحبه حتى يغيب عن صوابه ، ويغرق في غيبوبة من سكره ، وحينئذ يضرب الملك رقبته بسيف آصف بن برخيا وبذلك نقضي عليه ونتخلص من شره ونريح منه عاقصة الى الابد .

فقالت عاقصة : ذلك خير سبيل للخلاص من هـــذا المارد الكافر ، وسأظهر له من المحبة والشغف بزواجي منه ما يذهب عنه كل ريبة في نفسه .

جاء الرهق الاسود ومعه سبعون عونا . كل منهم يحمل سريرا يضم الوانا من الجواهر وكثيرا من الذهب والفضة والملابس الحريرية وقال :

هذا مهر عاقصة وان اردتم المزيد احضرت لكم ما تطلبون .

فقالوا له : هنيئا لك بعاقصة ، وهنيئا لعاقصة بك ، وبدات ليالي الافراح في تلك المغارة التي اعدوها لذلك ، وعاقصة تبدي له كل ليلة من مظاهر المحبة والسرور به ما جعل الرهق يطمئن الى كل ما يجري من اجله، وفي ليلة من الليالي جعلت عاقصة تسقيه حتى فقد عقله وسولت له نفسه انه اقوى مخلوق ، وان سيف بن ذي يزن واتباعه وحكمائه ما هو الا ذرات في الهواء لا حول لهم ولا قوة .

وانه سيتزوج من عاقصة رغم انوفهم وبقوة يمينه ، فقال وهو غارق في تلك السكرة :

من يمنع عني عاقصة ؟ اظنكم فاهمين ان عاقصة منحة لي من سيف واتباعه الكلاب .

فقال السيسبان : ومن منع عنك عاقصة ، وقد اخذنا مهرها واقمنا افراحها ؟

فقال الرهق الاسود : اسكت يا كلب ! من اذن لك ان تتكلم في انا الرهق الاسود ، وهم ان يبطش فيهم ولكن خدر السكر تعد به واغمض من طرفه فقام سيف بن ذي يزن الى سيفه المرصود وضربه به من خلفه على راسه شق بها راسه ، فالتهبت النار في جسمه فقضى نحبه ثم رجع سيف ومن معه الى المدينة وعاشوا في هناء وسرور .

وفي مجلس ضم عاقصة والحكماء والقادة دخل عيروض وقال للملك سيف : طال على خادمك الامد ، فهلا اكرمتني ووفيت لي بوعدك الذي قطعته لي بزواجي من عاقصة ؟ فالتفت الملك الى اخته وقال لها : لقد وعدته بزواجه منك ، والوفاء بوعدي في يديك ، فهلا هنأته الان بقبولك اياه زوجا ؟

فقالت عاقصة : انا لا اريده ولا أريد غيره ، فقال سيف : امـا تستحين من اخيك ؟ ايهون عليك ان تبطلي وعدي بعصيانك؟ فقالت عاقصة: ما هذا ، عدمت بنات الجان ، فليس امام عيروض الا عاقصة ، وهل عدمت الرجال ؟ لم يعد امامي الا عيروض .

فغضب سيف ومد يده الى سيفه فهربت عاقصة وطارت من امامه وقالت له : انك لن تراني بعد الان .

فالتفت سيف الى عيروض وقال : لا تبتئس بما رايت قسما بالله لن تتزوج شخص غيرك ولن احنث بيميني انشاء الله .

وفي الليلة الرابعة من تلك الجلسة بات الملك سيف عند زوجته منية النفوس ، وفي الثلث الاخير من الليل وجد نفسه محمولا على عون من أعوان الجن وهو طائر به في الجو ، فأخذته من ذلك دهشة وسأله : من هـذا الذي يحملني ؟

فقال المارد : ما اخذتك من فراشك الان الا لتحضر زواج اختك عاقصة، فقد سألها قاضي الجن : من توكلين في الزواج ؟ فقالت : لن يكون وكيلي في زواجي الا اخي سيف بن ذي يزن ، فسأله سيف : ومن هو زوجها ؟ فقال المارد : الرهق عبود ، من اتباع الرهق الاسود ، فغضب الملك سيف وقال في نفسه : يجب ان اقتل هذا العون الذي يحملني ولو سقطت منه على الارض جثة هامدة ، فلست ارضى ان يقال عني بأني لم استطع ان ازوج خادمي من بنت من بنات الجان ، ولكنه لم يجد سيفه معه ، فقال : وما اسمك ايها الجني ؟

فقال له : لا تسلني عن اسمي الان .

فألح عليه ان يذكر اسمه فقال : ما دمت قد الححت علي فانا اختك عاقصة ، فبردت نار غيظه وظن انها فعلت ذلك من شدة غيظها ، فسألها: ولماذا فعلت بي ذلك يا عاقصة ؟ فقالت له : اني في احرج المواقف واخطر

المزالق ؟ وأنا اختك التي ليس لها سواك ، اتيت بك لتأخذ بيدي ، واعتقد ان هذا أحب الاشياء الى نفسك ، فقال : وما دهاكي ؟ قالت : لك ان تحكم على اختك بما تشاء ، ولن اخرج عن طاعتك رضيت أم ابيت ، وان كان قد اغضبك ما فرط مني ، فها انا بين يديك فافعل بي ما تشاء . فقال سيف: اهبطي بي الى الارض ثم قصي علي ما اصابك . فنزلت به في بستان جميل وجلسا الى جوار شجرة من اشجاره وقالت له : يا اخي الحبيب ، ان كنت لم تغفر لي خطيئتي وعصياني ارادتك ومغادرتي مجلسك غاضبة هاربة ، فاقتلني يا اخي ، فأنا اختك وحكمك نافذ بي .

فقال سيف : احضري لي اولا سيف آصف من عند منية النفوس . فغابت لحظة وجاءته به ، وجلست تحكي له قصتها فقالت : غادرت مجلسك كالطريدة كاسفة البال وكنت انوي الا اعود اليك ابدا فلقيني في الطريق الرهق عبود ومعه ثمانون من أعوانه فأمسكوني واوقفوني بين يدي كبيرهم الرهق عبود فسألني عن اسمي ؟ فقلت له : عاقصة بنت الملك الابيض ، فنزل عن جواده ونزل اعوانه ايضا عن جيادهم احتراما لي وتبجيلا ، وقال: نحن لك طوع بنانك ، ولك الحكم فينا ما تشائين ، فأنت زوجة ملكنا الرهق الاسود ونحن سائرون اليه بالهدايا من اجل زواجه السعيد ، فأين هو الان ؟ ولماذا انت باكية حزينة ؟ فقلت ابكي بما حل بملككم وسيدكم الرهق الاسود ، فلقد قتله سيف بن ذي يزن بسيف آصف بن برخيا الذي افنى به خلقا كثيرا من الجان وغيرهم ، وأراد ان يزوجني من خادمه عيروض غصبا عني فهربت منه عائدة الى بيت ابي فأمسكتموني وانا بينكم الان . فاستشاروا بعضهم وسمعتهم يقولون : ينبغي لنا ان نهجم على ابن ذي يزن ونقتله . فقال الرهق عبود : لا نستطيع الى ذلك سبيلا لان معه سيف آصف بن برخيا ، يجب ان نسرق منه هذا السيف اولا ثم نقتله ونملك بلاده ، فتقدمت من كبيرهم وقلت الا ترضى ان تتزوجني فتكون لي بعلا وتنقذني من سيف واتباعه الذين يريدون ان يزوجوني من خادم لهم ، فأنت عندي خير من اي زوج اخر فقال : ولكنك كنت شؤما على ملكنا ، فقلت : ان الرهق الاسود هو الذي قتل نفسه بيده ، لان عناده واستكباره ساقه الى حتفه ولولا ذلك لما اصابه احد بسوء ولا ضرر ، فقال : صدقت يا عاقصة وهذه الاشياء هي التي حبسته في العمود زمنا طويلا ، ثم قال : والان ماذا تريدين ؟ فقلت : تسير معي الى ابي فان رضي بالزواج فذلك ما نبتغيه وان اعرض ورفض قبولك هربت معك الى ديارك وابرمنا عقد الزواج هناك ، فصدقني وشغف بي حبا ونزل عند مشيئتي ، وسرنا جميعا الى ابي الذي استقبلهم بالحفاوة والاكرام ولبثوا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع خطبني الرهق عبود من ابي لنفسه ، وكنت قد اعلمت ابي بقصتي فأجابه والدي : مرحبا بك فأنت افضل خاطب ارتضيته لابنتي ، ولكن امر زواجها في يد اخيها سيف بن ذي يزن ، ولا بد ان اقف على رايه وسأرسل

اليه اعمه بذلك ولا يكون الا ما تقر به عينيك ، والتفت الى ابي قائلا : تذهبين يا عاقصة في صباح الغد الى اخيك وتأتيني به ، وانفض المجلس على هذا ورحل عبود ومن معه على ان يعود مرة ثانية .

وفي الليل خلا بي والدي وكنت قد بلغته ما كان بيني وبينك فقال : لقد اخطأتي يا عاقصة في عصيانك اخاك ، فما اراد لك الا الرفعة بالزواج من عيروض المؤمن الذي يعبد الله ويتقيه ، وكره لك الزواج من مارد كافر جبار لعنه الله وطرده من رحمته واما عيروض فهو ابن الملك الاحمر كما انت ابنة الملك الابيض ، ولقد كنت مع اخيك آثمة مخطئة ، ثم اقسم ان لم تأتيني بأخيك وتكون له اطوع من السيد للساعد قتلني شر قتلة ، فجئتك وانت نائم واختطفتك من فراشك وطرت بك في الجو حتى سألتني وهذا كل ما عندي .

فضحك سيف وقال : هلمي معي الى الرهق عبود في قصره لتنظري ما انا فاعل به ، ثم تجرد من ثيابه وارتدى فروة مقلوبة واخذ معه عصا مكونة من ثلاث قطع وصل بعضها ببعض بخرق صغيرة ، وخبأ سيفه تحت ابطه بين الفروة وجسمه ولما قرب من ديار الرهق عبود صار يمشي متوكئا على عصاه وجعل يقول : رميت بداء كبير ، ومن عمر نكس وكان موضعا للمواعظ والعبر ، فلقي عبودا جالسا ومعه اصحابه فسأله : من انت ؟

فقال : انا نسيبك اخو عاقصة .

فقال عبود : ان كنت اخو عاقصة فلا خوف عليك ، ولكني ارى ان الدنيا مدبرة عنك ؟

فقال سيف : ان امر هذه البنت في يدي ورهن مشيئتي .

فقال عبود : وماذا تريد مني صداقا لها ؟

فقال سيف : الدنيا فانية ، ولا مطمع لنا فيها ، واني جعلت مهرها ان تؤمن بالله وتترك عبادة النيران وان أبيت فلن ازوجك منها ، وهذا قول الفصل . فاغتاظ عبود من قول سيف وهم ان يبطش به ، ولكنه خشي ان يقال عنه انه استضعف صعلوكا فقيرا وقتله ، انما اكتفى بطرده فقال : امض الى سبيلك ايها الشيخ فان لسانك يجرك الى هلاكك ، اما عاقصة فسآخذها من ابيها رضيتم ام أبيتم .

فقال سيف : اعلم ان اصرارك على عبادة النار يجرك الى الهلاك .

فقال عبود : دع عنك الهذيان وانج بنفسك ايها الشيخ .

فاستل سيف سيفه وضربه فشق راسه وقتله ، ولما راى اتباعه ان كبيرهم قد قتل بسيف آصف بن برخيا خافوا وهربوا ، فتقدمت عاقصة وقالت لاخيها : جزاك الله خيرا يا اخي فتعال معي لاريك قبة من البلور قبل ان نغادر ديار هذا الملعون ، ولكنني لن ادخلها معك لانها مطلسمة ولا استطيع الاقتراب منها ، وسأنتظرك في الخلاء فلما دخلها وجدها مقامة على اربعة اعمدة يشع منها ضوء كضوء القمر ، ووجد فيها سريرا من خشب

مطعم بالذهب ، عليه فرش حرير وثير ، فاضطجع ليستريح فاخذه النوم الى طلوع الشمس ولما استيقظ خرج مسرعا لملاقاة عاقصة ، ولكنه رأى جيشا مقبلا نحوه فانتظره فاذا هو جيشه ، فسألهم : كيف عرفتم مكاني؟ فقالوا : أرشدنا الكهنة على مكانك هذا فجئناك لنكون لك قوة تصد بها عنك كيد اعدائك الخونة ، فشكرهم سيف ، ثم عاد الى مدينة مصر مع جنوده واتباعه وجلس على عرش ملكه وساد الاطمئنان ونشطت حركة العمل في امن وسلام .

وفي يوم مثل عيروض بين يدي سيف وطلب اليه ان يفي بوعده ويزوجه من عاقصة وفي اثناء ذلك دخل على الملك سيف اربعة رجال مستغيثين به ، فسألهم عما اصابهم ؟ فقالوا : نحن من اهل الصعيد وبجوارنا ملك يسمى عبد الصنم ولديه صنم يعبده من دون الله فلما بلغه انك عمرت المدن واجريت ماء النيل ونشرت دين الله ذهب الى صنمه وسجد له وقال : ان المؤمنين كادوا ان يطردونا من ديارنا ، وان لم تنصرنا عليهم فلن يبق احد في الديار يعبدك فدخل الشيطان في جوف الصنم وقال له : ارسل اليهم الملوك الاربعة لمحاربتهم وسأنصرهم عليهم ، فاستقدم الملك عبد الصنم اليه ملوكه وحكامه الاربعة فجاءونا بجنودهم وحاصروا ديارنا فأرسلنا ملكنا الهجام اليك لتكون على علم بما اصاب ارضك وقومك الذين هم على دينك ، فالتفت سيف غاضبا الى عيروض وقال : اني مشغول بما هو اعظم منك ومن زواجك فانصرف عني الان حتى ادفع عن القوم اعداءهم وامر جنوده ان تسير الى هؤلاء المغيرين فتحرك الجيش ولما التقى بجيش المغيرين فصبوا عليهم نقمتهم وساموهم سوء العذاب ولم ينج منهم الا من آمن او هرب ، وغنم المؤمنون أسلابهم واموالهم واقام سيف في مدينة ملوى للراحة بعد ان أمر بتهشيم الصنم الذي كانوا يعبدونه .

اما الهاربون من عبدة الاصنام فانهم ذهبوا الى كاهنة اسمها (اسنا) وحكوا لها عما اصابهم من سيف وجنوده ، فقالت : دعوني استنصر السحر والكهانة وسترون ما يحل بهم ، وكانت لها ابنة اسمها ارميدة فأحضرت اليها ورقا مرصودا ، وأمرتها ان تكتب عليه اسماء الملك واعوانه من المؤمنين وكان اعوانها من الجان يملون عليها الاسماء .

ثم قالت : سأحتجب عنك في خلوتي سبعة ايام ، وانت كلما وقع في يدك شخص من المؤمنين فاحبسيه في السجن واحرصي عليه حتى اعود اليك ، واراد سيف ان يذهب الى مدن الملوك الاربعة الذين قتلوا فجعل ينتقل من مدينة الى اخرى حتى وصل الى المدينة التي بها الكاهنة اسنا وبنتها ارميدة ، وكانت قد صنعت لهم بابا مرصودا يسمى باب السكتة ، فلما دخله سيف قبضت عليه ارميدة وأودعته السجن وتمكنت ايضا من القبض على ابنائه وحكمائه من بعده ، فأودعوا السجن معه ، ثم لما خرجت الكاهنة اسنا من خلوتها بعد انقضاء الايام السبعة قالت ارميدة : ها انذا

قد حبست كبار المؤمنين وملكهم ، ولكني اعلم انهم لا يقتلون ولا يعمل فيهم سيف ، ثم دخلت اسنا وابنتها ارميدة واعطتها شيئا مرصودا مسموما مثل الحسام ، وقالت لها : خذي هذا الحسام واضربي به هؤلاء المؤمنين، فرفعت ارميدة يدها وهوت بها على الملك سيف فنزل على اما فارتعشت وماتت اما سيف فلم يصب بأذى ، فانحنت ارميدة على يد الملك سيف وقبلتها وقالت : اني اريد ان اكون على دينك وانت ومن معك طلقاء ، فقال سيف : اما ايمانك فمرحبا به ، ولكن احب ان اعلم السبب في قتل امك؟ فقالت : لجأت امي الى سحرها فحبستكم به واقامتني انا حارسة عليكم حتى تخرج من سحرها ، ورايت فيما يرى النائم ان رجلا ايقظني وقال : ادخلي يا ارميدة في الايمان واحذري غضب الملك الجبار ، وكان هذا هو الخضر عليه السلام .

فآمنت على يديه وقمت من نومي ولساني يلهج بكلمة الايمان الذي اثار الله بها قلبي ، فعزمت على خلاصكم من سجنكم ولم اكن اقدر على ذلك الا اذا قتلت والدتي ، فلما اعطتني هذا الشيء المسموم لاضربكم به انحرفت به عليها وضربتها به فماتت ، وذلك ما امرني به الخضر في المنام ، ووعدني ان الملك سيف او ابنه سيتزوج مني وهذه حكايتي .

فشكرها سيف وقال لها : ان شاء الله متى رجعنا الى ارضنا سأزوجك من ابني دمر هذا ، والتفت اليه وقال : هذه زوجتك يا دمر ، فقال دمر : اني بها لسعيد يا ابتاه ما دامت قد دخلت في ديننا ، ثم عرض عليها سيف ان تسير معهم الى ارضهم فقالت :

ان بالقرب من مدينتنا رجل يقال له ـ السعيد المعيد ـ وله اتباع كثيرون لا يحصرهم عد ، وهم يعبدون الكواكب السيارة من دون الله ، واخاف ان علم بايماني ان يغير علينا وربما اصابوا اهل مدينتنا بضرر .

فقال لها سيف : لن ابرح هذه المدينة حتى يؤمن هذا الرجل واتباعه او نقتلهم جميعا ، ثم امر عيروض ان ينادي في المدينة : من دخل في الايمان فانه آمنا وله ما لنا وعليه ما علينا ومن اعرض وصد عن سبيل الله فلا جزاء له الا الموت . فألقى الله الرعب في قلوبهم وآمنوا جميعا ، ثم خرجوا بجنودهم الى هذا الرجل ، فلقيهم بجيشه وهم يكبرون ويهللون فأكرم سيف وفادته وسأله عن سبب ايمانه طائعا مختارا . فقال : بلغني انك قتلت عبد الصنم وابنه عبد هبل والكاهنة والملوك الاربعة وان ابنة الكاهنة اسنا آمنت فغاظني كل ذلك وجئتك في هذا الجيش الذي تراه، ولكن اعترضنا في الطريق فارس راكب جواده فأشار الينا بيده فوقفنا ولم نقدر ان نخطو خطوة فسألته لماذا حبستنا باشارتك في مكاننا ؟ فقال : لادعوكم الى الايمان والا افنيتكم بسيفي هذا وهز بيده فانخلعت قلوبنا من الرعب والخوف ، فلما وجدنا انفسنا بين امرين : الايمان او الموت اخترنا الايمان وجئناك طائعين لنكون من حزبك لتوجهنا حيث تشاء ، فحمد سيف

ربه الذي هداهم الايمان وجعله نائبا عنه في حكم المدينتين . وبعد ذلك رحل بجنوده وارميدة وجعله نائبا عنه في حكم المدينتين . وبعد ذلك رحل بجنوده وارميدة معهم الى مصر وهناك تزوج دمر ارميدة ، ووهب له اباه جواده ذو الراسين ، واقام هو وارميدة مدة من الزمن في هناء وسرور .

وذات يوم دخل عيروض على ابناء الملك سيف واستنجدهم ان يتوسطوا لدى ابيهم الملك ان يسرع بزواجه من عاقصة ، فشفعوا له عند ابيهم وترجوه ان يريحه ويرضيه ، فاستدعى الملك عيروض وقال له : يا عيروض ، سيكون ان شاء الله ما اردت . ثم امر بانياس ان يكتب الى الملك الاحمر والملك الابيض وغيرهما من ملوك الايمان ان يحضروا ، فاخذ يتوالى قدومهم وسيف يستقبلهم وينزلهم في اعز مكان من الخيام التي نصبت خصيصا لهم ، وفاض عليهم من كرمه ، وأمر الحكماء ان يبنوا قصرا لعيروض وعاقصة فقالوا : هناك قصر ـ الهليجة ـ فهو قصر فريد بين القصور فاذهب اليه لتراه فان لم يعجبك بنينا لك غيره ، فلما رآه الملك سيف وجده فسيح الجنبات ، مموجا بالذهب ، وفيه اثاث فاخر ، وكل من اراد الجلوس وجد الكرسي امامه دون ان يرى من قدمه اليه ، واذا كان المقيم فيه له عدو يريده فانه لا يعرف بابه ، وهو واقف امامه . والمقيم فيه لا يجد ضيقا في صدره ابدا ، فأعجب الملك ورضي به .

وبينما كان خارجا من القصر خطف الملك سيف وارتفع الى السماء ، وكذلك من كانوا معه في زيارة هذا القصر من ابنائه وغيرهم من الحكماء ، ثم نزلوا بهم في مغارة واسعة امام كاهن ساحر فجعل ينظر اليهم ويتأمل ، وهم وقوف لا يدرون ما يراد بهم ، ثم اشار الى الملك سيف وقال :

احضروا هذا الرجل امامي ، فجذب امامه ووقف وهو لا يدري من جذبه واوقفه ، فقال الكاهن ـ وكان يعبد النار ـ : يا قطاعة الانس كيف طاب لك ان تبطل الارصاد وتفسد على الناس اديانهم ؟

فقال سيف : وما شأنك بالناس ؟ وهل جرى بيني وبينك شيء من هذا ؟ ومن انت بين اهل الكفر والضلال ؟

فقال الكاهن : الا تعلم ان القصر الذي دخلته لتجعله لعيروض سكنا هو قصري ، فكيف تدخلونه دون اذن مني ؟

فقال سيف : الم يكن عندك شيء تحتج به علينا الا ذلك القصر ؟ واذا كنت تعلم انني محتاج اليه من اجل خادمي واختي فلم لا تكون كريما وتجعله هبة منك للعروسين ؟ وخاصة انك لم تلق مني حربا ولا قتالا ؟

فقال الكاهن : انني احضرتكم لاضعكم في تنور من نار لانكم تغيرون الاديان وتحاربون الكهان وتبطلون اعمالهم .

فقال سيف : ما انت فيما تقول الا ضال مفتون ، وستراننا منصورين عليك باذن الله .

فغضب الكاهن وضرب الارض برجله وقال : هؤلاء يسجنون اجمعين

فوجد الملك ومن معه انفسهم وقد امسكتهم الارض ونظر بعضهم الى بعض وهم لا يتحركون ؛ فقال اخميم الطالب : لم يجادل الملك سيف احدا من الكهنة الا وانتصر عليه ، وقد وجدنا الحق معه فاتبعناه ، فما ظلم احدا ولكن الناس انفسهم يظلمون .

فقال الكاهن : هل انت من اعطاه سيف يافث بن نوح ؟

فقال : نعم ، ولكن بأمر من صاحبه الذي له حرية التصرف بما يملك .

فاغتاظ الكاهن وامسك سيفه واراد ان يضرب رقابهم ولكنه سقط فجأة من يده واغرورقت عيناه بالدموع وغرق في غمرة من سكون ؛ ولما افاق التفت الى سيف وقال : الان حصحص الحق ، وآمنت بالله رب العالمين، واصبحت من اعوانك المخلصين انا ومن يتبعني من ارهاط الجن الذين يزيدون اضعاف ما للرهق الاسود ، وقد اراد الله لي الخير اذ هداني للايمان وذلك اني حينما هممت ان اضربكم بسيفي غشيتني غاشية كالنعاس فرأيت شخصا ينذرني بالويل والثبور ان اصررت على كفري وعبادة النار، ورغبني الايان الذي يقرب صاحبه من ربه ويجعله مؤيدا بنصره ، فامتلأ صدري بنوره ونطقت بكلمة الايمان وافقت من غشيتي مؤمنا ، وانا ادعى الهدهاد ، وانا منذ الان معكم ولن افارقكم ابدا .

فقال سيف : مرحبا بك وبايمانك ، ونريد ان نجتمع بقومنا ونرجع الى مصر ، فكان ما اراد ورجع الهدهاد معهم ، وبعد ان استراح عرض على اخته عاقصة الزواج من عيروض ، فسكتت وظهر عليها آثار الغضب والوجوم اشعارا بأنها لا تريد الزواج منه ، فلقيتها امها وكانت مختفية وقالت : ان اردت شيئا من اخيك فبالحسنى ولا تجعليه يشعر انك غاضبة ، ارجعي اليه وقولي له : انت لا ترضى ان تزوج اختك من خادم، فرجعت عاقصة وقالت له ما امرتها به امها ، فمد يده بلوح عيروض الى الهدهاد ، وقال : خذ هذا اللوح وامسح ما عليه من النقوش ، فقد اعتقته منذ الان ، واصبح حرا ملك نفسه وليس لاحد عليه ، فخرجت عاقصة وهي غير مستريحة لان اخيها سيف ابطل حجتها بعتق عيروض وقالت لامها : لقد اعتقه واصبح حرا لا سلطان لانسان عليه فارشديني الان الى حيلة اخرى تحميني من الزواج منه والا قتلت نفسي . فقالت لها : ارجعي الى اخيك وقولي له : اني اطمع في اكرامك اياي وذلك بأن لا تزوجني الا من ملك مثل ابي ومثلك ، فرجعت اليه وهي ساكتة فقال لها : ما بالك يا عاقصة وقد اصبح عيروض حرا ؟ فقالت له : تود اختك ان تكرمها ولا تزوجها الا من ملك مثل ابيها ومثلك .

فقال الهدهاد : دعها الان وشانها وسأجعل القافض يتوج عيروض ملكا كما ارادت ، وسيغدو ملك يحكم على جميع الملوك في قلل قاف وغيرهم في كثير من البقاع ، وذلك ان تكتب له كتابا بذلك ، وانا اكتب له كتابا مثله، ونبعث بهما رسولا على ان يعطيه كتابك اولا ، فان قراه وغضب ناوله كتابي

ثانيا ، وكان الرسول اويس القافي واشار الهدهاد على سيف ان يتبع بجنوده واعوانه اويسا القافي الى القافض ، وان تكون عاقصة عند ابيها حتى نطلبها ونستدعيها من عنده .

دخل اويس القافي على القافض بن المحيط في ديوانه وناوله كتاب سيف ، فلما قراه غضب وقال : ومن هذا الذي يأمرني ان اتوج ولدا لم يبلغ من العمر خمسمائة عام ، فناوله كتاب الهدهاد ، فلما قراه تبسم وقبله وامر اعوانه ان يكرموا الرسول ثم قال له : كان عليك ان تعطيني هذا الكتاب اولا ، فقال اويس : لو عرفت سيف ومنزلته وقوته لقدرته واطعت ارادته . وحين هم القافض ان يكتب الاجابة اذا بطبول تدق ايذانا بقدوم جيش عظيم ، وجاءه من بلغه : ان الملك سيف ملك اليمن مقبل في جيش لا يحصى عدده ، فنهض القافض واستقبلهم وفرح بقدومهم ، وامر اعوانه على مسمع منهم ان يدعوا الملوك ليشهدوا تتويج عيروض ، فلما اجتمعوا عنده قال لهم : لقد اعتق سيف خادمه عيروض واعطاه لوحه ، ويريد ان يتوجه ملكا مثل ابيه ، وقد بعثت اليكم لاقف على رايكم في ذلك، فقالوا : نحن نسلم ان عيروض ابلى بلاء حسنا في الجهاد وطاعة الله وهو يستحق ان يكون ملكا ولا يكابر في ذلك الا كل ضال ومهووس . فنادى القافض (دلهما) امين خزائنه وقال له : خذ عيروض هذا واعصب عينيه وادخله حجرة التيجان ودعه ينتقي تاجا يلبسه ويحضر الي ، فلما وقف به امين الخزائن بجانب التيجان وامره ان يمد يده اليها ليأخذ التاج الذي تقع يده عليه سمع صوتا يهتف في اذنه قائلا : ارفع يدك اليمنى على قدر طاقتك ثم ضعها على التاج المقابل لها وخذه وذلك ما امرني الهدهاد ان اخبرك به ، فلما لبس التاج وذهب الى مجلس الملوك ، فاستولت الدهشة على الجميع فقد كان التاج الذي انتخبه تاج القافض بن المحيط فقال القافض : اجلس يا عيروض بيننا ملكا متوجا فجلس بينهم وكان مثلهم .

ودخل عليهم شيخ كبير ذو لحية بيضاء وقال : لقد توجتم عيروض ملكا ولم نكن معكم واقترح ان يصارع ابطالا مثله فان غلبهم كان جديرا حقا بتاج الملك . فاستحسن الجالسون هذا الراي وقام عيروض الى ميدان المصارعة ونادى ذلك بطلا شديد المراس يسمى (الصدام) فصرعه عيروض وصرع معه ستة غيره فغضب القافض وقال : ما قتل هؤلاء الابطال الا ذلك الشيخ الخرف فعلي به ، فالتفت الحاضرون فلم يجدوه ، وكان هذا ابليس اللعين جاء ليفسد عليهم ما عملوا ، ثم رجعوا جميعا الى مصر ودخلوها في حفل رائع بهيج وانهالت على عيروض التهاني من كل ناحية ، وبعد ايام قال للملك سيف : انني ما زلت خادما لك ومحتاجا الى معونتك،ولن اتزوج من عاقصة الا بمعونتك ، فطلب سيف عاقصة من ابيها فلما جاءت قال لها : هل بقي لك حجة او معذرة ؟

فقالت عاقصة : لا حجة لي بعد ، ولكني سمعت انه صارع الصدام

وغيره من الابطال وتغلب عليهم جميعا ، فقال : نعم لقد صارعهم وغلبهم فقالت : انا الان لا اريد شيئا الا ان يصارع السميدع كما صارع الصدام، وكانت هذه الحيلة اخذتها عن امها بعد الحاح كثير .

اصرت عاقصة على ان ينازع عيروض السميدع ، فان غلبه ارتضت به زوجا لها ، فقال احد الحاضرين : يغلب على ظني ان امها قد دبرت لها هذه الحيلة لتخلص من عيروض وزواجها منه ، فان السميدع مارد جبار لا يطيقه احد ، وقد كان سجنه سليمان عليه السلام ليحمي الناس من شره، ولا يزال محبوسا في سجنه حتى الان ، فقال الهدهاد : سيكون لعاقصة ما ارادت فلسنا عاجزين عن تنفيذ ما تطلب ، ولا بد ان يتم النصر لعيروض، فهيا بنا الى السميدع لاطلاقه من سجنه واحضاره ليصارعه امام عاقصة، وتشهد مصرع السميدع الذي عقدت عليه املها في الخلاص من عيروض.

ركب سيف حصانه ، وامتطى الهدهاد شخصا مسحورا من الورق وطارت معهما عاقصة حتى وصلوا الى محبس السميدع فوجدوا شيخا يقوم على حراسة السميدع في محبسه فقال له الهدهاد بعد ان سلم عليه: آن اوان اطلاق سراح السميدع واخراجه من سجنه الذي قضى فيه السنون الطوال .

فقال الشيخ : بشرك الله بكل خير كما بشرتني بلقاء ربي والانتقال من هذه الدنيا الفانية الى رحمته التي وسعت كل شيء ، لان نهايتي من الدنيا مرهونة بخروج السميدع واطلاقه من سجنه ، فاذا اطلقتموه فائتوني الى مكاني هذا وكفنوني في كفني هذا وادفنوني في حفرة من هذه الارض تكون لي قبرا وجزاكم الله عني خيرا .

فقالوا : سنراك انشاء الله بعد خروجه في سلامة ، وكان السميدع مشدودا الى عمود طويل ضخم من حجر اصم فضرب سيف بسيفه ما على عمود السميدع من نقوش وطلاسم فأتلفها وانشق العمود وخرج منه دخان كريه الرائحة ، جعل يتجمع حتى تكامل واذا به يتحول الى مارد بشع الخلقة فقال لسيف : جزاك إلله خيرا اذ اطلقتني من سجني الذي لبثت فيه مئات السنين فينبغي لي ان اسدي اليك خيرا بخير ونعمة بنعمة ، فاختر لنفسك موتة اهدها اليك ، فاما ارتفعت بك في الجو ثم القيتك على الارض جثة هامدة مهشمة ، واما شققتك نصفين ، وجعلت احدهما على جبل الشرق والنصف الاخر على جبل الغرب ، واما غصت بك في اعماق البحر والصقتك بقاعه لتكون طعاما لسمكة ، وذلك جزاء ما اسديت الي من المعروف ، وما جزاء الاحسان الا الاحسان .

فقال سيف : لست أرغب منك جزاء ولا شكورا ، فاهنأ باحساننا واردد احسانك لنفسك ، فأنت احق به واولى ، ونحن في غنى عنك وعن امثالك ، وحذار من الغدر حتى لا تحرق بناره . وكانت عاقصة اذ ذاك قد بدت لعين المارد في اجمل صورة فسحرت فؤاده ، فود انيتقرب الى سيف

من اجلها ، فقال : يا سيدي لو لم تكن مصون بالحماية والرعاية والنصر ما اطاعك الجن والانس ومن خطل الراي ان اتمرد عليك واعصيك فيصيبني من البلاء ما اصابني من السجن ؛ فاتخذني خادما مطيعا لا اعصي لك امرا ولكن ... اخبرني من هذه البنت ؟ فقال سيف : هذه اختي وقد عزمت ان احدثك في امرها . فقال السميدع : حدثني عنها بما تشاء ، فانـــي مصغ اليك .

فقال سيف : لقد خطب اختي مني مارد من الجن يدعى عيروض فأعرضت عنه وتمنعت فلم يزده اعراضها الا الحاحا ، فقالت له : لـــن ارتضيك لنفسي زوجا الا اذا نازلت السميدع وغلبته ، فان قهرك السميدع رضيت بالسميدع زوجا ان رغب في زواجي . فجئناك واطلقناك من سجنك لتبارزه في ارض مصر ، واختي عاقصة لمن غلب منكما .

فقال السميدع : لقد اسمعتني اعذب ما اشتهي وقد رضيت بما حكمت عاقصة ، فاسبقوني الى بلادكم وسأذهب الى اهلي لابشرهم بخروجي من السجن ، وسأكون عندكم بعد ثلاثة ايام ومعي مهر عاقصة فاذا قدر لي ان اغلب على ذلك المارد وزوجتني منها كنت على مدى الحياة الخادم الامين لك . ثم انصرف وقد علق بقلبه حب عاقصة وعاد سيف ومن معه الى ذلك الشيخ الذي وصاهم ، ان يعودوا اليه فلما رآهم حمد الله وشهق شهقة فاضت فيها روحه ، فجهزوه وكفنوه ووضعوه في قبر ، كما وصاهم ، ثم عادوا الى مصر ينتظرون قدوم السميدع . وهناك استدعى الملك سيف عيروض واعلمه ان السميدع قادم الى مصر وانه سينازله ويجالده، وعاقصة لمن يغلب منهما ، فحزن عيروض وقال : لست اعتقد انني كفء للسميدع وما انا الا مغلوب ، فاعفوني من مبارزته ، فلو وقفت امامه يؤازرني الف مارد من امثالي لخسفت بنا الارض وان اصررتم على المبارزة فقد خسرت عاقصة وخسرت حياتي ، فابتسم الهدهاد وقال : يا عيروض ما دمت تحمل السلسلة التي اعطيتك اياها فبارز من تشاء من الجن والانس ولا تخش هزيمة او فشلا ، فالنصر سيكون لك على السميدع ولو زادت قوته اضعاف ما هي عليه الان فبارزه وكن ثابت القلب ، واثقا بالفوز حتى لا يكـــون لعاقصة علينا حجة بعد ذلك ، فاطمأنت نفس عيروض الى قول الهدهاد وانصرف راضيا ان ينازله وبات ليلته يمني نفسه بالتغلب على السميدع والزواج من عاقصة ، ولما طلع النهار امتلأ الجو حفيفا وقعقعة اعقبهـــا نزول السميدع واعوانه يحملون الاموال التي جاء بها فجعلها في يد خازن الملك سيف ودخل عليه في مجلسه وقال : لقد اعطيت خازنك بعضا من صداق عاقصة . فأحضر ذلك المارد الذي تريد ان اصارعه لاقتله . فقال الملك سيف : هذا هو المارد ــ واشار الى عيروض ــ وكان حاضرا فنظر اليه السميدع نظرة كلها احتقار ، فذعر عيروض وتولاه الهلع فقهقـــه السميدع قهقهة كأنها الرعد القاصف ، ثم قال للملك سيف : لقد ازدريت

لهيابي ايها الملك وانقصت من قدري اذ دعوتني الى منازلة هذا العاجز الذي لا يحتمل زارة ارسلها من صدري .

فقال الهدهاد : دع عنك الثرثرة ولغو القول ، فالمصارعة ستكون هي الحاسمة ، وبها يتبين القوي من الضعيف والقادر من العاجز فهيا الى الميدان ليشهد نزالكما خاصة الناس وعامتهم . ونزل السميدع وعيروض الى الميدان تحوطهما عيون النظارة واخرج سيف عاقصة من بين الصفوف واوقفها في الميدان وقال : هذه العروس ستكون لمن وهب لها حياته وقهر خصمه فشد ذلك من العزائم ، والهبت الامال ، وامسك السميدع عيروض ورفعه لكنه لم يستطع الى رفعه سبيلا ، وكأنه سمر في الارض ، فضحك الجميع وضحكت عاقصة ضحكة احس منها السميدع بالخجل ودب في نفسه دبيب الخوف من عيروض لم يكن يتوقعه او يخطر له على بال ، وزاد خوفه وخزيه حينما رفعه عيروض بيديه الى الجو وضرب به الارض ضربة تململ منها السميدع وعبثا حاول ان يظهر على عيروض لان عيروض كان يحمل السلسلة المسحورة فضلا عن ان الهدهاد كان يُشد أزره بسحره ، وفي النهاية رفعه عيروض وضرب به الارض ضربة افقدته الحياة ، وكان في الجمع مائة من أعوان السميدع وهموا ان يقتلوا عيروض ولكن الارض من سحر الهدهاد امسكتهم فجمدوا في اماكنهم لا يستطيعون حراكا ، وجاءهم خادم من أعوان عيروض وعرض عليهم الايمان فأبوا الاذعان له فقال الهدهاد والايمان في غنى عنكم ولا حاجة به اليكم ، واخرج ورقة ورسم عليها صورة انسان ثم تلا عليها ما شاء من عبارات السحر ثم قطع راسها فقطعت رؤوس اعوان السميدع جميعا ، ورجع الجميع الى المدينة ، وكان عيروض في فرح عظيم ، فاستقبله سيف وقال له : هنيئا لك بالزواج من اختي عاقصة فقد رضيت بك زوجا لها بعد ان ارهقت نفسك من اجلها وركبت الاخطار .

فقال عيروض : لتهنأ بك امتك واتباعك والفضل في ذلك راجع اليك والى الحكيم الهدهاد الذي اعانني وساعدني . ثم امر الملك سيف باقامة الافراح وبعد ايام استأذن عيروض الملك سيف ان يقيم وزوجته عاقصة في قلل قاف ليعيشا في عزلة صافية ، فأذن له سيف ان يقيم حيث يشاء فطارا الى قلل قاف .

اما الحكيم الهدهاد فقد اقام في قصر العارض واصطفاه سيف لنفسه فحسدته الحكيمة عاقلة واغتاظت منه ، وافضت بغيظها الى برنوخ الساحر ، وخبرته انها جادة في تدبير مكيدة لاغتيال الهدهاد وقتله : فقال لها برنوخ : وانا سأكون لك في هذا التدبير خير معين ، فقد ضقت ذرعا به من الملك سيف وثقة الملك به تلك الثقة المطلقة العمياء وتم الاتفاق بينهما على ان يضعا في الاناء الذي يشرب منه سما قاتلا ، وفي ليلة شديدة الظلام طارا بسحرهما الى نافذة مصر الهدهاد . ودخلا منها واهتدوا الى الاناء

الذي يشرب منه والقيا فيه قطعة من السم وهو غارق في نومه ، ثم رجعا ادراجهما ، ولما استيقظ الهدهاد من نومه احس عطشا فذهب الى الاناء وما كاد يشرب منه قليلا حتى شم رائحة السم فيه ، فامسك عن الشرب واستدعى خادمه وقال له :

اني شممت في الاناء رائحة سم وقد شربت منه قليلا فاتني حالا بقرن الكركند وبعضا من لبن النوق ، فلما حضرهما حك القرن في وعاء اللبن ثم تجرعه فتقيأ حتى افرغ كل ما في جوفه ، وبذلك نجا من السم ، وزاره الملك سيف فرآه اصفر اللون ، فسأله عما الم به فقص عليه حكاية السم الذي دس له في الاناء ، وكيف اسعف نفسه بقرن الكركند حتى تقيأ وقذف ما في بطنه .

ثم قال : وقد اسلمت امري الى الله ، واحمده سبحانه اذ نجاني من الموت وسأرحل الان الى الاسكندرية لبعض شؤوني ، على ان اعود اليكم ان شاء الله بعد ثلاثة ايام ، ثم ودعه ورحل .

وبينما كان الملك سيف في ديوانه وحوله ابناءه وخاصته اذ دخل عليهم خادم الهدهاد وناوله سيفا كتابا من سيده ، فلما قراه عرف انه مريض بالاسكندرية ولا يستطيع العودة ، فأسف لذلك سيف واذاع هذا الخبر بين جلسائه وقال : ينبغي لنا ان نهرع لزيارته بالاسكندرية . وذهب اليه سيف وابناؤه وبعض خاصته ودخلوا عليه في مخدعه فوجدوه مستلقيا على سريره فأسعفوه بالعلاج حتى ابل من مرضه وعادوا الى مصر ، وبينما كان سيف جالسا في ديوانه بعد عودته دخل عليه كاهن يدعى ـ بطينا ـ فسلم عليه وعرفه بنفسه وقال :

انا تلميذ الحكيم الهدهاد ، وقد طلب الي ان اكون عونا وخادما لك حتى يعود معافى من الاسكندرية ، وقد جئتك الان تلبية لاوامره ، فرحب به سيف وقربه منه ومنحه حلة سنية ، وطلب دمر من ابيه ان يختبر ولاء هذا الكاهن واخلاصه ، وذلك بأن يمسك بيده سيف آصف بن برخيا ، فأبى سيف وقال :

لم يبد لنا من هذا الكاهن ما يجعلنا نشك في امره ، ولم يبد منا له ما يحمله على الغدر بنا وايذائنا .

وثارت ثائرة الحكماء لانهم لم يثقوا بهذا الكاهن وظنوا انه يبغي الكيد لهم ويعد العدة ليسوقهم الى حتفهم ، ووقف الحكيم السيسبان معترضا على اطمئنان الملك سيف الى كاهن غريب يجهلون امره ويشكون في اخلاصه ووفائه .

فغضب الكاهن بطين لذلك ورد الى الملك حلته واستأذنه ان يقيم في قلعة جديدة ينشئها لنفسه فأذن له ، ولما اتم الكاهن بناء القلعة دعي الملك سيف وابنائه والمقربين اليه الى وليمة اقامها لهم فيها ، فلما حضروا عنده وجدوا القلعة كأنها قلعة الجبل ، ووجدوا المائدة حافلة بأنواع الطعام ،

ولكن الملك دمر نادى في جماعة الحاضرين ان لا ياكلوا من هذا الطعام لان فيه السم الزعاف ، فدعا سيف الكاهن بطينا اليه فلم يجده فبحثوا عنه هنا وهناك فما وجدوه ، وبينما هم غارقون في دهشة من امر هذا الكاهن وهربه من بين ايديهم بعد ان انكشفت خيانته اذ نزل عليهم سرير عليـــه الحكيم الهداد وقد بدا على وجهه الغيظ من اجل هذه الخيانة الاثيمة التي دبرها الكاهن بطين لقتل جميع الحاضرين ، وامر ان يغادر الحاضرون هذه القلعة ثم قال للملك سيف : هذه القلعة تسمى ـ الباطنية ـ وسيكون لها ذكر في مدينة مصر في المستقبل وبعد مدة قال دمر للهدهاد : قد وعدتنا ان تأخذنا الى كنز الهليجة الذي نجد فيه الغنى مدى الحياة فهل لا تزال على وعدك ؟ فقال : انشاء الله غدا نذهب اليه جميعا .

وسار الهدهاد والملك سيف وابناؤه وحكمائه وخاصته ورجاله الـى كنز الهليجة ، فهالهم ما وجدوه من قصور واموال وجواهر جعلوا يتنقلون بين قصوره وبساتينه فراى برنوخ الساحر والحكيمة عاقلة شجــــرة اعجبتهما تحمل ثمرا يشبه التفاح ، فأكلا منه فتبدل حالهما واصبحت الحكيمة رجلا وصار برنوخ امراة ، فانزعجا لذلك وصارا اعجوبه واضحوكة بين الحاضرين فابتسم لهما الهدهاد وتلا شيئا بلسانه ثم قال : ارجعا كما كنتما فرجعا الى حالهما وحسبا ان الهدهاد كان يهزأ بهما فاتفقا على قتله ، فوضعا له السم في انائه ، ونفذ القضاء فشرب الهدهاد من انائه الذي فيه السم حتى ارتوى ، وسرعان ما ظهرت عايه اعراض السم الى درجـــة يستعصي امرها على كل علاج ، فقال للملك سيف : قد نزل القضاء وجاءني الاجل ، فخذ كتابي وقرابي هذين واحفظهما عندك ثم شهق شهقة فاضت بها روحه ، فحزن عليه سيف وجهزه ودفنه ، وما لبثوا ان وجدوا المكان قد أطبق عليهم بظلامه الحالك ، فحاروا في امرهم ووقفـــوا جامدين لا يستطيعون حراكا ، ولا يدرون ما يكون مصيرهم في هذه الظلمة التي لا يرى احدهم فيها كفه .

فاستعان الملك سيف بربه ودعاه ان يكشف عنهم هذه الغمة ، فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم ذلك الظلام ففروا من الكنز دون ان ينالوا منـــه شيئا وكان في القراب لوح (المنشار) كبير خدم الهدهاد ، فقال منشـــار لسيف : هل لك ان تعتقني لوجه الله فأعطيك مائتي فص من الجواهر ؟ فقال سيف : اذهب انت حر لوجه الله وناوله لوحه ، فأحضر اليه المنشار الجواهر وقال له : شكرا لك وودعه وتمنى له دوام السعادة .

وبينما كان سيف يتحدث الى الحكيمة عاقلة في امر عيروض وعاقصة وكيف انهما لم يحضرا لزيارتهما اذا بعيروض مقبل عليهم ، فحيا وسلـــم فاستقبلوه ببشاشة وترحاب ، فقال الملك سيف : طالت غيبتك عنا يـــا عيروض ، وأين عاقصة ؟ فقال : تركتها في خير وعافية ، فقال سيف : كنا في شوق الى رؤيتها ، فلم لم تحضرها معك ؟ فقال عيروض : قدمت اليك

لابشرك بخبر لا ريب انه يسرك .

فقال سيف : ما هو عيروض ؟

فقال عيروض : لقد وضعت لي عاقصة ولدا اسميناه عفاشة وهو اعجوبة الزمان ، فلكل انسان يدان ، يد يمنى ويد يسرى الا ان ولدي هذا له يد ثالثة من الحديد الصلب في صدره ، عليها نقوش وكتابة وهو يستطيع ان يحركها كما يريد ، فاذا ارادها حربة او سيفا او رمحا او غير ذلك كانت في الحال كما اراد ، ثم وضعت عاقصة ابنتين فاسميناهما (تصاقيصة) و(بصابيصة) ولكن ما ان استطاعتا المشي حتى خطفتا ولم نعلم من الذي اختطفهما ، ولما اعيانا البحث عنهما ارسلتني عاقصة اليك لاخبرك بما حل بنا من فقد الابنتين ، فلعلك تستطيع مساعدتنا للاهتداء اليهما واعادتهما الينا .

وكان عيروض قد استصحب معه ابنه عفاشة ولقد كانت دهشة المجلس عظيمة حينما رأوا عفاشة بأيديه الثلاث . فقال عيروض : هذا ابني عفاشة الذي حدثتك عنه ، والتفت اليه قائلا : تقدم يا عفاشة وقبل يد سيدك الملك سيف فهو خالك ، فتقدم عفاشة وقبل يده وقال : ايها الملك السعيد ان امي عاقصة امرتني ان اكون تحت طاعتك ، ثم قبل يد دمر الذي قام اليه واحتضنه وقبل راسه ، وفرح به جميع الحاضرين ثم قال : اني ذاهب لاحضار اختي اللتين اختطفتا ولا بد لي من العثور عليهما بعون الله وفضله .

ثم ارتفع في الجو وطار ، وجذبته يده الى المكان الذي فيه اختاه ، فسمع احداهما تقول : ادركنا يا عفاشة . ولكنه لا يستطيع ان يراهما فقال : اين انتما ؟ فاني اسمعكما ولكني لا اراكما ، فقالتا له : لقد اختطفنا ماردان واخفيانا عن الانظار حتى لا نفلت منهما في غيبتهما .

فقال عفاشة ليده الثالثة : اقسمت عليك بطلاسمك ان تكوني سلسلتين تطوقان عنقا الماردين وان تحضريهما بين يدي ، فلما كانا بين يديه سألهما: لماذا خطفتما شقيقتي ؟

فقالا : نحن لا نعرفهما ولا نعرف اهلهما ، ولكننا كنا سائحين في الجبال وفي بقاع الارض رأيناهما فأعجبنا بجمالهما فخطفناهما . فقال : ولماذا حجبتاهما عن الانظار وجعلتاهما يريان الناس والناس لا يرونهما ؟ فقال احدهما : كان للحكيم الهدهاد بنت تسمى (براقع) ورثت عنه علم الكهانة والسحر ، وكان قد زوجها من تلميذه الحكيم الدمرجاد الذي كان يحذق الكهانة والسحر عن اساتذته وكان ابوها يزورها كل عام ، وفي هذا العام لم يات لزيارتها فاستفتت ابنته براقع علوم السحر والكهانة فعرفت انه مات في كنز الهليجة وان الملك سيفا واتباعه كانوا السبب في موته وكانوا طامعين في الاستيلاء على الكنز وذخائره فحال الخدم بينهم وبين ما يريدون وهموا ان يقتلوهم في الكنز ، ولكن سيف استغاث بربه فصرف

عنهم الضرر والسوء ، وخرجوا من الكنز سالمين فلما عرفت براقع بموت ابيها غضبت غضبا عظيما واصرت على ان تنتقم لابيها من هؤلاء القوم ، فأعطتنا لوحين للاخفاء وامرتنا ان ننطلق الى مدينة مصر ونكتب لها اسماء رجال الملك سيف ، ولما كنا في طريقنا الى مصر قال اخي : ان نحن اتينا الى براقع بأسماء رؤساء المؤمنين فربما كلفتنا ان نحضرهم اليها وقد نعجز عن احضارهم لان فيهم حكماء وكهنة، وان قدرنا عليهم وتمكنا من احضارهم كنا سببا في قتل المؤمنين وهم اخواننا في الدين والايمان بالله ورسله .

فقلت : يا اخي وماذا نفعل ؟ فقال : نعصي امرها ونسيح في الارض ولا نعود اليها الا ومعنا لوحا الاخفاء فنستطيع ان نختفي بهما عن اعين الرائين فلا يعثر علينا احد ، وسرنا في وجوه الارض حتى وجدنا هاتين البنتين فسحرنا بجمالهما وخطفناهما وجئنا بهما الى هذا المكان ، وهذه قصتنا ولا ريب انك عرفت الان سبب اختفائنا عن الاعين .

فقال عفاشة : وما اسميكما ؟ فقال احدهما : اسمي القمقعان واخي هذا اسمه القهقهان . فقال عفاشة : لقد قدمتما للمؤمنين خيرا تشكرون عليه ، ولكنكما افسدتماه بخطف هاتين الابنتين واضرام نار الحزن في صدورهما وصدور اهلهما ، ولذا فاني سأحبسكما في هذا الغار ، ولوح بيده في الهواء امامهما وقال : اقيما في هذا الغار ولا تفارقاه حتى اعود اليكما .

واخذ اختيه الى امه عاقصة في قلل قاف ، ثم عاد الى الماردين فأخذهما الى الملك سيف حيث قصا عليه حكايتهما فأمر الملك بحبسهما وكلف عفاشة ان يرصد حبسهما حتى لا يهربا ووكل عشرة من الاعوان بالقيام على حراستهما .

وبعد ايام بينما كان الملك سيف جالسا كعادته في ديوانه جاءه ابنه نصر وعلى وجهه امارات القلق ، فسأله عما به . فقال : فقدت زوجتي طاووسة هذه الليلة ، فغضب الملك سيف ودعا الحكيمة عاقلة وكلفها ان تعرف بكهانتها اين طاووسة زوجة ابنه ومن اخذها ، فانطلقت الى عزلتها برهة ثم عادت تقول : ان طاووسة اختطفها الحكيم (فارس كور) ومعه الحكيمة (فوة) وهما في السحر لا يغلبهما احد ، لانهما تعلماه من هاروت وماروت ويقيمان في ارض بابل .

فقال سيف : بعون الله سترجع طاووسة وننتقم من هذين الماردين . وفجأة خيم على سيف ومن معه ظلام دامس ، ووضعت ايديهم وأرجلهم في القيود ، وخطفوا من اماكنهم حتى لم يبق في الديوان الا الخدم ، اما سيف وجماعته فقد وجدوا انفسهم امام كاهنة عنيدة ، وذلك ان براقع بنت الهدهاد لما ابطأ الماردان اللذان كلفتهما باحضار اصحاب الملك سيف وكبار دولته عرفت بكهانتها وسحرها انهما في سجن الملك سيف ، فكلفت ماردا اخر ان يذهب الى مصر في الحال ويأتيها بأسمائهم .

فلما احضر اليها الاسماء جعلت تقرا عليهم وتدمدم حتى استطاعت ان تستقدمهم اليها مصفدين بالاغلال على هذه الحال المنكرة .

فقال لها الملك سيف : من انت ؟ ولماذا اتيت بنا من بلادنا على هـذا الشكل ؟ فقالت براقع : يا سيف قد غدرتم بأبي الهدهاد وقابلتم احسانه اليكم بالاساءة ، فقتلتموه بعد ان اراحكم ودفع عنكم متاعب الحياة ، وقد احضرتكم لاقتلكم اجمعين ، ثم نزعت من راسها شعرة وتلت عليها عبارات سحرية فانقلبت حساما ، ولكن سيف التجا الى ربه وابتهل اليه ان يقيض له مخرجا من هذه الموتة ، فاستجاب له ربه وظهر بينهم عفاشة ابن اخته عاقصة وصاح : لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالفرج ، ثم أمر يده الثالثة ان تأتيه بمن فعل هذا مع سيف وجماعته ، فأحضرت اليه ثلاثة اشخاص: براقع بنت الهدهاد وابنها الدرياط وزوجها الدمراج فقال لهم : كيـف تجرؤون على المؤمنين وملكهم وتختطفونهم من ديارهم مصفدين ؟

فقال الدمرداج : انهم اساءوا الينا بقتلهم الهدهاد الذي اعانهم واحسن اليهم ، ولم نفعل ذلك الا قصاصا وثأرا ، فقال عفاشة : ما ابعد المؤمنين عن الاساءة الى من احسن اليهم وما اجملهم في مقابلة الاحسان بالاحسان، ولو انكم اخبرتم الملك سيف عمن قتل الهدهاد لقتله ولو كان احد ابنائه.

وقال سيف : لقد اخبرني الهدهاد قبل موته انه قتل قضاء وقدرا، واعلن عفوه عن الذين قتلوه ، ولم يرض ان يتهم احدا ، فقـال عفاشة : دعونا من ذلك وان نجوتم من يدي فاطلبوا ثأركم كما تحبون ، وانني ادعوكم الان الى الايمان فماذا ترون ؟

فقال الدمرداج : لست ارغب في ترك دين آبائي واجدادي الاولين ، ولقد دعوتنا الى ما تأباه انفسنا ولن نترك ديننا مهما يكن ، فقال عفاشة : وان الايمان لفي غنى عنك ، وأمر يده الثالثة ان تكون حساما وتقطع عنقه فما هي الا لمحة حتى فصل رأسه عن جسده وآل مصيره الى النار وبئس القـرار .

اما براقع وابنها الدمرياط فقد آمنا ودخلا في دين الله واعلنا ولاءهما للملك سيف على ان يكونا من اتباعه واعوانه ، واعطته براقع لوحين وقالت: ان احتجت الى احد منا فافرك لوحه فستجده لديك حاضرا يقـوم بما تأمره به .

فرجع عفاشة وخاله سيف وجماعته الى مصر فرحين ثم ودعهم عفاشة ورحل الى امه عاقصة في قلل قاف .

اما سيف فانه ارسل بعض اعوانه للبحث عن طاووسة زوجة ابنه نصر فعرفوا مكانها ولكنهم كتموه في انفسهم مخافة ان يكلفهم باحضارها وذلك ما لا طاقة لهم به .

صحب عفاشة جماعة من اعوانه واخذوا يبحثون عن طاووسة حتى وصلوا الى القمة السابعة من قلل قاف ، فوجدوا بنتا من بنات الجان وقد

جلست ومن حولها جمع غفير من الجن يأتمرون بأمرها ففتنه جمالها حتى صرفه التأمل فيها عن غرضه .

اما الملك سيف فانه جلس في ديوانه فوجد نفسه يقوم فجأة ويصرخ قائلا : نعم ايها الكاهن . ثم خرج من الديوان وهو لا يدري كيف خرج ، ولماذا خرج ، وانقض عليه مارد من الجان فاختطفه وحلق به في الجو ، فسأله سيف : من انت يا اخا الجان ؟ والى اين تذهب بي ؟ فقال : اني مكلف، ان احملك الى الركن الخراب لاسلمك الى سادتي (فارس كور وفوه) لانهما امراني بذلك ، ولا تعد الى مخاطبتي بعد الان .

فقال سيف : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فقال المارد : لا تعد الى مثل هذا القول ، الا القيتك الى الارض وقتلتك . فسكت سيف عن الكلام وسلم امره الى الله ، وبعد برهة وجد نفسه بين يدي فوه وفارس كور واذا بهما من اقبح خلق الله فنظر اليه فارس كور نظرة سخط وقال: انت الذي تبطل عبادة النار وتدعو الى التوحيد ؟ قال : نعم ، ولن يصرفني عن هذه الدعوة احد مهما يكن شأنه ، فقال فارس كور : وانت لن تفلت من يدي ايها المغرور مهما يكن شأنك . ثم اومأ – فارس كور – الى الارض فأمسكته في مكانه وجعل فارس كور وفوه يشربان الخمر ويسجدان للنار حتى ثقل راساهما وغلبهما النعاس فغرقا في نوم عميق .

اضطرب خاصة الملك سيف واعوانه وقد جلس ابنه دمر على عرشه وامر الحكيمة عاقلة ان تتبين مكان ابيه ومن خطفه ، فقالت : ان اباك موثق في القيود امام الكاهن فارس كور وزوجته الكاهنة فوه في الربع الخراب، وقد غلبهما السكر وناما نوما عميقا ، وان جاء الصباح ولم يدركه احد ويخلصه من ايديهما قتلاه لا محالة ، وهذا الامر ليس له الا عفاشة .

فقال دمر : واين عفاشة الان ؟ فقال اويس القافي : سأحضره اليكم في الحال ، ثم طار الى قلل قاف فلقيه هناك فسلم عليه واخبره عما جاء من اجله ، فرجعا معا من فورهما الى مصر وكانا في الديوان امام الملك دمر ، فقال له : يا عفاشة ، اريد ان تنقذ ابي من حبسه في الربع الخراب قبل شروق شمس يوم الغد ، فانه اذا طلع عليه صباح الغد ولم يدركه احد قتلة فارس كور وزوجته فقال عفاشة : اجعلني ملكا على الجان وانا بما تأمرني به رهين ، فقال دمر : قد جعلتك ملكا على الجان يا عفاشة ، فقال : اءتوني بكرسي ، فجلس عليه وامر ان يحضر بين يديه الماردان المحبوسان فجعلهما وزيرين له ، وجعل اويسا القافي رئيس حكومته ثم انفلت الى الجو طائرا فوصل الى فارس كور بعد زمن قصير ، فارسل بصره ذات اليمين وذات الشمال فرأى فارسا مقبلا من بعيد ، فانكمش على نفسه وانقلب الى صورة عاجز ضعيف يرتجف ويرتعد ، فلما لقيه المارد سأله : من انت ؟ فقال : من ضعفاء الجان وعجزتهم ، ومن تكون انت ؟ فقال : انا برق دخان حاكم الجان ، ومن اعوان الكاهن فارس كور ، وانت لماذا جئت الى هذه

الارض وقابلتك ، فقال برق دخان : لقد وفقت رحلتك وتجوالك فادخل على فارس كور وزوجته واقصص عليهما قصتك وهما ينتقمان لك ، فاظهر عفاشة عجزه وضعفه وقال : نني لا استطيع ان اذهب اليهما ، فقال برق دخان : انا احملك اليهما ، ثم حمله وطار به ، فقال عفاشة وهو محمول على اكتافه : اني سائلك عن شيء ، فقال : سل ما بدا لك ، فقال : من تحكم من الجان المؤمنين منهم وغير المؤمنين ؟ فقال : انا سلطان عليهم اجمعين ، فقال عفاشة : وما دينك انت ؟ فقال : اعبد النار وليس لي دين سواها .

فقال عفاشة : وما رايك في ان تدخل دين الله الذي خلق الانس والجان ؟ فقال : وهل آمنت انت ؟ فقال عفاشة : نعم ، آمنت بالله وتوكلت عليه ، فقال : ولكني نشأت على عبادة النار ولن اتركهـــا الى غيرها ، وسألقيك على الارض خلي ايمانك يحميك ، ثم هم ان يلقيه ولكنه كان قد التصق بجسمه حتى لم يعد يستطيع التخلص منه ، فقال له عفاشة : اجعل انت النار تحميك مني ، فقد اصبحت لا منجاة لك مني الا بالايمان.

فقال : لن اؤمن على يديك ولا رغبة لي في تغيير ديني ، فأمسكه عفاشة بيده الثالثة ولوى عنقه ففصل راسه عن جسده ، ثم جرده من ثيابـــه ولبسها وذهب الى فارس كور وزوجته فألقاهما نائمين ، فأيقظهما فقالا له : اهلا ببرق دخان ، فيم قدومك الان ؟ فقال عفاشة : ان برق دخان قد قتل وانتهت ايامه وانا عفاشة بن عيروض ابن الملك الاحمر هداني ربي الى الايمان وحفظني من السحر والكهانة ، وسلطني على من لم يؤمن بالله ورسله ، وقد جئتكم في حاجة واحدة بها حياتكم ان اجبتموني اليها ، وفيها موتكم ان أبيتم واعرضتم فقالا : وما حاجتك هذه ؟ قال : ان تتركوا عبادة النار وتعبدوا الله الذي خلقكم ورزقكم ، فقالا : لن نستجيب لك فافعل ما شئت ، فأمر يده الثالثة ان توثق كتافهم ، ثم اطلق الملك سيف وحملهم جميعا وطار بهم ولكنه قبل ان يبرح ارضهم راى فتى وفتاة جميلين قد جلسا يتناجيان فحط بجوارهما وحملهما معهم واستأنف طيرانه الى مصر ، وفي اثناء العودة اثنى سيف على هذا المارد الذي يحمله لانه اسدى اليـــه معروفا بانقاذه من الموت الذي كان اقرب اليه من حبل الوريد ، فقـــال عفاشة : الا استحق عندك جزاء بما فعلته ؟ فقال سيف : لك عندي كل ما تشتهي الا مطلب واحد فلن اجيبك اليه ، فقال عفاشة : وما هي تلـــك الحاجة التي لا تجيبني اليها ؟ فقال : ان تكون ملك الجان ، وصاحب الحكم لاني احتفظت بها لابن اختي عفاشة بن عيروض الذي قضى حياته فـــي خدمتي ، فقال : انا عفاشة ابن اختك وابن عيروض خادمك ، وشكرا لك على وفائك وجميل معروفك ايها الملك السعيد .

ثم حط بهم عفاشة في ديوان سيف بمصر ، فأضاء الديوان والمدينة بنور الفرح والابتهاج ، وجعل الناس قريبهم وبعيدهم يثنون على عفاشة

وهمته العالية وقوته النادرة ، وروى لهم سيف ما فعله عفاشة ثم امـــر باحضار الفتى والفتاة ، فسأل الفتى : ارى على وجهك ملامح التبابعة فمن انت ؟ وهل تدين بديننا ؟ فقال الفتى : اني اعبد الاصنام ولست اعـــرف دينكم ولا غيره من الاديان ، فقال سيف : هذه الاصنام تصنعونها بأيديكم وتنحتونها من الصخر ، ولكن الايمان ان تعبد الله الذي خلقك وخلق الجبال والارض والسموات ، وجعل الليل سكنا والنهار معاشا ، فان دخلت في دين الله نجوت من العذاب في الدنيا والاخرة ، فقال الغلام : لا اريد ان اتبع دينك فأمر سيف ان يقيد ليضرب عنقه، فتقدمت اليه الفتاة وصاحت: وهل دينكم ينصف المظلوم ويأخذ بيده ؟

فقالل : نعم ولا نتركه حتى نرد الحق له ، وننصفه من ظالمه ولو كان ملكا في قومه .

فقالت : واني مظلومة فانصفني من ابنك نصر هذا .

فقالت : انا طاووسة بنت الكاهن بهرام المجوسي ، تزوجت من ابنك نصر فرآني الكاهن فارس كور فخطفني وكنت حينئذ حاملا ، فلما راتني زوجته فوة فكرهتني غيرة وخوفا على زوجها مني ، فحبستني فولدت في السجن ابني هذا ، وكنت اخيفها دائما بأن من ورائي الملك سيف وابنائه واعوانه فضحكت واقسمت ان تقتلني امامك على مرأى ومشهد منك ، ثم تقتلك انت ومن تبعك من المؤمنين ، ثم اخذت مني ابني هذا عنوة وربته على دينها لتحول بينه وبين الايمان فنشأ كافرا كما ترى .

فلما اتمت قصتها تقدم منها نصر واخذها الى داره وقد فرح بابنـه كثيرا وما لبث الابن ان آمن وترك دين الباطل الذي كانت فـــوة قـد انشأته عليه .

اما فارس كور وفوة فقد اخذ عفاشة يطوف بهما في كل مكان ليهزأ بهما كل من رآهما ، وبعد هذا جعل اويسا القافي نائبا عنه في حكم الجان لبينما يذهب الى ابيه وامه في قلل قاف ، فقال له اويس : ولكني اخشى ان ينالني مكروه مدة غيبتك ولا يصلك عني خبر ، فقال : وماذا تريد ؟

فقال اويس : يوجد في ارض الشام كنز كان يملكه الوزير حوران وبه خاتم مطلسم يعرف لابسه الارصاد التي حيكت له ويشم رائحتها .

فنهض عفاشة من فوره ورحل الى الشام فأحضر منها الخاتم المطلسم وناوله اويسا وسأله : هل من حاجة اخرى ؟ فقال : الحمد لله فلقـــد اطمأنيت ، ولا اريد الا سلامتك ، فاذهب ناعم البال هانئا .

وظل الملك سيف مقيما بين اهله يدير امور حكمه ، ففي يوم من الايام جاءه عشرة من التجار يستغيثون به وقالوا :

قطعت علينا السبل ونهبت اموالنا وليس من احد ينصرنا غيرك فقال : ومن الذي نهب اموالكم ؟ فقالوا : كاهنان يسميان سقرديس وسقرديـــون ومعهما عشرة الاف من الجنود قطعوا علينا سبلنا ونهبوا اموالنا ، واصابونا

بشر كبير ، وما نجونا بأنفسنا منهم الا بعد جهد جهيد .

فأمر سيف ان يعطى التجار ضعف ما فقدوا من الاموال ، ثم قال لهم: ارجعوا الى دياركم آمنين ، وسأتدبر امر هؤلاء الظالمين .

ازعج الكاهنين سقرديس وسقرديون ما وجداه من تزايد قوة سيف وكثرة اتباعه واعوانه وانتشار الايمان بالله على يديه ، فأنذرا ملكهما ـ سيف أرعد ـ ان هو سكت عن الملك سيف استفحل امره وعظم خطره.

فقال لهم : ماذا افعل حتى اتقي شره واصون البلاد والملك من سطوته؟

فقالا : نخرج في عشرة الاف من الجنود الى طرق المؤمنين ، فنقطعها عليهم وننهب اموالهم ، ولا بد ان يبلغ الملك سيف ما فعلناه فيهرع الينا طمعا فينا ، وحينئذ نطبق عليه وعلى اتباعه بجنودنا فنقضي عليهم ونأمن شرهم.

فقال سيف أرعد : لا أرد لكما رأيا فيه صون البلاد وعزة الملك ، وقد امرت بما قلتما .

اما سيف بن ذي يزن فدعا الحكيمة عاقلة وكلفها ان تستكشف بعلوم السحر والكهانة موقف الكاهنان ، فاعتزلت قليلا من الزمن ثم اخبرته بما عزم عليه الملك سيف أرعد تلبية لراي الكاهنين سقرديس وسقرديون .

فأمر في الحال ان تجهز الجيوش للقضاء على هؤلاء الاعداء وتطهير البلاد من شرورهم واقسم ان لا يعود الى مصر حتى يقضي على هذا الفساد ورجاله ، وينشر على الناس ظلال الامن والاطمئنان في ديارهم .

ولما جمعت الجموع وصاهم قائلا : اذا قدمتم الى بلد او مدينة وآمن اهلها عن طواعية دون قتال فدماؤهم وأموالهم عليكم حرام ، واذا ملكتم مدينة بسيوفكم فاعرضوا عن اذية النساء والاطفال والعجزة ، ولا تأخذوا من الاموال الا ما غنمتم في المعارك ، واعطوا كل مجاهد حقه المفروض من الغنيمة ومن قتل من المجاهدين يحمنه اعوان الجن الى اهله في بلده ومعه نصيبه من الغنائم ليهون عن اهله نبأ وفاته .

ولا يخرج معنا الى هذه الحرب الا كل مجاهد اخلص لدين الله ، اما المنافق فليقعد فلسنا بحاجة اليه ، فعدمه خير من وجوده وليخلفني في مصر ابني بولاق حتى اعود اليه انشاء الله ، اما بقية اخوته فيسكنون معنا في غزوتنا هذه ، واما اويس القافي الذي معه الخاتم الذي يشم رائحة الطلاسم فليسر بأعوانه امام الجيش وليكن رائده . وليعاونه في ذلك الحكيم السيسبان ووصى ابنه مصر ان يحتفظ بخرزة كوش بن كنعان وينتفع بها في هذه الحرب ، وبعد ان استكمل حاجته وجيشه رحل الى حيث يلتقي بجيش سيف ارعد الذي ازعج الامن وأفسد في الارض ، وفي منتصف الطريق وقف اويس القافي فوقف الجيش خلفه وهرع الى الملك سيف واخبره انتم امام مدينتين بهما رصد جعل الارض تميد من تحتهم ،

فأمر سيف ان يعسكر الجيش حيث وقف حتى تبطل هذه الارصاد ، وكانت المدينتان احداهما لكاهن يسمى ـ اسيوطا ـ والثانية لكاهنة تسمى ـ الغويصة ـ ولها ولد يسمى ـ مسياطا ـ واجمع الحكماء على ان الرصد قوي لا يستطيع ابطاله الا عفاشة بن عيروض ، فدعا سيف ربه في ليلته ان يسخر لجيشه عفاشة فاستجاب الله دعاءه وقدم اليهم بعد ليلتين ، فأخبره سيف بأمر الرصد وان حكماؤه اجمعوا على انه لا يستطيع احد ابطاله الا انت .

فقال عفاشة : لقد صدق الحكماء فيما اجمعوا عليه وقرروه وان شاء الله سأبطل لكم في الغد هذه الطلاسم والارصاد ، واصلح لكم هذه الارض واجعلها صالحة لسير الجيش وغيره دون ان يغوص فيها احد .

فشكر له سيف مروءته ومعونته للمؤمنين وباتوا ليلتهم مستبشرين بنصر الله الذي اسبغه عليهم بقدوم عفاشة .

وفي الصباح امر عفاشة يده ان ترشده الى مكان الطلاسم والارصاد ودخل على الكهنة فيه ، فلما راوه اخذوا يقراون من آيات سحرهم ليهلكوه وادرك عفاشة منهم ما يفعلون وما يريدون فقال لهم : الا تعرفونني ؟ فقالوا: لا فمن انت ؟ فقال : انا مبطل الطلاسم والارصاد ، وهازم اهل الكفر والطغيان وقد جئتكم لابطل سحركم ، وادعوكم الى عبادة الله والدخول في دينه .

فغاظهم قوله وجعلوا يقراوا ويدمدموا وهو يضحك عليهم ويهزأ بهم ، ثم صاح فيهم صيحة ارتعدت لها فرائصهم ، وقال : ان لم تبطلوا سحركم بأنفسكم وتدخلوا في دين الله الذي ادعوكم اليه فاني مهلككم ولن ابق منكم احد .

فقالوا : لقد طلبت منا المحال ، وما نحن بفاعلين ما طلبته منا ، وما انت بقادر على ان تصيبنا بأذى ، فافعل ما تشاء وستلقى منا الويل والنال، فأمر يده ان تكون سيفا وتقطع راس غويصة الكاهنة ففعلت ، فلما راى اسيوط ومسياط ما حل بغويصة الكاهنة قالا : ارجىء حكمك فينا وتمهل حتى نفكر في امرنا ، فقال : ذلك امر واضح لا يحتاج الى تفكير ، وما انا بحاجة اليكم ولا الى امثالكم ، وامر يده ان تعجل بقتلهما فأطاحت براسيهما وقضت عليهما وماتا ، والقت كل واحد في مكان فسمي باسمه ، ثم امر يده فخرجت الارصاد والطلاسم وابطلتها وفر خدمها هاربين ، ورجعت الارض الى حالتها وصلحت للسير عليها ، فرجع عفاشة الى الملك سيف واخبره بما فعله وقال له : سر بجيشك حيث شئت فلا خوف عليك ، وقد آمن اهل المدينتين وملكها ـ اهناس ـ لان عفاشة انذر الناس بالويل والثبور اذا لم يؤمنوا .

فلما آمن بعضهم واستانسوا بالايمان وخرج الملك بعد ايمانه وسلم على الملك سيف واستضافه واكرمه ، ثم ساله : الى اين ذاهب بجيشك هذا؟ فقال : الى مدينة الدور لقتال الملك سيف ارعد ، فقال له : ستقابل امامك ملك يسمى ـ الروض ـ وله ابنة جميلة تسمى ـ الروضية ـ فتقدم لها كثير من الملوك لخطبتها فأبى ابوها ان يزوّجها لانه لا يحب ان تفارقه ، وكانت سببا في متاعبه ، وكان كلما رد ملكا خائبا حاربه ذلك الملك ، فاشار عليه احد وزرائه ان يبعدها من مدينته الى مكان لا يعرفه احد غيره ، وكلما خطبها ملك لنفسه يقول له بأنه افتقدها ولا يعرف لها مكانا ومن اتى بها زوجه منها ، فاستراح اراي وزيره وبنى لها بينا في جزيرة نائية وجهزه بما يليق بها من الفرش والاثاث ، ثم نقلها اليه ومعها عشر جوار يغنين ويرقصن لها ولهن كبيرة ماهرة تسمى الحسينية ولهذا الملك عشر ابناء ذكور ، كان كل واحد منهم نافذ القول في بلاده ، وقد كتب اليه ـ سيف ارعد ـ كما كتب الينا والى غيرنا من الملوك التابعين له والذين هم على دينه وملته انه خارج في جيشه لقتالك ودحض دعوتك ودينك والاستيلاء على ديارك ، وقد اخبرتك بهذا لتكون على حذر في سفرك هذا .

فقال الملك سيف : لقد توكلنا على الله فهو يؤيد بنصره الصالحين من عباده .. فقال الملك اهناس : وسأصحبك برجالي وجنودي لاشد ازرك ونرد كيد الكفرة الظالمين ، ثم اقام نائبا عنه ورحل بجنوده معه .

وكان دمر بن سيف قد سمع حديث الملك اهناس عن الروضة وجمالها فاحبها وقال لابيه : ارغب يا ابي ان تزوجني من الروضة ، وقد اخبرتك بما في نفسي قبل ان يسبقني الى يلبها احد غيري ، فقال ابوه : ستكون لك ان شاء الله فعليه اعتمادنا وبيده مصيرنا ونصرنا .

وما زال سيف سائرا بجنوده حتى نزلوا بالفضاء المحيط بقلاع الملك الروض ، فأمر سيف اخميم الطالب ان يوجه اليه كتابا باسمه يقول له :

انا ذاهبون لقتال الملك سيف ارعد ، وقد وجدناك في طريقنا فأحببنا ان نعرض عليك الايمان ، ونخرجك من ظلمات الكفر والجهل ، فان دخلت في ديننا الذي به عز الدنيا وكرامة الاخرة امنت منا وسلمت والا حاربناك وقتلنا رجالك واتباعك وجعلناكم عبرة لمن اعتبر ، ثم اقفل الكتاب وبعثه من رسول من عنده اليه ، فتقدم الرسول من الملك الروض واعطاه الرسالة فاعطاها لوزيره ليقراها له ، فلما قراها قال الملك :

لا جزاء لسيف هذا الا ان تقتلوا رسوله وتخبروه بذلك ، فاما خاف منا ورحل عن ارضنا الى حيث يريد ، واما كابر وحاربنا فأفنينا رجاله وجعلناه عظة وعبرة .

فقال وزيره : لم اسمع ان احدا من الملوك قتل رسولا جاءه برسالة من

ملك مثله ، وماذا فعل معنا هذا الرسول ، ان له من امانته ما جعله موضع ثقة بين قومه وحصنا يحميه ، ولئن قتلته الحقت بنفسك الخزي والعار وضاعت كرامتك الى الابد ، فراجع الملك نفسه وكف عن قتل الرسول ، واكتفى بأن مزق كتاب سيف وامر وزيره ان يكتب اليه هكذا : ايها الملك الاحمق الباغي ، دعوتنا الى ان نترك ديننا ونتبع دينك وملتك ، فتعلقت امنيتك بالمحال وسأخرج غدا لقتالك ، فاحذر الهرب قبل ان اسقيك وجندك كأس العطب . ثم امر ان ارسله مع رسول الملك سيف ويرجع به اليه ، فلما عاد الرسول الى سيف واخبره بما راى وسمع وناوله كتاب الملـــك الروض ، فلما قراه على رجاله قال : خذوا اهبتكم للقتال .

ثم انعم على رسوله وازال عنه المخافة والغم ، وبات ليلته متحفزا الى لقاء ملك الروض وجنده ، وفي صباح اليوم الثاني كانت ابواب القـــلاع والمدينة مفتحة وجنود الروض تخرج منها الى الخلاء للقاء الملـــك سيف الذي خطب في رجاله قائلا : اذا بارزونا فلا تقتلوا مبارزا منهم حتى تدعوه الى الايمان فان آمن فائتوا به الينا دون ان تلحقوا به مكروه وان اعرض عن الايمان فحاولوا ان تأسروه ولا تهدروا دم احد منهم الا اذا استعصى عليكم ايمانه واسره وكان القتل ضرورة لا مفر لكم منها .

كان سعدون اول من خرج الى الميدان مناديا من يبارزه من جيش الملك الروض ، فبرز اليه فارس تبدو على ملامحه امارات القوة والشجاعة فسأله سعدون : من انت ؟ فقال : انا بدرمان ابن جهرمان ، فدعاه الى الايمان بالله ورسله وترك عبادة النيران حتى يحقن دمه وينجو من قتل محتوم ، فأجابه: انا لم اخرج اليك لاسمع منك لغو القول وباطله ، فان كنت تجد نفسك عاجزا عن مناجزتي فارجع الى جندك وابعث الي من يقدر على منازلتي ، فقال سعدون : اني لست عاجزا عن مناجزة عشرة امثالك ولكني دعوتك الى الايمان رحمة بك واشفاقا عليك وتحللا من سفك دمك .

فقال بدرمان : نفسك اولى بالشفقة فحافظ عليها قبل ان تفكر في ان ترحم غيرك ، ثم جالا في الميدان جولات عنيفة ما لبث بعدها ان طعنـــه سعدون في صدره القته على الارض ميتا لا حراك فيه ، ثم جعل سعدون يقتل كل من يبرز اليه حتى غربت الشمس وارجىء القتال الى الغد ، وكان قد قتل خمسة وعشرون فارسا ، وكان اليوم الثاني ففعل بهم ميمون ما فعله سعدون فبلغ عدد ما قتله من الاعداء اكثر مما قتله سعدون ، واسر ميمون ايضا خمسين فارسا ، واستمرت المبارزة ثلاثين يوما وكان النصر فيها حليف المؤمنين دون ان يقتل او يؤسر احد منهم .

وكان الملك الروض قد استنجد بأتباعه من الملوك والحلفاء فحضروا بجنودهم وكانت موقعة حامية دامت طول النهار ابيد فيها عدد كبير من

الكفار دون ان يقتل او يؤسر احد من جنود الملك سيف ، فلما توقف القتال عند المساء جمع الملك الروض وزراءه واصحاب الراي والمشورة عنده ليدبروا له الخلاص من هذه الداهية الدهماء فأشار عليه احد وزرائه ان يعتصموا في قلاعهم بجنودهم وان يغلقوا عليهم ابواب مدينتهم ويكفوا عن قتال المؤمنين حقنا لدمائهم لربما يضجروا من الحصار فينصرفوا الى سبيلهم ، فأمر الملك الروض بما اشار به الوزير وانسحب جنوده واعتصموا بقلاعهم واغلقوا عليهم الابواب وانتظروا يأس المؤمنين وانصرافهم ، وبعد حصار دام عشرون يوما كتب اليه الملك سيف يقول :

لقد صبرت عليك عشرون يوما كنت آمل خلالها ان تثوب الى رشدك وتؤمن بالله ورسوله ، ولم اكن عاجزا من ان اسخر الجن لينسفوا ديارك ويهدموا مدينتك على رؤوس اهلها ، وما انا بتارك مدينتك الا بأحد امرين: اما ان تدخلوا في الايمان وتحقنوا به دماءكم واموالكم ، واما لهلكتكم ومن تبعكم ومحوت آثاركم ، وليس بيني وبين تنفيذ ما قلته الا مدة اجابتكم فان ابطأت علينا بها فقد أعذر من أنذر ، وبعد ان كتب الكتاب وقرىء على الحاضرين من خاصته نهض سعدون قائما وقال : لن يذهب بهذا الكتاب احد غيري لاني قد وطنت نفسي على ان ابطش بالملك ان مزق كتابك هذا كما مزق الكتاب الاول وهم بقتل رسولك .

واخذ سعدون الكتاب ودخل به على الملك الروض وناوله اياه قائلا : هذا كتاب الملك سيف ويريد الاجابة عليه في الحال ، فتناوله الملك الروض في احترام ورهبة وكتب اجابته عليه وناوله للرسول .

فرجع به سعدون ولما قراه سيف وجد فيه ما يلي :

قرات كتابك وفكرت في الامر مليا فلم اجد لي مخرجا من هذا الضيق الا ان ابارزك فان غلبتني فقد اسلمت اليك وفتحت لك ابواب مدينتي تتصرف بها كما تشاء ، وستكون المبارزة في صباح الغد والسلام .

اشرق الغد بصبحه وخرج سيف على جواده الى الميدان وعلى الاثر خرج الملك الروض والتقيا وكان سيف قد وطن العزم على ان يأسّره ولا يقتله عسى ان يكون فيه واتباعه قوة للمؤمنين بعد ايمانهم ، وما لبث الروض امام سيف الا قليلا حتى اسره ولما هم اصحابه وجنوده بأن يغيروا على المؤمنين صاح فيهم الملك الروض ان اثبتوا في اماكنكم ولا تتحركوا ولا توقدوا نار الحرب .

دخل سيف بالملك الروض خيمته واجلسه امامه وقال له : انا الان في حل من قتلك بعد ان دعوتك الى الايمان فأعرضت واستكبرت ، فقال الملك الروض : لا يحل لك الان ان تقتلني لاني دخلت في دينكم وآمنت بالله ورسله ، وقد مضى على ايماني سبعة ايام . فابتسم سيف وقال : وكيف

آمنت وخرجت لمبارزتي ؟ وما سبب ايمانك ؟ فقال :

جاءني في المنام بعد ان أويت بجنودي الى المدينة شيخ يدعى عبد السلام وجعل يعظني ويشرح صدري للايمان فاستيقظت من نومي وقد شرح الله صدري للايمان ، واما مبارزتي اياك فلاقف على مبلغ ما وهبك الله من قوة المراس ، وكنت لا اضمر لك فيها شرا ، فقال سيف : ان كان حقا ما تقول فانك قادر على ان تخرج هذا السيف من غمده . وناوله سيف آصف بن برخيا فمد يده واخذه ثم اخرجه من غمده وارجعه للملك سيف. وهكذا تبين له صدق ايمانه ، وبينما هم كذلك اذ سمعوا اهل المدينة والاتباع والجنود يصيحون بالتهليل والتكبير ، فخرجوا اليهم والتقوا بأبناء الملك الروض العشرة وفرح سيف بايمانهم وامر ان ينصب سماط العجائب ، وادار الخاتم المطلسم الذي به يحضر اعوانه الطعام من كل ما تشتهيه الانفس بقدر من حضر واتسع له السماط مهما يبلغ عددهم ، فعظم سيف في عين الملك الروض وقال :

لن افارقك مدى الحياة ، وسأموت في سبيلك وبين يديك .

وفي يوم من الايام قال دمر وكان الملك الروض حاضرا : ارجو ان تفي بما وعدتني به ، فقال : وبماذا وعدتك يا بني ؟ قال : ان تزوجني من ابنة الملك الروض ، فقال ابوها : كنت أود ذلك ، ولكني حبستها عن الزواج عن كل من خطبها لاني احبها ولن اطيق ان افارقها ، وفي يوم جاءتني حائلة اللون خائرة القوى منتفخة البطن ، فسألتها عن حالها فلم تنطق بشيء فكشفت عن جواريها فوجدت بينهن فتى متنكرا في ثياب النساء فسألته من انت ؟ فقال : انا بولاق ابن الملك سيف ملك الملوك ، فهممت بقتلها لكن احد وزرائي اشار علي بحبسهما حتى تطفأ نار الغيظ التي استعرت في صدري ، واليك قصة بولاق هذا كما صارت :

قام بولاق بادارة شؤون الحكم خلفا لابيه في اثناء غيبته وكان يوما يجوس خلال المدينة ويمشي في الاسواق فاتفق له ان رأى جارية فاتنة الجمال تباع في سوق الرقيق فاشتراها ونقد الدلال ثمنها خمسة الاف دينار وكانت تدعى بالحسينية كبيرة جواري الروضة بنت الملك الروض وذات يوم سألها عن سيدتها فقالت ان سيدتي الروضة هي بنت الملك الروض صاحب الحول والطول والجنود والاعوان وله غيرها عشرة اولاد ذكور وقد احبها ابوها حبا جما ، وقد خطبها منه ملوك كثيرون ولكنه رفض تزويجها، وكان خشي ان يكون رفضه هذا سببا في متاعبه وشقوته فعرض الامر على احد وزرائه فأشار عليه ان يبني لها قصرا في جزيرة ويسكنها فيه ، وجعل لها من الخدم والجواري من يقومون بخدمتها وايناسها ، حتى اذا خطبها احد الملوك يدعي بأن الجن اختطفوها .ولا يدري لها مكانا ، وكانت سيدتي

تحبني كثيرا ، فطلبني منها اخوها الاكبر فابت ان تجيبه الى طلبه فشكا لابيه فوعده ان يحضرني اليه ، وارسل الى ابنته يامرها ان تبعث بي اليه مع رسوله فقالت له : اخبر والدي ان الحسينية غرقت في البحر ولو كانت عندها ما تأخرت عن ارسالها ، ثم احضرت تاجرا من التجار وقالت له : خذ هذه الجارية وبعها واعرف المكان الذي ستقيم فيه بعد بيعها حتى اذا كف عني الطلب من ابيها واخيها اشترتني وارجعتني اليها ثانية ، نباعني التاجر وكنت من نصيبك ، وهذه قصتي ، فلما سمع قصتها اغرم بسيدتها وذهب الى ديوانه واحضر التاجر الذي باعني اليه واسمه حسان وقال له : اريد ان تذهب بي الى المكان الذي اشتريت منه الجارية ولك عندي ما تريد من المال ، واناب بولاق عنه كبير وزرائه وصحبت حسانا حتى ارشده الى قصر الملكة الروضة ، فقال حسان : ذلك هو القصر الذي اخذت منه الجارية ، فامض لوحدك اليه ، فاني لا آمن على نفسي ان صحبتك اليه، نجعل بولاق يمشي حتى دخل البستان واختبأ في مكان منه حيث يرى كل من يمر به ولا يراه احد، وجلس يرتقب قدوم احد ويفكر فيما عسى ان يفعله ليلتقي بالروضة ، وبينما هو جالس رأى الفتاة مقبلة كأنها بدر يتلألأ في السماء ، وعن يمينها خمس جوار وعن يسارها خمس جوار كأنهن النجوم اللامعة ، وجلست بهن في ظلال شجرة يانعة ، واخذن في الحديث وسرد النكت والغناء حينا من الزمن ، فلم يجد بدا له من الخروج من مخبئه والظهور اليهن مهما يكن من الامر ، فلما رأينه انكرن وجوده في البستان. ونهضت اليه الروضة قائلة : من انت ؟ ومن اين اتيت ؟ فقال : انا رجل غريب وعابر سبيل ، طوحت بي الاقدار الى هذه الارض التي لا اعرفها ولا ادري شيئا عنها ، وقد الح علي الجوع والتعب فهل اجد فيك من يرحمني ويؤويني عنده ثلاثة ايام حتى استجم ويزول عني ما لحقني من تعب وبلاء، واجد عندك لقمة ادفع بها مرارة الجوع ، وان لم تستطيعي هذا او ذاك فاتركيني اذهب الى سبيلي لعلي اجد بين الناس من يعطف علي ويؤويني .

فابتسمت ابتسامة كريمة ، وقد صدقته في قوله وسألته : ومن اتى بك الى هنا ؟ فقال : غرقت في البحر فرماني الموج الى هذا المكان ، وحرمت بذلك الاهل والاوطان ، فتأثرت من حديثه وقالت : مرحبا بك ايها الفتى فانت بين اهل كأهلك ، فعلى الرحب والسعة ، ولكن اخشى ان يعلم ابي بوجودك عندي فيقتلك وارى ان تتنكر في ثياب الجواري ، وتقيم بيننا كأنك واحدة منهن حتى نجد لك السبيل للعودة الى بلادك ، فقال : شكرا لك ايتها الفتاة الكريمة ، وبالحال نزع عنه ثيابه ولبس ثيابا كثياب الجواري فصار كأنه جارية لا شك فيها ، وقد القيت محبته في قلبها واغرمت بصحبته ، فلما كان اليوم الرابع استأذنها في الرحيل شاكرا ، فقالت له:

لقد علمت انك بولاق ابن الملك سيف وقد دخلت في دينك وآمنت بالله ورسله ، فعجب وقال : وكيف عرفتيني ؟ فقالت : رايت الليلة في منامي الخضر عليه السلام وامرني ان ادخل في دين الله ، كما امرني ان اكرم الغريب وعرفني انك بولاق بن الملك سيف ، فلما راى بولاق انها عرفته لم ير بدا من مفاتحتها في الزواج الذي جاء من اجله ، فقالت له : وانت يا بولاق من دلك على مكاني واعلمك بي ؟ فقص عليها قصة الحسينية والتاجر الذي باعها ، واخبرها انه هو الذي صحبه الى قصرها ففرحت وقالت : والان لا ارى بأسا من ان تكون زوجي ، فقال لها : ومن اجل هذا جئت اليك ، وناولها عقدا من الجوهر غالي الثمن ليكون مقدم صداقها وتزوج منها ، واقام عندها حتى ذهب ابوه سيف الى ابيها الروض وجرى بينهما ما جرى ، فأرسل ابوها ليأخذها من قصرها خوفا عليها من جنود المؤمنين، فالقاها زوجة لفتى بين جواريها ، فحبسهما الى ان طلب دمر الزواج منها وقص عليهم ابوها قصتها ، فأمر سيف نا يحضر ابنه بولاق فلما حضر سأله عما كان منه فروى له كل ما جرى ولم يترك منه شيئا ، وكان هذا سببا في غضب اخيه دمر وغيظه منه وظهرت عليه امارات العزم على الانتقام من اخيه فأمر سيف ـ اويسا القافي ـ ان يبعد بابنه بولاق والروضة الى مكان بعيد ، فاختطفهما وارتفع بهما في الجو على مشهد من الحاضرين حتى اختفوا عن الاعين ، ثم رجع اويس بعد قليل ومعه قارورة مملوءة دما وناولها لسيف وقد ايقن الحاضرون انه ذهب بهما وذبحهما وملأ القارورة من دمائهما ، فقالوا : ما كان ينبغي ان يقتلا وما فعلا منكرا ، فقد كان الزواج على شريعة الايمان واندفعت الوساوس الى صدر سيف وظن ان اويس اخطأ في فهم ما يقصد من ابعادهما الى مكان لا تطوله يد دمر حتى يزول غضبه فقتلهما واحضر دمائهما في تلك القارورة ، فكتم خوفه وارتيابه في نفسه الى ان يخلو بأويس القافي ويسأله عما فعله بابنه وزوجته ، فلما انصرف الجمع ولم يبق الا اويس سأله سيف :

وماذا فعلت بابني وزوجته؟ فقال : فعلت ما امرتني به وقتلتهما. فقال: ولكني ما كنت اريد الا ان أزيل ما في نفس دمر من الغيظ وكيف ظننت اني أريد قتلهما حقيقة ؟

فقال اويس : لا تأويل في اوامر الملوك واني حريص على احترامها وتنفيذها وكان يقول ذلك وعلى شفتيه ابتسامة تنم عن اطمئنانه الى ما فعل بابن الملك وزوجته ، فسكت الملك سيف وارجأ القول في امر ابنه وزوجته الى وقت اخر .

ثم امر سيف بالرحيل فبادر الجند والاتباع الاستعداد له ؛ وبعد ثلاثة ايام من مسيرهم وجدوا في طريقهم اربعين اعرابيا جادين في السير الى

لقائهم يتقدمهم كبيرهم وهو شيخ يناهز الثلاثمائة عام من العمر تبدو عليه مظاهر الهيبة والفطنة ، فلما قربوا منهم ترجلوا وساروا حتى كانوا بين يدي الملك سيف ، فرفعوا ايديهم الى السماء داعين له بالعزة والتأييد والنصر على اعدائه ، فسألهم : من انتم ؟ والى اين تقصدون ؟ فقال كبيرهم واسمه صباح : نحن اربعون من عرب البقارة سعينا اليك لنعلن ايماننا بين يديك ، ولنسرد عليك قصة ايماننا ، فقال سيف : هات ما عندك ، فقال: نحن عصبة كنا نعبد البقر من دون الله فاقمنا في هذا الوادي نعترض الغادي والرائح فننهب الاموال ونسبي الاحرار ، وكنا غارقين في هذه الحياة الظالمة الاثيمة فلا نعبد الاله الحق ولا نحفظ على الناس حرماتهم ، وذات يوم اعترضنا ركبا فنهبنا أمواله وشتتنا رجاله وسبينا منه امرأة جميلة من بني تبع ، ولما اردنا قتلها استجارت بي فوجدت في نفسي رغبة في حمايتها فأجرتها ومنعت عدوان اصحابي عنها ، وكنت من قبل لا اجير احدا ، ولما خلوت بها اردتها ان تتزوج مني فقالت في ذلة ومسكنة : ما كنت لامنع نفسي عنك بعد ان اجرتني واكرمتني ولكن زواجي منك لا يجيزه الدين الذي أدين به لاني آمنت بالله الذي يحيي ويميت واما انت فتعبد البقر التي خلقها الله وسخرها لبني الانسان لينتفع بها ويأكل لحمها ، ولا يحل لمؤمنة ان تتزوج من مشرك فقلت لها : لولا اني أجرتك لقطعت راسك ، ثم جعلت أعذبها بالضرب والاهانة وقسوت عليها حتى فقدت رشدها ولما افاقت رفعت يديها متضرعة الى السماء شاكية قائلة : اللهم اني رضيت بقضائك، اللهم اني اعبدك وأوحدك ، اللهم اني لا استغيث بغيرك ولا اعتمد في كشف ضري الا عليك ، اللهم ادفع عني ما ابتليت به من الضر والاذى واهد هؤلاء القوم الى الايمان بك وانقذهم من هذا الضلال الذي هم فيه ، فاستجاب الله دعاءها وهيأ لنا الدخول في دين الله اذ جاءني في المنام الخضر عليه السلام وقال : ألم يأن لكم ان تخشع قلوبكم لذكر الله الذي سخر لكم هذه الفتاة التي تضرعت الى ربها ليهديكم ويشرح صدوركم للايمان ، وقد ظلمتموها بقسوتكم وعدوانكم ونسيتم انها عربية تحب هدايتكم وانها من اقرباء سيف المقيم الان في بطن هذا الوادي ، فاذا انتبهت من نومك فاذهب اليه انت واتباعك وآمنوا بين يديه لتنجوا من عذاب الله وتكون لكم العزة على الارض فقلت له : آمنت بالله وبأنبيائه ورسله ، فقال : واجعل قومك يتبعونك وكونوا كلكم يدا واحدة واعوانا للملك سيف .

فلما حدثت اتباعي بما رايت في منامي شرح الله صدرهم للايمان وآمنوا جميعا ، وقد جئناك لنأتمر بأمرك ، فسأله سيف عن الفتاة التي اجارها وكانت سببا في ايمانهم ؟ فقال انها في بيت ـ صبيحة ـ ابنتي فخطب سيف من الشيخ ابنته ـ صبيحة ـ وتزوجها ، وسأل صبيحة عن

الفتاة فأحضرتها بين يديه فسالها عن قومها فانتسبت الى التبايعة ، وطلبت اليه ان يجعلها عنده تأكل من صدقاته لتعكف على عبادة الله حتى ينتهي اجلها فقال لها : ستقيمين مع زوجتي صبيحة ولك من الاكرام والكفالة ما لها ، ثم وصى بها زوجته فقالت : سأكون خادمة لها ، اعطى زوجته رقعة تحتوي حسبه ونسبه وخلفها هي والمراة التي وصاها بها عند ابيها الذي جعله حاكما على هذه البقعة من الوادي وامرهم ان ينشروا الامن في ربوعها ويزيلوا المخافة عن السالكين في سبلها ، ثم ارتحل هو وجنوده .

وبينما هم سائرون اذ وقف اويس فوقف الجيش لوقوفه ، فلما سأله سيف عما يدعوه الى الوقوف بالجيش فقال : امامنا معسكر لجيش كثير العدد وملكه هياج ليس كمثله شيء ، فقال سيف :

اكتب اليه عن لساني كتابا تحثه فيه على الايمان والا حاربته وطويت صفحة حياته ، ولما قرأ هياج كتاب سيف غضب وقال : ليس لدينا الا القتال وليكن في صباح الغد ، فقال مسابق كاهنه : لا تفكر في امر هذا الملك ودع امره لي فاني قادر على ان اختطفه من بين جنده واضعه بين يديك ، فقال هياج : ان اتيتني به اغدقت عليك من عطائي وجعلتك من المقربين الي .

فكتب الى سيف : امهلني سبعة ايام وبعدها يكون فصل الخطاب بيني وبينك والفوز لمن غلب ، ثم رجع رسول سيف ومعه كتابه هذا ، فلما قراه اجابه الى ما طلب ومكث ينتظر انقضاء الايام السبعة .

لبس - مسابق - الكاهن حلة فاخرة تحاكي حلة الملوك وذهب الى سيف واستأذن في لقائه وحياه ثم قال له : انا مسابق رسول الله هياج، لقد بعثني اليك لابلغك ما في نفسه ، ولم يستطع ان يعلنه ويذيعه بين خاصته وقومه ، وذلك انك كنت دعوته الى الايمان فوجدت هذه الدعوة من نفسه ارتياحا لها ورغبته في الاستجابة وقال لي اعلم ان الملك سيف على الحق والهدى واني ارغب في اتباعه وقبول دعوته ولكني اخاف ان يقتلني قومي .

فصدقه سيف وقال : اذا كان خائفا من قومه فاني ارسل من يجهر فيهم بدعوتهم الى الايمان وانذارهم ان اعرضوا او صدوا ، فقال مسابق: وانه من اجل ذلك طلب منك ان تمهله سبعة ايام لعله يجد فيها مخرجا .

ولما جن الليل ذهب مساق الى خيمة اعدها سيف له بجوار خيمته لينام ويستريح ، فلبث مسابق ينتظر نوم سيف ثم دخل عليه خفية وجعل يتلو ما يشاء من عزائمه حتى غرق في النوم ، ثم حمله وتسلل به في ظلام الليل حتى بعد عن معسكره .

ولكنه ما لبث ان وجد ماردا من الجن يحملهما ويطير بهما فقال مسابق:

يا اخا الجان من انت وماذا تريد منا ؟

فقال المارد : غضب الكاهن رمسيس على الملك سيف لانه يحاول ان يبطل عبادة النار ويدعو الى الايمان فأمرني ان احضره بين يديه ، فاعتذرت وقلت ان معه حكماء وكهنة لا استطيع ان ادنو منه مخافة ان يلحقني منهم اذى ، فقال : ان انسيا سرقه الليلة ، وقد فارق حكماءه وكهنته فاذهب اليه ولا تخف . فقال مسابق : وهل طلب منك احضاره وحده ام احضار الذي سرقه معه ؟ فقال : سأحملكما اليه ومصيركما عائدا اليه ولا ادري ما يفعله بكما ، ثم كانا بعد زمن وجيز بين يدي رمسيس الكاهن ، فأمر الارض ان تمسكهما ، فلما امسكتهما قال مسابق : وما ذنبي انا ؟

ان الملك هياجا وقومه يعبدون النار مثلك ، وقد بلغه ان سيفا هذا يبطل عبادة النار ويدعو الى الايمان ، فأرسلني لاحمله اليه ، وأرى ان تطلقني لاعود الى الملك هياج فأدعوه اليك ليرى ما تفعله بهذا الملك الذي غزا ديارنا محاولا ابطال ديننا .

فقال رمسيس : انطلق الى ملكك هياج وادعه الى الحضور ليشهد مقتل هذا الذي اعتدى علينا وظلم نفسه ، وكان الاجدر به ان لا يهجر ديار من اجل دعوة الى دين لا يحميه ولا يحرسه .

فانفلت مسابق مسرعا الى ملكه هياج فسأله : ماذا فعلت يا مسابق؟ اني لاظنك قد اخفقت وفشلت ولم تقدر على سرقة الملك سيف ، فقال : لقد سرقته وخرجت به في ظلمة الليل وبعد عن معسكره ولكن انقض علينا مارد من الجان فحملنا الى الكاهن رمسيس فكاد ان يقتلني معه فعرفته بك واننا نعبد النار مثله ، ونسعى الى قتل سيف لانه يريد ان يبطل ديننا ويدعونا الى الايمان ، فأطلق سراحي وارسلني اليك لتذهب اليه وتشهد مصرع الملك سيف على يديه ، وهذا ما جرى ، فما انت فاعل ؟

ففرح الملك هياج وقال : ارى ان نذهب اليه لنرى ما يفعله بالملك سيف، ونكون عونا له على ما يريد ، وهل ترى ان نصحب معنا جنودا ؟ فقال مسابق : انك ذاهب الى امر لا الى قتال ، فعدوك في يد خصمه ، وقد دعاك لترى ما يفعله به ، فلست اذن في حاجة الى احد من جندك .

هذا ما جرى للملك سيف فقد سرق من صيوانه دون ان يعلم به احد، وعند الصباح تفقد الملك دمر والده سيف فلم يجده فصعب عليه غيابه وانتظر لليوم الثاني ولما لم يحضر جمع الحكماء والكهان ولما حضروا بين يديه صرخ فيهم بصوت مثل الرعد القاصف وقال : انتم ايها الحكماء يا من تدعون الحكمة والكهانة اني اريد منكم ان تظهروا لي خبر ابي اينما كان وفي اي بقعة من الارض والا ضربت رقابكم اجمعين .

يا سيدي دمر اعلم ان اباك اختطف الى مدينة النحاس وقد صلب

على دولاب مصنوع من الرصاص ، فكلما دار الهواء لفه وكلما نزل الندى هفه وهو الان في اليم الغذاب واشد الذل والعقاب ؛ فادركه قبل ان يهلكه الاعداء وهذا ما تبين لي والسلام ..

فلما سمع دمر ذلك الكلام ازداد غيظه وزمجر وهدر وصاح بملء صوته وقال : ايها الحكماء اعلموا انكم عندي وما انتم بأحسن من ابي واني اقول لكم ان سعيتم في خلاصه هذا النهار لكم عندي اعظم افتخار وان لم تسعوا في خلاصه قصرت منكم الاعمار واسقيتكم كأس البوار ، ثم انالملك دمر جرد حسامه وقام على اقدامه واراد ان يدنو من الحكماء واذا بأويس القافي دخل عليهم فرآهم كما ذكرنا فتقدم الى الملك وقبل الارض بين يديه وقال : ادام الله عزك يا ملك الزمان اترك هؤلاء الحكماء وتوكل في امرك على رب الارض والسماء ، وانا اتكفل لك بهذه الامور فتأنى حتى احضر عفاشة الجان ونعلمه بهذا الامر والشأن ، فان فعل فهو خير لنا وان لم يفعل فعندها افعل انت ما تريد .

ثم ان اويس القافي فرك الخاتم الذي لعفاشة فحضر في الحال ، ونزل عليهم بغاية الاستعجال وقد سلم على الرجال والتفت الى دمر وقال له : اين ابوك ومالي لا اراه معك ، ومالي ارى هؤلاء الحكماء في سوء الارتباك فأخبره بالقصة من اولها لاخرها .

فلما سمع عفاشة هذا الكلام اخذه الابتسام وقال له : يا سيدي اعف عن هؤلاء الحكماء ولا تلزم أباك الا مني ، وصعد من ساعته الى الجو الاعلى واقسم على يده ان تنزله في مدينة النحاس ، فسارت به حتى انزلته عندها ، فأراد ان يدخل من ابوابها واذا بالجان تصارخت عليه من كل جانب ومكان وهم يقولون :

قد اتى غريب من الجان يريد الدخول الى المدينة فخذوا حذركم واخرجوا اليه واقبضوا عليه وبسيوفكم قطعوه .

فلما سمع عفاشة ذلك الكلام رجع الى الوراء وجلس بجوار تلك المدينة وصبر حتى تراجعت عنه الرجال فراى مارد خارج من المدينة فراى عفاشة جالسا بجوار المدينة وهو يبكي بكاء مرا فتقدم اليه ذلك المارد وقال له : يا اخي من انت من الجان ؟ ولماذا هذا البكاء والحزن ؟ فقال له : يا اخي ان لي سبب عجيب وامر مضطرب غريب ، وهو انه كان لي اخوان شقيقان وكنا متفقين على امورنا فجار علينا الزمان وقتلهم ملك من ملوك اليمن يقال له سيف وانا كنت غائبا فلما اتيت من غيبتي وسمعت بقتل اخوتي صعب علي قتلهم وصرت ابكي وحلفت بالنقش الذي على خاتم سليمان ان آخذ لهما بالثأر من هذا الملك الجبار ، ثم اني خرجت وصرت ادور عليه من مكان الى مكان حتى علمت انه في مدينة النحاس فجئت واردت ان ادخل

المدينة وآخذ بثأري من هذا الفاجر فمنعني الخدام وصرخوا علي فاتيت الى هذا المكان وجلست فيه وصرت ابكي لاني ما قدرت على اخذ ثار اخوتي وهذه يا اخي حكايتي .

فقال له المارد : اما انت من الجان ؟ قال : نعم ، فقال له : لاي شيء تدخل من الباب ؟ اصعد على السور وخذ حاجتك التي تريدها من اي مكان تريد ولا يعلم بك احد من الحراس ، فلما سمع عفاشة ذلك زاد في البكاء وقال له : اعلم يا اخي اني قليل الهمة ولست قادرا على هذا الامر . فلما سمع المارد كلامه اخذته الرافة عليه وقال له : لا تبك يا اخي واعلم اني انا سلطان هذه الاعوان والحاكم عليهم ، فقم معي وانا ادخلك هذه المدينة واعينك على امورك وآخذ بيدك على خصمك .

فلما سمع عفاشة كلامه علم انه انطلت عليه الحيلة ثم قال : يا اخي اني لا اقدر ان اقوم ، فان اردت ان تفعل معي معروف فخذني على باعك الطويل فقال المارد : لك علي ذلك ، ثم انه احتمله على كاهله وسار به يريد ان يعمل معه الجميل وما زال سائرا الى ان توسط الطريق فقال عفاشة : جزاك الله عني كل خير واحسان ، فما اسمك بين هذه الاعوان ؟ فقال له : انـــا اسمي دنهش وانا من جزائر الهيش ، فقال عفاشة : اني اريد ان اقول لك ان تساعدني على تخليص المصلوب وتقتل هذا اللعين السقراق ونكون نحن من عصبة الملك العلام وهذا ما عندي والسلام .

فلما سمع المارد منه ذلك الكلام قال له : انت عاجز غلبان ولا لك يدان ولا رجلان ما هذا الهذيان فاسكت عن شقشقة اللسان والا اجلد بـــك الارض يا ذليل يا مهان .

فلما سمع عفاشة منه ذلك الكلام اقسم على يده ان تكون عليه اثقل من الجبل فثقلت حتى بقي كأنه الجبل الراسخ فعند ذلك برك المارد من هذا الثقل العظيم ، فقال عفاشة ليده : صيري سيفا قاطعا فصارت فامرها ان تضرب رقبة ذلك المارد ففعلت وفي الحال تزيا بزي ذلـــك المارد ولبس ملبوسه وصار في صفته وسار الى ان اتى المتمسح في بيت الرصد فلما رآه قال له : ويلك اما قلت لك لا تدخل علي في بيت رصدي الا باذني . فقال : انا ما جئت اليك الا لاجل ان اتفق معك على تخليص الملك سيـــف ونصر من حزب رب العالمين فقال له : يا اخس الجان كيف قتلت خادمي وتزيت بزيه ولكن ابشر بفناك وسوء الارتباك . ثم انه بعد ذلك صار يرمي عليه ابواب المقاتلة والاسحار المهلكة وعفاشة يظهر له الضحك والابتسام وما زال السقراق يرمي عليه الابواب السحرية وهو يضحك عليه الى ان فرغت اعمال اللعين ، فالتفت الى عفاشة وقال له : انت ساحر ؟ فقال : لا وحق الملك القاهر بل ان الله سبحانه وتعالى حماني من كل ما هو علـــى

شاكلتك كافر وفاجر ، والان ما بقي لك عندي ملام . ثم اقسم على يده وقال لها : كوني سيخا حاميا وادخلي في هذا اللعين . فدخلت فيه فخر ميتا من وقته ولما نظرت الاعوان الى ذلك الامر ولوا الادبار وركنوا الـــى الفـــرار .

واما عفاشة بعد ما فعل هذه الفعال تقدم وخلص الملك سيف من فوق الدولاب وسار به بعد ان كسر الدولاب وخرج من المدينة ولم يزل سائرا به وهو لا يعقل على نفســه من شدة ما جرى عليه من الاهانة الزائدة وما زال كذلك الى ان اشرف على عين ماء فانزله عندها وهو غائب عن الوجود وقد ظن عفاشة انه مات ، فتركه وجلس قباله وما زال صابرا عليه الى ان مضى نصف النهار واذا بالملك سيف قد افاق من غشيته ونظر الى نفســه وكان يظن انه فوق الدولاب فراى نفســه خالصا فحمد الله تعالى على ذلك وشكر الذي خلصه من الذل والهوان فتأمل فراى ذلك المارد قباله انه هو السبب في خلاصه فشكره على فعاله ، فقال عفاشة : اما عرفتني يا ملك الزمان ؟ فقال له : كيف اعرفك وما نظرتك الا في هذه المرة ؟ فقال : تمهل حتى احضر عندك . ثم ان المارد ارتعد وعاد الى صورته الاصلية فلما رآه الملك علم انه عفاشة بن عيروض فقال : مرحبا بك يا صاحب الجميل علـــــى والاحسان ، فقال له : يا سيدي ان الذي فعل معك هذا الفعل ما يستاهل عليك تمنيته بين الرجال ؟ فقال سيف : نعم انك تستاهل اكثر من ذلك وما هذه التمنية ، ولكن ان طلبت مني ملكي ما بخلت به عليك ولكن انت تطلب مني تمنية وانا الاخر لي عليك تمنية اخرى .

فقال له عفاشة : انا خادمك على كل حال ، وها انا بين يديك ولا ابخل روحي عليك ، فما الذي تريده مني ايها الملك السعيد ؟ فقال له : اعلم اني سألت الخادم عن هذا الدولاب فأخبرني ان هذا الغلام له اب يقال له رومان وهو الذي صنع معي هذه الافعال وانه مقيم في الفج الاعظم قاعد هناك برجاله وأعوانه فأريد منك يا عفاشة ان تذهب الى الفج الاعظم وتقتل هذا الكهين رومان الازرق وتشتت اعوانه ورجاله وتأتي الي ولك كل ما تتمناه فقال له : السمع والطاعة ، ثم ان عفاشة بعد ذلك الكلام طلب الجو الاعلى وفعل ما امره به سيف ورجع اليه في الحال وقال له : قضيت الحاجة والاشغال وبلغتك مناك ، وبقيت تمنيتي يا ملك الزمان .

فقال له الملك سيف : تمن يا عفاشة ولك كل ما تطلب .

فقال عفاشة : اني سمعت بأنك عملت لوالدي عيروض فرحا عظيما لما تزوج بأمي عاقصة ، واني اتمنى عليك ان تعمل لي فرحا مثله لاني أريد ان اخطب دنهشة بنت الملك ديهشورا صاحب قلعة من قلاع قاف لاني مغرم بها وميت في هواها .

فلما سمع الملك سيف من عفاشة ذلك الكلام قال له : اما من جهة الفرح فاني أعمل لك فرحا احسن منه ولكن على شرط .
فقال عفاشة : وما هو الشرط ؟
قال : هو انك تأتي بعروستك الى ارض مصر لاني لا اقدر ان اسير الى قلع قاف لان معي رجال واعوان وليس لي هناك اشغال لانها مسافة بعيدة ولن نصل اليها الا بمشقة وتعب ، ولكن ان شاء الله متى انتهينا من اشغالنا سنأتي بعروستك ولا يكون الا ما تريده اما الان فاريد منك ان تأتيني بذينك الحكيمين الملعونين سقرديس وسقرديون ، فأجابه عفاشة بالسمع والطاعة وطار في الجو الاعلى فلم تكن الا برهة حتى نزل في مدينة الدور لتنفيذ اوامر الملك سيف .
اما الملك سيف بعد ان انفض الديوان طلب لنفسه الراحة والمنام فدخل الى مبيته ورقد متوكلا على العزيز العلام ، فبينما هو في منامه ولذيذ احلامه واذا بيد وضعت على صدره مثل كفة المنجنيق فانتبه من نومه منزعجا وقال :
من الطارق علي في هذا الليل ؟ فتأمله فاذا هو عبد اسود فسأله عن اسمه ، فقال له : لا تخف ، انا خادمك وراعي ابلك مسابق العيار ، فقال له الملك سيف : ما اشنع طلعتك فمن الذي غير خلقتك ؟ انت كنت ابيض ولك خال عظيم على خدك والان صرت عبدا اسودا ؟
فقال له : اعلم ايها الملك السعيد اني سمعتك وانت تسأل عن اعدائك فما احد من رجالك انبأك فصعب علي ذلك الامر فاصطنعت هذه الحيلة لاكشف خبر هؤلاء الملاعين ، وقد اعانني الله على ذلك فكشفت اخبارهم وعرفت احوالهم وجئتك بالخبر اليقين .
فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام تعجب من ذلك الامر وفرح الفرح الزائد وقال : اسرع يا مسباق واخبرني عما اكتشفته ؟ فقال : اعلم يا سيدي انني دخلت المدينة وصرت اتأمل فيها ذات اليمين وذات اليسار ولم يعلم بحالي الا الملك المتعال وما زلت ادخل من زقاق الى زقاق وبينما انا انتقل من مكان الى مكان صادفت في طريقي عبدا اسودا يتلفت ذات اليمين وذات الشمال علمت انه مرسل في قضاء حاجة ما فتبعته وما خفي علي حاله فاقتفيت اثره عن بعد وما زلت تابعه الى ان دخل في زقاق ولما وصل الى اخره غطس ما بان كأنه ما كان فتعجبت من هذا الامر وصبرت الى ان جن الليل فأقبلت الى ذلك الزقاق وجعلت أجس الارض بقضيب من الخيزران الى ان وصلت الى ارض فوجدتها قد نخرت من تحت القضيب فصرت أجس برجلي الواحدة فوجدته يتحرك فعرفت ان ذلك العبد ما نزل الا من هنا فزحت عنه ذلك التراب الذي كان عليه فرأيت رخامة مدورة ولها

حلقة فمسكت الحلقة ورفعتها فوجدت تحتها درج فنزلت في ذلك الدرج الى ان انتهيت لاسفله فمددت بصري واذا اجد ليوانا عليه اربعون عبدا وكلهم جالسون والعبد الذي كنت صادفته جالس بينهم وهم يقولون له : لاي شيء يا سيسون قطعت عنا العادة الليلية ؟

فقال لهم : مرحبا بكم ، ثم قام من بينهم وعاد معه طابية فيها شراب وصار يسقيهم وهم يغنون ويرقصون الى ان غلب عليهم السكر فأخذهم المنام وصاروا كأنهم اموات ، وكان كل هذا يجري وانا انظر اليهم واتعجب من حالهم ، ثم ان العبد سيسون ترك العبيد ودخل الى ذلك المكان فوصل الى بحيرة من الماء فتقدم اليها وفرك لولبا فانعزل الماء وبعد ذلك نزل الى وسط البحيرة وفرك لولبا اخر فظهر امامه طابق بدرج فنزل عليه وانـــا مقتف اثره دون ان يشعر بي وسار في سرداب مظلم وانا وراءه ولما انتهى الى اخره نادى برفيع صوته وقال :

يا سيدي سقرديس هل تريد الطعام ؟

فقال له : نعم يا سيسون ، وكذلك نادى على سقرديون فقال الاخر : نعم ، فقال لهم العبد : السمع والطاعة ، ثم انه قدم لهم الطعام فأكـــل الاثنان وبعد ذلك شربوا المدام ولما سكروا صاح سقرديس قائلا : علينـــا بآلات الطرب فحضر بين ايديهم في ذلك الوقت عشر بنات وقد غنين بألحان قدر ساعة ثم بعد ذلك قال العبد سيسون : ماذا تريدون مني في الغد ؟

فقال الجميع : نريد منك غدا بعد ان تسكر هؤلاء العبيد ان تذبح لنا خنزيرا وتأتي به لعندنا ، واياك ان تجعل احدا يعرف مكاننا خوفا من الواشي والرقيب ، فقال لهم : السمع والطاعة فلا تخافون من شيء ابدا ما دمت على قيد الحياة ، ثم انه بعد ذلك قبل يديهم وعاد الى العبيد وأقام يتحدث معهم وقد شرب الاخر من الخمر ما يكفيه قدر ساعة من الزمان وقد غرق الجميع ببحر الرقاد .

فلما نظرت الى ذلك الامر اخرجت الخنجر من تحت ابطي وهو مثل القضاء المبرم فصرت اتأمل في العبيد واحدا واحدا حتى وصلت الى العبد سيسون ونمت الى جانبه ومددت يدي وذبحته ذبح البقر من الوريد الى الوريد وحملته على كتفي وسرت به الى ان وصلت الى اخر الدهليز رميته بعد ان عريته من ثيابه وعدت الى رفقائه فرايتهم نياما من كثرة المـــدام فأخرجت من جيبي شيئا من الحشائش ضافعة ودهنت به وجهي ورقبتي ويدي ورجلي فصار كل عضو من أعضائي اسود وصرت اشبه بالعبـــد سيسون تماما وابتدات بذبح العبيد واحدا بعد واحد حتى اتيت على اخرهم وقد ستر علي الستار ثم بعد ذلك خرجت من ذلك الطابق واتيت اليـــك واخبرتك بما عملت والسلام .

فلما سمع الملك سيف من مسابق ذلك الكلام تعجب غاية العجب وكاد قلبه يطير من الفرح وطلب من مسابق ان يعيد عليه الحديث واعاده عليه ثانيا وثالثا وبقيا هكذا الى ان اصبح الصباح فنهض الملك سيف ونزل الى الديوان وجلس على كرسي المملكة وقد اقبلت الرجال وجلس كل منهم في محله .

ولما استتم الديوان بالرجال قال الملك سيف : علي بالحكماء فحضروا بالحال فقال لهم : اريد منكم ان تكشفوا خبر اعدائي وهما الملعونان سقرديس وسقرديون ، فقالوا له : اعلم ايها الملك السعيد اننا ليس عندنا علم بذلك ولا نقدر على كشف اخبارهم – لانهم خافوا من عفاشة الجان – فتجاهلوا الامر فقال لهم الملك سيف : انكم حكماء ولا تقدرون ان تبنوا ذلك ، ولكن انا الان اكشف لكم خبرهم ، ثم انه صاح قائلا : علي بمسابق العيار فحضر بين يديه وهو على صورته التي ذكرناها فقال له : انت تدعي اللصوصية واني ما الزم هذا الامر الا منك في هذه الساعة ، فقال : السمع والطاعة . فلما سمع الرجال كلام مسابق تعجبوا من امره غاية العجب ، فطلب مسابق من الملك ان يرسل معه بعضا من الرجال ليسير بهم الى قضاء الحاجة والاشغال فقال له الملك : خذ ما شئت من الرجال .

فأخذ معه عشرة من الرجال الاشداء وتوجه بهم الى المكان الذي به الحكيمان فأوقف الرجال ودخل هو عليهم وقال : يا سيدي سقرديس ، فأجابه الاثنان وقالوا : نعم يا سيسون اين الخنزير هل احضرته ؟ فقال لهم : اعلموا اني اتيت لكم ببشارة تورثكم كل مكيدة وخسارة ، وهي اني مضيت الى ملك الاسلام وآمنت على يديه واخلصت النيّة الى الله تعالى واليه ، واني أبشركم بأن العبيد كلهم صاروا اموات ، وجئتكم من عند الملك سيف بعشرة رجال أشداء ليقبضون عليكم ويأخذونكم الى الملك سيف لينزل بكم البلاء فما قولكم في تلك البشارة ؟

فلما سمع الحكماء منه ذلك الكلام اسودت الدنيا في اعينهم هذا وقد هجم عليهم الرجال وأوثقوهم كتاف وقد نزل عليهم العذاب وما زالوا سائرين بهم الى ان وصلوا عند الملك سيف فلما نظرهم قال لهم : يا ملاعين الان أوقعكم الله في يدي وما بقي لكم خلاص الا بكلمة الايمان ، فما انتم قائلون ؟

فقالوا له : نحن الان في قبضة يدك فافعل بنا ما تريد لاننا عن ديننا لا نحيد ، وان شئت فاتبع انت ديننا وهذا اخر ما عندنا والسلام .

فلما سمع الملك سيف منهم ذلك الكلام امر بضرب رقابهم في الحال ، فقال له الحاضرون : لا يصح ان تضرب رقابهم هنا بل نريد ان نجعلهم في مقدمة الموكب اذا وصلنا الى ارضنا ، لان كل الناس يريدون ان ينظروا الى

ما يجري لهؤلاء الانجاس .
فقال الملك سيف : سأفعل بهؤلاء الان ما هو اشد من القتل . ثم امر الرجال ان يضربوهم بالنعال ، فضربوهم حتى غشي عليهم ثم بعد ذلك امر بسجنهم فسجنوهم ووكل عليهم من يحرسهم وخلع على مسابق العيار ثم طلب النجارين فحضروا فقال لهم : اريد منكم ان تصنعوا لي مصلبين بلوالب على الجهتين ، ويكونا طالعين نازلين فاذا صلب عليهما احد كلما صعد المصلب ونزل ينقطع من الشخص المصلوب عضو دون ان يموت ويبقى هكذا حتى تنقطع سائر اعضائه فماذا انتم قائلون ؟
قالوا : اعلم ايها الملك السعيد اننا لا نعرف هذه الاشغال ولم يسبق لنا ان عملنا مثل هذه الاعمال ، ولكن عندنا من هو اخبر منا وهو رجل كبير وبكل الامور خبير ، فأرسل واحضره واعلمه بذلك التدبير ، فأرسل الملك اثنين وامرهما ان يحضرا هذا الرجل فأحضراه بين يدي الملك ، فطلب منه الملك عمل المصلبين فقال : يا سيدي او كان لي يد تقدر أن تحمل القدوم او سحب المنشار لفعلت كل ما تأمرني به ، فقال له الملك : انت صف لهؤلاء النجارين وهم يكونوا لك طائعين ، فأجاب الرجل بالسمع والطاعة وصار يأمر النجارين وهم يشتغلون حتى انتهوا من عمل المصلبين ثم عرضوهما على الملك فرآهما مثل العاشق والمعشوق فأعجباه غاية العجب وأمر للنجارين بالخلع السنية واجزل لهم بالعطاء فشكروه وانصرفوا .
ثم ان الملك سيف أمر باحضار الحكماء اللاعين ليصلبهم على تلك المصالب فنزل الرجال الى السجن فلم يجدوا لهم اثر فرجعوا واعلموا الملك سيف بذلك فالتفت الى الحكماء وقال : اريد منكم ان تكشفوا خبر هؤلاء اللاعين وما سبب خلاصهم ؟ فأجابوا بالسمع والطاعة، ثم انهم ضربوا تخوت الرمل وحققوا اشكالهم فعرفوا الضمير فأخفوه عن الملك وقالوا ان الذي اطلقهم هو اخبر منا بذلك الامر ، فقال لهم : ما هذا الكلام ؟ ان لم تعرفوني عن اعدائي اللئام اهلكتكم عن اخركم ، فلما سمعوا ذلك قالوا : اعلم اننا ما نقدر ان ناتي بحركة واحدة ، انما موجود من هو اقوى منا وهو عفاشة الجان ابن عيروض ، فقال الملك : انا اريد ان تبينوا لي مكانهم وانا اسير خلفهم وما عليكم من ذلك ملام ، فقالوا : انه السمع والطاعة .
ثم ان الحكماء ضربوا تخت الرمل وحققوا اشكاله وقالوا : اعلم ايها الملك المنصان انهم ذهبوا الى مدينة الصوان ووادي الحجر عند كهين يقال له رومان ، فلما سمع الملك سيف ذلك تعجب وأخذه القلق وقال : ومن الذي اطلقهم من السجن ؟ فقالوا له : لا نعلم شيئا من ذلك .
وكان السبب في اطلاق الحكيمين عفاشة ، فانه صبر الى ان تمت المصالب اتى الى السجن وهو في هيئة سيسون ودخل على الحكماء وقال

لهم : انا سيسون الذي اوقعتكم وها انا اتيت لاخلصكم ، فقوموا وانجوا بأنفسكم ، فلما سمع الحكماء منه ذلك قالوا له : يا ولدنا قد ضاقت علينا الارض وسدت في وجوهنا المسالك ، فهل تعرف لنا امانا نسير اليه ؟

فقال لهم : نعم انني اعرف مكانا وهو بعيد عن هذه الديار عند ملك يقال له رومان ، وانتم اذا وصلتم اليه فلا تخافون من كل من كان على وجه الارض ، فاذا قبض عليكم سيف اخلصكم واذا قتلكم اخذت بثأركم ولم ازل اخلصكم الى ان تنتهوا الى قلل قاف حتى ان هذا الملك يغلب على امره ويرجع عنكم فلا تخافوا ابدا ما دمت في قيد الحياة ثم انه اخرجهم من السجن ودلهم على الطريق .

ثم ان الملك سيف امر رجاله بأخذ الاهبة للرحيل ، فشدوا الاحمال وانتظم العرضي وبينما هو كذلك اذ دخل عليه المقلقل بن الملك سيف أرعد ملك الحبشة بالتهليل والتكبير فتعجب الملك سيف وسأله عن سبب ايمانه فقال : اعلم ايها الملك السعيد انني بينما كنت غارقا في بحر المنام اتاني رجل ذو هيبة ووقار وقال لي : انتبه يا مقلقل من غفلتك واترك عبادة النيران وآمن بالله الذي كون الاكوان واعلم بأن والدك قد قضى نحبه وذهبت روحه الى النار وبئس القرار ، قم يا ولدي وادعو قومك لعبادة الله عز وجل وقابل ملك الاسلام سيف وجدد ايمانك بين يديه ، فانتبهت من نومي ولساني ينطق بالشهادة لله عز وجل وبينما انا كذلك واذ بي أسمع نداء قومي يهللون ويكبرون وقد انعم الاله عليهم بنعمة الايمان ، ثم دخلت على ابي فوجدته جثة هامدة دون ان اعلم لموته سبباً فجهزته وواريته في مرقده الاخير وأتيت اليك لادعوك الى زيارة مدينتنا وتأكل من ضيافتنا .

فقال له الملك سيف :

انني الان مزمع على الرحيل لاقتفاء اثر ذينك الملعونين سقرديس وسقرديون وانشاء الله متى عدت وانتهيت من اشغالي سأزورك فقال المقلقل : يا ملك الزمان انا بقيت من حزبك وكذلك رجالي صاروا مؤمنين واريد ان اسير معك أينما توجهت عسى ان اكتسب منك ثواب الجهاد فلا تحرمني من ذلك واني مزمع ان اموت في خدمتك ، فشكره الملك سيف على مقاله وقال له : يا اخي ان بلادك ومملكتك واسعة ولا يمكن اهمالها ، وان اعتمدت على وزيرك قفقان الريف فانه رجل معتكف على عبادة الله تعالى وليس له مقدرة على ادارة شؤون المملكة ويوجد من يقوم مقامك في ديوانك .

فقال له : يا ملك الزمان ان الوزير له ولد مؤمن مجاهد يقال له عبد الله وهو نشيط وماهر ، وانا اجعله نائب البلاد واسير معك الى الجهاد فقال له : شأنك وما تريد ، فعندها دعا المقلقل عبد الله وخلع عليه ونصبه مكانه

وكيلا على مدينة الدور وقال له : احكم بالعدل واورد الخراج كل عام الى الملك سيف كمثل احد الملوك الذين تحت طاعته .
فقال له : سمعا وطاعة ، وبعد ذلك امر المقلقل رجاله جميعا ان يركبوا في صحبته للجهاد في طاعة رب العباد وطلع من مدينة الدور بجيش يزيد عن مائة الف ما بين خيال وراجل ، ففرح به الملك سيف وجعله من احبائه، واندقت طبول الرحيل وسارت العراضي في البراري والوديان .
واما الحكيمان فانهما ما زالا سائرين الى ان وصلوا الى الفج الاعظم ودخلا على الكهين رومان الازرق وقبلا الارض بين يديه فقال لهم : اجلسوا فأنا اعرف قصتكم ولكن كيف وصلتم الى ههنا ؟ فقالوا له : نحن راكبون على جوادين مطلسمين .
فقال لهم : اروني اياهما فعرضوهما عليه وقالوا : نحن عملناهما لاجل ان ندرك بهما كل ما طلبناه من المدن والبلاد حتى لا يصل الينا احد من العباد .
فلما نظر الكهين الى الجوادين رمقهما بعينيه فنزلا كالماء السائح فلما نظر الحكيمان الى ذلك اغتاظا غيظا شديدا وقالوا له : لماذا فعلت ذلك يا كهين الزمان ؟ فقال لهم : يا ويلكم ايكون مثلي حاميكم وتفعلون انتم هكذا؟ ثم ان رومان امر بالقبض عليهم وضربهم الضرب الوجيع وقال لهم : انتم ما اتيتم الي لتبشروني بدنو اجلي ، وحق النار لولا اني اخاف اذا قتلتكم يعايروني الملوك لانكما التجأتما الي لكنت اهلكتكم وارسلتكم لهذا الملك .
فلما سمع الحكيمان ذلك تعجبا غاية العجب وقالا : ما فعل احد معنا مثل هذه الافعال ، فقال لهما : اعلما اني ضربت تخت الرمل حين نزلتم في هذا الوادي ، فرايت قدومكما شؤما علي ، ولكن سوف تنتظران ما يحل بكما ثم انه صاح على سلطان الجان وكان اسمه اسبانير وهو مؤمن وطائفته كلها من اهل الايمان ولكنه جرى عليه القضاء بخدمة هذا الكهين ، ولما حضر بين يديه قال له : خذ هؤلاء وعذبهم عذابا شديدا الى ان ارى حالي مع هذا الملك الذي سيأتي بسببهم ، فأجابه بالسمع والطاعة وسار بهم وجعل يعذبهم عذابا لا يطاق .
واما ما كان من امر الكهين رومان فانه بينما كان جالسا واذا بالحكيم الكبير يونان اقبل عليه وقال له : اعلم اني ما ارضى التعرض لهؤلاء الحكماء لانهم على الحق فان اردت ان تعارضهم فانت مقتول ، فخذ هذه كتبي وجربنديتي احفظها عندك حتى يأخذها الموعود بها ، ثم ركب على سريره وسار قاصدا البيت الحرام .
واما رومان الازرق فانه اتكل على تلك الكتب وهذه الذخائر وحصن نفسه تحصينا مكينا ، وبينما هو كذلك واذا بالغبار قد ثار وعلا وسد

الاقطار وانكشف عن عسكر جرار ملأ البراري والقفار وكان هذا عسكر الملك سيف ، ولما قرب من الاقاليم نصب اويس القافي صيوان العجائب ونزلت الناس حوله فسأله الملك سيف : هل رايت بين يديك ارصاد ؟ فقال : لا يا ملك الزمان ما هنا ارصاد ولا اضداد ، وانما ابواب البلد مفتحة ولا يمنعنا عن الدخول مانع ، فلما سمع الملك سيف تعجب وقال : ارى ان ننزل في مكاننا حتى يظهر لنا الخبر لاني اخاف ان تكون حيلة قد دبرها الكهين علينا . ثم انه بات تلك الليلة الى الصباح فامر ان يكتب كتابا ويرسله الى الكهين رومان ، واما الكهين رومان فانه جلس هو واخوه روم الاصغر واذا بالكهين السقرقان دخل عليهما وهو اخاهما ايضا وكان يحكم على ارهاط واعوان فلما دخل سلم عليهما وقال لهما : اما علمتما بقدوم الملك سيف وقد اهلك الاقاليم وانتما غافلان ، فقال رومان : يا سقرقان انا لو اردت قتله لفعلت ، وانما امهلته لانظر ماذا يفعل من الفعال وان هذا الملك وعساكره عندي كمثل الريح الساري فدعنا منهم ومن امورهم فاجلس معي وانظر ما يجري بيننا ، وما استقر بهم الجلوس حتى اتاهم الكتاب من عند الملك سيف مع مسابق العيار ، فقال له السقرقان : من انت ؟ فقال نجاب: معي كتاب واريد رد الجواب . فأراد السقرقان ان يأخذ الكتاب واذا بأخيه رومان يصيح عليه : لا تأخذه منه . فتركه وقال : يا اخي هذا نجاب فقال له : انا اعلم بما في الكتاب ثم قال : اين القاصد يأتي الي واذا بشيء دفع مسابقا حتى اوقفه بين يدي رومان فقال له : يا مسابق ان استاذك ارسل معك كتاب يقول فيه : من عند الملك سيف الى رومان المراد منه ان انزل واقابله وجيوشي وان لم افعل حل بي منه الهلاك . هذا ما في الكتاب وانا لا افعل ما ذكر . ثم صاح على مسابق : امض واخبر استاذك واومأ بيده اليه واذا به يرى نفسه امام الملك سيف فتعجب كل من كان حاضرا في مجلس رومان .

وما ان رآه الملك سيف قال : مسابق ؟ قال : لبيك يا ملك الزمان ، اتيتني بجواب الكتاب ؟ قال مسابق : لا تسألني على ما جرى لي ، فاني لما توجهت بالكتاب علم ما فيه من غير ان يأخذه مني وصاح علي فوجدت نفسي عندكم ، فقال الملك سيف : نتركه وننتظر ما يريد ان يصنع .

واما الكهين رومان فانه قال لاخيه السقرقان : يا اخي اجمع عساكرك وانزل الى هذا الملك وحاربه فان غلبته قضي الامر وان عجزت عنه فأنا افعل به وبعسكره ما اريد ، فنبه السقرقان على عساكره وامرهم بالاستعداد وباتوا على نية الحرب ، فلما اصبح الصباح خرجت من الاقاليم العساكر كأنها البحر الزاخر ، فلما عاين الملك سيف الى ذلك امر العساكر بالركوب فركب واصطفت الصفوف واول من برز الى الميدان سعدون الزنجي فصاح

وجال ونادى : هل من مبارز هلموا الى القتال ، فبرز اليه فارس من عسكر الكفار فما امهله بل طعنه بالرمح في صدره فطلع يلمع من ظهره فبرز اليه الثاني فقتله والثالث فجندله والرابع والخامس فعجل مرتحله وما زال كذلك الى ان توسط النهار فقتل سبعة وعشرين فارس كرار واسر تسعة من الرجال الكبار فتوقفت عن النزول الابطال فهجم على الميسرة فقتل اثنين عندها صاح سقرقان على رجاله وقال لهم : ابرزوا له يا رجال فبرز اليه فارس كرار فقتله وما اتى اخر النهار حتى اهلك مائة وعشرين من الكفار واسر ثلاثة وثلاثين ودقت طبول الانفصال فرجعت الطائفتـــان وتحارس الفريقان الى ان اصبح الصباح ركب الفرسان خرج الملك افـــراح وطلب الحرب والكفاح فنزل عليه عشرة من الكفار فانزل بهم الدمار ، ونزل بعدها عشرون فأهلك منهم اربعة عشر وهرب الستة الباقون ، ولم يزل على ذلك العيار الى اخر النهار وفي اليوم الرابع برز المقدم ميمون وسقى الكفار كأس المنون حتى مضى ستون يوما وقد استبشر المؤمنون بالنصر علـــى الكفار ، فلما كان اليوم الحادي والستين جاء الملك دمر يريد القتال فقال له ابوه : يا ولدي دعني اقاتل في هذا اليوم هؤلاء الكفار . فغضب دمر من ابيه وقال له : لا كان ذلك ابدا لاني انا منتظر هذا اليوم حتى ابرز الى هؤلاء اللئام واشفي قلبي منهم بضرب الحسام ، ثم ان دمر قفز بالحصان الى الميدان وطلب البراز فصارت تبرز اليه الفرسان حتى قتل منهم خلقا كثيرا وكان اخر من برز اليه فارس جبار يقال له بكار بن سوار فتلقاه دمر بقلب اقوى من الصوان ولما راى الملعون في نفسه الغلبة صاح : ادركوني يا عسكر السقرقان فحملت العساكر وكانت خلائق لا تعد ولا تحصى ونظر الملك سيف الى ولده وقد غدر به الكفار فخاف عليه وصاح : الخيل يا ارباب الخيل ، فهنالك حملوا حملة صادقة وانطبقت الطوائف على بعضها البعض فصار الدم يفور والخيل تغور وحامت على القتلى النسور وداموا في حرب وصدام مدة سبعة ايام بلياليها والملك سيف يغير القواد جماعة لليل وجماعة للنهار وبعد ذلك ولت الكفرة اللئام ودخلوا الى الاعظـــم فدخل السقرقان على اخيه رومان واعلمه بالذي جرى عليه وعلى عساكره فقال له رومان :

انا اعرف انكم ما تصلحون للحرب والطعان وما تستحقون الا المـــوت والعذاب ، ثم قال لاخيه : اجلس فجلس بجانبه ثم قال : ما لهذه الوقعة الا انا وسوف انزل بهؤلاء الموت والفنا .

واما ما كان من امر الملك سيف فانه رجع منصورا مؤيدا وامر الرجال ان يتفقدوا الرجال من كان مجروحا فيضمدون جراحاته ومن كان مقتولا يأخذه الحكماء ويوصلوه الى اهله ويعطوهم حقه في الغنيمة وما انتهى ذلك

النهار الا ولم يبق على الارض الا رمم الكفار وهم يزيدون عن السبعين الفا. ولما استراح الملك سيف وعلم ان عساكره لم يبق فيهم مريض بل كلهم سالمين امر بذبح النوق والجمال والبقر والاغنام وفرح بذلك النصر والتأييد على كل كافر عنيد واقام في هناء وسرور .

واما ما كان من امر الكهين رومان فانه قال لاخوته : اذا كان الغد سأخرج انا الى الميدان واطلب مبارزة الفرسان وعند الصباح ركب على سريره وبرز الى الميدان وقال : انتم جئتم من بلادكم تعتدون علي وانا اتوقى شركم وانتم عن عنادكم لا ترجعون ، فها انا برزت الى الميدان فدونكم والمجال ودعوا عنكم الاهمال ، وكان الملك سيف واقف يسمع ويرى فقال لمن حوله : هذا رجل راكب سرير وهو بأحوال الكهانة والسحر خبير ، فان امرت بنزول الفرسان فلا شك انه يغلبهم بالكهانة والسحر ، فالصواب نزول الحكماء فان الحرب ما فيه رحمة ، فاستحى الحكماء واول من برز سيرين الطالب وهو راكب على سريره فصاروا الاثنين يرمون على بعضهم ابواب السحر والكهانة وكان سيرين يرمي على ذلك الكهين كل باب لو نزل على جبل لاندك ورومان يضحك عليه وقد علم انه ما بقي شيء عند سيرين من الابواب اخرج شعرة من لحيته وقرا عليها فصارت حربة وحذفها على سيرين فدخلت في صدره فمات شهيدا فلما نظر الملك سيف الى ذلك صعب عليه وانحدر الى الميدان وهجم على اللعين رومان وجرد سيف آصف بن برخيا في يده وبينما هما كذلك اذا بعفاشة نازل من الجو فلما رآه اللعين قال له : انت عفاشة الجان سد بيني وبينك واشار بيده فاذا بسور من الفولاذ فرق بينهما .

وعاد الكهين الى مكان وقال : يحضر الملك سيف قدامي ؛ فما شعر الملك سيف الا وهو قدام الكهين ، فلما نظره الكهين قال له : انت الملك سيف ، قال : نعم . قال الكهين :

اعلم يا سيف اني كنت قادرا على قتلك من حين دخلت اول واد، واني قادر على اهلاك عسكرك في ساعة واحدة ، وانما بان لي في الرمل انك انت تقتلني ولم اعلم بأي شيء . ثم مد يده الى سيف آصف واخذه من الملك سيف وجرده وتفرج عليه وهزه في يده ، فقال سيف في نفسه : هذا الحسام ما يجرده الا من كان مؤمنا ، فقال رومان : صدقت ولكن انا احفظ الطلاسم التي عليه فأمسكه واجرده فلا يصيبني منه ضرر وان كنت تشك في كلامي فخذه بيدك واضربني ، ثم ناوله السيف وقال : اضربني كيف شئت . ففرح الملك سيف واخذ السيف وضرب به الكهين عشرين ضربة فلم تؤثر فيه ؛ فانذهل الملك سيف وتحير وعلم ان هذا الملعون يهلكه .

كل هذا وروماني يضحك ويقول : انظر لنفسك اي موتة تموتها ، هذا والملك سيف يستغيث في سره بخالقه واذا بعفاشة نازل عليهم وذلك انه علم ان اللعين عمل السد بينه فأقسم على يده ان تخرق السد فخرقته كما امرها ، فلما نظره اللعين رومان قال : انت جئت خلفي يا عفاشة ولكن سد بيني وبينك يا قطاعة الجان فوضع عفاشة يده في منطقة الملك سيف لانه يعلم ان الكهين يسد بينه وبينه فما كان له همة الا ان اخذ الملك سيف من قدامه واقتلع فيه في الهواء ونزل به في صندوق العجائب فلما نظر رجال الدولة الى عفاشة والملك سيف معه قاموا على الاقدام وهنوهم بالسلامة وسألوا الملك عن حاله فأخبرهم بكل ما جرى له وقال لهم : هذا الملعون كافر فاجر وان وقع احد منكم في يده فما يبقـــي عليه ، ولكن الله ينصرنا عليه فزاد عجبهم لذلك وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح نزل اللعين رومان الى الميدان ونادى بين الحكماء الذين يدعون الكهانة والسحر ؟ فبرز اليه السيسبان وهو راكب على سريره واخذ معه في ابواب الكهانة وحيروا الاعيان بما فعلوا ودام الامر على هذا الحال فكل السيسبان ومل واذا بالكهين اخذ ورقة وصورها سيفا واومأ الى السيسبان فقسمه نصفين ، وكان قد فرغ النهار فرجع رومان وهو فرحان وفي الصباح نزل رومان الى الميدان ليبارز الحكماء فبرزت اليه الحكيمة عاقلة وكانت راكبة على زيرها النحاسي وقالت له : يا كلب الكفار يا مطرودا عن باب الملـــك الغفار ان قتلتني فيكون راحة لي من وجوه عدة اولها يمحى عني قتـــل الهدهاد واكون قتلت في ثأره واسأل الله تعالى ان يتجاوز عن خطيئتي ويقبل توبتي ، وانا اعلم ان هذا يومي ومن مات على الايمان نال الثواب من الملك الديان ، واما انت فمقتول هذا النهار على دين الكفار ، ولا تنفعك علوم الاقلام ولا الاسحار . فاستعد للعقاب وشدة العذاب ، فلما سمع الكهين كلامها قال لها : وما مقصدي الا دخول النار والاقامة فيها ليلا نهارا، وكان في يده خردقة من الرصاص فتلا عليها اسماء يعرفها وضرب الحكيمة عاقلة بها فدخلت في صدرها خرجت من ظهرها فوقعت قتيلة فلما نظر الحكماء ذلك قالوا فيما بينهم : ما لنا الا ان ننزل اليه جميعنا اما ان نهلكه او يهلكنا . فقالت لهم الحكيمة رحمة : الراي عندي اننا نطاوله بالانصاف واذا راينا الغلبة نسلم انفسنا بالحياة حتى يقضي الله ما هو قاض ، فقال لها باقي الحكماء : نحن نعلم ما لكم مقدرة ان تحاربوه ثم انحدروا علـــى الكهين وأول من سبق اليه الكهين خمروط وكان من اتباع الحكيمة عاقلة فضربه الكهين بشهاب من نار فقتله ثم انحدر على الحكماء فأهلكهم ولم يبق الا رحمة وزوجها فأرادت رحمة ان تنزل اليه فمنعها الملك سيف وقال لها: الك مقدرة على هلاكه ؟ فقالت : يا ملك الزمان القدرة لله واما انا وزوجي

ولسنا من رجاله ولكن الجهاد فرض علينا ، فقال الملك سيف : لا تنزلي لا انت ولا زوجك فان الله لم يأمركما بالجهاد الا على قدر طاقتكما ، وبات الملك سيف تلك الليلة وهو يتفكر فيما يجري به القضاء والقدر ، وعند الصباح ركب الكهين على سريره وانحدر الى الميدان فلم يبرز اليه احد فقال : يا سيف اعلم اني مهلتك في هذا اليوم وفي غد لا تجد من أتباعك احد فاستعد انت ومن يتبعك للموت ، ورجع الكهين الى مكانه فرحا مسرورا بما فعل من تلك الامور .

واما ما كان من امر الملك سيف فتقدم اليه اويس القافي وقال له : اعلم يا ملك الزمان ان هذا الفج منصوب عليه مرآة اسمها الهندوان ، وهي التي كان اصطنعها الحكيم بانياس في زمان اسكندر دراب الرومي وهي التي فتح بها اسكندر جابرصا ، وهي الان عليها ستار من الجلد وان هذا الكهين مرامه في الغد ان يكشف تلك المرآة فيخرج منها نار تحرق على بعد ثلثمائة فرسخ وهذه ان تمكنت منا احرقتنا جميعا فالصواب يا ملك الزمان رحيلنا من هذا المكان على قدر مسافة هذه النيران فلعل الله تعالى ان يسبب لنا الفرج على اي وجه كان وانا ما قلت لك هذا الكلام من عندي انما عفاشة امرني بذلك ، فلما سمع الملك سيف امر بالرحيل وسارت الرجال حتى عرف اويس القافي انه جاوز بالعسكر على قدر ما تصل من المرآة النار ونصبوا صيوان العجائب ونزلت العسكر والملوك حوله ، فالتفت اويس القافي الى الملك سيف وقال : ان المرآة لا يصيبنا منها ضرر ما دمنا في بعد عنها ، فقال الملك سيف : واين المرآة التي تذكرها ؟ فقال : هي مسترة بالجلد الطاقي وطولها ثلاثمائة ذراع وعرضها مائة ذراع ، فقال الملك سيف: وبأي شيء ملكها هذا الكهين ؟ فقال له : بتلاوة الاسم الاعظم لان هذا اللعين يحفظه وبه حمل تلك المرآة وركبها على الفج الاعظم ليمنع عنه الخصماء بسبب النيران التي تخرج منها ، واذا اردت ان تنظرها فعند طلوع الشمس تراها فان الكهين يكشفها في هذه الليلة ، ثم باتوا على الروابي الى ان اصبح الله بالصباح وطلعت الشمس على الروابي والبطاح واذا قد ظهر شهب النار ترمي على بعد ثلاثمائة فرسخ ، فلما نظر الملك سيف الى ذلك تعجب غاية العجب .

واما الكهين رومان فانه اصبح فراى الملك سيف قد رحل برجاله وبعد في البراري والتلال ، فعند ذلك دخل محل رصد وسال خدامه عن سبب رحيل الملك سيف من هذا المكان فاعلموه انه خاف من مرآة الهندوان ، فقال : وكيف ينجيه الهرب وانا خلفه في الطلب . ثم انه تبعه بجيوش الفج الاعظم وهم قوم مثل الجراد المنتشر والكهين ترك الناس سائرة وسبق وهو راكب على سريره ويقول : يا سيف من اعلمك بالمرآة حتى سرت

وبعدت بعساكرك على قدر رميها ، ولكن سوف ترى وانا كنت رايت انك لما رحلت طلبت بلادك فسكت عنك ولما رايتك نزلت في هذا المكان عرفت ان تصدك الحرب ، اما اعتبرت بما فعلت معك من الفعال وان كنت تريد المهلة مني حتى تستعد لقتالي فانا امهلك اربعة اشهر انت ومن معك ، وكان الكهين عند نزوله الى الميدان نظر عفاشة مقبلا من الجو الاعلى فدانع عن نفسه بهذا الكلام وصاح بملء راسه : سد بيني وبينك يا عفاشة واما الملك سيف فيقع في بر اقفر واوما بيده واذا بالسد حال بينه وبين عفاشة واما الملك سيف ما يشعر بنفسه الا وهو في بر اقفر لا زرع فيه ولا نبات وصار ماشيا في وسطه راجلا سير راكب فلما نظر الملك سيف هذا الحال رفع راسه الى السماء وصار يتضرع لله الكريم المتعال .

وبينما الملك سيف مجتهد في الدعاء الى مولاه اذ لاح له شخص صاحب هيبة عظيمة فلما رآه الملك فرح واستبشر واذا بذلك الشخص اقبل الى الملك سيف وقال : هات يدك يا ولدي . فمد يده فقال : اغمض عينيك فغمض الملك عينيه فقال : امشي معي سبع خطوات وقال له : افتح عينيك ففتح عينيه فراى نفسه في ارض طيبة زكية الرائحة فقال له الاستاذ : لا بأس عليك يا ولدي فقال : من انت يا سيدي ؟ فقال : انا اسمي عبد القدوس وانا من اقران عبد السلام والشيخ جياد وهما اتياني في هذه الليلة وقالوا لي يا عبد القدوس نحن بقينا في التراب وانت على وجه الدنيا فادرك الملك سيف لانه من اولادنا فسألتهم عن سبب ذلك فاعلموني ان هذا الكلب وضع المرآة لكم ليرمي عليكم النار ولكن لها مرآة اخرى اذا نصبت قبالها فانها ترمي ثلجا يطفىء النار التي تخرج من تلك المرآة وهي داخل كنز بجانب اللج الاعظم وهو كنز جابرصا ولكن مرادي ان آخذك معي وادخل انا وانت كنز جابرصا ابي الجود وندير امر طلوع المرآة ولكني اخاف من الحراس الذين على الكنز لان صاحب المرآة هو ابو الجود يعرف كل ما يجري ولا يمكن اخذ المرآة الا بالاحتيال فقال الملك سيف : وكيف العمل ؟ فقال : انت تجعل نفسك اخرس وانا اتكلم عوضا عنك ، فقال الملك سيف : ولكن ان كلمتني انت فكيف ارد عليك وانا اخرس ؟ فقال له: تهز لي راسك فقط اشارة انك رضيت واخذه بيده وسار قليلا فوصل الى باب الكنز وطرق الباب فانفتح ونظر ابو الجود اليهما وقال : من انتما ؟ فقال الاستاذ : انا الرمال الذي ابين كل ضمير وهذا استاذي الاكبر طبيب العالم ، فقال له ابو الجود : يا عبد القدوس انت اتيت تنصب الحيلة فانا عرفت انك عبد القدوس وهذا الملك سيف وقد اتيتما تاخذوا المرآة من الكنز لاجل ان تضعوها قبالة مرآة رومان حتى تنطفىء عنكم النيران ، فقال الاستاذ : ومن هو عبد القدوس ومن هو الملك سيف ومن هو رومان ؟ وانا

عمري ما سمعت هذه الاسماء وانما هذا استاذي مداوي العلل وانـــــا تلميذه الرمال واسمي عبد الاله ، فقال ابو الجود : يا شيخ ان كان استاذك هذا يداوي علتي فاني اعتقد انه عرف مرضي فالتفت الاستاذ الى الملـك سيف وقال : ما علة هذا يا حكيم الزمان ؟ فهز الملك سيف راسه فقال الاستاذ : انه يقول ان علتك في راسك فقال له : صدق .

وكان مع ابو الجود جابرصا داء السرطان فقال له عبد القدوس : ان استاذي يقول لك ، هذا امر هين ويقول لك احمي الحمام . فالتفت ابو الجود الى حراس الكنز وقال لهم : احموا الحمام ، فقالوا : حميناه ، فعند ذلك اخذه الاثنان وادخلاه الحمام وكان حاميا وصبرا عليه حتى حمى بدنه ونزل على جسده العرق مثل الماء الجاري ، ثم ان الشيخ عبد القدوس اخرج قزازة فيها ماء اخضر واخرج قدحا من البلاور من تلك القـــــزازة وناوله لابي الجود وقال له : اشرب هذا فشربه فما استقر في جوفه حتى نام في وسط الحمام كأنه الميت ، ثم ان الاستاذ تقدم اليه وسلخ جلـــد راسه الفوقاني فراى السرطان متركبا في داخل طاسة المخ فاحتال بمعرفته وساعدته قدرة الله تعالى حتى كشف غطاء الراس وهو يقول : يا حليم يا ستار وكان قد احضر منقلا وفيه فحم والع ولما نظر الى السرطان فرآه كابشا في شحم المخ ، فوضع مرودا في النار حتى حمي طرفه واخذ بيده قطعة نحاس اصفر ولذع السرطان في رجله بالنار فرفعها فأدخل النحاس تحتها ثم لدغ في الرجل الثانية فرفعها فأدخل اللوح النحاس تحتها وهكذا رجل بعد رجل وكلما يلذعه بالنار يرفع رجله حتى صارت ارجله جميعا فوق النحاس ولم يبق الا فمه فلذعه فرفعها وصار كله على النحاس فرفعه الى بعيد وتحايل على شاشة الراس وهي غطاء المخ حتى ردها الى مكانها وارجع الجلد كما كان ووضع عليها دهانات يعرفها فالتحم بقدرة الله عز وجل .

ذكرت ارباب السير وكل راو معتبر ان هذا الداء لم يمكن احدا ان يفعل مثل هذه الفعلة في علاجه الا ان يكون لقمان لان الله اعطاه الحكمة لمثل هذه وغيرها ففتح الراس باجتهاده وشق عظم الراس من صناعته ، وكذلك الاستاذ عبد القدوس فانه شق الراس وكشف عنها الغطاء الهاما من الله وكرامة للاستاذ ، واما الحقيقة فان جمجمة الراس التي فيها المخ متصلة بالاصداع قطعة واحدة لم يكن بينها انفصال مطلقا ومن ادعى انها تنفصل فقد كذب واقبح ما يكون الكذب .

وبعد ما انتهى عبد القدوس من عملية الراس اعطى ابو الجود شيئا في انفه فعطس ووجد نفسه في غاية الصحة فأكرم الشيخ عبد القدوس والملك سيف وقال : انا نذرت لكل من ابراني ان يأخذ المرآة ، ولكن اخاف من رومان ان علم بقصتي فيلومني على ذلك .

وكان رومان قد جعل ابا الجود حارسا على تلك المرآة لعلمه انها تبطل عملية المرآة التي عنده ، وكان ابو الجود صمم في نفسه على ان يستغفل الاستاذ والملك سيف ويقتلهم ، ولكن الاستاذ فهم مضمونه فصبر عليه الى ان هجم الظلام فصار يتناوم قدامه ففرح ابو الجود وصمم على ذبحهم ، فقال له الاستاذ : يا ابا الجود ما تقول في عبادة الله الملك المعبود الذي اخرجنا من العدم الى الوجود عند ذلك اراد ابو الجود ان يصيح على خدم الكنز فضربه الملك سيف آصف فأطاح راسه فالتفت الاستاذ الى خدم الكنز وقال لهم : اخرجوا هذا الكافر من الكنز فان الله تعالى قد اراحكم من خدمة رومان وعن قريب يشرب شرب الهوان .

فقالوا له : اراحك الله كما ارحتنا ، ثم حملوا الجثة الى خارج الكنز ، واشار الشيخ عبد القدوس الى المهالك فأبطلها ودخل معه الملك سيف الى الكنز وقال للملك سيف : هذه المرآة خذها ، ففرح الملك سيف وتأمل في المرآة واذا هي ثلاثمائة وستون قطعة فقال للاستاذ : يا سيدي هذه المرآة بماذا أرفعها ؟ فقال : واين خدامك ؟ فقال : ما عندي احد منهم ، فقال له : يا ملك انت ناسي خادمك اويس القافي اما لوحه على ذراعك ؟ فقال له : صدقت ، واخرج اللوح وفركه واذا بأويس القافي اقبل عليهم يقول : نعم يا اويس احضر الجان حتى يخرجوا هذه المرآة من هذا المكان ، فقال : سمعا وطاعة ثم غاب وعاد ومعه الجان فقال لهم عبد القدوس : قصدي هذه المرآة تخرج من هنا قبل بزوغ الفجر والا هلكنا جميعا في هذا الكنز .

وأما عفاشة ، فانه كان مراقبا للملك سيف فأقسم على يده ان تشيل المرآة جميعها في مرة واحدة وسار بها عفاشة ونصبها مقابل مرايـة الهندوان واتى من خلفها ونام .

ولما كان الصباح وارتفعت الشمس صارت الهندوان ترمي النار وصارت المرآة الاخرى ترمي عليها ثلجا لانها مصنوعة لضدها حتى اذاوا بعضهما وصاروا عادمين واللعين رومان لا يبالي بشيء من ذلك ؛ ولما فرغت المرايات امر الملك سيف ان يدخل الى الفج الاعظم واذا بالكهين برز اليهم وصاح بالملك سيف لا تظن ان هذه المرآة ما عندي غيرها ، ثم اومأ بيده الى الجبال فجعلت ترمي النيران من كل مكان ، فلما راى الملك سيف ذلك خاف خوفا شديدا فقال له عبد القدوس : لا تخف يا ولدي على الرجال فاني قد حفظتهم بأسماء الله الحسنى ، واني اخبرك انك منصور على ذلك اللعين ، ولكن يا ولدي ان هذا اليوم هو اخر ايامي من الدنيا فدعني ابرز الى الميدان واكسب الشهادة واموت على الايمان ثم ان الاستاذ تودع من الملك سيف ونزل الى الميدان والملك سيف يبكي على فراقه ولما توسط الميدان استقبله اللعين رومان ببندقة في صدره خرجت من ظهره فوقع وهو يقول :

اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان ابراهيم خليل الله وعجل الله بروحه الى الجنـــة .

هذا وقد بطل القتال في ذلك اليوم ، واللعين رومان ازداد كفرا وصاح يا ملك سيف انا كنت امهلتك اربعة اشهر وقد مضت وانتم ما رجعتم الى بلادكم ، والان امهلكم اربعة اشهر اخرى حتى انظر حالكم ثم تركهم وعاد ودخل الفج الاعظم ، واقام على تلك الحال شهرين كاملين والملك بسيف قد ضاق صدره وعيل صبره وصار يبكي على عبد القدوس ويرثيه هذا وان اللعين رومان بعد مضي المهلة اتى الى الميدان وهو راكب على سريره ونادى: يا ملك سيف ، انا قتلت الحكماء والكهان الذين كنت تدخرهم لمثل ذلك الاوان ولا تعلم بأن هلاكهم على يدي فلأي شيء تخاف فما هذه صفـــات الملوك ، فان كنت تدعي الفروسية فدونك والميدان ، ولا تحتج بأني احاربك بعلوم الاقلام وحق ديني ما احاربك الا بالرمح والحسام ، فابرز لي ان كنت من الملوك الكرام . فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام رآه اشد من ضرب الحسام فبرز الى حومة الميدان ولما صار امام اللعين رومان جرد سيف آصف وهجم عليه فصار رومان يضحك وبينما هم كذلك واذا بقعقعة نزلت عليهم وكان هذا عفاشة فلما رآه الملعون خاف منه وصاح بملء راسه: سد بيني وبينك والملك يقع في الارض السوداء وأما بيده اليهما فضرب بينهما سد من الحجر الاسود والملك سيف انخطف ووقع في الارض السوداء وكان هذا من لطف الله تعالى بالملك سيف ، ونظر عفاشة الى ذلك السد فأقسم على يده ان تخرقه فخرقته ثم قال الكهين : سبعة اسوار بينـــي وبينك فقال عفاشة : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ولكن لك وقت اخر يا لعين .

واما الملك سيف فما أفاق على نفسه الا وهو في الارض السوداء فقال: انا لله وانا اليه راجعون الامر لك من قبل ومن بعد وبينما هو كذلك واذ قد لاح له غلام راكب على سرير من نحاس فأتى الى الملك سيف واشار عليه ان يطلع معه على السرير ، فطلع الملك سيف وقال له : من انت ؟ فقال الغلام : ما هذا وقت كلام .

ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى قصر عال عظيم البنيان ومشيد الاركان فنادى الغلام : يا ستي طرفة ، فقالت له : لبيك ، فتأملها الملك سيف واذا بها صبية كأنها حورية من حواري الجنة ، فأقبلت وقالت للغلام: اتيت بالملك سيف ؟ قال : نعم . فقالت له : امض الى المكان الذي عرفتك بل واعطه السيف المعهود به ، فقال الغلام : السمع والطاعة ، ثم اشار الى السرير فسار بهما الى ان انتهوا الى مكان فسيح ، فقال الغلام : انظر ماذا ترى قدامك ؛ قال : ارى صخرة مدورة ، فقال له : انزل هاهنا فنزلوا

وساروا الى الصخرة فقال الغلام : ارفع هذه الصخرة فتقدم الملك سيف ورفعها لانه كان قليل المخالفة فبان له من تحتها درج فاراد ان ينزل فصاح به الغلام لا تنزل فتهلك فلما سمع الملك سيف ذلك تاخر الى ورائه وتقدم ذلك الغلام وقال له : اتبعني فنزل واياه الى قاعة مفروشة بالحرير وفي وسط القاعة فسقية وعلى جانب الفسقية عامود معلق عليه قراب سيف ، فقال الغلام : خذ هذا واتبعني . فتعجب الملك سيف وقال : يا ولدي كل هذا التعب من اجل هذا القراب ؟ فقال له الغلام : سوف تتبين لك الامور يا ملك الزمان وساروا الى اخر الطريق فراوا عمودا ثانيا ومعلق عليه سيف فقال الغلام : تقدم وخذ هذا السيف فأخذه ووضعه في القراب وركب مع الغلام على السرير وسار بهم حتى اوصلهم الى القصر فنادى الغلام : يا طرفة فقالت لبيك هل قضيتم الحاجة ؟ فقال لها : نعم ، ففرحت البنت فرحا شديدا وقالت : يا سقراق خذ سيدك الملك سيف واطلع به الـى القصر واجلسه بجانبه واقبلت طرفة وجلست معهم يتحدثون فما استقر بهم الجلوس حتى انسد عليهم باب القصر بالكهين رومان ، فلما نظرهم على هذه الحالة قال لهم : الان ما بقي لكما خلاص من يدي واراد ان يتكلم فتلجلج لسانه وانعجم ، واخذته الدهشة بقدرة الله تعالى ، وبركة الاستـاذ فصاحت طرفة قائلة : اضربه يا ملك بهذا الحسام فأراد الملك ان يجـرد الحسام الذي لاصف فقالت له : ما هو هذا فانه لا يقتل بهذا ابدا فعليك بالحسام المرصود الذي اتيت به من الهايشة فاستيقظ الملك سيف وجرد الحسام المذكور واذا باللعين نظر اليه فعرفه انه هو المرصود لقتله فغلب عقله وقال : يا ملك الزمان لا تسمع كلام هذه العاهرة ، فقالت طرفة : اضربه يا ملك ولا تسمع كلامه قبل ان يخطر علينا منه بلية لانه سعى الى حتفه ، فبعد ذلك ضربه الملك سيف بالحسام فوقعت الضربة في وسط راسه فشقه نصفين ، فلما رات طرفة اباها قد قتل فرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد .

ولما انتهى الملك سيف من هذه الاشغـال طلب الحكيمين سقرديس وسقرديون فلم يجدوا لهما اثر ، وكان السبب في هربهما هو عفاشة لما يعلم ان فتح هذه الاقاليم كان بسببهما فسأل الدمرياط عمن اطلقهم فقال له : اعلم ان الذي يحمي هؤلاء الملاعين هو عفاشة فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام امر اويس القافي ان ياتي بعفاشة فقال : سمعا وطاعة ، وفرك الخاتم فحضر عفاشة فلما رآه الملك سيف قال له : لاي شيء كلما نقبض على اعدائنا تطلقهم ؟ فقال عفاشة : يا ملك هذه هي فوائد من الكفرة اللئام وأنا دائما ماسك ذلك الخلاف حتى تفتح البلاد الى حد سابع قلة من قلل قاف وتخطب لي دنهشة من ابيها وتعمل لي فرح مثل الفرح الذي عملته لابي

عيروض لانني هكذا تمنيت عليك ، فقال الملك سيف : صدقت ولكن هل يجوز ان تفنى تلك الامم بسببك وسبب عروستك فقال له عفاشة : يا ملك الزمان هذا بقضاء الله وقدره ، ولو كانوا في اماكنهم لماتوا من يد الاعداء، فقال الملك سيف : كان الذي كان ثم التفت الى اولاده مصر ونصر وقال لهم : احضروا خدامكم ليوصلوا القتلى الى اهلهم ومعهم ما يستحقونه من الغنائم .

ثم ان الملك سيف قسم الغنائم وانقضت تلك الاشغال وكان من جملة من استشهد الحكماء فسار عفاشة الى مصر ليعزي اهلهم وعند دخوله الى مصر وجدها قاعا صفصفا ينعق فيها البوم ولم يجد احد فاندهش وانذهل وصار يدور تارة في القلعة وتارة في المدينة وهو حائر وعند المساء اراد ان يبيت في القلعة فأقبل الى قصر الملك سيف وبكى بكاء مرا ، وبينما هو كذلك اذ بباب القصر قد انفتح وقائل يقول : انت عفاشة ؟

قال : نعم . وتأمل المتكلمة فاذا هي شامة بنت الملك افراح فلما رآها فاذا هي لابسة ثياب الحزن فسألته عن اخبار الملك سيف وولده دمر وعن جميع من معه ؟ فقال لها : يا سيدتي كلهم بخير وعافية وقد فتحوا بلاد الكفرة اللئام وعن قريب يكونون هنا بسلام .

فقالت : الحمد لله لعل الملك يأتي الينا ويدركنا ؟ فقال عفاشة : لماذا يا ستاه اعلميني وروحي لك الفدا .

فقالت : الناس مختفون في بيوتهم وقد هلكوا من الجوع والعطش وكل من خرج من بيته يأخذه الرجم بالاحجار ، فقال عفاشة : يا ستاه ومن الذي يفعل هذه الفعال ؟ فقالت : لا اعلم فعد الى الملك واعلمه بما رايت ، فقال : والله لا ابرح من هذه الديار حتى اعرف الغريم وانزل به الدمار، ثم قال ليده : اقسمت عليك بالنقش الرباني ان تدليني على ذلك الغريم، فما اتم كلامه حتى جذبته يده وانزلته في مكان خرب أقفر شاسع ، فسأل يده ان تحضر له الذي فعل هذه الافعال ، فاذا بعجوز شمطاء كريهة الرائحة فلما نظر عفاشة الى تلك العجوز فقال : اعوذ بالله ربّ الفلق من شر ما خلق الله اني اعوذ بك من هذا الجنس ، ثم التفت اليها وقال لها : من انت يا عجوز السوء ؟ فقالت : انا فستقة ، فقال : ومن سماك فستقة وما انت الا صخرة من جبل اذيته لاهل الارض ، وانت التي فعلت هذه الافعال ، وما ذنب المؤمنين يا بنت الانذال ؟ فقالت له : وانت من تكون حتى تخاطبني بكلام الجنون ، انهم قتلوا اخي ، وها اتيت لاخذ له بالثار ، ثم ان العجوز صارت ترمي على عفاشة ابوابامن كهانتها وهو لا يعتني بفعلها لان الله حافظه منها ، فقال ليده كوني حساما واضربي هذه العجوز بنت اللئام، فما شعرت العجوز الا وراسها عن بدنها طار ، وعاد فأعلم الملكة شامة بالامر

فخرج الناس الى اشغالهم وعادت المياه لمجاريها .

ثم ان عفاشة صعد في الجو الاعلى حتى وصل الى الفج الاعظم ودخل على الملك سيف وقال : يا سيدي الناس كلها وصلت الى اهلها ، فقال له الملك سيف : وما رايت في مصر ، وكيف حريمنا واولادنا ؟ فقال عفاشة : في ارغد عيش يا ملك الزمان .

ثم ان الملك سيف احصى عدد الجيوش التي تحت طاعته فكان سبعة وثلاثون ملكا وثلاثة وثمانين سلطان فعند ذلك قال الملك سيف : كل من كان معنا من الملوك فلا يتأخر ولا يتقدم عن عسكره فقالوا سمعا وطاعة وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى اول قلة من قلل قاف فراوا اهلها طائعين، وكان السبب في ذلك عفاشة فانه سبق الناس ونزل على ملك تلك القلة وجلس على صدره واقسم على يده انها تثقله فصارت كأنها جبل ففتح عينيه وقال : انت يا اخي من تكون ؟ فقال : انا عفاشة اتيت اعرض عليك الايمان بالله تعالى فماذا تقول ؟ فعلم الملك ان من اعرض عن الايمان فهو هالك فآمن مع اهل البلد جميعها فقال عفاشة : خذ اهبتك انت وقومك ولاقي الملك سيف فانه قادم عليكم ، وكان اهل قلل قاف سمعوا بأخبار عفاشة قبل وجوده من الحكيم الدهقان فلما عرفوا ذلك آمنوا على يده وقابلوا الملك سيف وهللوا وكبروا فنزل الملك سيف وهو فرحان فسلمت عليه الرجال واقاموا ثلاثة ايام ثم امر بالرحيل طالبا القلة الثانية وطلب الحكماء من ملك البلد هوار فقال له يا ملك الزمان انهم في القلة الثانية وكان عفاشة قد خلصهم كما يفعل كل مرة ، فسار الملك سيف بالعساكر الى القلة الثانية وكان عفاشة سبقه وفعل كما فعل بالقلة الاولى وهكذا حتى انتهى الى القلة السابعة فنزل عفاشة على ملكها واسمه المتوج وفعل معه كما فعل بغيره وامره ان يركب ويلاقي الملك سيف فقال : سمعا وطاعة .

ولما اقبلت عساكر الملك سيف كان اويس القافي في اوائل العسكر فشم رائحة رصد فوقف وامر العسكر ان تنزل ونزل هو ايضا ونصب صيوان العجائب على قدر ما ترمي النار ، ولما وصل الملك سيف تقدم اليه اويس القافي واعلمه انه يوجد رصد وهو عبارة عن جبال ترمي النار ، فقال الملك سيف : علي بالحكماء ، فحضرت الحكيمة رحمة وبقية الحكماء فقال لهم : اما تنظرون هذا الرصد الذي بين ايدينا ؟ فسكتوا جميعهم ولم يتكلم احد منهم بحرف فتقدم الدمرياط وقال : يا جدي ان هذا الرصد لا يقدر احد على ابطاله الا عفاشة ، فطلب عفاشة ولما حضر امره ان يبطل تلك الارصاد فقال : يا ملك الزمان الارصاد بطلت فطلع الملك سيف الى القاعة التي في القلة السابعة في موكب عظيم يتفرج عليه الانس والجان ثم امر

الملك سيف ان ينصب صيوان العجائب في القلة السابعة فانتصب ودارت فيه آلات الطرب والمآكل الشهية فنظر الملك المتوج الى الملك سيف وهو في صيوان العجائب فقال في نفسه : انني ما رايت ولا سمعت بمثل هذه الافعال الا لنبي الله سليمان سبحان من يعطي من يشاء .

واما عفاشة فانه ترك الملك سيف في مجلسه فالتفت الى اسبانير وقال: احضر لي ذينك الحكيمين سقرديس وسقرديون فغاب وعاد بهما فلما احضرهما نظر عفاشة اليهما وبصق في وجهيهما وقال لهما : يا ملاعين لقد تعبت وانا انقلكما من مكان الى مكان حتى علم الملك سيف بأمركما وعاتبني على ذلك كل هذا وانتم تشتماني ولم تفكروا في نجاتكما على يدي ثم انه اخرج السنتهما وقطعها بيده وقال لاسبانير : خذهما عندك حتى تقضي اشغالنا واطلبهما منك .

فقال : السمع والطاعة واخذهما ومنع عنهما الاكل والشرب حتى انه كان يعطي الواحد منهم جانبا من التمر واللبن وانزل الله عليهما العذاب .

واما عفاشة فانه دخل على الملك سيف فتلقاه واكرمه وقال له : يا عفاشة ها انت قد بلغت مرادك وانا احمد الله الذي هدى على يدي تلك الامم الكثيرة ، فقال : يا ملك الزمان ان الذين اطاعوك اكثر من الذين قتلوا، فقال سيف : يا عفاشة مضى ما مضى ، فاخطب دنهشة من ابيها ودعنا نعمل الافراح ونعود الى مكاننا . فقال : يا مولاي هذا لا يكون الا بعد تمام الاشغال ، فقال الملك : وما هذه الاشغال ؟ قال : مرادي ان تفتح باقي القلل التي ههنا وهي اربعون قلة خلاف هذه السبعة التي فتحت ، فقال الملك سيف : لقد قلت الصواب يا عفاشة ، فقال : وانا من بعد زواجي سأكون ملكا على هذا الجبل .

فعند ذلك امر الملك سيف رجاله ان يستعدوا للرحيل بعد ثلاثة ايام ولما كان اليوم الرابع رحل الملك سيف مع رجاله وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى اول قلعة من الاربعين وارادوا ان ينزلوا على اهلها واذا بأهلها طالعين عليهم بالتهليل والتكبير وملك القلة امام الجميع وهو حامل علما اخضر فلما رآه الملك سيف فرح بذلك وتقدم ملك القلة وقبل الارض بين يدي الملك سيف فسأله الملك سيف عن سبب ايمانه فقال له : انني كنت نائما فانتبهت فرايت عفاشة باركا على صدري كأنه الجمل فقلت له : من انت ؟ فقال : انا عفاشة اتيت اليك لاعرض عليك الايمان فان آمنت فهو المراد وان ابيت ما امامك سوى الموت الزؤام فالهمني الله ونطقت بالشهادة فقال لي : قم على رجليك وخذ كل من تبعك من اهل الايمان وقابل الملك سيف ، فناديت رجالي وامرتهم بالخروج الى لقائك وهذه قصتنا . ففرح الملك سيف بذلك وامر عسكره بالنزول ونصب اويس القافي صيوان

العجائب ونزل الناس للمأكل والمشرب مدة ثلاثة ايام وطلب الملك الرحيل بعد ثلاثة ايام وهكذا صار الملك سيف يرحل من قلعة الى قلعة حتى انتهى الى القلعة الاربعين وكان يحكمها الملك الدهقان من قبل وصول الملك سيف اليه فلما عرض على الملك سيف بايمانه فرح فرحا شديدا ثم قال : يا دهقان ، يا حكيم الزمان ، انا طالت غيبتي فهل بقي شيئا امامي يمنعني عن ارادتي ؟ فقال الدهقان : وما الذي انت طالبه ؟ فقال له : انا قصدي ان اطهر الارض من الكافرين حتى يؤمن الجميع برب العالمين وبعد ذلك اسلطن عفاشة على ملوك الجان وازوجه دنهشة واعمل له الافراح كما هو راغب ، فقال له الحكيم الدهقان : يا ملك الزمان لا تهتم لشيء ابدا فروحي لك الفدا .

ثم ان الحكيم الدهقان كتب الكتب من وقته وبساعته الى ملوك قاف يأمرهم بالحضور الى عنده من غير خلاف وكل من تأخر لا بد له من التلاف ومن جملة ما ارسل الى الملك القافض يقول له: حال حضور كتابي هذا اليك فلا يكون لك جواب الا حضورك الى عندنا انت ومن تحكم عليه لاني قد اتاني ضيوف يجب علينا اكرامهم ، فصارت تأتي الملوك والقبائل والحكيم يستقبلهم ويقدم لهم العلوفات ثم وردت عليه الاخبار بقدوم القافض فركبت جميع ملوك الجان وجميع الحكماء والكهان واستقبلوه من ابعد مكان ولما وقعت العين على العين ترجلوا اليه وسلموا عليه وادخلوه الى الديوان وهم خاضعون له كالغلمان ولما فرغوا من السلام امر الدهقان بمد السماط فامتد السماط بين الرجال واكل منه الخاص والعام وبعد ان انتهوا من الطعام التفت الملك سيف الى عفاشة فلم يجده فقال له القافض : مالي اراك تتلفت يا ملك الزمان ؟ فقال : ما انا ناظر عفاشة حاضرا في هذا المكان ، فقال : لا يصعب عليك فقد قتلته لانه اتاني ونزل علي بقعقعة عظيمة ، وقد ظن انني مثل من معي من الملوك والحكماء فقبضت عليه ووضعت الاكرة في فمه وضربته بالحسام اطرت منه الهام .

فلما سمع الملك سيف ذلك الكلام وقف قائما واسودت الدنيا في وجهه ووضع يده على الحسام وهجم على القافض بقوة واهتمام وقال له: يا كلب الجان تقتل رجلا عالي القدر والشان ، وهو ركن منيع لحزب الايمان ، فتبسم القافض وقال : لا بأس عليك يا ملك الزمان ليهدأ روعك وانا اعلمك ، فقال الملك سيف : باي شيء تعلمني والله ان كنت قتلت عفاشة فما اقبل عوضه الا راسك فلو تنقلب تلك الجبال من انس الى جان . فتقدم اليه القافض وقال : مثلك من يحمي خادمه ، انا تابعك عفاشة فاغمد سيفك وكن في فرح وبشاشة ، وان كنت لم تثق بهذا الكلام فهذي يدي، فتأمل سيف الى صدره فراى يده فعرفها واطمأن خاطره .

فقال له : ما هذه الفعال يا عفاشة ؟ فقال له : لا بد لذلك من سبب ، وكان الحكيم الدهقان من حين دخل عفاشة علم به في سره ولكنه كتم هذا خوفا من اثارة الفتن ، وما فعل عفاشة ذلك الا على سبيل المزاح بين يدي الملك سيف ليزيل عنه بعض ما يجده من الم الغربة مع انه يعلم ان حاله لا يخفى على الحكيم الدهقان .

وكان السبب في ذلك هو ان الحكيم الدهقان لما آمن كان عفاشة حاضرا ولكن اخفى نفسه وسمع الدهقان يقول : ان عفاشة لا بد له ان يصير ملكا على الجان ففرح وسار طالبا الملك القافض ، وكان الدهقان عمل له ارصاد فلما اقبل عفاشة وراى تلك الارصاد فما امكنه الدخول عليه ولا عرف له مسلكا للوصول اليه ، وكان للقافض جارية يدخل عليها كل شهر مرة واحدة وكان بينه وبينها اشارات خاصة ، فلما اتى عفاشة واحتار في امره فما كان له الا ان سأل عمار الارض الى اي محل يأوي القافض فقالوا له : ما له مأوى الا تلك الجارية ، فدخل عليها واخذها وسلمها الى اسبانير وتصور بصفاتها وقد استعلم منها عن جميع الاشارات وجلس مكانها واذا بالقافض داخل عليه وهو يظن انها جاريته ، فلما جلس صار عفاشة ينقل ما في اليمين ويجعله في اليسار والذي في اليسار يجعله في اليمين ، ثم ان الملك القافض جلس على كرسي من الذهب الاحمر فنهض عفاشة وهو يأخذ منه رصد بعد رصد حتى اعطاه جميع الارصاد التي كانت معه والقافض يظن انها جاريته ، واما عفاشة فانه بعد ما اخذ منه الارصاد اقسم على يده ان تصير حبلا وتلف على رقبته وتجره الى عنده وكان عفاشة تأخر عنه واذا بالحبل يلف على عنقه وجذبه فصار بجانب عفاشة وهو على صفة الجارية ، فقال القافض : ويلك يا خائنة ، ما هذه الفعال ؟ فقال له عفاشة : ومن هي الخائنة يا ملعون ؟

فلما سمع ذلك القافض قال له : من انت ؟ فقال : انا عفاشة ابن عيروض ابو يد ما بقي لك خلاص الا بكلمة الاخلاص ، فلما سمع القافض ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام ، اما عفاشة فانه اقسم على يده ان تكون حسام وتضرب رقبة القافض ففعلت يده كما أمرها واطارت رأس القافض ، وتزيا عفاشة في صفتيه وبات تلك الليلة وهو فرحان .

وفي اليوم الثاني امر الحكيم الدهقان باحضار جميع الملوك بين يديه فحضروا فقال لهم : اعلموا يا معشر السادات ان الملك القافض مات وانقضى زمانه وفات ، واما هذا الملك الجالس على كرسي المملكة هو عفاشة صاحب اليد الطائلة وهو موعود بالسلطنة عليكم وهذا بقدرة الله الملك الديان فما انتم قائلون ؟

فلما سمعت الملوك ذلك الكلام قال بعض الرؤوس منهم : اعلم يا حكيم

انتا لامرك طائعين ولكن ما نرضى بملك يحكم علينا الا اذا كان متوج الراس فقال الحكيم : هذا شيء هين ، عندنا الملك سيف يتوجه بتاج عظيم ، فقالوا له : يا حكيم الزمان اعلم ان الملك سيف هو انسي ونحن كلنا جان ولا نرضى الا ان يتوجه مثلنا من ملوك الجان . فقال : ومن الذي تريدونه ان يتوجه يا اخوان ؟ فقالوا : نحن لا نريد ان يتوجه الا الملك كيهوب خادم كنوز نبي الله سليمان عليه السلام .

وكان كيهوب هذا يحب الملك القافض ، وما تكلموا بهذا الكلام الا وقصدهم ابطال هذا المرام ، فلما سمع الحكيم الدهقان ذلك الكلام قال لهم : هذا امر قريب وان شاء الله سأحضره لكم ويتوجه بيده ويزيل هذه الكروب ، ثم انه امر ان يكتب كتاب الى كيهوب يقول فيه :

نعلمك ايها الملك كيهوب انه قد عرض لنا عندك حاجة ونروم منـــك قضاءها والقصد حضورك عندنا حتى تقضيها لنا ويبقى لك الجميل علينا .

ثم ان الدهقان احضر ماردا وقال له : توصل هذا الكتاب الى كيهوب فما اعد لك من الايام ؟ فقال له : اربعة اعوام تمام ، فاغتاظ الملك سيف وقال للحكيم : اتأذن لي ان اقتل هذا اللئيم ؟ فقال : اتركه يا اخي ، وطلب غيره وسأله فقال : امضي واعود في سنتين ، فتقدم عفاشة وقال لهم : انا اروح وارجع في يوم واحد ، فقال ملوك الجان : وان لم تفعل ذلك يـــا عفاشة ؟ فقال : ان لم افعل ذلك فلا يكون لي حق بالسلطنة ابدا ، فقالوا: رضينا بذلك ، وباتوا تلك الليلة يتحدثون في شأن هذا الامر .

ولما اصبح الله بالصباح اقبل عفاشة وصبح على الملك سيف والحكيم الدهقان فقال له الملك سيف : سر يا عفاشة الى ما عزمت عليه ، فقـــال عفاشة :

ان شاء الله وقت الظهر اسير وعند الظهر تودع منهم واخذ الكتاب وخرج من الديوان وصعد الى الجو الاعلى واقسم على يده ان توصله الى الكنوز سريعا ثم قفز ثلاث قفزات ونزل بأمر الله عند الكنوز فلما وصل هناك صاح ملء راسه : نجاب وحامل كتاب ، فأخذه الجان وقدموه بين يدي الملك كيهوب فاقل له : من اين ؟ فقال له : من عند الحكيم الدهقان فأخذ الكتاب وفضه وفهم رموزه ومعناه ، ونظر في تاريخ الكتاب واذا به مكتوب في ذلك اليوم فتعجب كيهوب من ذلك الحال وقال له : متى طلعت من جبال قاف ؟ قال : في ذلك اليوم ، فزاد عجبه وقال له : ما اسمك ؟ قال : عفاشة الجان ابو يد ، فسكت كيهوب وكتب له رد الجواب .

فأخذه وصعد الى الجو الاعلى واقسم على يده ان تنزله سريعا على جبل قاف فأنزلته هناك فسار حتى دخل الديوان فرآه مملوء بالرجال من الانس فلما رآه الملك سيف ظن انه للان ما توجه فصاح عليه : ويلك يـــا

عفاشة لاي شيء تأخرت عن المسير الى كيهوب ؟ فقال عفاشة : يا ملك الزمان انا وصلت الكتاب واتيت منه برد الجواب ، ثم ناول الملك سيف رد الجواب والحكيم الدهقان جالس معه فاخذ الحكيم الدهقان الكتاب وقراه على رؤوس الاشهاد ونظر الى تاريخه فرآه في نفس اليوم ، فقال له الدهقان : كانك يا عفاشة في يومك هذا وصلت الى الكنوز ورجعت ، فقال ملوك الجان ان هذا التاريخ ما له صحة ابدا ولو كان في الهواء طائرا ما كان يصل الكنوز في شهر كامل ولكن هذا الكتاب يقول ان كيهوب قادم علينا بعد عشرة ايام لذا ننتظر قدومه ثم انهم صبروا مدة عشرة ايام وعند المساء من اليوم العاشر جاءت الاخبار بقدوم الملك كيهوب وانه وصل الى مدرجات جبال قاف .

فلما سمعت الملوك ذلك اندهشت عقولهم ونهض الحكيم الدهقان وركبت معه الملوك وما خرجوا الا وهو مقبل مثل السحاب فترجلوا وسلموا عليه ودخل الديوان في موكب عظيم الشأن .

وجلس الملوك في مراتبها وجلس كيهوب بجانب الحكيم الدهقان فالتفت كيهوب يمنة ويسرة وقال : اين الملك القافض ؟ فقال الحكيم الدهقان : ان القافض توفاه الله ومات ، سبحان الحي الذي لا يموت ، فقال كيهوب : يا حسرتاه على صاحبنا القديم ، ثم انه بكى بكاء شديدا فقال له الدهقان : يا ملك كيهوب دعنا من البكاء الان ولدينا شغل أهم ، فقال كيهوب : وما هو؟ قال الدهقان : المراد منك ان تتوج لنا عفاشة لانه هو موعود بذلك البرهان ويكون عوضا عن القافض ، ولم يكن في الملوك اكبر منك حتى يتوجه والملوك اختاروك ، وعفاشة يستاهل السلطنة بأفعاله الحسنة واقل ما يكون مسيره من ههنا الى الكنوز وعودته في يوم واحد ، فاكراما لي يا كيهوب توجه ، فاستحى كيهوب من الدهقان فقال : السمع والطاعة يا حكيم الزمان ، والتفت الى الرجال وقال لهم : اعصبوا عينيه وادخلوه قاعة التيجان ، فالبسه كيهوب تاجا وقال له : البس التاج ، اجلس بطل ، قم بطل ، اجلس سلطان ، قم سلطان ، اجلس حاكم ، قم حاكم ، اجلس ملك ، وانت ملك وسلطان وحاكم على جميع الجان من عند قلعة قاف الى كنوز الملك سليمان وكذلك الاركان الخربة والعمران وما انتهى كيهوب من كلامه الا وقام مارد من ملوك الجان وهو من حزب القافض وقال : يا ملوك الجان اعلموا ان عفاشة فعل فعلا كما تعلموه ، وطلب السلطنة منكم فضيتم به واما انا فلا ارضى بذلك ولا أكون مع اهل النفاق ، وانما اذا كان يشيل الصخرة التي اقتلعها عوج ابن عنقة وينقلها من مكان الى مكان فانه يستحق السلافنة وان لم يفعل ذلك فانه ما له سلطنة علينا ولا نرضاه ان يكون

سلطانا علينا ابدا . فقال عفاشة : وحق من صور الانسان من صلصال ، وخلق الجان من مارج من نار ، لا اقبل ان اجلس ملكا على الجان حتى ارفع هذه الصخرة وادور بها اربعة اركان الميدان ، ثم نهض على الاقدام وما زال سائرا الى ان وصل الى الصخرة ونظر اليها واذا هي على الارض مثل الجبل ، فوضع يده المرصودة عليها وقال : اقسمت عليك بتلـــــك الطلاسم ان تحملي معي هذه الصخرة الثقيلة الجامدة حتى ادور بها في تلك الاماكن والطرقات ليشاهدها جميع الانس والجان بحق من بقدرته سير السحاب ، ربنا فالق الحب والنوى وهو الله الذي لا اله الا هو على العرش استوى . ثم انه هز تلك الصخرة فانقلعت من الارض وارتفعت بقدرة الله وبركاته ، فاحتملها وسار بها حتى وصل قدام الملك سيـــف والحكيم الدهقان ودار بها اربعة اركان الميدان ، وبعد ذلك دب برجليه الى الارض وارتفع الى الجو الاعلى وهو حامل تلك الصخرة حتى صار فوق رؤوسهم اجمعين ، فقال لهم : يا ملوك الزمان اعلموا ان قصدي ان اكون سلطانا على جميع ملوك الجان ، وها انا قصدي ان القي هذه الصخـــرة عليكم اذا لم تكونوا بسلطنتي راضين فأسرعوا برد الجواب اجمعين ، فقالوا جميعا : تستاهل يا ملك عفاشة ان تكون ملكا وسلطانا ونحن رضينا ان تكون ملكا وسلطانا علينا ونكون انصارك واعوانك .

فعند ذلك سار الى البحر المالح ورمى الصخرة فيه والناس ينظرون اليه ثم عاد عفاشة الى الديوان فأمر الحكيم الدهقان بدق الطبول وضجت جبال قاف من جميع الجهات وقد كبر عفاشة في اعينهم وعلموا ان ما احد يقدر ان يفعل فعله ، فقال الدهقان : قوموا اليه وانتم خاضعون ، فقاموا اليه واجلسوه على الكرسي ووقفوا بين يديه فخلع عليهم الخلع وامرهم بالاحسان وبعد ذلك عمل لهم ديوانا وكان يوما عظيما حضرت فيه الانس والجان وبالجملة حضر الملك ديهشور لاجل اتمام الامور .

ولما تكامل الديوان قام عفاشة على قدميه وتقدم الى الملك ديهشـــــور ومدحه واثنى عليه وقال له : اعلم ايها الملك السعيد اني قد اتيتك خاطبا وفي ابنتك راغبا واني سائق عليك كل من حضر في هذا المكان من الانس والجـــان .

فلما سمع الملك ديهشور ذلك الكلام قام على قدميه وقال لعفاشة : ايها الملك السعيد انا قد اجبتك الى ما تريد وابنتي لك امة من جملة العبيد ، غير اني اريد ان اشاور ابنتي فلا تؤاخذني في كل قصدي وارادتي ، فقال له : ادخل لابنتك واسألها ، فقام ديهشور قاصدا ابنته .

وكان للملك القافض وكيلا على ملكه فلما سمع ما دار بين عفاشة والملك

ديهشور اغتاظ من هذه الامور فقام ومشى حتى وصل الى الملكة دنهشة وقال لها : اعلمي ايتها الملكة ان عفاشة ابو يد ملك الجان قد خطبك اليوم من ابيك والراي عندي اذا سالك ابوك في الزواج ان تجيبيه من غير حجة ولا لجاج اطلبي منه اللوح الزمرد الذي في كنز الكهين سوان حتى تفتخري بذلك على جميع بنات الجان .

هذا ولما دخل عليها ابوها وخاطبها في امر الزواج قالت له : السمع والطاعة لك يا ابي انما اريد منه مهرا مشهورا يكون لي فيه الافتخار ، فقال لها ابوها : وما الذي تريدينه ؟ قالت : اللوح الزمرد ، فلما سمع ابوها هذا الكلام ضاقت عليه الاحكام ثم انه تركها وخرج من عندها وقد ايقن لنفسه بالهلاك والاعدام حتى وصل الى الديوان فسأله عفاشة على ما فعل فقال: يا ملك سألتك بالله العظيم ان تقبل عذري وقم انت وانا اسير في خدمتك واخطبها انت من نفسها لاني خاطبتها في هذا المرام فما ردت لي كلام . فقال الدهقان : قم يا عفاشة اليها واخطبها امام ابيها ، فقام عفاشة من الديوان وهو بذلك الامر فرحان حتى وصل الى باب المكان فأحضر له الملك ديهشور كرسيا من الفضة واجلسه عليه ثم قال لابنته : يا دنهشة اعلمي ان هذا عفاشة ملك ملوك الجان الذي نحن له خدم واعوان وقد اتاني خاطبا وفي زواجك راغبا فما تقولين ؟

فقالت : يا ابي انا ما سمعت منه خطبته فان كان قولك صحيح فليتكلم هو بنفسه ، فقال لها عفاشة : انا اتيت اليك خاطبا وفي زواجك راغبا فماذا تقولين ؟

فقالت دنهشة : يا ملك الزمان انت الرضا وفوق الرضا ، ولكن انريد ان تتزوجني بغير مهر وصداق ؟ فقال لها : وما تريدين من المهر يا زكية الاخلاق ؟ فقالت : اريد شيئا كبيرا ليس له نظير ، فان قدرت عليه اتزوجك وأبلغك المرام ، وان عجزت عنه يا ابن الكرام ارحل عني بسلام ، فقال عفاشة : وما هو المطلوب لعل الله ان يكون عوني ومساعدي ؟ فقالت له : اطلب ملك اللوح الزمرد الذي في كنز الكهين سولدان ، فقال لها : سمعا وطاعة سوف اسعى في الحصول عليه من هذه الساعة .

وان عفاشة عرف المقصود وعرف ايضا الذي علمها عليه هو شالوخ الملعون المطرود ، ثم تركها وعاد الى الديوان وجلس بين الملوك والاعوان فقالوا له : ماذا طلبت دنهشة من المهر ؟ فقال لهم : انها طلبت مني اللوح الزمرد ، فلما سمع ملوك الجان ذلك صرخوا صرخة كأنها الرعد القاصف وقالوا : يا عفاشة لا تتكلم بهذا الكلام فلا كانت دنهشة ولا ابيها واعلم انه لا يهون علينا الحكيم الدهقان فهو عندنا اعز من الارواح في الابدان .

فقال الحكيم الدهقان : يا ملوك الجان لا تاخذوا على خاطركم واعلموا ان الرزق مقسوم والاجل محتوم وان الدنيا لا تدوم ولا يدوم الا وجه الحي القيوم ، فاجلسوا في اماكنكم ولا تخرجوا عن طاعة ملككم ، فجلسوا على مضض وبعد انفضاض الديوان قال الملك سيف للحكيم الدهقان : ما هذا الامر يا حكيم ؟ فقال الدهقان : هذه فتنة عظيمة القاها واحد من الجان الى دنهشة وقال لها اطلبي من عفاشة سهرك اللوح الزمرد . فقال الملك سيف : ما اصل هذا اللوح ؟ فقال الدهقان : يا ملك الزمان اعلم ان هذا اللوح له سبب عجيب وان هذا اللوح اذا خرج من الكنز تبطل حركاتهم واعلم ايضا انه متى خرج ذلك اللوح من الكنز تكون قد دنت وفاتي وانقضت مدتي وكل شيء بارادة الله وقدرته وان قضاء الله ليس له من دافع وسوف اكون مساعدا لعفاشة حتى يحصل على هذا اللوح وليقضي الله امرا كان مفعولا ؟

فشكره الملك سيف وقد صبر الدهقان الى منتصف الليل قام واخذ معه الملك سيف وعفاشة وسار بهم الى ان وصلوا واديا متسعا فقال للملك سيف : اين جوادك الياقوتي ؟ فقال : انه حاضر معي ، فقال : احضره واركبه . وركب الحكيم الدهقان على سريره وطلبوا الرحيل وعفاشة عرضهم الى باب الكنز ، فتقدم الحكيم الدهقان وعزم وترجم وتلا اقساما حتى انفتح باب الكنز فتقدم الحكيم وابطل مهالكه وقال لعفاشة : ادخل الى الكنز واتل حسبك عن امك وابيك ثم اظهر يدك واقسم عليها ان توصلك الى محل اللوح فضع يدك المرصودة عليه وهز صندوق حديد فاذا تحرك فارفع بابه بيدك المرصودة ولا تمد غيرها فاذا ارتفع غطاء الصندوق تجد الرصد وهو شخص من النحاس فقل له انا عفاشة وهذه يدي الزائدة ، فاعطني اللوح الزمرد وامسكه لي في يدي فيرفعه لك فخذه في يدك المرصودة وعد الي سريعا .

فقال عفاشة : سمعا وطاعة . ودخل الكنز واقسم على يده ان يوصله الى مكان اللوح ففعل كما أمره الدهقان فتحرك هذا الرصد ومد يده باللوح واذا بعفاشة يبس في مكانه وبقي كأنه حجر ، فلما غاب ادركه الدهقان واخذ اللوح من يد الرصد وخرج به من الكنز الى ان صار خارج الكنز وهنالك ردت روح عفاشة اليه وخرج من الكنز خلف الحكيم الدهقان فلما وصل عنده قام الدهقان وقفل باب الكنز ورد كل شيء الى مكانه ، ثم صنع الدهقان كيسا من القماش ووضع فيه اللوح وجعله في عنق عفاشة وقال له : سر من وقتك وساعتك الى دنهشة وادخل عليها واظهر اللوح فانها متى راته بطلت حركتها ثم اخفيه عنها فان قالت اعطني اياه فاعلم انها لا تريدك

وان قالت ابقه معك فاعلم انها تحبك محبة عظيمة .

ثم ان عفاشة سار من وقته ودخل على دنهشة فرحبت به ثم قالت : هل قضيت الحاجة ؟ قال لها : نعم ، واشار لها بطرف اللوح وهو من داخل الكيس فبطلت حركتها ثم اخفاه عنها فقالت له : يا سيدي الان آن الاوان وانا خادمتك فامنع عني هذا اللوح وابقه معك ، فرجع عفاشة الى الدهقان والملك سيف واعلمهم بما جرى له مع دنهشة ففرحوا فرحا شديدا .

واما اللعين شاذلوخ فانه دخل على دنهشة وقال لها : عن قريب يدخل بك عفاشة ، فقالت : نعم ، فقال لها : اطلبي منه البدلة والاكليل التي لبستها عاقصة ليلة زفافها فانها بدلة لا يوجد مثلها وهي كانت للست بلقيس زوجة نبي الله سليمان ، فاجابته الى ذلك وقالت : سوف افعل ما امرتني به . هذا وقد خرج شاذلوخ من عندها وتركها جالسة في مكانها فبينما هي كذلك واذا بأبيها دخل عليها وقال لها : يا بنيتي جهزي نفسك لانه في هذه الليلة يدخل عليك زوجك ، فقالت له : لا يكون ذلك ابدا وما يدخل علي الا بعد ان يأتيني ببدلة الست بلقيس التي زفت فيها عاقصة امه على ابيه عيروض ، فلما سمع ابوها الكلام عاد من وقته الى الملك عفاشة واخبره بما قالت ابنته فقال : سوف يكون ذلك عن قريب ، ثم اخفى نفسه عن الحاضرين وصعد الى الجو الاعلي واقسم على يده ان تأتيه بالبدلة بعدما تنزله مكانه ، وكانت بقصر العارض فأخذها بصندوقها بيده المرصودة وعاد في ساعة الحال وطلب الملك ديهشور واعطاه البدلة ، فأخذها وعاد الى ابنته وهو في غاية السرور فأخذتها وفرحت بها وانقطع كلام الاعداء عنها ، ثم لبستها فطلعت كأنها البدر ليلة تمامه .

اما عفاشة فأراد الدخول على زوجته فقال له الدهقان : اصبر يا ملك لاي شيء هذه العجلة ، اصبر قدر ساعة فصبر وصار الحكيم يترقب غروب الشمس الى ان غربت ودخل الليل وظهرت النجوم . كل هذا والحكيم جعل ينظر الى النجوم الى ان راى نجما سعيدا يعرف معناه : ادخل الان يا عفاشة على زوجتك ، فدخل على دنهشة وبات عندها الى الصباح ولما اراد الخروج واذا بقائل يقول : ابعد عن طريقي يا عفاشة ، فقال : من انت ؟ قال : اما تعرفني يا قرفان ، ولطمه في صدره وخرج يجري ، فذهب عفاشة الى الملك سيف والدهقان واخبرهما بذلك فقال له الدهقان :

يا ولدي هذا اخوك ، من امك وابيك ، وانه اتى اليك يهنئك بما وصل اليك من الملك والعروس ، فاطلبه وقل له : اجب الملك سيف ، فرجع

عفاشة فرآه يقلب قدمه في البراري والقفار فقال له : اجب الملك ، فقال له : اذهب الى عنده ونادي علي باسمي وانا احضر اليك واليه ، فقال له: وما اسمك ؟ فقال : لم يكن لي اسم وقد جئت اليك فسميني باسم اظهر به نفسي ، والا دخلت في صدرك وخرجت من ظهرك ، فقال : يا اخي سميتك كتكوت ، ففرح بذلك الاسم وعاد عفاشة الى الديوان ونادى : يا كتكوت واذا به يقول : لبيك فلما رآه الناس اخذهم منه الخجل والوسواس فقالوا : من هذا الصغير ؟ فقال عفاشة : هذا اخي ابن امي وابي .

ثم ان كتكوت تقدم من الملك سيف وقبل يده وجلس الى جانبه وهو يلعب ولا يبالي فغلبه النوم فنام على حجر الملك سيف فتأمل الحكيم الدهقان الى راس الغلام واذا على رأسه تاج منقوش بقلم القدرة وبوسطه حربة مثل لسان الثعبان فقال : يا ملك هذا يقال له كتكوت ابو حربة لان له حربة في تاجه الذي على راسه خلقة ربه مرسومة بقلم القدرة ، فقال الملك سيف : يا حكيم اعلم ان الشيخ عبد النور اخبرني ان جميع ذرية عيروض كلهم يأتون وفيهم اعضاء زائدة ، هذا وقد تركه الملك سيف نائما الى ان افاق .

ثم ان عفاشة امر باحضار الخلع السنية فخلع على الرجل وعمل الضيافات مدة شهر كامل ثم ان الملوك استأذنوا في الرحيل الى اماكنهم فأذن لهم وقد تقدم الملك كيهوب وتودع منهم ، ثم قال للملك سيف : تأذنوا لي بالرحيل وتعطوني الامانة التي عندكم ، فقال له الدهقان : وما هي الامانة ؟ فقال : بدلة الست بلقيس التي اخذها الجان من عندنا ، فقال عفاشة : ما كنت اعطيها ابدا ، فقال كيهوب : انا اقدر اسير بدونها ولم يقدر احد غيري ان يصل اليها ، فقال الدهقان : اعلم يا ولدي ان الملك سيف وعده برجوع الامانة الى مكانها قبل ان تخلق وان كلام الملوك لا يتغير، وانه اذا رجع كيهوب بدونها يحصل له الاذى من غضب هذه الست المصونة في برذخها ، وانها دعت على كل من يأخذ من عندها حاجة ولم يرجعها لها، فاعطه البدلة وانا اصنع لك احسن منها وان اردت عشر بدلات ، فقال : السمع والطاعة فانا لا اخالفك ابدا . ثم نهض عفاشة واحضر البدلة وسلمها للملك كيهوب واخذها وتودع منهم وسار طالبا الكنوز .

ثم اصطنع الدهقان احد عشر بدلة ، الى عفاشة وبدلة الى زوجته وبدلة لعيروض وبدلة لكتكوت وبدلة للملك سيف وبدلة لدمر وبدلة لنصر وبدلة للدمرياط ، وبعد ذلك عمل الى الملوك والمقدمين بدلات كل على قدر مقامه وانقضت تلك الاشغال .

فقال الملك سيف : الان قضي الامر وانا طالت غيبتي ومرادي حضور الحكيمين سقرديس وسقرديون حتى اعود بهما الى ارض مصر واصلبهما هناك . فقال له عفاشة : يا ملك الزمان هذا لا يكون الا بعد ان تقيم عندي عشرين عاما ، فقال الملك سيف : انا لا اقدر ان اقيم اكثر من شهر لاجل راحة العسكر وقد اتفق الامر على ذلك .

ثم ان الملك سيف قال للدهقان : يا حكيم الزمان مرادي ان ناخذ اعدائنا ونسير الى بلادنا وتكون انت معي لنعبد الله ما دمنا على قيد الحياة، لاني ما بقي لي غرض في المملكة واريد ان اجلس بعض اولادي مكاني لاني صرت رجلا كبيرا .

فقال الدهقان : والله يا ملك هذا مقصودي ، ولكن اصبر علي قليلا حتى اسير الى مكاني واودع اهلي وجيراني ، فقال الملك سيف : هذا هو الصواب . ثم انه تودع من الملك سيف وسار الى مكانه ، واما الملك سيف اخذ يجهز رجاله مدة تسعة ايام ، فلما كان اليوم العاشر دخل عليه نجاب من عند الحكيم الدهقان وناوله كتاب ، ففضه وقراه فاذا فيه :

بسم رب الارباب الى بين يدي اعز الاصحاب الملك سيف ، اعلم اني لما سرت من عندك اردت ان اقضي اشغالي واعود اليك فعاقتني الاقدار واتاني الذي لا مفر منه ، فالمراد منك ان تأتي الى عندنا وتنظر حالنا وهيهات هيهات ان لحقتنا او لم تلحقنا فمني عليك السلام .

فلما قرأ الملك سيف الكتاب بكى بكاء مرا ، ثم امر الرجال بالركوب فركبت سائر الملوك وجدوا السير ولله المشيئة والتدبير الى ان وصلوا عند الحكيم الدهقان فوجدوه نائما وعلى صدره كتاب ، فأخذه الملك سيف وقراه واذا فيه : من الحكيم الدهقان الى الملك سيف ، اعلم ان الدنيا غدارة وبأهلها مكارة ، وكل من عليها فان ، واعلم يا ملك من حين طلع اللوح الزمرد من الكنز انا ايقنت بالموت حقا ، ولكن انا فرحان حيث انقذني الله تعالى من الكفر وهداني الى الايمان ، واعلم يا ملك الزمان ان تحت راسي كفني فاصنع جميلا مع الله تعالى وغسلني وكفني وواريني التراب ولك من الله الاجر والثواب . فبكى الملك سيف وتناثرت من عيونه العبرات وبعد ذلك قام بنفسه وغسله وكفنه وواراه في التراب ، واقام على قبره سبعة ايام وبعدها ركب الملك سيف وعاد بعسكره الى جبل قاف ولما وصلوا اليه طلع عفاشة الى لقائهم ولما وقعت عينه على الملك سيف تقدم اليه وقبل يده وبعد ان استراح الملك سيف قال لعفاشة : يا ولدي اعطني الحكيمين سقرديس وسقرديون فانك تعلم انهم اصل هذه الفتنة التي نحن فيها

واتركني امضي الى بلادي واقعد بين عساكري واجنادي .

فقال عفاشة : سمعا وطاعة ، وغاب وعاد بالحكيمين واسبانير قابض عليهما وقال : يا ملك الزمان ها هما عداك ، فلما نظر اليهما سيف فرح الفرح الشديد وقال : يا اسبانير هما تسليمك حتى نصل الى مصر اطلبهما منك ، فقال : سمعا وطاعة ، ثم ان الملك سيف تودع من عفاشة ومن والده عيروض ومن جميع ملوك الجان واراد الرحيل فوثب عفاشة وجميع الجن والارهاط وهموا ان يسيروا معه فاراد الملك سيف ان يمنعهم فقال له عفاشة : يا ملك الزمان انت لا يمكنك السفر لوحدك ومعك هذه العساكر ولا تقدر ان تصل الى مصر لا بسنة ولا بسنتين ، واما الجان فانهم ينقلون الخلائق ويطيرون بهم المراحل والناس لا يعلمون ، فقال سيف : ها هم الناس سائرين وانا سائر معهم ، فقال عفاشة : يا ملك الزمان انت تعلم ان برق البروق الذي انت راكبه اذا كان ماشيا على مهل يقطع في اليوم الواحد ثلاثة اشهر فسر على بركة الله ونحن معك حتى تجلس على كرسي مملكتك.

وكان الملك سيف معه عساكر لا تعد ولا تحصى ، وساروا يقطعون الارض وصار الملك سيف ينصب صيوان العجائب وينتصب السماط المرصود ويقعدون العساكر فرقة بعد فرقة حتى اكتفى العرض ، وهكذا يقطعون القفار والسهول والاوعار مدة ايام وليالي حتى قاربوا مدينة مصر. وقد سبقه المبشرون يخبرون بقدوم الملك سيف وجيشه العظيم فوثب الملك بولاق بموكب عظيم لملاقاة ابيه واخوته ، ودخل الملك سيف في موكب عديم النظر ، وكانت مدة هذه الغيبة ثلاث عشر سنة وستة اشهر ، ولما وصلوا الى الديوان امر الملك سيف للملوك جميعا بالخلع والعلوفات وجلس على كرسي قلعة الجبل وامر بالزينة والمهرجانات مدة سبعة ايام ، وفي اليوم الثامن امر ان ينادي المنادي بالفرجة على موكب السلطان وصلب الاعداء اهل الطغيان ، فهرعت العالم حين سمعوا المناداة وركب الملك سيف ولبس البدلة التي عملها له الدهقان وخرج بموكب عظيم وركب دمر عن يمينه ومطر عن يساره وانعقد الموكب ثم احضر اسبانير المصلبين على عجل وصلبوا عليهما الحكيمين فزغردت النساء فصار الملك سيف ينثر على رؤوس العالم الذهب الاحمر وما زال الموكب منعقدا على هذه الحال ولما كان وقت العصر امر الملك باحراقهم فاوقدوا النار ووضعوهم فيها حتى احترقوا وعجل الله بارواحهم الى النار وبئس القرار .

ثم ان الملك سيف لما صفا باله وبلغه الله من الاعداء آماله التفت الى ولده دمر وقال له : سر يا ولدي الى ارض الشام ومعك زوجتك وعيالك واقم هناك فقد اخترتك انت ملك ارض الشام ، فقال له : سمعا وطاعة . ثم

قال لمصر : وانت يا مصر اقم في مدينتك التي هي على اسمك ، والتفت الى المقدمين وارسلهم كل الى بلده واوصاهم بتقوى الله . وهكذا لم يبق في الديوان سوى الملك سيف وولده نصر ، وهكذا لقد طابت له اوقاته لعبادة الله عز وجل الى ان اتاه هادم اللذات ومفرق الجماعات ونقله من سعة القصور الى ضيق القبور فسبحان الحي الذي لا يموت .

الى هنا انتهت سيرة الملك سيف

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٩٨) لسنة ١٩٨٩



الطبعة الثالثة

١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م

اعيد الطبع : مطبعة دار القلم

رقم الايداع ١٩٢ لسنة ١٩٨٣

يسر دار الكتب الشعبية للطباعة والنشر بأن تقدم روائع القصص الشعبي التاريخي بحلة جيدة وطباعة فاخرة وأسعار زهيدة ، وقد صدر منها الكتب التالية :

قصة عنترة

قصة الزير سالم

تغريبة بني هلال

سيرة الملك سيف بن ذي يزن

سيرة بني هلال

الناشر
مكتبة الشرق الجديد - بغداد



الس... ٤,٠٠ دينار